

# اسهرالكتبالجيدة همالعالم

# بنيتوموسوليني

بقلم : كرنستوفرهيـ برت

نعریب وتعلیق : خدیری حـــمّاد



BENITO MUSSOLINI
A BIOGRAPHY
By
Christopher Hibbert

## تقدمة المعرب

ما كنت أحسب في يوم من الأيام ، أنني سأنقل إلى العربية كتاباً عن حياة موسوليني ، فبالإضافة إلى ما أحمله من كره الفاشية كنظرية مذهبية ونظام حُكُم ، لقيامها على العنصرية المغلقة ، وتأليه الفرد الحاكم ، كنت دائمًا أحمل في نفسي ، لموسوليني ، حتى في أيام حكمه ، وقبل تكشف حقيقة ما كانت عليه إيطاليا من ضعف في عهده ، نظرة تنطري على كثير من الاستخفاف إذ أرى فيه شخص الدعىّ المغرور ، اللـى استطاع أن يوهم نفسه وشعبه ، قبل أن يوهم العالم ، بقوة إيطاليا في جميع المجالات ، وفي مقدمتها ألمجال العسكري ، وأن ادعاءه هذا لا بد أن يتكشف ، تحقيقاً للقاعدة التي تقول إن في وسع الإنسان أن يخدع جميع الناس بعض الوقت ، أو بعضهم كل الوقت ، ولكن ليس في وسعه أن يخدع كل الناس كل الوقت . يضاف إلى هذا كله ، أن موسوليني كان صورة مجسَّدة لأطماع الاستعمار في وطننا العربي ، وفي غير وطننا من الأراضي الإفريقية ورمزاً حيًّا على فظائع الاستعمار وشروره ، يتمثل فى ما كان يعانيه إخواننا الليبيون في جزء غال من وطننا العربي الكبير ، هو ليبيا ، من عنت ومظالم تفوق حدود الوصف ، والتسجيل ، وفيما تعرض له شعب الحبشة التعس من جرائم وحشية ، يقشعر من هولها ضمير الإنسان أثناء حرب العدوان على الحبشة في أواسط ثلاثينات القرن .

وكنت إذا ما سمعت اسم موسوليني ، عاد فكرى لتوه ، إلى صورته في تلك الأيام وهو يعلو صهوة جواده الأبيض ، واقفاً على حدود مصر الغربية ، منطلعاً إلى الشرق البعيد، إلى اليوم الذي يدخل فيه على رأس جيشه المنتصر أرض الكنانة ، ليعبر شوارع القاهرة العظيمة متجهاً إلى الأهرامات ليقف تحمها كما وقف نابوليون من قبل ، فأرى فيه صورة ذلك المستعمر الطامع ، في الحلول عمل مستعمر بشع تخر ، كان جل همنا ، نحن أبناء الأمة العربية ، تحرير بلادنا كلها وفي

طليعتها وادى النيل ، من كابوس سيطرته الرهيب . وكنت أرجع بفكرى أيضاً إلى صورته ، وهو يقف فى شرفة قصر البندقية ، فى مدينة رومة ، يخطب عشرات الألوف من أبناء إيطاليا ، هادراً ومزجراً ، ومنادياً بالبحر الأبيض المتوسط على أنه عجرنا ٤ ، أى بحر إيطاليا ، وكأن لا وجود لشعوب أخرى بينها الشعب العربى بالطبع ، على شواطته ، الطويلة الفسيحة ، مؤكداً بذلك أطماعه فى السيطرة على الوطن العربى ، التى كان يمهد لها عن طريق أعوانه المندسين فى كل مكان . يغرون صغار الشبان على السفر إلى إيطاليا ، ليعتنقوا الفاشية ، وليصبحوا من المؤمنين يغرون صغار الشبان على السفر إلى إيطاليا ، ليعتنقوا الفاشية ، وليصبحوا من المؤمنين بها ، وهو ما حققه عن طريق حزب عميل ، ظهر فى تلك الأيام ، فى بلاد الشام ، تحت اسم الحزب القومى السورى ، وكان زعيمه ، آنذاك ، صورة مقلدة ، تحت اسم الحزب القومى السورى ، وكان زعيمه ، آنذاك ، صورة مقلدة ، لزعيم الفاشية الإيطالية .

أقول ، ما كنت أحسب ، أنى سأنقل إلى العربية كتاباً عن موسولينى ، وهذا رأي فيه منذ أمد طويل، لولا أنى وجدت نفسى ، وقد اقترح على الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ، رئيس تحرير « الأهرام » ، ترجمة هذا الكتاب الذى أضعه بين أيدى القراء ، مدفوعاً إلى تقبل الاقتراح ، رغبة منى فى استكمال ناحية أخرى من نواحى الصورة ، التى شرعت فى نقلها إلى العربية عن تاريخ العالم فى الحرب الكونية الثانية ، وما سبقه من أحداث ما بين الحربين العالميتين ، ممثلة فى الحرب الكونية الثانية ، وما سبقه من أحداث ما بين الحربين العالميتين ، ممثلة فى و تاريخ ألمانيا المتلرية » و ه مذكرات تشرشل » و هد كرات إيدن » ، وقد عرضت فى هذه الكتب ، وجهات نظر مختلفة فى تلك الأحداث العالمية الرهيبة التى عشناها ، والتى أصبحت وجهات نظر مختلفة فى تلك الأحداث العالمية الرهيبة التى عشناها ، والتى أصبحت تؤلف الآن جزءاً من التاريخ . وكلى أمل بعد أن عربت هذا الكتاب الذى يرسم الجانب الروسى الجانب الروسى منها ، وهو فى نظرى من أهم جوانبها ، نظراً للدور الكبير الذى لعبه الاتحاد السوفييتى فى هزيمة هتلر ، وإنقاذ العالم من الفاشية .

يضاف إلى هذا ، أن إيطاليا ، كانت تؤلف بين الحربين العالميتين ، وفي الفترة الأولى من الحرب الثانية ، دولة عظمى ، لها وزبها وقيمتها في الميدان العالمي ، ومجالات السياسة الدولية . وكان موسوليني ، بنظام حكمه الفاشي الذي يقوم على

1

العنصرية المغلقة من ناحية ، وعلى تأليه الفرد من الناحية الأخرى ، هو إيطاليا الفاشية ، إذ ظل مسيطراً على أقدارها أكثر من عشرين عاماً ، كانت إرادته وحدها فيها ، هى النافذة ، وهى المتحكمة ، وكانت كلمته هى العليا التى ترسم للشعب الإيطالى ، المحروم من الحرية ، طريقه ، وتوجهه الوجهة التى تشاؤها . وكان طبيعيًا أن تكون سيرة حياة موسولينى فى هذه الفترة ، هى تاريخ إيطاليا ، لأنه كما قلت السيد المطلق فيها ، وغم وجود الملكية النافهة التى لا شأن لها ولا وزن ، ورغم وجود الحزب الواحد ، المتجسد فى صورة زعيمه ، والمسلوب الإرادة والحرية .

وكانت المكتبة العربية مفتقرة إلى صورة حقيقية عن هذه الفترة ، بالرغم من كثرة عدد الكتب التي وضعت في اللغات الآخرى عنها والتي تجاوزت العشرات كما يبدو من قائمة المصادر التي أوردها مؤلف كتابنا هذا ، في ذيل كتابه . يضاف إلى هذا ، أن الصورة الباهنة . التي كانت تمثل أمام قراء العربية عن حياة موسوليي وتاريخ إيطاليا في عهده ، كانت محاطة بالتناقضات الغريبة ، تناقض راسميها في التجاهاتيم وميولم . سواء أكانوا من أنصار الفاشية ، أم من خصومها وأعدائها . فيعضهم كان يصور موسوليني ، على النحو الذي أراد هو أن يصوره الناس فيه ، صورة الرجل العبقري الفذ ، الذي شاء له القدر أن يبعث في شعب ضعيف خائر العزيمة مفتقر إلى الحيوية والبطولات ؛ بيناكان بعضهم يصوره على أنه إنسان دعي تافه ، مغتر بنفسه ، كثير الزهو والاعتداد بشخصه ، غارق في حمأة الشهوات والرذيلة ، يعتمد على التمثيل المسرحي ، في تصوير نفسه بصورة البطل ، وتصوير نظامه بصورة النظام الأمثل ، وشعبه بصورة الشعب القوى الذي يريد حقه في نظامه بصورة النظام الأمثل ، وشعبه بصورة الشعب القوى الذي يريد حقه في نظامه بصورة النظام الأمثل ، وشعبه بصورة الشعب القوى الذي يريد حقه في خوالات السيطرة العالمية .

وعندما قرأت هذا الكتاب ، الذى يعتبر أحدث ما كتب عن موسولينى وتاريخ عهده ، إذ صدر فى عام ١٩٦٢ ، انجلت أماى تلك الصورة الغامضة الباهتة ، إلى حد كبير ، وتبينت فيه الكثير من الحقائن التى كنت أجهلها بالرغم من قراءاتى الكثيرة ، وبالرغم من حقيقة أود هنا أن أقررها ، وهي أن الكتاب رسم صوراً دفيقة لحياة موسوليني ، وتاريخ حكمه ، ولكنه لم يرسم مثل هذه الصورة للفاشية كنظرية وتطبيق ، إذ لم يعالحها بالتحليل والبحث العميقين . ولعل هذا

راجع إلى أن المؤلف نفسه ، وقد يكون محقاً كل الحق في ذلك ، لم ير أن الفاشية كذهب ، جديرة بالدرس العميق ، لحلوها من النظرية الفكرية الصحيحة ، ولاسيا أنه رسم لنا صورة موسوليني نفسه ، في شكل ذلك الإنسان القلّب في آراته الاجتاعية وأفكاره الاقتصادية ، متأرجحاً بين الاشتراكية ، والتبعية للبورجوازية ، والتنكر المتقدمية ، والحملة على الرأسمالية ، والعودة إلى التفكير الاشتراكي . وكان جناع ما نصل إليه من هذه الصورة المتعددة الجوانب ، والمتقلبة الاتجاهات ، هو أن موسوليني ، كان لا يؤمن إلا بنفسه وسيطرته ، وبشعبه ولكن عن طريق إيمانه بذاته ، على اعتبار أنه الإنسان الذي اختاره و القدره ، ليؤدي دوره في قيادة هذا الشعب إلى العظمة المستمدة من عظمته ، والمجد المتجسد في أبحاده الشخصية .

أجل؛ إن هذا الكتاب الذي يعتمد على مئات المصادر ، والذي عانى المؤلف في وضعه كل المعاناة ، فقرأ عشرات الكتب والوثائق والمقالات ، بالإيطالية التي كان يتقبها وغير الإيطالية ، واجتمع إلى عشرات الناس الذين عاشوا تلك الفترة التاريخية ، مشتركين في أحداثها ، أو بعبدين عبها ولكن في موقف المراقب المناوئ ، وتحدث إلى المثات من الذين وجدوا على هوامش العهد الفاشى ، ولكن كان لهم دورهم في الأحداث التي تناولها الكتاب ، مهما كان هذا الدور ثانوييًا أحياناً أو أقاربه ، أو حد دور معين أدوه في فترة محددة ، يعتبر من أصدق الكتب أو أقاربه ، أو حد دور معين أدوه في فترة محددة ، يعتبر من أصدق الكتب والوقائع ؛ فهو يكشف عن أسرار مثيرة كانت مجهولة لدى معظم الناس ، ويضع والوقائع ؛ فهو يكشف عن أسرار مثيرة كانت مجهولة لدى معظم الناس ، ويضع بالنسبة إلى الكثير من الألغاز والمعميات التي ظلت تحيط بعهد موسوليني حتى يومنا هذا .

ولعل موضوعية المؤلف تتمثل أكثر ما تتمثل في هذه النظرة الحيادية المطلقة التي يعالج فيها موضوعه ، والتي تجعل القارئ لا يستطيع أن يحدد على وجه من التأكيد والتحقق ، موقفه من صاحب الشخصية التي أرتجها ، وهل هو موقف العطوف المشفق ، أو موقف الناقد المناوئ ، ولكن بالرغم من هذا كله ، وبالرغم مما يحيط بموقف المؤلف نفسه من غموض أحياناً ، لعله مستمد من غموض

موسوليني نفسه وتناقضاته ، فإن كتابه عن موسوليني يعتبر في نظري أصدق صورة. وضعية لحياة هذا الإنسان الذي قدر له أن يسيطر على إيطاليا مدة عشرين عاماً ، وأن يلعب دوراً في منهى الأهمية والخطورة في تاريخ العالم الحديث.

فهو يرسم لنا صورة موسوليني منذ ولد في أسرة فقيرة في عام ١٨٨٣ في قربة من قرى إيطاليا الوسطى . ويتابع هذه الصورة بأسلوبه المشوق، متنقلا بها في مدارج الحياة وملاعبها ، من حياة البوهيمية والتشرد في سويسرا ، إلى حياة الإعداد الفكري ، في صفوف الاشتراكيين ، ومن معارك الحرب العالمية الأولى ، إلى زنزانات السجون في أكثر من مكان ، حيى يصل بها إلى مرحلة الزحف على رومة في عام ١٩٢٢ والوصول إلى مقاعد الحكم والسلطان ، ليمضى بعدها في تصوير عهده الطويل ، حتى تهابته برصاص رجال المقاومة السرية في الثامن والعشرين من أبريل عام ١٩٤٥ .

أما المؤلف ، ك يستوفر هيبرت ، فإنجليزى المولد والجنسية . ولد فى عام ١٩٢٤ ، ودرس فى جامعة أكسفورد ، ثم اشترك فى الحرب ، ضابطاً فى الجيش البريطانى فى إيطاليا ، حيث أصبب بالجواح مرتين ، وحيث بدأت علاقته بموضوع هذا الكتاب الذى ألفه عن إيطاليا . وله كتب عديدة منها « الطربق إلى تيبورن » و « الملك موب » و « وولف وكويبك» وغيرها .

وأخيراً أعود فأقول ، بعيداً عن الغرور ، إن مكتبتنا العربية كانت في حاجة إلى مثل هذا الكتاب ، الذي راعيت في تع يبه الدقة كل الدقة ، دون أن أقتطع منه شيئاً ، أو أهمل جانباً . فهو كتاب يحسر النقاب عن أسرار كثيرة ، ويزبل الكثير من الغموض عن الصورة الباهنة التي كنا نحملها لهذا الجانب من التاريخ العالمي الحديث .

والله ولى التوفيق . . . القاهرة في ٤ ديسمبر ١٩٦٤

#### مقسيامته

كتب فبرناندو ميزاسوما ، عن موسوليني ، في الأسبوع الأخير من حياتهما معاً ، يقول ... ٤ ليس ثمة من يستطيع أن يفهمه. فهو ساذج حيناً وماكر أحياناً ، وهو قاس كالوحش يوماً ، ودمث ناعم يوماً آخر ، وهو مزيج من الرغبة في الانتقام والميل إلى التسامح ، والعظمة والوضاعة . إنه أكثر إنسان رأيت في حياتي ، تناقضاً وتعقيداً . ومن الحسير على الإنسان أن يوضح غموضه للآخر بن ؟ .

وقد و ضعت كتب عدة عن هذا الرجل الشاذ، تحاول عرضه على حقيقته ، طيلة النماني عشرة سنة التي انقضت بين تاريخ الزحف على رومة فى عام ١٩٢٢ و بين نشوب الحرب الإيطالية في عام ١٩٤٠ ، وكان واضعوها خليطاً من الفاشيين المؤيدين له ، ومن الإيطاليين المهاجرين اللدين فروا من ظلمه ، وكان لهم كل الحق في أن يكرهوه وأن يكرهوا الفاشية . ولكن لم يصدر أى كتاب بعد موته ، يؤرخ حياته تأريخاً كاملا ، بالرغم من ظهور عدد كبير لا يعد ولا يحصى من الوثائق ، التي كشف النقاب عنها في السنوات الست عشرة الأخيرة .

وقد شعرت منذ عودنى إلى الوطن من إيطاليا بعد انهاء الحرب ، بالحاجة الماسة إلى كتاب محايد ، يجيب على الأقل عن بعض الأسئلة التى طالما حيرتنى . فقد كنت أتساءل دائماً ، ترى إلى أى حد يشبه موسولينى ذلك المهرج المخيف الذى طالما صورته فيه دعاياتنا أيام الحرب ، أو إلى أى حد يشبه صورة ذلك الإنسان القربب من الآلهة والمجسد للعقيدة الفاشية على حد تصوير دعايته . وكنت أتساءل أيضاً كيف يمكن التوفيق بين أولئك الإيطاليين الذين لم يتورعوا عن إطلاق النار على جئته ، وهي معلقة في ساحة لوريتو في ميلان من قدمها إلى وأسها ، النار على جئته ، وهي معلقة في ساحة لوريتو في ميلان من قدمها إلى وأسها ، وبين إخواجم من الإيطاليين الذين لا يختلفون عهم كثيراً والذين بكوا ، أحر بكاء ، عندما نقل إليهم نباً موته (١) . وكثيراً ما تساءلت كذلك ، ترى هل صدق

<sup>(</sup>١) أنا لا أرى داعياً لهذا التساؤل ، فالأولون هم أنصار الحرية الذين كرهوا الفاشية لما نمثله من عنصرية بغيضة، ونزوع إلى العدوان والاستمار ، في حين كان الآخرون من الذين مسللهم الفاشية أمداً طويلا . وكثيراً ما يختلف المره من الناحية العقائدية مع أخيه . « المعرب »

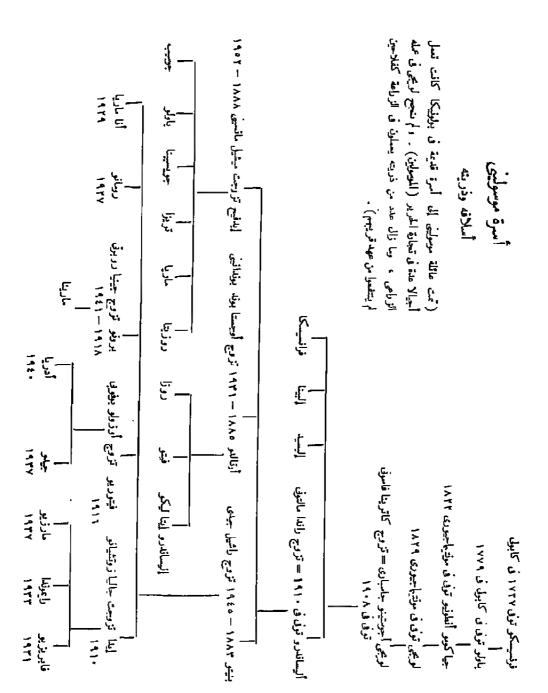
المستر تشرشل حقيًّا ، عندما قال إن « رجلا واحداً ، وواحداً فقط » قد أغرق إيطالبا في المأساة التي حلت بها . وتساءلت أيضاً ، كيف استطاع هذا الرجل أن يحتفظ بسلطانه هذا الأمد الطويل ، وكيف وجد ، حتى في المرحلة الأخيرة التي تسبق المغيب ، على شطئان بحيرة جاردا ، بعد أن أصبحت الهزيمة مؤكدة ، وموته محتوماً ، أنصاراً كثيرين على استعداد لمواصلة السير معه ، رغم ما حل به من انحلال معنوى وعضوى .

وكانت هذه الأسئلة لا تزال تبردد في خاطرى ، عندما عدت إلى إيطاليا في عام ١٩٦٠ أحاول العثور على ردود لها في الكتب والأوراق التي توخيت قراءتها عن موسوليني وديكتاتوريته الفاشية ، والتي لا تتوافر لدى ، وأنا في لندن ، وأسعى إلى الانصال بالذين عرفوه ، لأتحدث إليهم ، ولأكتشف أكثر ما يمكن من الحقائق عن سنواته الأخيرة التي لا يتوافر عنها الكثير من المعلومات الموثوقة . ولما كنت لا أجد نفسي أهلا للحكم على الرجل ، حتى ولو كان الحكم بمكنا الآن ، فقد وضعت هذا الكتاب ، في شكل قصة تاريخية ، آملا أن تؤدى روايتي لقصة حياته ، إلى توفير الأدلة المهمة التي يمكن على ضوئها إصدار أي حكم عليه . وبالرغم من أنني لم أشر في صلب الكتاب إلى المصادر التي بنيت عليها ما كتبته ، إلا أنني أدرجت في نهايته تعليقاتي على المواد التي اعتمدت عليها ، وإني لعلى يقين بأن القارئ سيجد فيها المرجع الذي يريد حول المصادر التي اعتمدت عليها ، عليها ، والبيانات المتضاربة ، سواء أجاءت في شكل اقتباسات عددة أم أقوال مسوبة .

وأجد لزاماً على أن أشكر الكثيرين لما قدموه إلى من مساعدات مختلفة ، وأخص منهم بالذكر ، بالإضافة إلى أولئك الذين آثروا الإبقاء على أسمائهم مهمولة ، كلا من الأستاذ بالديني ، والصحفي الفرنسي باريت ، واللورد بيفر بروك ، والسنيور بيترو بنيفانتانو ، والسير نويل تشارلز ، والبريجادير (العميد) إبدج ، والآستاذ فيتوريو جابرييلي ، والكونتيسة هامبلدين ، والسير إيفون كير كباتريك ، والمرحوم السير بيرسي لورين ، والدكتور روجر مانفيل ، كير كباتريك ، والمرحوم السير بيرسي لورين ، والدكتور روجر مانفيل ، والأميرال فرانكو موجيري ، والأستاذ دون باولو ميلانو ، والسنيور باولومونيلي

والكونت أومبرتو مورا دى لافريالو ، والسنيور رومانو موسولينى ، والهر هانز باشتر ، والكونت نوفيلو بابافافا ، والسير تشارلز بيترى ، والهر أوتو رينشة ، والسنيور بيترو إيرنيستورسكى ، والسنيور دينوروزيللى ، والمس فرانسيس ريان ، والسنيور بيترو ساناريللى ، والمسيد جوان سان جورج سوندرز ، والمسير سويت إيسكوت ، والعقيد أوتو سكورزينى ، والجنرال كورت ستيودينت ، والعقيد هيدلى فينسينت ، والأستاذ روبرتو ويبس ، والآنسة إليزابيث ويسكيان . وإنى لمدين بصورة خاصة إلى الآنسة ليندا بارتبلى أتانازيو ، لما قدمته لى من عون فى البحوث التى أجربتها فى رومة ، وإلى المستر روى – ماكر بجور – هاستي ، الذى زودنى بالمعلومات عن أسرة موسولينى ، وإلى الجنرال رافائيلى كادورنا ، لمساعدته إياى ، فى إعداد الفصول الأخيرة من هذا الكتاب . وإنى لأود أن أشكر أيضاً موظنى مكتبة لندن ، والمعهد البريطانى فى فلورنسه . وغيرها من المؤسسات الثقافية الإيطالية فى لندن ، والمعهد البريطانى فى فلورنسه . وغيرها من المؤسسات الثقافية الإيطالية .

كريستونر ــ هيبرت



القسـُمالأول الصراع من أجل السلطان

### الثاثر الشاب

( ۲۹ يوليو ۱۸۸۳ ــ ديسمبر ۱۹۱۲ )

و كانت ولادتى في الوسط الشدى ، الورقة الرابحة في يدى ،

١

انطلق في الساعة العاشرة والنصف من مساء التاسع من مايو عام ١٩٣٦ ، صوت هدير فجائى ، وصفه أحد الصحفيين بأنه أقرب ما يكون إلى صوت التفجر البركانى ، من حشد يضم ما يقرب من أربعمائة ألف إنسان . كانوا يقفون متراصين جنباً إلى جنب ، أمام قصر البندقية في مدينة رومة . فقد ظهر بنيتو موسولينى ، دوتشى الفاشية ، على شرفة القصر ، مطلاً عليهم ، ومتطلعاً بهدوء إلى حشودهم . أجل ، وقف أمامهم ، وقفته المعهودة التى يعرفونها وقد وضع يديه في خاصرتيه ، واندفع فكه الأسفل الضخم إلى الأمام ، وانفرجت ساقاه . كان يرتدى القميص الأسود ، وبزة رمادية ، وقبعة مدورة سوداء ، هي الرداء التقليدي للمليشيا الفاشية . وهكذا وقف أمامهم على الشرفة أمام النوافذ التي يتدفق الضوء من شباكاتها ، وامامة لا يتحرك ، كشعار عهده المنحوت على الجدار المجاور له ، وهو الفأس صامتاً لا يتحرك ، كشعار عهده المنحوت على الجدار المجاور له ، وهو الفأس وقضيان الجلادين الرومان القدماء .

ورفع يده ببطء , وخم الصحت على الجماهير الحاشدة , وكانت ملايين الإيطاليين لا في رومة وحدها ، بل في جميع أرجاء إيطاليا ، يصغون وكأن على رؤوسهم الطير ، ينتظرون صوت الزعم , وتطلعت جماهير المستمعين اللين ألهب التطلع مشاعرهم ، في تلك الأمسية الدافئة من ليالي الربيع ، وقد أضفى القمر الساطع بوضوحه عليها صورة فيها الكثير من طابع النبوءات ، يعد أن احتشدوا في الميدان تلبية لنداء أجراس الكنائس وصافرات الإنذار ، إلى مكبرات الصوت ، وقد تقطعت بهم الأنفاس .

وانطلق صوت موسوليني أخيراً ، في تلك الصورة العميقة الرخيمة ، التي وصفتها الليدي أوكسفورد بأنها من أجمل الأصوات التي سمعتها في حياتها ، يقول . . . «أيها الضباط ، يا ضباط الصف والجنود . يا رجال الثورة من لابسي القمصان السوداء ، يا رجال إيطاليا ونساءها ، أيها كنتم ، في وطنكم ، أو في خارجه ، اسمعوا ، وعوا . . . لقد تحقق حدث عظيم ، فقد تقرر مصير الحبشة اليوم في السنة الرابعة عشرة من العهد الفاشي . وقد تمكن سيفنا المرهف المتألق ، من فصم الحيد ، وسيظل الانتصار الحبشي في تاريخ بلادنا ، في صفائه وكماله ، محملة الجنود الذين سقطوا في حومة الوغي وكمالهم . أجل ، أصبحت لإيطاليا إمبراطوريتها . . . »

وضاعت كلمات الدوتشى الأخيرة وسط عاصفة هوجاء من الهتاف ، والنشيد المتكرر والمتعالى . . . « دوتشى . . دوتشى . . دوتشى » ، ومن صراخ النساء الهستيرى المجنون ، ومن عبارات الحب والعبادة والولاء حتى الموت . ووقف الدوتشي يتطلع إليهم بهدوء ، دون أن يأبه لهنافاتهم ، وقد أمسك سور الشرنة الحجرى بقبضتيه ، وخلت تعابير وجهه الضخم الجامد ، في وضوح المصابيح المحموري بقبضتية التي أحالت الليل إلى نهار ، من أي معنى .

وانطلق صوت أحد القادة فى السلم الفاشى ، يقول وهو برقبه واقفاً وكأنه إله يطل من فوق قمة الأولمب . . . . ه انظر إليه ، إنه أشبه ما يكون بالإله ، . . . . فرد رفيقه الذى يقف إلى جانبه : « لا ، إنه لا يشبه الإله ، بل هو إله » .

۲

كان موسوليني فى الثانية والحمسين من عمره فى ذلك اليوم . وكان قبل خسة وعشرين عاماً ، أى فى أكتوبر عام ١٩١١ز، قلد شرع فى كتابة تاريخ حياته ، وهو يقضى فى الزنزانة رقم ٣٩ فى سجن فورلى: ، مدة الحكم الذى صدر عليه ، لقيامه يتحريض والناس على الإضراب والعصيان » .

وكتب موسوليني يقول . . . وولدت في التاسع والعشرين من يوليو عام ١٨٨٣، وقد التاسع والعشرين من يوليو عام ١٨٨٣، وقد التابية في قرية دوفيا القريبة من قرية بريدابيو . وكان ذلك في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم من أيام

الآحاد ، بعد ثمانية أيام من دخول الشمس في برج الأسد » .

وكان والده حداداً ، وهي حقيقة ظل ولده يزهو بها دائماً . . . وكان كثيراً ما يقول . . ﻫ أنا رجل من الشعب ، وأنا أفهم الشعب لأننى واحد من أبنائه ۽ . وقد رفعت في عام ١٩٣٥ ، لافتة ، عاقت على جدار إحدى المزارع القريبة من قرية بريدابيو، حيث يراها المار، وقد نقش عليها . . . « في هذه المزرعة ، عاش أسلاف موسوليني من الفلاحين وعملوا». لكنهم لم يكونوا في الواقع من الفلاحين ، وإنما كانوا ينتمون إلى طبقة قدر للدوتشي أن يحتقرها فما بعد ، وهي طبقة البورجوازية الصغيرة . وكان جده قد ابتاع المزرعة التي ولد فيها أبوه . إذ كان يعمل ملازماً في الحرس الوطني . وكانت أمه روزا ، معلمة مدرسة ، سيدة هادئة مندينة ، تميزت باللطف والدمائة . وكان الحميع يحترموها كما ذكرت عنها صحيفة «أفكار رومانا » التي تصدر في فورلي ، عندما توفيت « لما تميزت به من فضائل ، ولما اتصف به أداؤها لمهمنها في الحياة من حب وإدراك. . وكانت سيدة مقتصدة للغاية ، وما كان أحوجها إلى الاقتصاد ، إذ أن زوجها أليساندرو ، كان بالرغم من براعته في حرفته ، وهي الحدادة ، وبالرغم من حيازته لآلة درَّاسة ، لا يأبه كثيرًا لعمله ، ويقضى سحابة يومه ، في الحديث عن السياسة ، بدلا من العمل على سندانه . وبالرغم من أنه لم يؤم مدرسة قط في حياته ، إلا أنه لم يكن بالإنسان الجاهل ، يبل كان في منتهى اللكاء . وكان يزود مختلف الصحف الاشتراكية بمقالاته ، كما كتب باستمرار في الصحيفة المحلية ه أفكار رومانا » . وكثيراً ما ذكر أولاده فها بعد ، أنه كان يقضى الساعات الطوال ، يتلو على مسامعهم ما يقرأه في الكتب السياسية التي لم يكونوا بعد قد شرعوا في فهمها -وكان كغيره من أبناء مقاطعة رومانا ، ذلك الجزء الجميل رغم فقره من إيطاليا ، والواقع بين تسكانيا وإميليا ، بتمسك بإصرار بمعتقداته السياسية ، ويدافع عنها بحرارةً وعنف. وقد أسس في قريته فرعاً محلياً للاشتراكية الدولية ، فكان السجن نصيبه ، كوالده من قبله ، نتيجة معتقداته . وقد عمَّد ولده الأكبر باسم بنينو ، إعراباً منه عن إعجابه بالثوري المكسيكي المعروف بنيتو خواريز (١) ، الذي قاد

<sup>(</sup>١) بنيتو خواريز (١٨٠٦ – ١٨٧٢) – سياسي مكسيكي . ولد في أداجا كا،عن والدين من-

الثورة العنيفة ضد الإمبراطور مكسمليان . كما ألحقه باسمين آخرين وهما إميلكارى ، نسبة إلى إميلكارى سيبريانى ، الفوضوى من أهل رومانا ، وأندريا نسبة إلى أندريا كوستا أحد مؤسسى الحزب الاشتراكى الإيطالي .

وكان الفقر يخيم على البيت الذي عاشت فيه أسرة موسوليني ، فهو منزل صغير منهدم ، يقع على بعد ميلين من بريدابيو ، ويعرف باسم « دارة فارانو » ، إذ كانت الأسرة كلها ، تعيش مكتظة في غرفتين تقعان في الطبقة الثانية منه . وكان على أفراد الأسرة ، للوصول إلى هانين الغرفتين ، أن يعبر وا بالغرفة التي بجعلت منها روزا موسوليني مدرستها ، والتي يختزن فيها ألبساندرو أثناء العطلة الصيفية الحنطة التي كان قد درمها على درّاسته التي صنعها بنفسه .

وكان بنيتو ينام مع أخيه الصغير البدين الهادئ أرنالدو ، في الغرفة التي تستخدمها الأسرة كمطبخ ومستودع للحطب ، بيما كانت شقيقته أيلفيج تقوم مع والديها في الغرفة الأخرى ، التي تعيش الأسرة فيها أثناء النهار ، وحيث يلعب الأطفال ، ويلهون بالتطلع إلى الصور في كتب أبهم ، وفي الصحف التي كان يجمعها في صندوق للكتب معلق إلى الجدار . وعندما كبر بنيتو ، وأصبح قادراً على النفخ في الكور لأبيه ، صار يمضي إلى «محددة » والده ، حيث ينال بعض على النفخ في الكور لأبيه ، صار يمضي إلى «محددة » والده ، حيث ينال بعض الشهر المتطاير .

وكانت الأسرة تفتقر إلى المال نشراء الغداء . فأمه لا تكسب من عملها فى التعليم سوى خسين ليرة فى الشهر ، أما ما يجنيه الوالد أليساندرو فكان ينفق جله على عشيقته . وكثيراً ما اقتصرت وجبات الطعام على حساء الحضار، وبعض الثوم البرى والبقلة ، وبعض الكعك العادى المصنوع من الدقيق والماء .

وكان بنيتو ولداً عصيبًا على التربية . فهو لا بطيع الأوامر ويكثر من الشجار، ويتميز بالإذعان لمزاجه وإرادته الذاتية ، وكثيراً ما فقد تمالك أعصابه إذا استفز

الهنود الحمر. أصبح قاضياً للمحكمة المدنية في عام ١٨٤٢ ثم حاكماً لولاية أداجاكا ف١٨٤٧، حسن الأوضاع الإقليمية كثيراً في فترة حكمه . نني من المكسبك في عام ١٨٥٣ ، ولكنه عاد إليها بعد سنتين وانضم إلى ثورة الفاريز . افتخب رئيساً للجمهورية عام ١٨٥٨ ، وظل في الرئسة حتى رفاته . كانت سياسته المتحروة ، ذات نفع كبير لوطنه .

وعاد إلى بيته مقطع الثياب ، والحدوش تملأ وجهه ، والدماء تنزف منه نتيجة اشتباكه مع أطفال القرية في عراكات عنيفة ، إذا أحس أنهم لم يعطوه نصيباً عادلا من حصيلهم في عمليات الصيد المسروق التي كانوا يقومون بها . ولكن بالرغم من مزاجه الاستفزازى السيئ ، وعناده الأكيد ، فقد تميز بالقدرة على الشعور بالحب العميق . وإثارته عند الآخرين أيضاً . فقد كان أخوه وأخته يعبدانه . وحتى أطفال قريته الذين كثيراً ما نشاجر معهم ، واشتبك معهم في الحصومات ، ظلوا يذكرون بعد سنوات طويلة دفء ابتساماته النادرة . وإخلاصه الذي لا يجارى في صداقاته . وكانوا يذكرون أيضاً أنه بالإضافة إلى ميله إلى الشجار والمشاكسة ، كان إنساناً حالماً ، إذ كان يجلس الساعات الطوال ، برقب الطير ، وينظر عبر الوادى الجميل الذي ولد فيه وقد وضع ذقنه بين يديه ، وراحت عيناه السوداوان الكبيرتان تجوبان بنظراتهما كل ما أمامه ، بشي من الحلم مصحوباً بدقيق الملاحظة . . . وكثيراً ما قال لوالدته . . . سأدهش العالم كله يوماً ما .

وازداد غروره عاماً بعد عام ، وأضحى عسير القياد . وكثيراً ما زحف فى المدرسة ، تحت المقاعد ، و ليقرص ، سيقان زملائه من الأطفال العارية ، وفى أيام الآحاد ، عندما كانت والدته روزا تسوق أطفالها ، عبر الطريق الوعر الهابط مع التل إلى الكنيسة ، وقد علقوا أحديثهم فى رقابهم للإبقاء على نظافتها ، كان بنيتو ، يتخلف وراءهم ، وهو يضرب الحصى بأصابع قدمه العارية . ولم يكن ليطيق البقاء طويلا فى الكنيسة ، إذ كانت رائحة البخور تثيره ، وتدفعه إلى التىء ، بيها كانت ألبسة الكهنة بألوانها القائمة ، وأضواء الشموع ، وصوت الأرغن وغناء المرتلين ، تزعجه كل إزعاج . وكثيراً ما اقتعد مجلسه فوق إحدى الأشجار ، يرقب خروج أسرته ، ويتلهى عن مشقة الانتظار ، بقدف الأطفال من أبناء قريته بالحجارة وهم فى طريقهم إلى مدرسة الأحد .

وبعث به أبواه ، عندما بلغ التاسعة من عمره ، إلى المدرسة فى فاينيزا ، وكانا يأملان فى أن يحقق نظام الآباء الساليزيين القاسى النجاح فى إصلاحه ، بعد أن فشلا هما فى هذا الإصلاح . وبالرغم من نزعة أبيه الإلحادية وكرهه للكنيسة الكاثوليكية ، فقد حمل ولده فى العربة النى يجرها الحمار ، ومضى به إلى المدرسة

الدينية مبر راً عمله هذا ، بعجزه عن السيطرة على ولده المشاكس .

وتذكر بنينو فيا بعد ذلك الأيام فكتب يقول . . . « لا أذكر أنى تضايقت لأنى فارقت أخوى . فقد كانت إيدفيج في الثالثة من عمرها بينها كان أونالدو في السابعة . ولكنى حزنت لأنى اضطررت إلى التخلي عن طير صغير كنت قد احتفظت به في قفص تحت نافذتي . وقد تشاجرت في اليوم الذي سبق رحيلي مع رفيق لي ، فحاولت أن أضربه ، ولكن اللكمة أخطأته . وأصابت قبضي جداراً كان يقف أمامه ، فتهشمت أصابعي ، ووجدت نفسي مضطراً في اليوم التالي إلى الرحيل وقد ربطت يدى إلى عني . وإني لأذكر أن الدموع أمالت من عيني في خفلة الرحيل » .

وإنه ليذكر كيف أن الحمار الذي قاد العربة ، تعثر وهوى خارج قرية دونيا ، فراح والده يسب ويشم ويلعن ، معتبراً الحادث نذير سوء .كان يوماً من أيام أكتوبر ، وقد تعرّت الأشجار من أوراقها ، وامتلأت الجداول بالماء السريع المتدفق ، بينا نضج العنب على أشجاره وتحول إلى الاصفرار . ووصلت مع أني إلى فايينزا في الساعات المبكرة من بعد الظهيرة . وراح أليساندر و يقرع باب المدرسة الغليظ . ويسلم ولده إلى ناظرها ، ثم انحني ليقبله وهو يودعه ، بشيء من الحنان اللي لا يخلو من الحشونة . ومضى الوائد في طريقه ، وعندما أوصد الباب وراءه ، سالت عبرات الصبي . ومضى به الأستاذ إلى الفناء حيث كان الطلبة الآخرون يلعبون ، وراح بنيتو يرقبهم بهدوء ، وقد وقف بعيداً عنهم في إحدى الزوايا ، تبلو عليه علائم العداء .

وكره بنيتو المدرسة ، وكره الآباء الذين يرعونها ، ولا سها أستاذ الفصل ، الذي تميز بضحكته المجلجلة التي كانت تحفيف الصبي ، كما كره رفاقه من الطلاب ، ولا سها أولاد الأغنياء ، إذ كانوا يجلسون إلى مائدة منفصلة ، ليتناولوا طعاماً أفضل مما يتناوله بنيتو ورفاقه من الطلاب الفقراء . وانصرف عن الدرس ، ولم يبذل أي جهد . وضربه أحد الآباء ذات يوم ، فرد عليه الصبي وقذفه يإحدى المحابر . ولم يكن له من الرفاق إلا صديق واحد ، تميز بقوة رأسه ، حتى إنه كان يسمح لبنيتو ، بأن يسلى نفسه ويضر به بالعصا على هامته . وتشاجر

ذات يوم مع صبى يكبره سناً ، فانتضى موسولينى موساه من جيبه ، وطعن به الصبى . وقرر ناظر المدرسة ، حرصاً على أخلاق الطلاب الآخرين أن يطرد هذا الصبى المشاكس ، ولكنه ما لبث أن عدل عن قراره ، وقبل الاحتفاظ به حتى لهاية العام اللراسى . وأصابه الملل من قوانين المدرسة المتزمتة ، ومن المواعظ التى يسمعها باستمرار ، ومن المحاضرات التى تلتى عليه وعلى وفاقه عن الحطيثة والفساد . ومضى يعترف إلى الكاهن لأول مرة فى حياته بسلسلة طويلة من الحطابا ، بعضها معيح والبعض الآخر من نسيج الحيال . وانزاح عن الآباء هم ثقيل عندما انصرف من المدرسة ، وقال أحدهم . فيا بعد ، إنه لم يلق فى حياته طالباً أتعبه كموسولينى . وعندما مضى إلى مدرسته الثانية ، وكانت تسمى مدرسة جيوسوى كاردوسى ، فينسبة إلى الشاعر الإيطالي المشهور (١١ ، ويتولي إدارتها فى بلدة فورليموبوولي ، فسقيق الشاعرة فالفريدو » لم تكن تعاسته وميله إلى المشاكسة فيها ، أقل من تعاسته ومشاكساته في مدرسته السابقة . وتشاجر ذات يوم مع طالب دفع يده وهو يكتب ، فخرج على طوره ، وانتضى مديته من جديد ، ليطعن الصبى في أسفل بطنه . فخرج على طوره ، وانتضى مديته من جديد ، ليطعن الصبى في أسفل بطنه . وكان نصيبه الطرد من المدرسة هذه المرة أيضاً .

وبالرغم من ثوراته العاطفية هذه ، ومن رفضه الدرس لملله منه أو لاعتباره أنه عمل لا ضرورة له ، فقد اعترف مدرسوه ورفاقه ، بأنه كان طالباً غير عادى فى ذكائه . وعادت المدرسة نفسها فقبلنه فيها طالباً نهاريباً ، ولم تمض سنوات ثلاث ، وكان قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، حتى كان بجتاز امتحاناتها النهائية ، ويحصل على شهادة منها تخوله مزاولة مهنة التعليم . ولم يكن قد فقد فى هذه السنوات ، ذلك المزاج الحاد الذي عرف به فى صباه ، أو استقلاله العنيد فى الرأى ، ولكنه اكتساب العلم . وتما لمديد فى هذه النلال الفترة أيضاً ، ميل شديد إلى الحطابة الحماسية . وكان يحب الوقوف على التلال المطلة على بريدابيو ، يقرأ بصوته الجهورى ، أشعار كاردوسي الغنائية والوطنية . المطلة على بريدابيو ، يقرأ بصوته الجهورى ، أشعار كاردوسي الغنائية والوطنية .

 <sup>(</sup>١) كاردوسى ( ١٨٣٦ - ١٩٠٧) شاعر إيطانى مشهور ، وكاتب معروف . نال جائزة نوبل
 نى الأدب فى عام ١٩٠٦ .

الإنجليزية والأسبانية . وتمكن من أن يعول نفسه وأن يداوم على حضور محاضرات فيلفريدو بارينو في جامعة لوزان ، والدروس الصيفية في جامعة جنيف ، وذلك عن طريق إعطاء بعض الدروس الإيطالية وترجمة بعض المؤلفات الفلسفية والسياسية ، بمساعدة أصدقائه وصديقاته من الروس والبولنديين ، وبكتابة المقالات ، والسياسية ، بمساعدة أصدقائه ومديقاته عن الروس والبولنديين ، وبكتابة المقالات ، والسياسية ، ومن كل إنسان قد يقرضه . وظل حاله على هذا الشكل واقتراض المال من والدته ، ومن كل إنسان قد يقرضه . وظل حاله على هذا الشكل إلى أن أصدر ملك إيطاليا في نوفير عام ١٩٠٤ ، عفواً عاماً عن جميع الهاربين من الجندية بمناسبة احتفاله بولادة ولده الأمير أومبرتو .

وكان موسوليني قد فكر بالهجرة إلى أمريكا ، ولكند ما لبث أن عدل عن عزمه هذا ، وقرر ذأن يعود إلى إيطاليا ، ليساعد أمه بالتلريس في مدرسها في دوفيا . والتقي في طريق عودته إلى وطنه ، بأنجيليكا بالابانوف في لوجانو ، ثم سافر إلى إيطاليا كما تقول ، بعد أن سرىءا يجيش في نفسه بثورة عاصفة على الأغنياء . وقال لها ، وهو يشير بذراعه إلى المطاعم والفنادق المنتشرة على طول الطريق . . والفلاري الناس ، يأكلون ويشربون وينعمون . أما أنا فسأسافر في الدرجة الثالثة ، وآكل أرخص الطعام وأسوأه . يا "الحنزيرة " العذراء (١) الحم أكره الأغنياء المترى الم فضي على أن أحتمل كل هذا الظلم ؟ حتام تنتظر ؟ » . ووصل موسوليني بعد يومين إلى رومانا . وقد سبقته شهرته بالتطرف السياسي ، بعد أن غلت الآن أكثر من مجرد شهرة محلية . فقد نشرت صحيفة الاثر بيونا » التي تصدر في رومه في الثامن عشر من أبريل عام ١٩٠٤ ، رسالة لمراسلها من جنيف تحدث فيها عن موسوليني عشر من أبريل عام ١٩٠٤ ، رسالة لمراسلها من جنيف تحدث فيها عن موسوليني موسوليني قد بدأ في صياغة حياته المقبلة .

 <sup>(</sup>١) يستخدم موسوليني كثيراً مثل هذه العبارات التي تنطق بالمروق على دينه ، وبشكل لا حياء
 فيه وقد آثرت ترجمة عباراته بأمانة ، لإظهار حقيقة هذا الإنسان دون تمويه . « المعرب»

توفيت روزا موسوليني في التاسع عشر من فبراير عام ١٩٠٥ ، متأثرة من النَّهاب السحايا ، وكانت في السادسة والأربعين من عمرها ، وغلب الحزن على ولدها بنيتو، كما كتبت الصحيفة المحلية . وأراد أثناء تشييع جمَّالها « أن يلتي كلمة وداع أخيرة على قبرها ، ولكن العبرات خنقته ، وعجز عنَّ الكلام ، واكتنى بإلقاء بعض الأزاهير على قبرها ٤ . ومضى بعد وفاة والدته إلى بلدة كانيفا الصغيرة الواقعة في كوميون توليزا في جبال الألب إلى الشيال من الأوندين للتعليم في مدرسها . ولم يكن من خيرة المعلمين ، وهي حقيقة تبينها في نفسه . وكان الأطفال يحبونه حبًّا جمًّا، ولكن يبدو أنه كان يجد صعوبة بالغة في السيطرة عليهم ، ولا سيما أن عقله كان دائماً غائباً في أماكن أخرى . وكثيراً ما فقد السيطرة على أعصابه ، فيضرب المنضدة بقبضة يده ، وينهال عليهم بالشتائم . وبالرغم من أنهم أطلقوا عليه اسم « الطاغية » إلا أنهم لم يكونوا يخشونه . وخيل إلى الكثيرين منهم أنه مصاب بلوثة في عقله . وكان رباط عنقه دائم الاعوجاج . كما كانت « ياقة » قميصه قذرة ورباط حذائه محلولا ، وشعره طويلا ومنكوشاً . وكثيراً ما اجتاز طرقات البلدة والكيلومترين ونصف الكيلومتر بين البيت الذي ينام فيه وبين المدرسة وهو يقرأ في كتاب بيده ، أو يتلو بعض الشعر . وتلقى بعض اللاتينية على أيدى كاهن الكنيسة ، وشرع بدرس الحساب الهندى ، ويعد ملاحظاته عن تاريخ الفلسفة ، كما يعد دراسة نقدية في الأدب الألماني . لكنه على أي حال كان يقضي أوقات فراغه من المدرسة ومن الدروس الحاصة التي يعطما في المنزل اللي ينام فيه ، في احتساء الحمر ، أو في إغراق شهواته الحسية وإلحنسية وإشباعها . وقد تحدث هو عن العام الذي قضاه في توايزا فوصفه بأنه « شبه انحلال خلقي» . وكثيراً ما أغرق في شرب الحمر مع رفاقه ، وعندما يفترق عنه هؤلاء الرفاق ، كان يمضى ا متعَمَّراً في خطاه في شوارع البلدة المعتمة ، صائحاً ، ومعربداً ، يقرأ أشعار كاردوسي، ويلني الحطب على نافورة المياه في ميدان البلدة . وكان يتعاطى الحب مع أية فتاة ترضى به ، ويهدد باغتصاب كل من ترفضه . وأصيب بمرض الزهرى وعندما اكتشف علائمه فى جسده . حشا مسلسه بالرصاص ، قائلا إنه سينتحر ، ولكن رفاقه تمكنوا من إقناعه بعد لأى بمراجعة أحد الأطباء بدلا من الانتحار . وكانت له علاقة غرامية بزوجة صاحب البيت الذى أقام فيه ، وعندما غادر البلدة نهائياً ، عاد إليها ذات يوم قادماً من بريدابيوالتى تبعد عنها ثلاثمائة ميل ، فى ليلة من ليالى الشتاء القاسية ، لأنه أحس بشوق زائد إلى عشيقته ، وقد انسل صاعداً السلم إلى دارها ، حيث أخذها بين أحضانه بينما كان زوجها يغط فى فرمه فى غرفة أخرى .

واستضافه السجن مرة أخرى فى أراسط الصيف التالى . فقد وقف بما عرف عنه من عنف لا يعرف التقاهم ، إلى جانب عمال المياومة ، أثناء أحد النزاعات المألوفة التي كانت مصدر إزعاج لحياة مقاطعة رومانا ، واشترك فى جدال سياسى عنيف فى بريدابيو مع ظالميهم من مستأجرى الأرض . وقضت عليه المحكمة بالسجن ثلاثة أشهر .

وأصبح الآن إنساناً معروفاً في رومانا . وبدأ الناس يتحدثون عنه . كما أخذت الصحف تنشر أخباره . وبات « الرفيق موسوليني » في الحامسة والعشرين من عمره قوة يحسب حسابها في المنطقة . ومضى بعد أن أطلق سراحه شهالا إلى تورنتو ، وكانت آنذاك جزءاً من النمسا ، لبشغل منصباً نقابينًا فيها ، وليغدو مساهماً دائماً في تحرير الصحيفة اليسارية الأسبوعية فيها وهي صحيفة « مستقبل العامل » الناطقة باسم الجماعات الثورية والدولية. ولكنه لم يمل إلى اشتراكبي ترنتينو الذين كانوا يعبدون مازيني (١) تماماً كما كره في الماضي الاشتراكبين السذج في جوالتيبرى . وكان يرى فيهم منافقي « الرأسمالية البورجوازية » و « عبداد القومية والوطنية » ، الذبن يجب أن يها هذه الطبقة أن تكون « بحكم تعريفها وحتميم المعادية الوطنية » ، وكان يرى أن على هذه الطبقة أن تكون « بحكم تعريفها وحتميم المعادية الوطنية » ، وأن يخلى وأن تدرك أن القومية ليست إلا القناع « للعسكرية الشريرة » التي يجب « أن يخلى وأن تدرك أن القومية ليست إلا القناع « للعسكرية الشريرة » التي يجب « أن يخلى وأن تدرك أن القومية ليست إلا القناع « للعسكرية الشريرة » التي يجب « أن يخلى وأن تدرك أن القومية ليست إلا القناع « للعسكرية الشريرة » التي يجب « أن يخلى وأن تدرك أن القومية ليست إلا القناع « للعسكرية الشريرة » التي يجب « أن يخلى وأن تدرك أن القومية ليست إلا القناع « للعسكرية الشريرة » التي يجب « أن يخلى

<sup>(</sup>۱) جيوس ، مازيني (۱۸۰۰ – ۱۸۷۲ ) – زميم ثوري ورطني إيطالي . لعب دوراً في توسيد إيطاليا .

بينها وبين السادة » ، وأن العلم الوطنى ليس إلا كما قال جوستاف هيرفيه (Gustave Hervé) : « خرقة يجب أن ترفع فوق المزبلة » .

وبالرغم من عمق كواهيته لقومية اشتراكبي ترينتينو ، فقد وافق على الكتابة لصحيفة «البوبولو» التي كان بحروها سيزا — باتيستى ، وهو رجل ذو اتجاهات يسارية ، وراح يهاجم في المقالات التي كتبها لهذه الصحيفة ، ولصحيفة أخرى بملكها بانيستى وتسمى «حياة ترينتينا» ، بأسلوبه العنيف المعهود ، عدداً مختلفاً من الأهداف ، تبدأ من العقلية المناهضة للبروليتارية عند الماسونيين الأحرار ، وتنهى عند نزوات أصحاب الأرض ، ومن التأثير السي للنظرية الملثوسيه الجديدة (Neo-Malthusianism) (۱) إلى الروح البورجوازية التي أدت إلى انحطاط الأول من آبار كعيد ثورى . لكن أعنف حملاته ظهرت في مجلة «مستقبل العامل» وقد استهدفت الروح العسكرية والقومية والتأثير الكاثوليكي القوى في ترينت الذي تعززه الصحيفة الكاثوليكية الواسعة الانتشار «ال ترنتينو» ، التي كان السيد دى جاسبيرى من أبرز كتابها السياسيين . وقد صدق جوادينز ميجارو ،

<sup>(</sup>٢) ظل موسوليني طيلة حياته واقعاً تحت كابوس ما أساه بمشكلة السكان في إيصاليا . وعند ما اقترح عليه الكاتب الألماني إميل لودفيج في عام ١٩٣٢ أن المخوسية (النظرية التي تدعو إلى تحديد النسل نسبة إلى مالفوس (١٧٦١ – ١٨٢٤) العالم الاقتصادي والسياسي الذي دعا إلى تحديد لنسل) ، أكثر ضرورة لإيطاليا منها لأي بعد آخر في العالم ، انفجر موسوليني غاضباً . وقد وصف لودفيج هذا الموقف بقوله . . . « « لم أر موسوليني قط من قبل أو من بعد ، في مثل هذا الموقف الذي فقد فيه السيطرة على نفسه . وكان يتكلم بسرعة تبلغ ضعف سرعة حديثه العادي ، وينهال على بأقواله كالصواريخ وهو يقول . . . مالئوس! مالئوس ! إن نظريته ، خطيئة اقتصادية وجر بمة أخلاقية . فاحلد من النسل بجر في أعقابه الفاقة . فعند ما كان عدد سكان إيطاليا سنة عشر مليوناً ليس إلا ، كانت البلاد أكثر فقراً بما عيه الآن وقد بلغ تعداد سكانها ٢٤ مليوناً .

وظل يكرر دائماً ، أن على كل أسرة أن تنجب خمسة من الأطفال . وستدلع المنولة إلى الآياء الذين ينجبون عدداً كبيراً من( الأطفال ، أجوراً أعلى من تلك التي يتقاضحا زملائهم . وأمر بأن تعطى الأمهات اللائي ينجبن عدداً كبيراً من الأطفال ، العضوية الفخرية في الحزب الهاشي .

وحدث أن أمر بترقية أحد قادة الجيش فى الصباح ، ولكنه عاد فى المساء فألمى أمر الترقية لأله اكتشف أن الجنرال ، من العزاب . وراح يقول . . . « على كل جنرال أن يكون أول من يدوك أن الفرق العسكرية تحتاج إلى رجال » . وكان فى إمكانه أن يقول إن زيادة عدد السكان تؤمن الرجال الجيش ، والمبرد المعتاز لطلب المستعمرات ، والإبقاء على الأجور الحفيضة . « المؤلف »

مؤرخ حياته عندما قال بأن حملاته العنيفة على الكنيسة الكاثوليكية التى وصفها « بالحثة العظيمة الميتة » ، وعلى الفاتيكان الذى وصفه « بمغارة التعصب وعصابات اللصوص » ، وعلى المسيحية نفسها التى وصفها « بالآثر الإنسانى الدائم للخزى والعار » ، هى التى أدت إلى اعتقاله وطرده من النسا ، وإن هذا الطرد لم ينشأ عن تلك الحملات العارضة التى شنها أحياناً على القومية النمسوية ، أو تلك المقالات التى أيد فيها حقوق الإيطاليين الذين يعملون تحت السيطرة النمسوية . ولا ريب فى أن الحملات ، هى التى مكنت مؤرخى حياته اللاحقين من الفاشيين من إيراد عبارات من أقواله كدليل على ميوله اليسارية .

واعتقل في العاشر من سبتمبر عام ١٩٠٩، وفي السادس والعشرين منه طود من النمسا ، كما سبق له أن طرد من مقاطعتي برن وجنيف في سويسرا . وعاد في الشهر التالي إلى وطنه حيث مضي إلى أبيه الذي كان قد تخلي عن مهنة الحدادة في دوفيا وارتحل مع عشيقته الطويلة والنحبلة والحشنة الطبع آنا جويدى ، ومع أطفالها الخمسة إلى فورني ، حيث ابتاع خان بير سالجيري . وكانت راشيل صغرى ينات آنا ، فتاة جميلة في السادسة عشرة من عمرها ، ذات شعر أشقر متموج ، ومزاج استفزازی وعنید . وقرر موسولینی الزواج من الفتاة . وکان قد وقع فی الماضی ف غرام شقيقتها الكبرى أوجستا ، ولكنها أوجست خيفة من عدم استقراره ، وآثرت الزواج برجل ذي عمل منظم يشتغل حافراً للقبور . لكن موسوليني سرعان ما تحول بعواطفه وحبه إلى راشيل . وكان يعكف في الأمسيات بعد أن يعسل الأقداح ، ويملأ الجرار في الخان على كتابة القصص القصيرة وعلى استكمال كتاب كان قد شرع فيه عن حياة جون هوس المصلح البوهيمي ، كما بدأ في كتابة قصة طويلة أخذ ينشرها في حلقات في صحيفة البوبولو ، التي كان رئيس تحريرها قد اقترح عليه موضوعها . وقد ترجمت هذه القصة التي أسماها « كلوديا بارتيسيلا » إلى الإنجليزية في عام ١٩٢٨ تحت عنوان « عشيقة الكردينال » ، وهي قصة تخلو حَمَّا من الطافة والحيوية . وقد وصفت مرجريتا سارفاتي هذه القصة كغيرها من القصص التي وضعها موسوليني ٥ بالخليط البليد الذي لا يعرف رأسه من ذنبه ، والشريط السريع لأحداث طويلة » . لكن راشيل ، أعجبت بالقصة ، وذلك لأن إحدى شخصياتها الرقيقة وهي خادمة البطلة ، قد ضحت بحياتها من أجل سيدتها ،

وقد أسماها بنيتو باسم حبيبته راشبل .

ووصفت راشيل الليلة الأولى التي مضى بها بنبتو إلى المسرح ، وقد عاد بها إلى الحان ، وطلب السياح له بأن يعيش معها . ولكن والده ووالدة الفتاة رفضا قبول طلبه . وسرعان ما انتضى مسدسه وهددهما بقتل نفسه وقتلها إذا لم يحقن أمنيته . وأخيراً أذعن الوالدان لرغبته ، ولم تمض أيام حتى كان يستأجر غفتين فى منزل رطب ومهدم فى شارع «ميريندا» . وكتبت راشيل فيا بعد تقول . . . « وانتقلنا إلى المنزل ذات مساء . وإنى لأذكر كم كان سعيداً رغم ما يبدو عليه من جهد ، إلى المنزل ذات مساء . وإنى لأذكر كم كان سعيداً رغم ما يبدو عليه من جهد ، وقفه وقدرته . فأماى بقف الرجل الدى أحببت ، وهو ينتظر منى أن أمنحه ، موقفه وقدرته . فأماى بقف الرجل الذى أحببت ، وهو ينتظر منى أن أمنحه ، الهبة الوحيدة التي تستطيع الحياة أن تمنحه إياها ، وهى حبى . وكانت الحطوط قد بدأت فى الظهور على وجهه الفتى نتيجة ما يعانبه من جهد فى كفاحه اليوى . ولم أنردد لحظة واحدة . ومضيت معه إلى آخر الشوط » .

وعاشا معاً فى ذلك المنزل الحقير فى شارع مير بندا ثلاث سنوات . وولدت لهما طفلتهما الأولى إيدا ، فى بهاية العام الأولى من الزواج أى فى الأول من سبتمبر عام ١٩١٠ . ومضى موسولينى يبتاع لها سريراً عاد إلى البيت يحمله على كتفه ، وقد كلفه هذا السرير خمس عشرة لبرة ، أى نصف أجره الأسبوعى . مما اضطره الى أن بعيش مع زوجته بقية ذلك الأسبوع على الكرنب . وكان يعمل الآن سكرتيراً لاتحاد فورنى الاشتراكى ، ويتقاضى مرتباً ضثيلا كان ينفق القسم الأكبر منه على الصحيفة الأسبوعية التي أسسها وهى « الصراع الطبق » ، والتي كان يقوم بنفسه بتحرير معظم المواد التي تضمها صفحاتها الأربع . وكان قد بات الآن اشتراكياً مخلصاً . وكان بحتسى الحمر أحياناً مع أصدقائه ، ولكنه لم يعد يشرب حتى السكر ، وبات لا يقبل فتاة جميلة إلا نادراً ، إذ ظل وفيناً لزوجته راشيل وكان قد انصرف الآن بحيويته كلها و بطموحه النامى المتزايد إلى السياسة ، وإلى وكان قد انصرف الآن بحيويته كلها و بطموحه النامى المتزايد إلى السياسة ، وإلى الأسبوعية الإيطالية من نوعها ، إذ دأبت صيفة « أفانى » اللسان الناطق باسم الأسبوعية الإيطالية من نوعها ، إذ دأبت صيفة « أفانى » اللسان الناطق باسم الاشتراكية على الاقتباس من كتاباتها . وكان لا يعود إلى متزله إلا قليلا ، إذ كثيراً الاشتراكية على الاقتباس من كتاباتها . وكان لا يعود إلى متزله إلا قليلا ، إذ كثيراً الاشتراكية على الاقتباس من كتاباتها . وكان لا يعود إلى متزله إلا قليلا ، إذ كثيراً الاشتراكية على الاقتباس من كتاباتها . وكان لا يعود إلى متزله إلا قليلا ، إذ كثيراً الشراكية على الاقتباس من كتاباتها . وكان لا يعود إلى متزله إلا قليلا ، إذ كثيراً المنسمة وهم المناسمة وكان المناسمة وكان المناسمة وكان المناسمة وكان الاقتباس من كتاباتها . وكان لا يعود إلى متزله إلا قليلا ، إذ كثيراً وكان المناسمة وكان ال

ما رآه الناس يذرع شوارع البلدة في طريقه إلى اجتماع عام ، لا يرفع هامته عن الأرض ، وقد وضع يديه في جيبي سرواله ، شاحب الوجه ، طويل الذقن ، مهلهل الثياب رثها ، يتحدث إلى نفسه . أما الساعات القليلة التي يقضيها في المنزل ، فتنقضي في العمل كتابة أو قراءه ، يترجم كروبوتكين ويعد خطبه . وكثيراً ما توقف فجأة عن العمل ، ليمسك قيثارته ، التي تعلم منذ صباه العزف عليها متنلمذاً على عازف متواضع . ولم يكن موسوليني بالموسيقي الكبير ، ولكن عزفه كان قويمًا وعالياً ، وكان يربح أعصابه المجهدة . وهو يعزف بينا يجول فكره في المواد التي يضمنها مقالاته وخطبه . وكان يمضي أحياناً إلى المسرح مع زوجته راشيل ، وأمها الغريبة التي تشبه الساحرات ، ولكنه كان حتى أثناء وجوده هناك ، ينتقل بفكره ، كما ذكر فيما بعد ، إلى خطبه ، فيصبح متلههاً إلى العودة إلى منزله ، ليسجل الأفكار التي طافت بخاطره . وكان إذا ما تأخر العرض عن البدء منزله ، ليسجل الأفكار التي طافت بخاطره . وكان إذا ما تأخر العرض عن البدء في موعده ، ينتزع حداءه من قدمه ، ويهدد بقلف المسرح بها .

وكان قد غدا الآن من خيرة الخطباء ، قوى الصوت ، مؤة اً على سامعيه . وكانت حملاته فظة قاسية ، وحقائقه التى يوردها حافلة بالأخطاء ، وآراؤه كثيرة التناقض ومعظمها محفوظ عن ظهر قلب . وكانت مواقفه مسرحية ، ولكن لم يكن ثمة من ينكر عليه ما فى صوته من جاذبية طاغية ، وما فى إيماءاته من عنف واستفزاز وتكراز ، وما فى مواهبه من قدرة على استخدام التعبيرات المسرحية والإشارات الغامضة ، والاستعارات القوية رغم لا معقوليتها . وقد أنمى لديه قدرة عظيمة على إثارة العواطف عن طريق الحجىء بسلسلة من الجمل المتقطعة ، التى يلقيها فى تدفقات حماسية ولكن فى نغمات صوتية متباينة يؤكدها بإيماءات مدروسة وعصوبة ، لينسجم كل الانسجام مع الجو الحماسي الذي يحيط به . وكان قد وعصوبة ، لينسجم كل الانسجام مع الجو الحماسي الذي يحيط به . وكان قد فى فرض المزاج الذي يريده على جماهير سامعيه ، ثم ينطلق مع سجيته ، فيخرج في فرض المزاج الذي يريده على جماهير سامعيه ، ثم ينطلق مع سجيته ، فيخرج كلامه إليهم عن حدود الحطابة إلى حدود الحوار ، أو ما بشبه الدعاء غير الحفوظ ، يشترك فيه المستمعون بتلاوة ردودهم على أسئلته الملحة ، ثم ينثر ما يقولونه في عبارة بسطة يعيدها على مسامعهم ليتفجر انعكاسهم ، منطلقاً في صورة تشجيع عاطني مسطة يعيدها على مسامعهم ليتفجر انعكاسهم ، منطلقاً في صورة تشجيع عاطني

يؤكدون فيه وحديهم وراءه . وكان قد أتقن أيضاً الإفادة من مجموعة من الهتافة الذين تنطلق هتافاتهم بالموافقة عند إشارة معينة أو إيماءة متفق عليها ، فتسرى عدواهم إلى الجماهير . وأدرك فوق ذلك كله ، الحاجة إلى جماعة من المعجبين المخلصين حوله ، يستطيعون أن يؤلفوا نواة أتباعه المستعدين للسير وراء زعيمهم

فقد تبين الآن في نفسه صورة الزعيم في مرحلة الانتقال والتحول ، وقد اعتمد الآن على أفكار تفتقر إلى حد كبير إلى الترابط ، وإلى لفهم ، التقطها من هنا وهناك . من نيتشه ، وشوبهاور ، وبلانكي ، وهيجيل ، وسوريل ، وافترضها من البلاشفة الروس ، وبات بؤمن ، بالعقيدة التي قدر لها أن تسيطر على حياته كلها ، وهي وجوب الإطاحة بالنظام القائم على أيدى صفوة من النوريين يعملون باسم ! الشعب ، ويتولى هو قيادتهم .

لكن العنيفين فقط من رفاقه الاشتراكيين كانوا على استعداد للسير معه ، وتبنى آراته المتطرفة والعنيفة فى حملاته التى لا روية فيها ولا هوادة ، على توراتى وبيسولاتى وتريفيز وغيرهم من المعتدلين فى الحزب . وعلى أية فئة داخل الحزب أو خارجه تختلف معه فى الرأى . وكان فى الواقع رجلا بارزا ، كما أكد أكثر الاشتراكيين التقليديين . ولكنهم رأوا فيه رجلا خطراً بل لا يقل فى خطورته عن الازرى . وكانوا يستمعون بكثير من الفزع إليه وهو يخطب مدافعاً عن العنف كسلاح صالح إذ يصفه ه بالضرورة التى لا مناص منها أو التى تشبه الحديد فى صلابتها ، وإذ يتحدث عن الحاجة الملحة إلى استخدامه كأداة جراحية باترة » . وكانوا يقرأون بكثير من السخط المصحوب بالعصبية عن أساليبه فى فورلى ، وبصورة خاصة عن تلك الحادثة التى زحف فيها على قاعة البلدية ، يتبعه حشد وبصورة خاصة عن تلك الحادثة التى زحف فيها على قاعة البلدية ، يتبعه حشد ضخم من الناس ، مهدداً بقذف رئيس البلدية من النافذة ، إذا لم يعمل على تخفيض سعر الحليب .

وأظهر موسوليني مدى خطورته عندما قررت حكومة جيوفانى جيوليتى فى صيف عام ١٩١١ ، أن ترسل القوات الإيطالية إلى برقة وطرابلس محتجة بحماية ممتلكات الرعايا الإيطاليين ، وهادفة فى الواقع إلى نهش هاتين المستعمرتين من تركيا .

وقد اشتد غضبه عندما رأى المؤتمر الاشتراكي القومي الذي عقد في ميلان ، والذي شهده كمندوب عن فورلي برفض بحث مناهضة النزعة العسكرية ، ورأى في المؤتمر جماعة من المنافقين الاشتراكيين ، على استعداد لتأييد عدوان الحكومة . وقد على جيوليتي بشيء من الرضي على ذلك بقوله . . . « لقد استبعد ماركس إلى الطبقة العليا من المكان » . وأوضح موسوليتي كل الإيضاح عدم استعداده بأى حال من الأحوال ، وذلك في المقالات التي نشرها في « الصراع الطبقي » وفي خطبه ، لتأييد الحرب . وراح بهتف بشيء من الغضب الثائر . . . « ما زالت العسكرية الدولية ، تحتفل بطقوسها في التخريب والموت . وفي كل يوم يمر ، يرتفع الهرم الذي يبني من جثث ضحايا الحروب ، ليقف " مارس " إله الحرب على قمته ، ينتظر بنظرته الجهنمية وفه الفاغر شفتيه ، لا يشبع ولا يرتوي ، المزيد من الضحايا . . . وما دامت هنالك أوطان ، فستظل العسكرية قائمة . . . وليس من الوطن إلا شبحاً . . . فهو كالإله ، وهو يشبهه في قسوته وطغيانه ورغبته في الثأر . . . الموطن المنظهر أن الوطن غير موجود ، كما أن الله غير موجود » .

وقررت لجان الاتحاد العام العمل ، الاحتجاج على هذه الحرب المفجعة ، وقر رأيها على الإضراب العام ، وأعدت احتجاجاً عنيف الهيجة . لكن هذه الخطوة لم تكن كافية لموسوليتي . وراح يصرخ في عمال فورني ، طالباً إليهم المجيء لحضور الاجتماعات السياسية لا بأذرع خالية تمتد إلى جوانبهم ، بل بأذرع تحمل السلاح ، وافضم إلى الجمهوري الشاب بيترو نيني (١) ، في دعوته الجماهير لا إلى الإضراب فحسب ، بل إلى الثورة أيضاً . ومضى يقود بنفسه زمرة من الرجال ، تمكنوا بعد يومين من الفتنة في فورني ، من إشغال أنفسهم باقتلاع قضبان « الرام » في البلدة بفؤوسهم . ولم تمض بضعة أسابيع حتى كان يظهر أمام الحكمة مدافعاً عن نقسه بخطاب عرض فيه عرضاً رائعاً قدرته على التلاعب بالألفاظ . ولكنه أصبح نزيل السجن للمرة الخامسة .

وأطلق سراحه بعد خمسة أشهر، وعاد إلى منزله فى شارع ميريندا وقد حزم أمره أكثر من أى يوم مضى، على أن يغدو زعيم الاشتراكيين ، وأن يحولم إلى حزب

<sup>(</sup>١) بيترو نبني ، الزعيم الحالي للمعزب الاشتراكي في إيطاليا . « المعرب »

ثوري جمهوري . وراح يطلب إلى الاتحاد الاشتراكي في فورني ، بعد أن فشل في السيطرة على المؤتمر القومي الاشتراكي في ميلان ، إعلان انسحابه من الحزب ولكن بعد أن بدأ الرأى داخل الحزب يتجه إلى جانبه ، راح يصر على عودة اتحاد فورلي إلى حظيرته ، وأطاعه الاتحاد طاعة كاملة، وعندما عقد المؤتمر التالي للحزب في ريجيواميليا، جاء إليه ، المبعوث النازي الحديث ممثلا لفور بي. ولم يكن الكثيرون من المندوبين قد سمعوا به من قبل ، بينا تذكره البعض منهم في مؤتمر ميلان الأخبر وهو يفتقر إلى الاتساق في الفكر في خطبه . وراح يشن حملة عنيفة على خصومه من أعضاء الكتلة البرلمانية للحزب تميزت بالاندفاع والبلاغة والحقد السام ، من أمثال ليونيدا بيسولاتي ، وإيفانو بونوى وأنجيولو كابرينبي ، وهم من نواب الطبقة الوسطى الاشتراكيين الذين عرضوا أنفسهم كما قال « لاتهامات خطيرة من الحزب » ، عندما هنأوا بشكل مكشوف الملك على نجاته من المحاولة التي قام بها فوضوى من عمال البناء لاغتياله . وأضاف موسوليني أن من الواجب تطهير الحزب من أمثال هذه الحثالات . وعليه أن لا يعرف سبيلا إلى التفاهم مع المنظمات المناهضة للطلائع العمالية (البروليتارية) . وكان خطابه قويمًا ، حقق له النصر ، وتأثر به حتى أنصار بيسولاتي وتوراتي . وكتب أحد هؤلاء وهو زوج مرجريتا سارفاتي إلى زوجته يتحدث عن ظهور ﴿ شَابِ رَائعٍ ، مَقَابُولُ لَهُ أَنْ يُسْلِطُو على الحزب ، وراح يضيف أنه « بالرغم من قوامه النحيل ، يتميز بالقسرة والمزاج النارى ، والابتكار في انطلاقات البلاغة » ، وأنه الرجل الذي ينتظره مستقبله العظم (١) .

<sup>(</sup>١) وعرضت مندرية أخرى اشتركت فى المؤتمر ، هى الفوضوية الروسية آنا كوليشوف ، التى سبق لها أن سجنت فى عام ١٨٩٨ مع فيليبو توواق ، عند مااشتركا فى الاجتماعات النورية التى عقدت فى ميلان ، صورة محتلفة عن هذه الصورة للشاب النارى الحديث . . . فقد كتبت تقول : «إنه ليس من الماركسيين . بل إنه ليس من الماركسيين . بل إنه ليس من الاشتراكيين على الإطلاق ، ولا من السامة أيضاً ، رإنما هو ذواقة عاظى الشعر ، أكثر من قوامة نيتشه » . وظهرت صورة أخرى أقل حاسة له فى صحيفة « بعد الراحة » فوصفته بأنه يكثر من حركاته وتعييراته بحيث يبدو كالمسينين . أما صحيفة « الكورسيرى ديلاسيرا » فقد تبنت رأى زوج مرجريتا وكتبت تقول : « خطب موسولينى بكثير من الصراحة والإخلاص فى الإثارة ، وقد أحبه المؤتمر فى نحوله ومرارته ، تقول : « خطب موسولينى بكثير من الصراحة والإخلاص فى الإثارة ، وقد أحبه المؤتمر فى نحوله ومرارته ، وتقجره فى الحديث المخلص، وأحس أنه يضم بين أعضائه شخصاً قادراً على التعيير عن مشاعره » . « المؤلف »

وفي ديسمبر عام ١٩١٢ ، أي بعد ستة أشهر من المؤتمر الاشتراكي ، اعترفت اللجنة التنفيذية للحزب ، التي سبطر عليها الجناح اليسارى الآن ، بالمواهب المذهلة ، للصحفي الشاب ، وأعلنت أنها « قررت بالإجماع تعيين الأستاذ (اببروفيسور) ، بنيتو موسوليني من أهل فورلى ، رئيساً لتحرير صحيفة الحزب « "أفانتي " ». وعندما وصل موسوليني إلى مكتبه الجديد في ميلان راح يقول لمحرويه . . . « قررت أن أتولى بنفسي كتابة كافة المقالات السياسية » . وم يمض شهران ، حتى كانت مواهبه العظيمة كصحفي ، وابتكاراته الطباعية الجريئة ، قد ضاعفت توزيع الصحيفة . وارتفع رقم التوزيع عندما انهى عمله كرئيس لتحريرها من ١٨ ألفاً إلى نحو من مائة ألف .

وقد ذكر أحد المحررين الشبان في الصحيفة . . . « لا أدرى ما أفعاه بهذا الشاب الغريب موسوليني ، ولكنني أعرف أنه سيصل إلى منزلة ما . . . »

۲

# الداعية إلى التدخل من أكتوبر ١٩١٣ إلى ٢٤ مايو ١٩١٥

# لا مكانة لمحايد

وطد موسولینی فی أكتوبر عام ۱۹۱۳ أقدامه كمرشح عن منطقة فورلی ، بين مرشحي الحزب الاشتراكي لعضوية البرلمان الإيطالي ، وشرع بلتي سلسلة من الخطب الانتخابية ، معلناً فيها استنكاره للنزعة العسكرية والقومية العسكرية والقومية والإمبريالية ، ومنى بهزيمة ساحقة في المعركة . وبالرغم من انتخابه بعد فترة قصيرة عضواً في مجلس مدينة ميلان ، إلا أنه عزا هزيمته وهزيمة المتطرفين أمثاله إلى « روح الشعب البورجوازية » ، التي لا تجد الشجاعة ولا الحروية للنضال من أجل مطالبها، والتي تحتاج إلى حادث من النوع الجائح لتوعيتها بقدرها ومصيرها. وفى ذات يوم ، وبعد قيادته للهجوم على خطوط النرام في فورلي ، كان يلقى خطاباً في نحو عشرة آلاف من العمال ، في حديقة البلدية . وارتقى عدد من الصبية المنصة ، وراحت « قباقبيهم » الخشبية ، تقرع ألواحها ، محدثة صوتاً أشبه ما يكون بوقع حوافر الجياد . وتحولت الهنافات التي كانت ننادي بالثورة إلى صيحات فزعة تقول . . . « جاء الفرسان » . وسرعان ما انطلقت الجماهير هاربة من الحديقة . . . ونظر موسوليني إلى أحد رفاقه وهو يقول غاضباً . . . ه إنه شعب من الجبناء . إنهم أضعف من أن يناضلوا ٤ . وهكذا أحس بخيبة الأمل من جديد . وأعلن الإضراب العام في مستهل عام ١٩١٤ ، في كل من رومانا ومارش ، وسرعان ما أصبحت المنطقة كلها تفور بالاضطراب . وقامت مظاهرات معادية للكنيسة وللنزعة العسكرية ، كما أعلنت عدة جمهوريات عن قيامها بين عشية وضحاها . وأعلنت أنكونا نفسها كوميوناً مستقلا ، وارتفع العلم الأحمر على قاعة البلدية في بولونا . واندفع موسوليبي في مدينة ميلان حيث ألف الاشتراكيون والسنديكاليون جبهة واحلة ولجنة عمل مشتركة ، مرة ثانية إلى الشوارع ، يأمر العمال باحتلال الميادين العامة ، ولكنه رآى ينفسه عماله وهم ينهزمون أمام هجوم قام به الفرسان فى ميدان دوومو . وعندما قام وتل من القوميين يهدد باحتلال البناء الذى تقوم فيه مكاتبه ، لم تلق صيحاته « إلى السلاح » يا رفاق ، استجابة حماسية . وشجعته مرجريتا سارفاتى ، وكانت عررة الصفحة الفنية فى صيفته آنذاك ، على المناداة بالمقاومة العنيفة ، واقترحت استخدام مقصات المحررين كخناجر ومدى ، ولكن المحررين الآخرين ، كانوا أقل إصراراً وتصميماً ، وبدا عليهم الارتياح عندما عدل القوميون عن مهاجمة الدار .

ولم تمض بضعة أسابيع حتى كانت النمسا تعلن الحرب على بلاد الصرب ، لتكون الشرارة الأولى في الحرب العالمية . وانطلق صوت موسوليني يرعد من مكاتب ها الافانتي » بقوله ه لتسقط الحرب » ، مكرراً نفس الشعارات التي استخدمها في مهاجمة القوميين في ترينت . . . وارتفع صوته يهتف . . . ه ليسقط السلاح ولتحي الإنسانية » . وكان من الحتمى أن تنشب ثورة العمال في إيطاليا، لو أن الحكومة الإيطالية ، اشتركت في الحرب إلى جانب النمسا وألمانيا ، شريكتيها في التحالف الثلاقي الناقص فعلياً . وكان التدخل إلى جانب فرنسا ، مفجعاً أيضاً . وحتم الواجب على الاشتراكيين في الواقع ، أن يناضلوا ليضمنوا حفاظ إيطاليا على سياستها في « الحياد الصارم » . وبعث يستفتى رفاقه الاشتراكيين يسألهم تأكيد موافقهم على هذا الموقف الذي لا يلين ، وسرعان ما تلقي ردود أتباعه المعجبين به ، موافقهم على هذا الموقف الذي لا يلين ، وسرعان ما تلقي ردود أتباعه المعجبين به ، وراح السنديكاليون يعلنون أن هذا القرار خاطئ ، وأن على البلاد أن تشترك في الحرب ، هاجمهم موسوليني يعنف ووصفهم بأنهم خونة هدامون ، لقضية المطبقة العاملة .

ولكن آراء مغايرة كل المغايرة ، كانت تتولد الآن فى عقل موسولينى ، وراء هذه الحملات الصريحة على دعاة التدخل فى الحرب . فنى اليوم الذى صرع فيه الأرشيدوق فى سبراجيفو (١١) ، كان يقضى إجازة له ، فى كاتوليكا ، مع زميل

<sup>(</sup>١) مقتل أرشيدوق النمسا في مدينة سيراجيفو في صربيا ، وكان الحادث شرارة انفجار الحرب العالمية الأولى . د المعرب ،

صحفى ، يدعى ميشيل كامبانا ، وعندما انطلقا فى طريق العودة إلى ميلان ، اعترف موسولينى لرفيقه بخيبة أمله المتزايدة من زملائه الاشتراكيين ، وراح يقول له . . . لا أريد أن أقود الحزب بطريقة ذكية بارعة ، موجها إياه كما يجب أن يوجه عبر الأحداث العظيمة التى تنتظرنا » . لكنه كان فى شك من أن الحزب سيسير وراءه .

ومضى موسوليني يقول . . . « علينا أن نفهم هذه الحقيقة بمنهى الوضوح . مهاجم دولتا الوسط إنجلرا وفرنسا عن طريق بلاد الصرب . ولا بد من أن يتحول القتال إلى حرب عامة . وستكون فرنسا أول ضحابا هذه الحرب ، إذا لم تبادر الدول المتمدنة إلى الاتحاد لإنقاذها ، وتعنى هزيمة فرنسا ، الضربة القاضية على الحرية في أوربا . وعلى الحزب الاشتراكي أن لا يتجاهل احمال التدخل إلى جانب فرنسا إذا ما جرت إلى الحرب جراً . ولكن هل يفهم قادة الحزب هذه الحقائق ؟ » فرنسا إذا ما جرت إلى الحرب جراً . ولكن هل يفهم قادة الحزب هذه الحقائق ؟ » وراح وفيقه كامبانا يذكره بالحطاب الذي ألقاه في المؤتمر الاشتراكي الأخير في ربجيو امبليا ، عندما تحدث بمنهى العنف والقوة مهاجماً القومية وأولئك السنديكاليين ( النقابيين ) ، الذين أيدوا الحرب الليبية ضد تركيا . . .

ورد موسوليني بسرعة قائلا . . « الموقف يختلف ؛ . كانت الحرب الليبية حرباً عدوانية . أما هذه فقد يكون فيها إنقاذ إيطاليا . وفي وسعها أن تحل مشكلة ترينتينو وتريستا ، وإنفاذهما من قبضة الهسا التي اعتبرها اليساري سيزار روسي ، عدوة الحرية ، كما قد تقرب من يوم الثورة الاشتراكية . وبالإضافة إلى الإيمان بأن على الاشتراكيين أن يفيدوا من الحرب ، لإثارة الاضطراب والقلق ، وتحطيم النظام البورجوازي في النهاية ، فقد كان ثمة إيمان آخر ، يدفع موسوليني إلى تغيير وجهات نظره . فقد رأى أن الناس بدأوا يستمعون إلى النقابيين (السنديكاليين) الذين يقودهم السيسي دى امبريزو ، والقوى العنيف فينيبو كوريدونى ، في دعوتهما إلى الخرب ، ويقابلون آراءهما بالإجلال والعطف ، وانتابه الخوف من أن يؤدى ذلك إلى إضاعة السيطرة على ضهائر الاشتراكيين ، الذين كانوا يرددون القاعدة التي وضعها كارل ماركس ، والقائلة بأن الثورة الاجهاعية تتبع الحرب عادة ، وأن ليس وضعها كارل ماركس ، والقائلة بأن الثورة الاجهاعية تتبع الحرب عادة ، وأن ليس

وقد جاء ذكر هذه القاعدة الي أوردها كارل ماركس ، بكل تأكيد في

حديث مهم جرى لموسوليني في ميلان مع فيليبونالدى ، صاحب صحيفة « ريسبودى كارلينو » الصادرة في بولونا ، والتي كانت تدعو في الماضي إلى موقف عايد يميل إلى النمسا وألمانيا ثم تحولت إلى الدعوة إلى التدخل إلى جانب فرنسا . وقد أعاد موسوليني على مسامع نائدى ، ما كان قد سبق له أن ذكره لكامبانا، من أن رفاقه الإشتراكيين لن يوافقوا على تأييد سياسة التدخل ، وأنه لا يستطيع والحالة هذه كرئيس لتحرير صحيفة « أفانتي » أن يؤيد هذا الاتجاه تأييداً فلعينا . وهنا اقترح عليه نائدى ، أن يستقيل من تلك الصحيفة ، وأن يصدر صحيفة خاصة به ، وعده بتمويلها .

واستقال موسوليني في السادس والعشرين من أكتوبر من رئاسة تحرير ألافاني ، وظهر العدد الأول من صفيفة «البوبولو ديتاليا» في الرابع عشر من نوفبر . وحملت الصحيفة على صدر صفحتها الأولى وإلى جانب اسمها شعارين يمكن اعتبارهما ، بمثابة إعلان مولد الفاشية ، أولهما لبلانكي يقول « من يملك الحديد يملك الحبز » . والثاني لنابوليون يقول . . . «الثورة فكرة عثرت على حرابها » . يملك الحبز » . والثاني لنابوليون يقول . . . «الثورة فكرة عثرت على حوابها » . وظهر على صفحتها الأولى مقال يحمل توقيع رئيس التحرير ، بنيتو موسوليبي ، وعنوانه «الحراة » » .

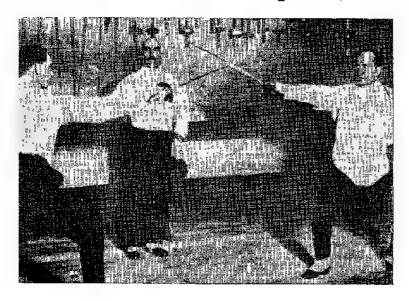
وجاء فى هذا المقال قوله . . . « أوجه كلمتى الأولى إليكم يا شباب إيطالبا ، ويا فتيانها فى مصانعكم وجامعاتكم . إليكم يا من تمثلون الفتوة فى أعماركم وأرواحكم ، ويا من تنتمون إلى جيل شاء القدر له أن يصنع التاريخ . . . إنها كلمة ما كنت لأبخأ إلى النطق بها فى الأوضاع العادية ، ولكنى أجد نفسى مرضماً اليوم على النطق بها جهاراً وعلانية ، وعمنتهى الوضوح والإخلاص . إنها كلمة الحرب بما فيها من بعث للرغب ، وللاستهواء » .

وعندما عقد الحزب الاشتراكي في ميلان اجتماعه بعد عشرة أيام ، اقترح يعضهم وسط هتافات و الحائن و والأجير ، وبائع الضمير و طرد موسوليي من الحزب و وتقدم من المنصة وقد علا الشحوب وجهه ، وكل جارحة فيه ترتعد فرقاً ، ليرد على ناقديه . كان يرتدى نفس البدلة السوداء الرثة التي طالما ارتداها ، ولاحظ أحد المندوبين أن و بنطلونه و كان قصيراً إلى ما فوق رسغ قدمه . وبدأ أنه لم يحلق



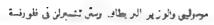
موسوليني يعزف على قيثاريه في دارة دو رلونيه

موسوليني بتعم المباررة بالسلاح





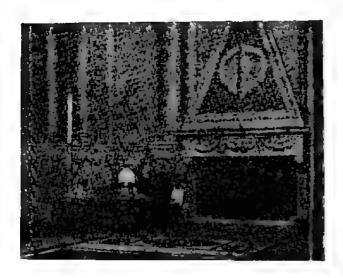
موسولین ی ریازهٔ شاعر ایسالیا دانونریو ی جاردون



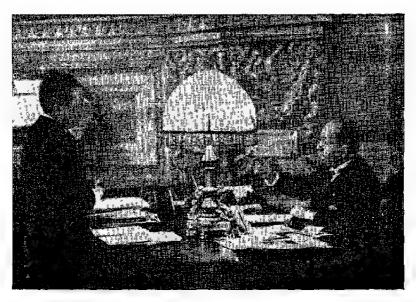




موسوبیلی نؤدی انتحیهٔ الفاشیة بی عرض راومهٔ



موسوليني يقع إلى جوار مكتب في قصر البندقية



موسوليبي يزود أحد لصحفيين لفاشيين بتعلمان

الاحتفال السنوی بدکری الزحف علی رومة موسولینی مع سهو ودی بونو ودی فیش



ذقنه لا فى ذلك اليوم ولا فى اليوم الذى سبقه . وارتقى المنصة ، وقد علا الهتاف ضده ، وارتفع صراخ الحاضرين . وشرع يتكلم ، ولكن أحداً لم يستطع سماع ما يقوله والهالت على المنصة قطع النقود وكرات الورق وبعض المقاعد يقذفونه بها ، وهو يصرخ متجهاً إلى المندويين الغاضبين ، فى حديثه ، لا ليدافع عن نفسه ، بل ليهمهم بروح البورجوازية الصغيرة الى كان يراها أعظم إهانة يستطيع ، توجيهها .

وراح يصرخ فى وجوههم . . . « أقول لكم إنكم تضيعون صراحكم فى الهواء ، وستجدون أنفسكم جميعاً مرغمين على دخول الحرب . . . وليس فى وسعكم الحلاص منى . فأنا اشتراكى ، وسأظل اشتراكينا . . : وإذا ما اقترعتم ضدى ، فإن اقتراعكم لن يعنى شيئاً على الإطلاق ، وكان يتفجر بهذه العبارات بصوت يقرب من الحنون ، وذكر بعض الذين شهدوا الاجتماع فيا بعد ، أن عينيه كانتا مغرورقتين بالدمع . وراح يقول بشىء من اليأس ، وهو يستخدم إحدى تلك الأحاجى التى تبدو معقدة فى ظاهرها ولكنها تعنى التأكيد الذى يجد ما يبروه ، والتي لم يمل قط من استعمالها فيا بعد . . . « إنكم تكرهونى . . . أجل أنم تكرهونى لأنكم ما زلتم تحبونى » .

ولكن أقواله هذه لم تجده فتيلا . فقد تقرركما قال هو عن نفسه ، مصيره من قبل ، ولم يجد جدوى من محاولة إسماع صوته إلى أناس كانوا قد حزموا المرهم على رفض كل ما يقوله . وراح يغادر مسرح الشعب ومعه نفر صغير من مؤيديه متجهاً إلى مكاتب صحيفته .

وكان غضب الاشتراكيين عنيفاً ، وحافلا بالحقد . فالأصدقاء القداى ، والمعجبون به ، وجدوا آمالهم تهار ، وتحولت خيبات أملهم إلى كره شديد . واضطر إلى أن يبارز أحد كبار المعجبين به السابقين ويدعى سيكرتى ، وكان هذا قد أشار إليه ذات يوم بأن أن له دماغ إنسان جاء من صلب سقراط ، واعتبره البعض وبيهم أنجليكا بالابانوف ، أشد خائن خطراً على الاشتراكية . ولم يقتصر اتهامهم إياه على خيانة الاشتراكية ومثلها ، والمما اتهموه أيضاً بقبول المال من فرنسا عن طريق المعهد الثقافي الفرنسي في ميلان . ليسير في هذا الطريق الذي سار

فيه (١). ولكن لم يحل مطلع عام ١٩١٥ حتى كان يكسب بعمله هذا أنصاراً يفرقون في عدهم أولتك الذين خسرهم . وقد اجتلب إلى جانبه معظم أولتك الذين وافقوه على رأيه ، في أن وطن الإنسان يجب أن يحتل المكانة الأولى في لنهابة ، وأن الاشتراكيين الألمان بتأييدهم للقيصر قد عملوا على أمهيار الحركة الاشتراكية الدولية، وأن الحرية معرضة لأشد الأخطار . وافضم إلى تأييده فقابيوكوريدوفى، وفوضويو ليبيرو تانكريدي ، ويساريو سيزار باتيسي ، والاشتراكيون اليمينيون من أفصار بيسولاتي ، اللي كان موسوليني قد عمل على طرده من الحزب بعد الهجوم على طرابلس ، وتبني العمال الوطنيون آزاءه ، كما تبناها القوميون وألوف الشبان اللين عنت الحرب فم معامرة مسرحية ، وعدد من المتقفين والكتاب من أمثال جابرييل دانونزيو (٢) اللين آمنوا بأن الاشتراك في الحرب سيساعد إيطاليا في سيرها نحو تحقيق الوحدة الكاملة ، وضهان سيادتها الحقة في البحر الإدرياتيكي ، ومنطقة نفوذها في أوربا .

وشجع هذا النجاح المترايد موسوليني ، كما شجعته استفالة جيوليدي من الحكم وتعيين الانتهازي أنطونيو سالاندرا في رئاسة الوزراء ، إذ أن هذا الانتهازي ، جعل من التدخل فكرة أكثر تقبلا ، واحتمالا . ولذا بات موسوليني يزيد من إلحاحه وإصراره على الحرب ، بالغا في دعوته هذه حد الحماسة . واشترك في مبارزة مع اشتراكي إصلاحي يدعى كلوديو تريفيز ، كان في السابق محراً الصحيفة «أفاني » . وقد اعتقل بعد اجتماع عنيف لدعاة التدخل في روبة ، واشتبك في معركة مع ضباط الشرطة اللين فرقوا أحد اجتماعته في ميلان . وأخيراً أعلنت إيطاليا الحرب في الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٩٥ ، إرضاء للماك ، واليساريين وموسوليني وأعضاء الحركة المستقبلية (حركة فنية في إيطاليا) ، والماسونيين وموسوليني . لكن دعاة التدخل الذين رحبوا بإعلان الحرب بحماسة صاحبة لم يكونوا يمثلون البلاد في مجموعها في الواقع ، وقد سجل موسوليني فيا بعد والفرح يستبد به كيف أنهم

<sup>(</sup>۱) بالرغم من أن المال الذي قدمه فيليبر نالوي ، لإصدار صحيفة البوبولوديتاليا لايبدو صادراً عن الفرنسيين ، إلا أن ثمة دلائل قوية تشير إلى أن موسوليني تلقى عند ما وقمت الصحيفة في ضائفة مالية في عام ١٩١٥ ، مساعدات من و الرفاق الفرنسيين لمساعدة حملة التدخل و . . . و المعرب و

 <sup>(</sup>٢) جبريبل دانونزيو (١٨٦٤ - ١٩٣٨) - شاعر إيطاليا وقصصيها وكاتبها المسرحى .
 كان قائد حملة نيوي في عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ .

أظهروا بصورة مؤكدة ، أن في وسع الأقلية القوية أن تفرض وجهات نظرها على الحماهير . وكان هذا درساً لم ينسه موسوليني .

وراح يكتب في صحيفته «البوبولو ديتاليا» . . . ه أصبحنا جميعاً منذ اليوم ، إيطاليين ولاشيء غير إيطاليين . أما وقد بات على الفولاذ أن يلمى الفولاذ، فإن صرخة واحدة تنطلق من قلوبنا جميعاً ، وهي "عاشت إيطاليا "» . . . وكانت بذرة الفاشية قد زرعت في أرضها . . .

۳

## الفاشي في دور التكوين من أغسطس ١٩١٥ إلى ٢٨ أكتوبر ١٩٢٢

« أوثر من فاحيق خمسين ألف بناقية على خمسة ملايين صوت »

١

كان موسوليني جنديًّا ممتازاً ، ولم يتطوع كغيره من أتباعه ، منتظراً استدعاءه في شهر أغسطس ليعمل مع الكتيبة الحادية عشرة للرماة ، ويأنما رفض اقتراح قائده العفيد في أن يعمل في مقر قيادة الكتيبة في إعداد يوميات الحرب ، وآثر أن يمضى في غضون أسابيع إلى الجبهة ليقاتل في صفوفها الأولى . وكان قد قضى منذ عودته من سويسرا في عامى ١٩٠٥ و ١٩٠٦ ، تسعة عشر شهراً في الحدمة العسكرية ، وأثبت أنه بالرغم من ثوريته المشهورة ، فإن في وسعه أن يكون جنديًّا منضبطاً كل الاتضباط . وكان قد أظهر آنذاك ، كما أظهر الآن ، لحفة على عرض قدرته على العمل الشاق والحماسة ، وسعياً إلى إرضاء هذه اللهفة . ولما كان قد حزم أمره على أن لا يبدى أى نقص في عمله ، فقد دأب على أداء واجباته بجد وإخلاص ، دون إغراق في اصطناع البطولة ، وإكن في حماسة كانت كافية ، الآن يذكر اسمه فی التقاریر الرسمیة کجندی ، یتمیز بسلوك نموذجی ، وبروح هی حقاً روح جنود « الرماة » . وسرعان ما رقى إلى رتبة « عريف » . وقد تحدث في الرسائل التي بعث بها إلى أسرته فى هذه الآونة عن الأخطار والمتاعب التى يتعرض لها جنود المشاة في حياتهم في الخنادق ، كما تحدث عن تعرضه النيران المتصلة أسابيع كاملة ، وعن المرات العديدة التي تعرضت حياته فيها للخطن . وقد عاد إلى بيته في إجازة من الحنادق التي كان يعمل فيها عند نهر إبسونزو ، وقد ظهر عليه التعب والتهدم ، وقد استعاض عن الأزرار في سترته بأسلاك تشد العرى إلى بعضها (١) .

وكان يشهد ذات يوم فى شهر فبراير عام ١٩١٧ ، عرض ملفع جديد من مدافع الهاون ، فوقع انفجار مرعب نحيف ، أدى إلى قتل خسة رجال كانوا يقفون إلى جانبه ، إذ أصابتهم الشظايا المتطايرة من القنبلة ، كما طارت « ماسورة » الملفع فى الهواء. وقد سقط هو أيضاً فاقد الوعى ، على الأرض ، وحملوه إلى مركز الإسعاف حيث أخرجوا من جسمه أكثر من أربعين شظية من هذه الشظايا . الإسعاف حيث أخرجوا من جسمه أكثر من أربعين شظية من هذه الشظايا . وتعرض المستشفى الذى نقل إليه فيا بعد فى رونشى إلى قصف مدفعى عنيف ، وأصيب بأضرار خطيرة ، حتى أضطرت السلطات إلى إخلائه من المرضى ، ولكن موسولينى كان فى حالة سيئة لا تسمح بنقله .

وعندما تحسنت صحته بعد بضعة أسابيع ، وبات قادراً على العودة إلى ميلان ، مضت مرجريتا سارفاتي لزيارته . وقد كتبت عن هذه الزيارة تقول . . . ه لن أنسى أبداً كيف ذهبت لزيارته . كان متعباً إلى الحد الذي بات عاجزاً فيه عن الكلام . وانفرجت شفتاه عن ابتسامة ظهرت على وجهه الشاحب ، بينا كانت عيناه غائرتين . ولم ينبس ببنت شفة ، وفي وسع المرء أن يرى مدى ما عاناه من ألم . وسأله أحدهم ، عما إذا كان يود أن يجد كتاباً يقرؤه ، فرفض وقال مشيراً إلى ديوان شعر لكاردوس . . . "أنا لا أقرأ إلا هذا لأني أعرفه . فلا أستطيع قراءة شيء جديد "، .

ولم يكن موسوليني ذلك الرجل الذي يسمح لهذه الفرصة كجندي جريح ، بأن تمر دون أن يفيد منها . وكتب يقول بعد أن أبل من جراحه وبات قادراً على الإمساك بالقلم بشيء من النمثيل المسرحي الذي تميز به ... « إني لأذخر بأنني

<sup>(</sup>١) تقول إنجليكا بالابانوف ، وهي كاتبة متحيزة صاده ، إن موسوبيني لم يكن مجرد إنسان وقح فحسب ، بل كان جباناً سوداوى المزاج ومصاباً بالهستيريا . لكن معاصريها لم يؤيدوا هذا المكم، سي ولو كانوا من أولئك الكتاب من أعداء الفاشية من أمثالها، اللين عرفوه ، في تلك الأيام، وكان نهم كل ما يبرر مهاجمتهم له كخائن لمبادئهم ومشهم. وقد تحدث رجل انتقيت به في ميلان في عام ١٩٤٥. وكان كما يدعى عريفاً مع موسوليني في كتيبة الرماة ، فقال إنه «كن دائم التظاهر ، يكثر من الحديث ، ولكنه على أي حال ، شاب ممتاز . وكن نحبه جميعاً . ولم يكن قد تعرض كثيراً للنار ، ولكنه عند ما كان يتعرض لها ، كان يسلك سلوكاً طباً ٥ . « المؤلف »

صبغت الطريق إلى تريستا بدى وأنا أؤدى واجبى الحطر كل الحطورة». وكتب أيضاً فى تاريخ حياته ، بشيء من الجهد المسرحى يقول . . . « كنت أواجه ألماً لا يحتمل . أجل ؛ كان ألماً لا يوضف . وقد مررت بجميع العمليات الجراحية التي تعرضت لها دون أى مخدر . وقد أجريت لى سبع وعشرون عملية فى شهر واحد ، وكانت جميعها باستثناء اثنتين منها بلا مخدر » .

وكان يدرك قيمة جراح الجندى في مثل هذا لوقت ، ولذا عاد إلى مكتبه في صحيفة البوبولو دينائيا » ، متكناً على عكازتيه اللتين ظل يستعملها مدة طويلة بعد انقضاء الحاجة إليهما . وأحس كجندى خاض الحرب ، بالقدرة على مهاجمة الاشتراكيين ، والكهنة السلاميين والحياديين الذين اعتبرهم مسئولين عن كارثة كابوريتو ، وانطلق في هجومه ، متحصناً بصفته الجديدة ، وبصورة ما كان ليستطيعها لو ظل مجرد صفى مدنى . وكواحد من أولئك الذين أخذ يشير إليهم «بالناجين» من الحرب ، راح يلح على إشراك الجنود العائدين في حكم إيطاليا الجديدة ، محكومة يجب أن تتصف بالقوة وعدم التساهل . وأخذ في مسئهل شهر فبراير من عم ١٩٩٨ ينادى بظهور الديكناتور الذي ايتميز بالقسوة والحروية لتطهير البلاد تطهيراً شاملا » . وراح يوى في خطاب ذاع صيته ، ألقاه في مدينة بولونا بعد ثلاثة أشهر بأنه قد يكون هذا الرجل .

وكان يوجه هذه التطلعات بصورة خاصة إلى أولئك الدين اشتركوا فى الحرب ، وكان يجد فى صفوفهم العون الحماسى الذى يأمل فيه . وتبنى الذين حاربوا فى جبهة كارسو ، جميع المطالب التى صدرت عن موسولينى بضم فيومى وساحل دلماسيا إلى إيطاليا بالإضافة إلى منطقتى ترينتينو وفينيسيا جيوليد اللتين أقرت معاهدة سان جرمين ضمهما إلى إيطاليا . ولقيت حملاته على الثورة الروسية وعلى جماعية لين استجابة ضخمة لمى جميع أولئك اللين ربطوا بين ثورة أكتوبر والبلاشفة وبين الحزب الاشتراكي الإيطالي المعرض للانهام . ولم يعد يعتبر نفسه اشتراكيًا حتى فى الاسم . وكان يقول إن الحزب لم يكتف بمعارضة الحرب فحسب ، وإنما عارض النصر أيضاً ، وكان على استعداد التخيى عن ثماره ، وأضاف أن هذا الخزب بلمفاعه عن مبادئ البلشفية المولية قد فقد الحق حتى فى اعتبار نفسه المدافع بلمفاعه عن مبادئ البلشفية المدولية قد فقد الحق حتى فى اعتبار نفسه المدافع بلمفاعه عن مبادئ البلشفية المدولية قد فقد الحق حتى فى اعتبار نفسه المدافع

عن الطبقة العاملة الإيطالية . ولما كان يدرك أن آراءه ان تنجح إلا إذا تمكن من الصعاف الروبط التي كانت تربط بصورة تقليدية بين العمال وبين الحزب الاشتراكي ، فقد حرص على أن يظهر في مقالاته وخطبه على أنه ما زال صديقهم والمدافع عنهم . وكان يؤكد لهم ، أنه ما فتى بالرغم من أنه لم يعد من الاشتراكيين ، غير منهاون في عدائه للبورجوازية والرأسمالية .

ولكن بالرغم من أنه لم تبق الآن ثمة شكوك فيما يقف موسوليني ضده من آراء ، فإن الشك كان لا يزال كبيراً حتى في ذلك الحين أي في عام ١٩١٩ ، في حقيقة ما يدافع عنه . وعندما التهي في الثالث والعشرين من مارس ، وبدعوة منه عدد من الناس في إحدى غرف مكاتب اتحاد التجار وأصحاب الحوانيت في ميدان سان سيبواكرد في ميلان ، ليؤلفوا قوة جديدة في السياسات القومية ، كان الشك لا يزال يلف بحقيقة السياسة التي ينادى بها . وكان مؤيدوه خليطاً عجيباً من الاشتراكيين الساخطين والنقابيين والجمهوريين والفوضويين والثوريين اللامصنفين ، والجنود القلقين اللين كان الكثيرون منهم قد عملوا في وحدات الفدائيين المقدامة في الجيش الإيطالي ، بالإضافة إلى عدد من المطلوبين لرجال الشرطة (١) . وقد شكلوا ما أسماه موسوليني بالمجموعة المناضلة ، التي تربط أفرادها عرى وثيقة كتلك التي كانت تجمع بين قضبان الجلادين في عهد الرومان كروز للسلطة الرومانية. وكان الاسم الإيطالى الذي أطلقوه على أنفسهم اسم « فاشيوميلان » وباستثناء البيانات الصريحة المؤيدة للمشاعر القومية ، التي كانت تصدر عنهم لم يكن في وسع هؤلاء أن يقدموا شيئاً إلى الرأى العام غير المتأثر بهم ، والكثبر التشكك بكل ما يسمعه ، بحيث يصدق هذا البرنامج السياسي الذي وضعوه واحمال تطبيقه ، وهو البرنامج الذي ينطوي على فرض ضريبة تصل حدود ( ٨٠) في المائة على أرباح الحرب ، وجزية على رؤوس الأموال ، ومصادرة أملاك الكنيسة ،

<sup>(</sup>١) لم يعرف عدد الرجال اللين شهدوا هذا الاجتماع ، ولكنهم كانوا على أى حدل أفل من مائتين . لكن موسوليلي الذي أراد أن يؤكد أهمية الأقلية المحلصة المؤمنة ، ذكر بأن عدد الذين وقعوا على البرنامج كان خمسة وأريعين رجلا . ولكن ظهر بعد انتصار الفاشية في إيطاليا ، أن هناك مثات من الرجال أطلقوا على أنفسهم الهم و سانسيبو كلريستي ، نسبة إلى المكان الذي دار فهه الاجتماع الذي كانوا قد حضروه . وقد اعتبر واأيضاً الصفوة الفاشية . « المؤلف ،

وضم دالماسي ، وإلغاء البورصة ، وتسليم الإدارات الصناعية إلى العمال . ولم يزد عدد مؤيدى الحركة الجليدة كثيراً طيلة عام ١٩١٩ . ولكن سرعان ما انضم إليها عدد آخر من الجنود المسرحين ومن الاشتراكيين الخائبين في آمالهم والنقابرين الشبان الساخطين والملكيين المحافظين ، ومن ضباط الحيش السابقين من أمثال سيزار ماريا دى فيشى والجارال إميليو دى بونو . ولكن هذا الحليط الهجين في طبيعة الحركة ، والتناقضات الموجودة بين موسوليني الذي كان لا يزال يعتبر نفسه كما ذكر المستر دنيس ماك سميث « لينين إيطاليا » ، وبين العناصر المحافظة التي اعتبرت آراءه في احتلال المصانع أكثر بلشفية من البلشفة نفسها ، كان السبب في خرابها . ولم ينل الفاشيون عندما قدموا بعضهم كمرشحين لانتخابات بجلس النواب في أكتوبر عام ١٩١٩ ، أكثر من أربعة آلاف صوت ، ونال خصومهم الاشتراكيون أكثر من أربعين ضعفًا لهذا الرقم ، كما انتخب مائة من الديمقراطيين المسيحيين نواباً في المجلس. وأعلنت « ألافانتي » بشيء من الزهو ، أن موسوليني غدا جثة سياسية ، وإن جثمانه يطوف شوارع ميلان ، تحيط به الشموع ، وترافقه جموع المتظاهرين ينشدون الألحان الجنائزية ، ليحرقوا الجنَّان بعد ذلك في ميدان درومو . واقتحمت الشرطة بعد بضعة أيام من هزيمته الانتخابية الساحقة مكاتب صحيفته . فقد انزعج فرانسيسكو نيتي رئيس وزراء إيطاليا من تأبيد موسوليني الصريح للعمل المسرحي والناري اللي قام به الشاعر دانونزيو باحتلاله فيوي باميم إبطاليا ، وأمر باعتقال موسوليني بنهمة التآمر المسلح على الدولة . وبدا أن عَمَّ كُلُّ ما يبرر هذه النهمة . فقد كانت مكاتب البوبولو ديتاليا الحقيرة أشبه ما تكون بالترسانة (١) . وعثر الشرطة في الحزائن والأدراج على عدد كبير من القنابل والمتفجرات ، وعثر رجال الشرطة على سبع قنابل في موقد غرفة موسوليني . ووراء مرآة الجدار وفي أدراج مكتبه ، كما عبر على مسدسه ، وخنجره فوق مكتبه ، وخلف علم مطرز بالحرير لوحدات الفدائيين . ولكن السلطات ما لبثت أن أطلقت

<sup>(</sup>١) لم يستطع موسوليني قط أن يتغلب على رغبته لعنيفة في حيازة الأسلحة . وقد ظل يعرض بعد وصوله إلى الحكم بأمد طويل ، وعل منضدة في الفرفة الخارجية لمكتبه في قصر البناقية صندوقاً يضم عدداً من المسلسات ويعض الرماح .

سراح موسوليني بالرغم من جميع هذه المظاهر التي تدل على العنف ، فقد قيل لرئيس الوزراء نيتي إن الفاشية ما زالت حركة وليدة ، وأن ليس ثمة ما يدعو إلى أن يخلق شهيداً من قائدها الذي لا يعدو أن يكون « حطام إنسان مهزوم » .

ولكن لم يحل مطلع يونيو المقبل ، حتى كان هذا الوصف أكثر انطباقاً على ا نيتي النفسه منه على موسوليني . وأدى فشله في مواجهة تحدى الإضرابات والفتن الثورية ، وفي حل مشاكل البحر الإدرياتي ، وضعفه في مقاومة مطالب الاشتراكيين والشيوعيين ، إلى الإسهام كثيراً في تزايد نفوذ الفاشية وقوته . واستقال نبتي للمرة الثالثة في غضون ثلاثة أشهر في السادس من يونيو عام ١٩٢٠ ، ليخلفه في الحكم جيوفاني جيوليتي . ولكن هذ. بالرغم من مهاراته وحساباته ، لم يكن أكثر قدرة منْ نيتي نفسه في مواجهة ما اعتبر تزايداً في الخطر البلشفي على أمن الدولة وسلامتها ، ولم نؤد محاولاته لإرضاء اليمين والبسار في وقت واحد إلى إرضاء أحد ، وعندما سمح للاشتراكيين في شهر سبتمبر بتسلم منظمة احتلال العمال للمصانع ، بالرغم من إظهاره ضعف العمال المضربين ، وافتقارهم إلى الفاعلية ، خسر تأييد الطبقة الوسطى التي رأت في رفضه التدخل ، تساهلا مستمرًّا مع الفوضى وخرق القوانين . واتضحت الحقيقة ، وهي أن الوضع القومي في البلاد لم يعد سهلا بحيث تستطيع السيطرة عليه حكومة لا تقدر على الاعتاد على غالبية من العمال في براان لم تعد له قيمته . وتزايد التضخم من جراء المعونات المالية الحكومية التي عجزت على أي حال عن التخفيف من آلام بلد فقير فقرآ شديداً ، بات مديناً بمليارات الليرات عندما توقف حلفاؤه فجأة عن تزويده بالمساعدات الاقتصادية . وساءت حالة البطالة في الوقت نفسه كل السوء من جراء تسريح الألوف من الحنود ، بينما ارتفعت نسبة الحريمة من جراء وجود ما لا يقل عن مائة وخمسين ألفاً من الجنود الهاربين من الجندية منذ الحرب ، والذين ألفوا منذ ذلك الحين العيش بطرقهم الحاصة .

وسرعان ما أدرك موسوليني وفاشيوه مدى الفرصة الضخمة المتاحة لهم ، والتي قاس لها أن تغدو مصدر اعتزاز الفاشية بأنها قد حققت سلطانها بعد نضال مرير مع الشيوعية ، منكرة بدلك الحقيقة الواقعة وهي أن الفاشية قد استمدت قوتها من ضعف الاشتراكيين . وقد تقبل موسوليني بعد انتخابات عام ١٩١٩ ، هزيمته

الانتخابية كدليل على عجز الفاشية عن كسب تأييد الطبقة العاملة وانتزاعها من قبضة الاشتراكيين التقليدية ، وراح يعمل بمنتهى اللاامزامية على التخلى عن آرائه الدينينية ، وتبنى لغة ومواقف أصبحت منذ ذلك الحين أساسية في الكيف الفاشى .

وعندما انتشرت الإضرابات والفتن احتجاجاً على ارتفاع مستوى الحياة ، وإزدادت كمّا وكيفاً، وتعرضت القطارات والثكنات والمصارف والأبنية العامة للهجوم في أرجاء إيطاليا طولا وعرضاً ، وتحولت مناطق بأسرها إلى أبدى الشيوعيين ، حيث قامت مجالس وسوفييتيات علية ، وعجز الاشتراكيون ذوو القيادة السيئة والديمقراطيون المسيحيون عن الوصول إلى سياسة مشتركة تضمن وجود البليل عن الشيوعية ، راح الفاشيون يتقدمون إلى الأمام كمنقلى البلاد ، والقوة الوحيدة التي تستطيع كبح جماح الشيوعية ومنعها من الانتشار . وانتشرت فصائل من الفاشيين مسلحة بالمدى والهراوات والمسلسات والبنادق التي حملوها معهم من الحرب ، مسلحة بالمدى والهراوات والمسلسات والبنادق التي حملوها معهم من الحرب ، تحت ستار القول بأن العنف لا يقابل إلا بالعنف ، تهاجم الشيوعيين وأنصارهم ، بشيء من العنف والتنظيم ما لبثا أن خلقا شيئاً يكاد يشبه الحرب الأهلية . وتبين بشيء من العنف والتنظيم ما لبثا أن خلقا شيئاً يكاد يشبه الحرب الأهلية . وتبين في علم الفترة الواقعة بين أكتوبر عام ١٩٢٠ وتاريخ الزحف على رومة . وبالرغم من أن الإحصاءات الفاشية تعكس هذه الأرقام ، إلا أن مجموعها صحيح على من أن الإحصاءات الفاشية تعكس هذه الأرقام ، إلا أن مجموعها صحيح على من أن الإحصاءات الفاشية تعكس هذه الأرقام ، إلا أن مجموعها صحيح على من أن الإحصاءات الفاشية تعكس هذه الأرقام ، إلا أن مجموعها صحيح على من أن الإحصاءات الفاشية تعكس هذه الأرقام ، إلا أن مجموعها صحيح على من أن الإحصاءات الفاشية تعكس هذه الأرقام ، إلا أن مجموعها صحيح على من أن الإحصاءات الفاشية المنقلة فاشي المناقبة والمناقبة المناقبة المناقبة المناقبة والمناقبة المناقبة المناقبة والمناقبة وال

وكان الفاشيون وهم يرتدون القمصان السوداء التى جعل منها عمال روماذا وإميليا شعارهم ، والزى الموحد الفوضويين ، ويحملون أعلام الفدائيين ، يمضون فصائل وجماعات ، ينشدون الأناشيد الوطنية ، ويرفعون الشعارات القومية إلى مهاجمة أعدائهم ، وقد تألفت هذه الفصائل في مجموعها من الرجال الذين اشتركوا في الحرب الماضية ومن الشبان الذين كانوا يتوقون إلى أن يقوى عودهم ليحاربوا ، ومن المخضرمين الذين كانوا يلتهبون بالحماسة الوطنية ، مما دفعهم إلى الاشتراك كمتطوعين جاءوا من جميع أرجاء إيطاليا في حملة دانونزيو على فيومي متحديدا حكومات أوربا كلها ، ومن المغامرين الحجرمين الذين كان دانونزيو : قد

استهواهم أيضاً . وكانت تلقى التأييد أيضاً والإعجاب من ألوف الإيطاليين المنين كانوا على استعداد للتسامح معهم في أساليبهم ، اعتقاداً مهم ، بأن إرهاب خصومهم ، ردفعهم إلى تحية العلم الفاشي كما عمل إيتالوبالبو في فيرارا ، وقتلهم أو تلطيخهم بالزيت ، هو السبيل الوحيد لوقف وباء البلشفية الدولية عن الانتشار وإزالته . وكانوا يرون أن الاشتراكيين الذين كان الكثيرون مهم لا يتميزون عن الشيوعيين يلجأون إلى أعمال الإرهاب والقتل ، وأن الرحمة مع اللدين لا يرحمون ، سخافة ما بعدها سخف . وهكذا كان الفاشيون مثلا ، هم الذين وجهوا المظاهرات في بولونًا في نوفمبر عام ١٩٢٠ ، عندما تفجرت الاضطرابات فيها ، ضد مجلسها البلدى الذي يسيطر عليه الشيوعيون ، وهم الذين نظموا المقاومة ، واهتبلوا الفرص للظهور إلى جانب الحرية ضد الطغيان . 'وليس ثمة من شك في أن تخاذل الحكومة قد أعامهم في بولونا كما أعامهم في غيرها من المدن ، إذ لم يقم جيوليبي ، باستدعاء الحيش أو الشرطة أو الدرك ، العمل ضدهم وقتاهم ، كما لم تفعل ذلك أيضاً الحكومات الليبرالية التي أعقبت حكومته . وهكذا سمح لسرطان الفاشية بالانتشار . وتحولت بعض النقابات العمالية وقد خاب أملها في تلخل الشيوعيين بعد أن خبرت نكهم لوعودهم إلى الفاشية ، وسيطر الفاشيون على عدد مها وعلى بعض مجالس المدن التي احتلوها . ورأى الكثيرون من الليبراليين والكاثوليك ، وغالبية الصحف ذات النفوذ الكبير في البلاد ، أنه بالرغم من هذا السوء في مظهر الفاشيين ، ومبلهم إلى العنف الذي يكرهه جميع أعدائه ، فإنهم أكثر فاعلية ولا شك من نيني أو جيوليتي أو أنصارهما في إنقاد البلاد من الفوضي .

وكان هناك وراء هذه الغوغائية ، ووراء هذه الوحشية الوضيعة ، وهذا الإخلاص المتعالى ، والسخيف للفضائل العسكرية التي لا يحبها هؤلاء الليبراليون ، خيط من الحماسة الوطنية والمثالية . وكان هناك أيضاً أولئك اللين يؤيدون الفاشية لأسباب ذاتية خاصة ، كالصناعيين ، ومستغلى الحروب ، اللين رأوا مصانعهم ورؤوس أموالهم مهددة ، واللين مالوا إلى استخدام الفاشية ضد الاشتراكية اسحقها ، وبيهم رئيس الوزراء جيوليتي ، وكذلك أصحاب الأراضي الذين تطلعوا إلى استخلاص الوحدات الفاشية لحماية ممتلكاتهم ، والفلاحين اللين تطلعوا إلى استخلاص

الأرض من مزارعيها الاشتراكيين ، والحنود الساخطين المتلهفين إلى انتزاع حقوقهم من أولئك الذين تخلفوا عن الاشتراك في الحرب ، والتمتع بثمار الثورة الاشتراكية التي جاءت بها الحرب ، وذلك بالإضافة إلى الانتهازيين الذين رأوا المستقبل باسماً لهم في دولة فاشية ، يحصلون في عهدها على المال والسلطان اللذين يعجزون الآن عن الحصول عليهما . ولكن الحركة شملت أيضاً عدداً من المثاليين الواهمين . فقد أبدها مثلا بوشيني ، كما رشح توسكاسنيني نفسه على مبادئها في انتخابات عام ١٩١٩ . وخيل إلى بنديتو جروشي ، أن وصول الفاشية إلى الحكم ، سيكون خيراً من الفوضى الراهنة ، واعتقد كما اعتقد جيوليتي ، أن في الإمكان تحويل الحزب إلى اللستورية . وأيدته أيضاً جماعات من الكاثوليك ، لأنهم رأوا في الفاشية ، الوسيلة الوحيدة القوية للدفاع عن الدين ضد إلحاد الشيوعية . وحكذا لم تحل نهاية عام ١٩٢٠ ، حتى كانت الفاشية معتمدة على المصادر السيئة والطيبة ، قد حققت لنفسها ، بنياناً كبيراً من التأييد السياسي . وعندما جرت انتخابات مابو عام ١٩٢١ ، التي تحالف فيها الفاشيون مع جيوليتي ضد الاشتراكيين ، مما أثار حفيظة الليبراليين على رئيس الوزراء العجوز ، وأخذوها خطيئة عليه لم ينسوها قط ، فاز الفاشيون بخمسة وثلاثين مقعداً في مجلس النواب الجديد ، وكان موسوليني أحد النواب الجدد . وتبين الآن الفرص الواسعة المتحة له ، وشرع في هذه الفوضي والاضطراب في الحياة السياسية الإيطالية يجمع حوله تماماً كما فعل لينين والبلاشفة ، عنداً من الثوريين المتحمسين ، المستعدين لاغتصاب الحكم باسم العمال ، سواء وجدوا تأبيداً من العمال أم لم يجدوه . وقرر أن يتولى هو قيادهم . وكان قد شهد الاشتراكيين وهم يفقدون نفوذهم قبل اشتراك إيطاليا في الحريب ، وتخلى عن الحزب الذي أدرك عجزه عن قيادته إلى الحكم والسلطان . ولكنه آمن أن في استطاعته قيادة الفاشية إلى الحكم ، وهو الأمر الذي استهواه ، وظل يستهويه ويثير حماسته حتى النهاية . وقد اعثرف بعد سنوات طويلة ، دون إحساس بالعار أو الحيجل ، يقول . . . ٥ أجد نفسى واقعا تحت سيطرة هذه الرغبة الملحة الساعرة ، التي تحرق وجودى كله . فأن أريد أن أترك أثراً في الحقبة التي نعيشها بإرادتي ، تماماً كما يفعل الأسد بمخالبه . أربد أن أترك أثراً كهذا ! » ثم راح بمنهى الوحشية ، يخدش بأظافره الغطاء القماشي لمقعد يجلس عليه من أوله إلى آخره . واعترف بأنه ما كان ليتورع عن عمل أى شيء لتحقيق مطامعه . فالغاية عنده تبرر الواسطة دائماً . ولم تكن سياسة تأسيف الفصنائل الفاشية مثلا إلا الجهد المدروس المتعدد لإثارة القلق وتحريك مشاعر الحيبة . وقد تمكن عن طريق هذه الفضائل ، وبظهورها بمظهر الجماعات الوطنية المعادية للبلشفة ، من خلق وضع فوضوى يساعد الناس على تقبل الحكم السلطوى الذى رمت الفاشية إلى فرضه عليهم ، وتوسيعه .

وهكذا بات موسوليني رثيس تحرير الصحيفة الميلانية ، بعد انتخابات مايو عام ١٩٢١ ، وبعد أقل من سنتين من هزيمته كثوري مهان لا أصدقاء له ، شخصية قومية ، والزعيم الشاب الذي لم يتجاوز السابعة والثلاثين لحزب سياسي ، يتسع ففوذاً وبزداد عدداً شهراً بعد شهر . وكانت قيادته التي تمكن من الحفاظ عليها ، الثمرة الواضحة لمواهبه السياسية ، إذ أن الفاشيين بالرغم من أساليبهم العسكرية ، ومن عقيدتهم الوحدوية التي ينادون بها ، كانوا لا يزالون في الواقع جماعة مفسخة أشد التفسخ . وكثيراً ما اضطر موسوليني إلى تعديل إعلان سابق له، وتغيير موقف كان قد صرح بأنه لا يقبل التبدل ، ومناقضة نفسه في جهوده للسيطرة على هذه الفضائل الفاشية المتهورة المجنونة ، مع ظهوره في الخطب التي يلقيها ، وفي مقالاته التي يكتبها بمظهر الثوري الروماني ، المتقد حماسة . وهكذا نراه ، رغبة منه في توسيع قاعدة التأييد الفاشي ، يشير مثلا ، إلى الدور العظيم الذي لعبته أسرة سافوي المالكة ، والذي تستطيع أن تلعبه في تاريخ البلاد ، باارغم من أنه كان يكثر، من قبل الحديث عن « الميول الحمهورية للفاشية » . ورغبة منه أيضاً في الحصول على تأييد جيوليتي في إدخال المرشحين الفاشيين في قوائمه الانتخابية ، كان على استعداد لتأييد معاهدة رابالو التي أقرت تنازل إيطاليا عن مطالبها في الساحل المداسي . ورغبة منه كذلك في ضمان تأييد الصناعيين وأصحاب المعامل ، اللمين ألف الآن الاغتماد على عوبهم المالي ، راح بعلن في إحدى خطبه النادرة في مجلس النواب ، بأنه يجب العدول عن أية محاولات أخرى لاحتلال المصانع ، ، وهي محاولات كان قد أيدها قبل زهاء ثمانية عشر شهراً . ومع هذا كله، فقد مضي ف شهر أغسطس من عام ١٩٢١ ، بعيداً في الاتجاه المعاكس ، ووقع مع

الاشتراكيين اتفاق هدنة وسلام معلناً أن من ﴿ المُصحك حقًّا التحدث عن الطبقة العاملة ، وكأنهـــا تسير مسرعة في طريق البلشفية » ، وإنه على استعداد كلي للدفاع عن هذا الاتفاق بكل قواه . وراح يضيف قائلاً . ﴿. ﴿ وَلَوْ تَقَاعِسُ الفاشية عن السير وراثى في التعاون مع الاشتراكبين ، فلن يكون ثمة من يرغمني على السير وراء الفاشية » . ولكن لم تمض ثلاثة أشهر ، حتى اتضح أن الفاشية ليست على استعداد للسبر وراءه فى هذا الموضوع ، وأن الاتحادات الفاشية غير راغبة في قبول إنذار موسوليني بأن الرأى العام يبتعد عن الفاشية ، وأن من الضروري لتثبيت أقدامها ، وتأكيد نجاحها ، عقد هذا التفاهم البرلماني مع الاشتراكيين . وهكذا تم العدول عن الاتفاق . وبالرغم من أنه كان يعيد المرة تلو المرة ، طيلة هذا الوقت الإصرار في الاجتماعات الفاشية التي يعقدها على وجوب القيام بانقلاب للإطاحة بالبرلمان والسولة الليبرالية، وعلى أن هذا الانقلاب يجب أن يكون قريباً جدًّا، نراه ، في الوقت نفسه يكبح جماح زملائه المندفعين من أمثال إيتالو بالبو ودينو حراندی وروبرتو فاریناشی ، ویمنعهم من وضع أی خطط لتنفید هذا الانقلاب . فقد كان في الواقع أقل ثقة منهم بأن الفاشية قوية إلى الحد الكافي لضمان النجاح ، وكان أكثر لهفة منهم ، على أن يتحقق وصول الفاشيين إلى الحكم ، بتأييد عام إن لم يكن جماعيًّا . وكان كثيرون من النواب الفاشيين قد وصلوا إلى مقاعد النيابة بمساعدة خناجر أعوانهم ومؤيديهم ، وأقض العدد المتزايد من حوادث القتل يوم الانشخاب مضجعه . وقد تحدث أحد رفاقه من القتلة بشيء من الصلافة ذات يوم فقال . . . ٥ لعل المشكلة مع موسوليني أنه يربد التأييد والبركة من كل إنسان ، ولذا فِهو على استعداد لتغيير ثوبه عشر مرات في اليوم لتحقيق ذلك » .

واتضحت لموسوليني فرصته بوضوح في أغسطس عام ١٩٢٢ ، أي بعد أشهر طويلة من البردد والشك . فقد دعى في ذلك الشهر إلى إضراب عام ، تلبية لسخط الشعب المتزايد والحائب الأمل . وأعلن موسوليني ، أن الفاشيين سيمنعون الإضراب إذا تقاعست الحكومة عن منعه . وهكذا أتيحت له ثانية فرصة التدخل بالعنف تحت ستار حماية القانون والنظام . وهاجمت الفصائل الفاشية في أنكونا وليجهورن وجنوا أبنية الاشتراكيين وأحرقها وهدمها . كما حطمت في ميلان مطابع

صحيفتهم و ألافانتي ه .

ويبلو أن تأثر موسوليني قد بلغ مداه بعد شهرين عندما اجتمع مؤتمر الخزب العام في مدينة نابولى ، وتبين له إصرار أكثر من أربعين ألفاً من الفاشيين على العمل. ولذا انطلق يتكلم ويعد ويتوعد ، بصورة تفوق مهديداته في أي يوم مضي . وراح يخطب المؤتمرين قائلا . . . « وكل ما نتطلع إليه ، هو أن ندخل في هذه الله اللبرائية التي أدت مهممها واستنفدت أغراضها جميع قوى الجيل الجديد التي انبثقت عن الحرب والنصر . . . ولذا إما أن تستسلم الحكومة لنا ، أو أننا سنستولى على رومة » .

وانطلقت حناجر الألوف تصرخ هاتفة . . . رومة ، رومة . وتناقلت هذا الهتاف ألوف أخرى حملت الشعار .

۲

وكان موسوليني قد بحث موضوع الزحف على رومة مع أربعة من أبرز الفاشيين أصبحوا يحملون فيا بعد اسم و مجلس الأربعة ، وهم إيتالو بالبو الشاب الأنيق اللدى لا يتجاوز السادسة والعشرين من عمره ، والذى يتولى قيادة الفصائل الفاشية ، والجرال إميليو دى بونو القائد السابق للفيلق الإيطالى التاسع ، وسيزار ماريا دى فيشى ، عضو مجلس النواب الفاشي ، وميشيل بيانشي السكرتير العام ماريا دى فيشى ، عضو مجلس النواب الفاشي ، وميشيل بيانشي السكرتير العام للحزب . وقد روى بالبو فيا بعد ، أنه كان وبيانشي اللذين أصرا على الزحف على رومة ، وأن موسوليني كان حدراً ومتردداً ، بحيث وجلا نفسيهما مضطرين ، إلى أن يبلغاه بأن الفاشين سيزحقون على العاصمة ، وافق أم لم يوافق . لكن رواية موسوليني يبلغاه بأن الفاشين سيزحقون على العاصمة ، وافق أم لم يوافق . لكن رواية موسوليني أم لا ، في أن هذا الردد مكنه من الحفاظ على اتصالاته بخصومه . اللين لم يكن أم لا ، في أن هذا الردد مكنه من الحفاظ على اتصالاته بخصومه . اللين لم يكن موسوليني ، بدلاً من اصطباغ الثورة بالصبغة الفاشية وحدها . ولعل من المؤكل موسوليني ، بدلاً من اصطباغ الثورة بالصبغة الفاشية وحدها . ولعل من المؤكل أيضاً أنه اقتنع عند عودته من مؤتمر نابولي في شهر أكتوبر ، بأن الوقت قد حان للعمل وأن حكومة لوبجي فاكت التي خلفت حكومة إيفانو بونومى ، وهي التي خلفت وكومة إيفانو بونومى ، وهي التي خلفت

بدورها حكومة جيوليتى ، عاجزة وغير مستعدة لمقاومة أى عمل صادق وحازم ، وانفجرت الاضطرابات الفاشية فى السابع والعشرين من أكتوبر فى عدد من المدن الإيطالية ، وراح مجلس الأربعة يطالب حكومة فاكتا بالاستقالة . ولم يحل الصباح التالى ، حتى كانت أربعة أرتال تطبق على العاصمة ، زاحفة عليها . واندفعت الحكومة إلى العمل فى اللحظة الأخيرة ، وأعلنت عن عزمها على فرض الأحكام العرفية ، ولكن الملك وقد خشى أن يعنى هذا نشوب الحرب الأهلية ، وبات مستعداً لتقبل أية حكومة فاشية على أى حال ، رفض توقيع المرسوم بإعلانها ، فترك حكومته عاجزة عن أن تفعل شيئاً ، وأدى الياس من إخماد الثورة ، ولاسيا أن الأرقال الفاشية قد اقتربت من العاصمة ، إلى عرض عدد من المقاعد الوزارية ، في حكومة ائتلافية يمينية برئاسة أنطونيو سالاندرا على عدد من قادة الحزب . واقترح جراندى ودى فيشي على موسوليني قبول العرض ، واكنه رفض . فقد بات السلطان كله على مرأى منه الآن ، ولم يعد راغباً فى الحلول الوسط ، وإن كان التخوف من أن يكون قد مضى بعيداً فى تطوفه ، قد أرقه واستبد به .

وكان لا يزال قابعاً في مدينة ميلان ، وأحاطت وحدات من الجيش والشرطة بمكتبه ، وظل يتطلع من النافلة بين آونة وأخرى ، ويهتف هنا أو هناك ، عن طريق الهاتف ، متسقطاً الأخبار التي يتلهف على تلقيها . وبذل جهد الجبابرة للاحتفاظ بهدوئه الظاهرى ، وسيطرته على عواطفه ، لكن تأثره كان قد بلغ حد الجنون . وعندما اندفعت مجموعة من الدبايات عبر الشوارع متجهة إلى مكتبه في البوبولو ديتاليا » ، خرج من البناء بحمل بندقية في يده ، ويهتف هنافات لا رابط بينها ولا انسجام . وكاد أحد أعوانه اللين لا يقلون عنه حماساً ، يقتله نتيجة الخطأ . ولكن لم تكن هناك في الواقع أية مقاومة لنزحف الفاشي على رومة ، إذ كان الجيش والشرطة على استعداد للوقوف بمناى ، تاركين الزحف أن يسير في طريقه .

وجاءته رسالة هاتفية أخيراً من رومة ، تستدعيه إلى هناك للتشاور مع الملك . فرد قائلاً باقتضاب ، وقد استعاد هدوءه وثقته . . . « أريدها رسالة خطية » . وبعد وقت قصير ، وصلته برقية عاجلة تقول . . . « عاجلة للغاية — موسوليني —

ميلان . يطلب إليك جلالة الملك ، أن تتجه فوراً إلى رومة ، لأنه يعترم عرض مسئولية الحكم وتأليف الوزرة عليك ، مع احتراى . التوقيع الجنرال جيتادينى ١ - وغادر ميلان فى ذلك المساء ، متجهاً بالقطار إلى رومة . ورغب كما يبدو ، وكما قال أحد الصحفيين الذين رأوه فى ذلك اليوم ، فى أن يبدو بقميصه الأسود ، أكثر هنداماً ، فوضع على رأسه قبعة سوداء ، وعلى حذائه غطاء أسود . وعندما مثل أمام الملك ، رأح يعتذر عن لباسه غير المألوف فى مثل هذه المناسبات قائلا ... « أرحو أن نغفر لى مظهرى ١ . وراح يكمل حديثه بلهجة مسرحية ، توحى بما يريد أن يفعله ، وتبدى غروره المتناهى قائلا . . . « فقد جئت من ميدان المعركة ١ . .

## رئيس الحكومة

## من ۲۸ أكتوبر ۱۹۲۲ إلى ۱۳ يناير ۱۹۲٤

«تحب الجماهير الرجل القوى . فالجمهور كالمرأة تماماً . . . ويتوقف كل شيء على قلعة المرء على التحكم فيه كفنان أصيل . »

د كان فى وسعى أن أحيل هذه القاعة الشاحبة ، إلى معسكر مسلح لذوى القمصان السوداء ، وأن أجعل منها معرضاً للجثث . بل كان فى إمكانى أن أقفل أبواب البرلمان بالمسامير ، ، بهذه العبارات استهل موسوليتى خطابه الأول فى مجلس النواب ، بعد قبوله تكليف الملك إياه بتأليف الحكومة الجديدة .

ويالرغم من أنه كان فى وسع قوات الجيش أن تتغلب على أنصاره الذين لم يتجاوزوا فى زحفهم على رومة ، نقطة تبعد أربعين ميلا عن رومة ، لو أن الملك وافق على استخدام هذه القوات ، إلا أن تبجحه هذا ، لم يكن يفتقر كلية إلى الأساس الصحيح . لكن الشيء الثابت أن موسوليني وقد وصل إلى السلطان عن طريق التهديد باستخدام القوة ، راح يمارس هذه القوة دون تحفظ أو قيود . فقد أصدر أمره فى اليوم الذى تلا اجتماعه بفكتور عمانوثيل ، إلى خسة وعشرين ألفا من أفراد الفصائل الفاشية ، كانوا لا يزالون يعسكرون خارج العاصمة ، بدخولها فى قطارات خاصة ، ليقوموا بعرض كامل فى ساحات الكيريناني ، ثم ليعودوا بعد ذلك بهدوء إلى أماكهم . وأنزل عقوبات صارمة بجميع أولئك الذين اقترفوا جرائم عنيفة ، وكان راغباً كما يبدو الآن فى أن لا يظهر بمظهر الزعيم الفاشي فحسب ، بل فى مظهر رئيس الحكومة الإيطالية أيضاً . وقد تضمنت الوزارة فحسب ، بل فى مظهر رئيس الحكومة الإيطالية أيضاً . وقد تضمنت الوزارة الذي ألفها فى غضون سبع ساعات رجالا من مختلف الجماعات السياسية باستثناء التي ألفها فى غضون سبع ساعات رجالا من مختلف الجماعات السياسية باستثناء تلك المناهضة للقومية ، ووزع مقاعدها على الديمقراطيين الاجتماعيين (الاشتراكين) والكاثوليك والآحرار . ولم يكن من الوزراء الفاشيين إلا أربعة فقط .

وليس ثمة من شك على أى حال ، فى أنه لم يأت إلى رومة ليرأس حكومة التلافية ، بل ليحكم حكماً دكتاتوريًّا وشخصيًّا عن طريق حزبه وقد احتفظ

لنفسه بوزارتى الخارجية والداخلية بالإضافة إلى رئاسة الوزارة ، وطلب من مجلس النواب سلطات استثنائية كاملة لمدة عام واحد ، لينفذ في غضونه الإصلاحات التى رآها ضرورية وحيوية . وقد منح هذه السلطات بأغلبية ٢٧٥ صوتاً مقابل ٩٠ .

وأكب على العمل بحيوية وتصميم لم يسنطع حيى أشد ناقديه إخفاء إعجابهم بهما . وكان يصحو من نومه باكرًا ويقوم ببعض التمرينات الرياضية العنيفة ، إلى أن يتصبب لعرق من صدره الذي يغطيه الشعر الكثيف ، ثم بمضي بعد أن يتناول إفطاره المؤلف من الحليب والفاكهة إلى مكتبه اللي يصله في الثامنة صباحاً ، بعد أن يكون قد قرأ بمنهي لسرعة عدداً من الصحف الإيطالية والأجنبية ، التي تكتظ بها غرف منزله . وكانت وجبات طعامه متفرقة ، إذ أن القرحة التي قدر لها أن تضايقه وبصورة متزايدة بقية حياته ، كانت قد بدأت في التشكل في معدته . وكثيراً ما اقتصر غداؤه أو عشاؤه ، على بعض المكرونة (الاسباجيتي) ، مع قلبل من الخبز والخضار والفواكه الطازجة وفي مقدمتها « السبانخ » و العنب الأسود . وكان يشرب كميات كبيرة من الحليب وعصائر الفواكه ، وقليلا من النبيذ بسبب القرحة ، كما انقطع عن التدخين منذ الحرب . وكان في يوم ما مغرماً بالطعام والشراب ، أما اليوم فلا يأكل إلا مسرعاً ودون أية لله ، زاهياً بمائدته الاسبارطية المنقشفة ، وبامتناعه المتزمت عن الأكل فى المآدب الرسمية ، حاملا على مكثرى الطعام والشراب ، لانهماكهم في هذه الملذات الحسية المنحطة . وكان يقول إن للته الوحيدة هي في العمل ، ولعله كان صادقاً في قوله هذا في هذه الآونة إلى حد كبير . وكان يتلقى دروساً في المصارعة والملاكمة ويقبل على السباحة ولعب كرة المضرب . ويقول الذين علموه هذه الرياضات أو الذين لعبوا معه ، إنه لم يكن يمارسها ، رغبة منه فى التمتع بها ، وإنما لأنه كان متلهفاً على صحة البدن ، وعلى أن يكون له جسم قوى خشن(١١) . وكان جسمه قلد بدأ يميل إلى البدانة ، واكتنزت أصابع يديه الناعمتين ، وكان جلد فكه الأسفل، يترهل عندما ينسى

<sup>(</sup>۱) كان يخشى من العاهات الجسدية ، و لم يكن يحس بأى عطف على المرضى . وقد قابل ذات يوم الأمير تارولينا اللى شكا به من « خواج » فقال : « كان لى صديق عانى نما عانيت ، ولكنه توفى على الفور » . « المعرب »

أن يدفع به إلى الأمام . وكان يبدو عليه أنه أكبر من سنه الحقيقية التي لم تكن تعدو التاسعة والثلاثين آنذاك ، إذ أن التجاعيد كانت تحيط بعينيه الكبيرتين السوداوين ، وكان الصلع قد انتشر في مقدمة رأسه ، بينًا كان الشيب قد وخط عارضيه وما تبقي من شعره . لكن حبويته كانت من الطراز الذي لا يكل ولا يمل . وقد تميز بالقلق وكثرة الحركة ونفاد الصبر ، والحيوية والعصبية وبدا وكأنه لا ينعب ولا يسترخي . وكانت حيويته الجنسية لا تزال قوية آسرة . ولذا كان يفترس ما يعترض طريقه من نسوة كن يفدن إليه في الغرفة التي حل فيها في أحد الفنادق ، مُم في الشقة التي ارتحل إليها فيما بعد ، والواقعة في الطبقة العليا من قصر في شارع. راسيلا ، بكثير من العاطفة المتدفقة التي كانت تفزعهن وتثيرهن في آن واحد . وكان نافد الصبر مهن ومن وزرائه ، ولذا كان عمهمن كما يمهن القائد المنتصر عبيده الأسري ، وكان يبدو مرتاحاً إلى هذه الطريفة أيًّا كانت رفيقته . وكان ذوقه متميزاً بالشمول إلى حد كبير ، إذ لما كان في سني شبابه ، كان يولع بالمرأة الذكية ، وكان له ذوق خاص بمعلمات المدارس . أما الآن فقد بات يحب كل امرأة ، دون تمييز ، شريطة أن لا تكون شديدة النحول ، وأن تكون رائحتها قوية نافذة ، إما عطراً أو عرقاً . ولم يكن يكترث بالنظافة كثيراً ، ولطالما أغرق نفسه بالكولونيا مستعيضاً بها عن الاستحمام . ولما كان معروفاً بإغراقه في حب ذاته ، فلم يكن يكترث قط براحةً عشيقاته ، أو لذتهن ، إذ طَّالُما آثرٌ الأرض على السرير. لإشباع شهواته ، دون أن يخلع ملابسه، ومنتهيآ من مغامراته الغرامية في غضون دقيقة أو دقيقتين (١) . وقد تحدثت الكثيرات ممن عرفن موسوليني في مباذله ، من الصحفيات غير المتزوجات، وزوجات أعوانه من الفاشيين والنبيلات والحادمات والممثلات والزائرات الأجنبيات ، عن علاقاتهن به وتجاربهن ، دون ندم بل بكثير من الاعتزاز . وقد ذكرت إحداهن وكانت قد تألمت من مداعباته الثقيلة لصدرها أول مرة ، أنها عادت إليه ثانية ، لأنها وجلت أنها لا تستطيع « رفض رجل له مثل هذه المكانة ﴾ . وكانت هناك أخريات لم يكترثن بمكانته أو أهميته ، وإنما أسرهن بعواطفه الجنسية القوية ، ولا سيما عندما تتنحول وحشيته وشتائمه

<sup>(</sup>١) آثرت ترجمة هذه العبارات المكشونة بوجهها الصحيح ، أمانة في النقل من ناحية ، وإظهاراً النزعات الحيوانية من الناحية الأعرى .

القاسية فى المحظات الحاسمة إلى نعومة ورقة ، بعد إرضاء نزواته . وقالت الكثيرات منهن إن موسوليني كان قادراً على الحب قدرته على العشرة ، وعلى الملاطفة قدرته على الشهوة . وذكرت إحداهن أنه كثيراً ما كان ينهى مغامرته معها بالعزف على كانه ألحاناً ناعمة . وأجمعت عشيقاته على القول بأنه بالرغم من قسوته وأنانيته التي لا يقطعها إلا لمحات عابرة من العطف ، كان هناك فى موسولينى ما يأسر المرأة التي تعرفه ، وهو رفضه الانصياع إلى أية قاعدة من قواعد السلوك .

وقد نقل هذا العصيان لقواعد السلوك إلى الحياة العامة . فلم يكن يحلق في ميلان ذقنه في كل يوم . وهو لم يكن يفعل هذا أيضاً في الأشهر الأولى من حياته فى رومه . بل بات بحضر بعض الحفلات الرسمية كتلك التي أقيمت في كوست نزى تكريماً لملك إسبانيا وملكتها دون أن يحلق ذقنه . وكانت الملابس التي ألف ارتداءها في مثل هذه المناسبات مذهلة للغاية . فقمصاله ليست نظيفة دائماً ، وحذاؤه لا يصبغ إلا نادراً. لكن هذا الخذاء لم يكن يظهر إذ اعتاد تغطيته بشكل لم يعد مألوفاً في عصره . ولم يكن ليهتم أبداً « بالموضة » ، ولا يفهمها ، ولا يعرف اللباس إلا إذا سد له حاجته دون اهمام بطرازه أو بشكله . ولم يكن يعرف السبب في عدم جواز وضع الياقة السوداء مع البدلة الرسمية (الفراك) ، ولذا ، فقد دأب على مخالفة العرف. وَلَمْ يَكُن يَرَغُبُ فَيَ أَنْ تَصَابِقُهُ أَرْبِطَةُ الْحَدَاءُ وَلِذَا اسْتَعَاضَ عَنَّهَا بالمطاط . وقد ابتاع بدلة رسمية (بونجور) لارتدائها في مكتبه في الصباح ، إذ أنه كان يستلطف السروال المخطع ، والجاكتة السوداء الطويلة ، ولكنه كان يظهر فيها فى منتهى الضيق ، وكثيراً ما كان رباط عنقه فى غير موضعه ، كما دأب على رفع أتكمام قميصه المنشاة إلى مرفقه . وعندما وصلت زوجته راشيل إلى رومة للإقامة فيها تحسن منظره وهندامه بعض الشيء . لكن قدومها إلى رومة جاء متأخراً إذ آثرت البقاء في ميلان مع ابنتها إيدا ومع والميها فيتوربو الذي ولد في عام ١٩١٦، وبرونو المولود في عام ١٩١٨ . أجل لم ترغب راشيل في المجيء إلى رومة ، لأنها كانت تعرف أن مظهرها وحديثها هما مظهر فلاحة من رومانا وحديثها ، وأنها ستحس في رومة بالمتعاسة والانكماش . ولم ترغب في أن نشترك مع بنيتو في حياته العامة ، بل أرادت أن تبنَّى زُوجة له وأمَّا لأولاده ، وأن هذا هو كل ما يتوقعه ويريده منها . ويذكر أصدقاؤه ، أنهم عندما كانوا بذهبون إلى زيارته فى منزله فى شارع ميريندا فى ميلان قبيل الحرب ، كانوا يجدون راشيل ، تغسل ملابس الأسرة فى باحة الدار . . .

وراح أحدهم يسألها ذات يوم . .. . أهو فى المنزل ؟

ــ لا إن السَّيد في الحارج . . . وكان هذا التعبير صورة لما تقوله المرأة الرومانية

عن زوجه . . .

ـ ترى أين ذهب ؟

ـــلا أدرى . فلم يألف أن يخبرنى بما يفعله .

أجل؛ إنه لم يكن يخبرها قط بما يعتزّم عمله. لكنها لا تغضب ، فهذا شأن الرجال دائماً. وهي سعيدة في زواجها منه . وكانت تعرف أن زوجها الزير نساء » ، كما اعترفت فيا بعد ، أنها كانت تعلم بأن له عشرين خليلة ، ولكنها لا تكترث ، لأنها تعرف أنه يحب أسرته . وأمثاله من الرجال يحبون نساءهم دائماً . والحا فهي لا تلومه . إنها تعمل كثيراً في بيتها ، سيدة مخلصة ، طيعة وفية ، وربة بيت لا تعرف المزاح ، وإن كانت تثور أحياناً لأسباب تافهة . لكنها دائمة العبوس . وبالرغم من سذاجها إلا أنها كانت تتمتع بمكر الفلاحين . ولم تكن تفهم إلا القليل عما يفعله زوجها ، وأقل من ذلك عن عمله ، وكانت تثيره دائماً عندما تحاول أن تتقدم إليه بنصيحة أو تحذير ، وهو ما يحدث منها نادراً . ودأبت بعد انتقافا الى رومة على تسلم رسائل لا يفصح كانبوها عن هوياتهم ، وتلقي مكالمات الى زوجها ما سمعته ، بادرها يقول . . . «إنك لا تعرفين شيئاً عن هذا » . وحقاً الى زوجها ما شمعته ، بادرها يقول . . . «إنك لا تعرفين شيئاً عن هذا » . وحقاً كانت لا تعرف شيئاً ، ولله فإن قوله هذا لم يكن يسينها . . . وعندما نقلوا إليها نبأ موته قالت : «لقد كان أباً ممتازاً وزوجاً طيباً » . ولا ريب في أنها كانت موته قالت : «لقد كان أباً ممتازاً وزوجاً طيباً » . ولا ريب في أنها كانت

وبقال إلهم عندما أبلغوها نبأ تعيينه رئيساً للحكومة ، هنفت قائلة وقد بان السرور والاعتزاز والدهشة على وجهها : «باله من شخصية »

وكان رأى الذين عملوا معه ، لا يختلف كثيراً عن رأى زوجته فيه . فقد كان

عبقريبًا عند البعض ، ومجنوبًا عند البعض الآخر ، ولكنه بارز في كلا الرأيين . ولا ريب في أنه كان داعية ممتازًا ، ولم يكن يتورع عن استخدام عبقريته الدعائية، لا في إبراز شخصيته فحسب ، بل في خلق صورة لها عند الناس بعضها صحيح والبعض الآخر خيالي ، لرجل من رجال القدر ، يتصف بالدهاء الأصيل ، والعلم الغزير . ومن الواجب أن يقال على أي حال ، إن لهفته على إبراز ذكائه ، كانت واضحة وفي منتهى الغرابة . ولقد رسم له إميل لودفيج الكانب الألماني الذي تحدث إليه موسوليني في عام ١٩٣٧ في سلسلة من المقابلات ضمها كتابه ٥ موسوليني قال لى ٥ صورة إنسان واسع الاطلاع عميق المعرفة ، وإفر التجربة ، يوحي الإنسان فى نفس الوقت ، بأنه طراز ذلك الرجل الذى لا يضيع فرصة يستطيع فيها الظهور . ولم يكن بوصفه عاشقاً لذاته ، يسمح لإنسان بأن يسخر منه . ولعل من الطريف ، أن نفكر في الأعمال الكثيرة التي قام بها في حياته ، والتي نشأت عن رغبته في أن يثأر من أولئك الذين اعتبرهم مدنبين بمثل هذه الإساءة أو ما يشابهها . واكن لما كان قد تميز أيضاً ، بالسداجة في بعض أعماله ، فقد أتاح الفرصة الكثيرين للسخرية منه . ويقول لودفيج . . . يا ولم يحاول قط أن يصحح أخطائي أثناء حديثي إليه بالإيطالية . ولكن عندما حدث ذات مرة ، وأسأت لفظ اسم فرنسي ، أطلت منه شخصية المعلم القديم ، وراح بصوت خفيض ينطق الاسم كما يجب أن ينطق . وعندما أراد ذاتُ يوم الحديث عن " تقييم أحسن القيم " بالألمانية وراح يقترف هفوة صرفية رغم معرفته الكاملة بلغتنا ، سارع إلى تصبحيح هفوته بنفسه مضيفاً أنها نشأت عن الحلط بين المفرد والجمع ، وكان يكثر من القول عند الحديث إلى أعضاءحكومته وغيرهم . . . « أرجو أن تغفروا لى عباراتي العلمية » . وقد سمجل أولريخ فون هاسيل الذي غدا فيا بعد سفيراً لألمانيا في رومة وفيليبو أنفوسو ، الدبلوماتي الإيطالي ، هذه اللهفة من جانب الدوتشي ، للظهور بمظهر العارف لأكثر مما يعرف . ويروى لنا أنفوسو قصة الحديث الذي دار ذات يوم بينه وبين مُوسُولِينِي وَأَسْرِتُه ، حيث تحدث الدوتشي عن معرفة نيتشة (١) الرائعة بالإغريقية . وهنا قاطعه أحد أولاده بصوت رقيق قائلا . . . ة واكنك لا تعرف الإغريقية

<sup>(</sup>١) تحدثنا عن نيتشه في هامش سابق .

يا أبي » . وعندما تظاهر أبوه بأنه لم يسمعه ، عاد الولد يكور ما قاله . ووجد موسوليبي نفسه، مضطرًا للخروج بضيفه من الغرفة . وروى هاسيل بشيء من الازدراء ، كيف أن موسوليني أمر ذات يوم المصورين بتصويره وهو يفوز فى مباراة للشطرنج ، مع أنه كان لا يعرف شيئاً عن هذه اللعبة . وشك هاسيل أيضاً كما شك غيره كثيروين ، في صحة ما اشتهر به من ذاكرة قوية ، وقال إنها لم تكن أكثر من خدعة ، فقد كان يحفظ بعض الأرقام والإحصاءات قبل أية مقابلة ، لبؤثر على سامعيه ، عندما يأخذ في ذكرها وكأنه يخرجها من أعماق ذاكرته . لكن لودفيج خدع بهذه الحيلة التي خدع بها أيضاً كثيرون من وزرائه ، الذين كان يسلك معهم سلوكاً يتعمد أن يوحى لهم عن طريقه بالمهابة والإعجاب . وكان يبدو أحياناً فظاً إلى حد الغرابة ، بينما يبدو في أحايين أخرى في منهى الدماثة واللطف ، فهو متناقض الشخصية إذ يبدو متعجلا حيناً ومغرقاً في الأناة حيناً آخر . عنيفاً في غضبه تارة ومتسامحاً كل التسامح تارة أخرى . ولم يكن وذراؤه يعرفون موقفه منهم ، وهل سيظلون في مناصبهم أو يستبدل بهم غيرهم دون سابق إندار ، ودون أي سبب يفهمونه ، وإن كان كثيراً ما يكون شعوره بتزايد نفوذهم ، مما يؤلفِ خصراً على مركزه في قمة السلطان الذي كان قد حزم أمره على الاحتفاظ به . وَكثيرًا ما هتف في الصباح إلى أحد وزرائه ، صارخًا مزهجرًا ، مُهالا عليه بتعلياته وأوامره ، ثم لا تمضى ساعة أو ساعات ، حتى يعود فيهتف إليه ثانية ، متحدثاً إليه وكأنه من أقرب أصدقائه . أجل ؛ كان عسيراً على الفهم، حاد الطبع ، نابضاً بالحيوية ، معترًا بإدراكه للسلطان الذي يماكه . وكان قادراً على أن يبعث الخوف والفزع في رفاقه أثناء غضبهم ، وأن يحملهم على التفاني في حبه نتيجة صفحه وغفرانه .

ولم تحض شهور على وصوله إلى الخكم ، حتى كان نجاحه قد بات مضموناً : وتحول الجيشان والفوضى فى إيطاليا إلى حالة من الترقب المعجب الحذر . وعاد العمال إلى مصانعهم ، وزاد إنتاجهم ، وخلت الشوارع من النظاهرات وهدأت ، وآب الطلبة إلى معاهدهم ودراساتهم . ولم يكن لديه برنامج سياسى محدد عندما وصل إلى الحكم ، وكان جل همه ، أن يضمن التوازن فى الموازنة ، ويضمن الوضع العادل

الطيب للعمال ، وأن يسير بسياسة البلاد الخارجية بمنهى التصميم والاحتفاظ بالكرامة . وكان يقول دائماً . . . «سننجح لأننا نريد أن نعمل » . وتمكن بعبقريته الدعائية من إيهام الشعب بأنه يعمل كثيراً ، لا في مكتبه فحسب ، بل في المصانع والمزارع أيضاً ، حيث كان يقوم بتشجيع العمال والفلاحين وحبهم على العمل . وكثيراً ما نشرت الصحف صوره وهو يحمل «الطوب » بيديه ، أو يطرق المحليد بإصرار وتصميم في المصانع ، أو يحصد القمح ، وقد بدا صدره كما يريد هو أن يبدو عارياً ، متألفاً في ضوء الشمس .

وسار الإيطاليون على خطاه . كان أصغر رئيس الوزراء ، عرفوه فى تاريخهم ، وكثيراً ما أظهر لعليد منهم زهوهم به . وقد قبلوا عن طيبة خاطر ، عودتهم إلى العمل ثمانى ساعات فى اليوم ، كما ارتضوا ما أجراه من تخفيضات فى موازنة النفقات الحكومية ، التى كانت قد ارتفعت ارتفاعاً هائلا فى ظل الحكومات السابقة ، بحيث قدر العجز فى عام ١٩٢٢ – ١٩٢٣ بنحو من ١٥٠٠ مليون ليرة إيطالية ، بالإضافة إلى قبولم إحالة الألوف من الموظفين على التقاعد ، أو نقلهم إلى أعمال أخرى . ولم يمض عامان على حكمه حتى كان العجز البالغ خسيائة مليون ليرة فى الحدمات البربيدية قد تحول إلى وفر قدره ٣٤ مليوناً حسب الإحصاءات الفاشية التي ظهرت صختها ، كما تحول العجز فى السكك الحديدية والبالغ ١٤٠٠ مليون ليرة إلى وفر قدره العجز فى السكك الحديدية والبالغ ١٤٠٠ مليون اليرة إلى وفر قدره المهوناً . وبات الإيطاليون يزهون بالقول بأن القطارات أصبحت تسير فى مواعيدها المقررة .

حقاً شرع الإيطاليون يزهون بأشياء كثيرة . وبدا لهم أن الفاشية ناجعة في عملها . ونع موسوليني بتأييد الشعب له ، وكان يحرص أشد الحرص ، على تنمية الانطباع لدى مواطنيه بأنه قد أنقذهم من لفوضي والبلشفة . وكانت خيبة أمل العمال في قادتهم الاشتراكيين ، واستياقهم من دعاة الإصلاح الاجهاعي ، وعجز الشيوعيين الإيطاليين عن الاتفاق على سياسة واحدة مشتركة ، عوامل أدت إلى إنقاذهم من البلشفة . وقد أدرك موسوليني هذه الحقيقة ، وقاده إدراكه هذا إلى السخط على أولئك الذين اكتشفوا الحقيقة وأذاعوها ، وهي أن الفاشية ليست إلا الثورة المضادة لثورة لم تقع في إبطاليا قط . وكان قد أعلن بشيء من المبالغة التي

لها ما يبررها قبل أمد طويل من الزحف على رومة أن البلشفية a ماتت في إيطاليا » . لكن الادعاء بأن الفاشية قامت في إيطاليا لإنقاذها من البلشفة أسطورة من الأكاذيب التي حاكت الفاشية نسيجها . ولعل الأكذوبة الثانية ، التي انبيتقت عن الأولى ، لتغدو في النهاية الظاهرة المميزة للعقيدة الفاشية ، هي أن الزعم هو الإنسان الأكمل (السوبرمان) ، وإنه ليس مجرد قائد الفاشية الكلي القوة والحكمة والذي لا يخطئ أبدآ فحسب ، بل إنه كذلك ، إله أو شبه إله ، يتميز يالعدل والرحمة والإحسان . وبالرغم من أن أنبياء الفاشية ، كانوا قد أعلنوا في البداية ، أنها تمثل حركة لا عقيدة ، وبالرغم من أن موسوليني نفسه كان قد ذكر بأن « برنامجنا هو العمل ، فليست لدينا عقيدة جاهزة » ، إلا أنها أخذت تعرض الآن نفسها كقوة خلقية بالإضافة إلى كونها قوة سياسية ، وكثيراً ما قال الدوتشي بأن الفاشي الصادق يجب أن يتميز بالنزعة السلطوية وإلحيوية والصرامة والاتجاه القومى ، وأن 1 يعتبر نفسه التابع الأمين لعقيدة تقوم على الانضباط الكامل . . . وأن يؤمن بأنه الحليفة الشرعى لقيصر . . . . » وذكر الأستاذ ألفريدو روكو ، وهو من أوائل مثقفي الفاشية ، موضحاً فلسفة الموتشي العسيرة على الفهم ، والقائمة على الاستنتاج ، أن الفاشية « ترفض النظريات الديمقراطية للدولة ، وترى أن المجتمع لا يوجد من أجل الفرد ، وإنما يخلق الفرد من أجل المجتمع ، ولا تلغي الفاشية وجَود الفردكما ألغى الأفراد وجود المجتمع في بعض العقائد البدائبة، وإنما تخضع الفرد للمجتمع تاركة إياه حرًّا في تنمية شخصيته في خطوط يفيد منها مواطنوه » .

وقام روكو وبجنتين وغيرهما من المدافعين عن الفاشية بمحاولات عدة ، ليظهروا أن النظرية الفاشية لا نتناقض بحال من الأحوال مع «الاتجاهات الأساسية للتاريخ الإيطال» . وكانوا بحاولون إظهار جاريبالدي(١) ومازيني بمظهر الميالين إلى النظرية الفاشية في صميم فؤاديهما . لكن مثل هذه المحاولات لإيضاح الفاشية فكريًا وتاريخيًا ، لم تترك أثراً ملحوظاً لدى الشعب الإيطالي، وقد اعترف موسوليني نفسه ذات يوم بأن القصد منها هو التأثير على الأجانب لا على الإيطاليين أن لا يحاولوا فهم الفاشية وأن عليهم الإيطاليين . وكان يقول إن على الإيطاليين أن لا يحاولوا فهم الفاشية وأن عليهم

<sup>(</sup>١) من أبطال الوحدة الإيطالية في القرن التاسع عشر .

تجربتها ليس إلا . فعليهم أن يحسوا لا أن يفكروا . ولعل الرغبة في التأثير عليهم بطبيعتها العاطفية هي التي دفعت موسوليني وصعبه إلى إظهارها بمظهر «الرؤيا الصوفية الباطنية ؛ التي تعتمد الرموز والطقوس ، والقواعد الدينية ، وأساليب الرقص وألحانه ، والتعاويد الوراثية ، وزخارف القرون الوسطى ، والاتصال ، بالروح التقليدية لرومة القديمة » . وقال ناقدو الفاشية عنها إنها البديل الزائف بل الاصطناع الفكري والسياسي على حد تعبير إيجنازيو سيلوني ، وإن كان موسوليني قد أعجب بهذا الزيف والاصطناع . وفي وسع الفاشية في رأيه أن تحل محل الحقيقة والحرية والفن والفكر والاشتراكية والديمقراطية ، وأن تؤمن له وهذا هو الأهم ، الحاجة إلى القائد وإلى الني .

وعثرت الفاشية في شخص موسوليني على هذا القائد والنبي . وراح بنمى في الخطب التي يلقيها في جميع أرجاء البلاد بعد أن يجهد في إعدادها ، وإن تظاهر بإلقائها ارتجالا ، مضمناً إياها عبارات وكلمات سحرية يصعب حفظها ، تلك القدرة الخطابية الرائعة والبليغة على الاتصال بالجماهير ، التي مارسها منذ عهد طويل في وزمانا . وكان أسلوب الحوار الذي يتبعه ، والذي طالما سحر الجماهير في مسقط رأسه ، وكان الطريقة التي انبعها د نونزيو نفسه في مغامرته في فيوى ، يأسر ألباب الشعب كله ، فيحس بأنه قد أفاق و بعث ، ليمضي إلى مستقبل زاهر جديد ، بقيادة الرجل الذي لا يعجز عن تحقيق أي شيء . وكانت المتافات المتكررة التي لا معني لها من أمثال لا إيا ، الا لا ، الا لا ، الا لا ، الى ابتكرها دانونزيو أيام الحرب ، والتي أصبحت جزءاً لا يتجزا من الطقوس المجنونة للنظاهرات الفاشية ، تزيد في أوهام الوحدة والسلطان عند الشعب الإيطالي ، وتدفعه في الطريق المل حتى عبادة الفرد .

ومع ذلك ، كان يقال للشعب ، إن الدوتشى بالرغم من عبقريته التى لا تنضب ولا تستهلك ، ليس إلا رجلا بسيطاً وطيباً . فالدموع تنهال من عينيه عندما يتحدث إلى الفلاحين الجياع فى الجنوب ، وعندما يرى ما هم عيه من شقاء وذبول ونحول . وكان يقول لهم . . . « سأعتنى بكم كل العناية ، فقد عرفت بنفسى

معنى الجوع » . وكان هذا القول موضع تصديقهم ، لأن قائله محل ثقتهم (١١).

وكثيراً ما قيل لهم إنه رجل متواضع . فعندما كرمته مدينة فلورنسة باختياره مواطن شرف فيها ، سمعه الناس وهو يقول . . . « لا أرى نفسي جديراً بهذا الشرف ، . وهو لا يرضى بأن ينال شهادة فخرية في القانون من جامعة رومة ، إلا إذا قدم لها أطروحة ، تبرر حصوله على هذه الشهادة . وقد رفض وشاح أنونزياتًا ، أرفع الأوسمة الإيطالية شأناً ، عندما قدم إليه أول مرة ، ولم يكن رفضه ناجماً ، كما اعترف حتى خصوبه ، عن خطة مدروسة ، وإنم نشأ عن عزوف أصيل في نفسه عن الاهمام بمثل هذه الأمور . وقد روى وزير خارجيته بعد سنوات طويلة ، أنه كان قد طلب إلى الدونشي الإذن بتقدم القلادة العظمي من وسام سان موريزيو ، إلى باللـور فين شيراخ. ، الألماني ، فرد موسوليني قائلا ، وقد ظهرت عليه علائم نفاد الصبر . . . و أجل ، وفي وسعك إذا شئت ، أن تعطيه كل أوسمتي الحاصة أيضاً » . وتحدث شيانوعن واقعة أخرى أيضاً ، عندما وجدت وزارة الفنون الجميلة مشقة بالغة في العثور على تحفة فنية تصلح كهدية لماريشال الرايخ جورنيج بمناسبة عيد ميلاده الحمسين ، فقال . . ﴿ وَكَانَتْ لَدَى الدوتشي في منزله . قطعة فنية واحدة ، هي الصورة الشخصية التي رسمها مانسبيي ... وعندما سمع بأن هدية ستقدم إلى جورنج . . . راح يفكر على الفور ، بالتحفة الموجودة في بيته . وقد تطلب مني إقناعه بالمعدول عن هذه الفكرة أمداً طويلا . . . ولا ريب في أن عدم إهمهام الدوتشي بمقتنياته الخاصة شيء عجبب حقاً » .

وقرر إثر مجيئه إلى رومة ، ألا يقبل مرتباً ، لا كرئيس للوزراء ، ولا كوزير

<sup>(</sup>١) هناك قصنان تعرضان عبادة مئات الأموف بل الملايين من الإيطاليين الجهلة الشخص الدرتشي . فعندما ثار بركان إتنا في الجنوب ، وراح موسوليني يزور المناطق المهددة ، ساد الناس إيمان شامل ، بأنه نجح من حيث فشل كانيوت (ملك دانماركي يقال إنه عمل المعجزات في القرن الحادي عشر ) في كبع جماح قوى الطبيعة ، وقد نقلت إحدى الصحف هذا الإيمان كحقيقة واقعة . وعند ما قامت إحدى الإيطاليات بزيارة ضريح أروفيينو الإيتروسكاني ، وقبل لهاؤن الكتابات المنقوشة على الضريح لم تفهم بعد لانها مكتوبة بلغة مجهولة ، قالت بكثير من الإيمان : ولعل السبب في هذا أن موسوليني لم يزر هذا الضريح بعد ، ولكنه عند ما سيزوره فسيعوف ما كتب عليه » . ولم تكن هذه الثقة النريبة مقتصرة عل هذه السيدة وحمدها .

أو نائب ، معتمداً في معاشه على الأجر الذي يتقاضاه من المقالات التي كان يكنبها إما لصحيفة البوبولوديتاليا أو بعض الصحف الأمريكية(١). وكان يحتقر احتقاراً كليًّا وعميقاً أولئاك الذين لا هم لهم إلا جمع الثروات . وكثيراً ما أطلق على هذه الرغبة اسم الجنون أو الهوس ، واصفاً أياه ، بأنَّه مرض ، معزياً نفسه بالتفكير بأن الأغنياء لا يكونون سعداء إلا نادراً ، مشيراً دائماً إلى روكفلر الذي عاش ه على الحليب والبرتقال طيلة الستة عشر عاماً الأخيرة من حياته » . واكن بالرغم من أنه لم يكن صاحب ثروة حاصة ، ولم يرغب قط في جمعها ، فإنه لم يكن متخشناً في عيشه ، وإن لم يعن هذا أنه كان أبيقوريًّا يعيش على ملذاته . فعشيقاته لم يتلقين منه ثمين الهدايا ، وكان جل ماتناله الواحدة منهن زوجاً من الجوارب ، أو زبجاجة من العطر . أما أولاده ، فقد تاقوا العلم في المدارس الرسمية ، وعاشت زوجته حياة بسيطة . وكان هو يقضى الأسابيع في ارتداء بدلة وإحدة وإن كان لم يتورع قط عن إرضاء أية نزوة من نزواته بحجة التوفير أو الاقتصاد . وكان قد تلقى دروساً فى الطيران فى ميلان ، وأصبح طياراً مجازاً ، فقد اقتنى طاثرته الحاصة ، وأصبح يطير بها كلما شعر بميل إلى الارتقاء في الجو . وأحب قيادة السيارات ، ولذا فقد ابتاع سيارة سباق حمراء وثمينة . وعشق ركوب الخيل ، وسرعان ما حشد عدداً من خيرة الجياد في إسطبلاته . وكان بحب عرض الجيوش والأساطيل ثم هوى العروض الجوية ، وكثيراً ما اتهمه خصومه ، بأنه كان يأمر بإجراء هذه العروض الباهظة التكاليف ليرضى بها ميوله الشخصية . وأحب الحيوانات ، وعندما توافرت للديه الأماكن لاقتنائها ، أصبح للديه ما يقع في حدود حديقة حيوان خاصة تضم الحيول والكلاب والظباء والقرود والنسور والوعول والنمورة والقطط، التي كان يؤثرها على سائر الحيوان . واقتنى في قفص في غرفته ، حيوان ( البيومة ) الأمريكي الأصل . واكن هذا الحيوان ، اقتحم جدران قفصه ذات ليلة وراح يجول في الدار ، باعثاً الرعب والفزع لدى خدمه وموظفيه . وكان يحب الأفلام السبمائية ، ولا سما أشرطة

الأخبار التي كانت تعرضه وهو يخطب الجماهير ، مؤثراً عليها ، وأفلام لوريل وهاردى الهزلية ، ولذا فقد أقاموا له داراً خاصة للسيها . وكان له بيتان بالإضافة إلى دارته على شاطئ البحر ، أولهما دارة تورلونيا في رومه ، وثانيهما ه روكاديلا كاميناتي » في رومانا ، وقد قدمت له مقاطعة فورلي هذا البيت هدية منها له .

تقع درة تورلونيا ، وهي منزل كبير جميل لطيف المناخ ، ذو منظر كلاسيكي رائع ، ورء أسوار عالية وسط حديقة غناء في شارع نومينتانا القائم وراء ميدان «بورتا بيا». وكان صاحب هذه الدارة الأمير جيوفاني تورلونيا ، وهو أحد أصحاب المصارف الكبيرة في رومة ، قد وضعها تحت تصرف الدوتشي للمدة التي يشاؤها . وقد قبل موسوليني الذي أعجب بفخامة الدارة وبأسوارها الصفراء العالية التي تضني على بيوت رومة القديمة جمالًا لا يضاهي ، العرض شاكراً ، إذ أحب العيش في مثل هذا المنزل المربح ، ولكنه كان كثيراً ما يحب الفرر إلى بيته الآخر ، وهو قصر إقطاعي منيفُ يقوم على قمة رابية عالية ، يستطيع أن يرى منها أمامه ، الريف الذي قضى فيه أيام صباه ليصل بنظره إلى جبال الأبنين فى الجنوب ، وإلى شطئان البحر الإدزياتي البعيدة في الشرق . وكان هذا القصر مهدماً عندم أهدى إليه ، ولكن مبالغ ضخمة من المال أنفقت عبر السنين على ترميمه وتجديده، وأصبح حاشداً بالهدابا الني كانت تنهال على الدوتشي من كل مكان في العالم ، بحيث أضحى إذا ما استثنينا مكتبه الحالي من اللَّوق في أثاثه ، والمرصعة جدرانه بالصور التي تعرضه الكثيرات منها في أوضاع نشاطاته المختلفة كالرياضة والطيران ورعاية الأسرة وإدارة الحكم ، أشبه ما يكون بالمتحف لا بالمنزل . وقد أفضى في أخريات أيامه إلى الطبيب الألماني الدكتور زاخاري ، بأنه كان يأمل أن يحول منزله هذا إلى متحف . وأخبره أيضاً أن تحفه تضم صورة مرسومة على الحرير ، أهداها إليه إمبراطور اليابان ، وتعتبر أجمل تحفة من نوعها في العالم ، وأن أحد أصحاب الملايين من الأمريكان ، أثاره عندما عرض عليه عدة ملايين من الدولارات ثمناً لها . واستطرد موسوليني يقول لصاحبه ، إنه لم يستطع بيعها ، لأنها ليـ ت ملكاً خاصًا به ، وإنما هي ملك لإيطاليا كلها .

وكان هذا الربط بينه وبين بلاده، قد غدا، ولاسيا في الآونة الأخيرة، الكابوس

المسيطر عليه ، بحيث بات يعتبر كل حملة تتعرض لها إيطاليا ، وكأنها إهانة شخصية موجهة إليه ، ولا ريب أيضاً في أنه كان جزءاً من السر في هذه السيطرة التي كانت للدوتشي على ولاء شعبه وخياله . وكانت قومية الدوتشي المتعجرفة والمزهوة تمثل أعظم إلهام منه في حركة بعث إيطاليا في عيون الوطنيين الإيطاليين من أبناء الجيل الجديد الذي اقتحم الحياة في عشرينات القرن . ولكنه بدا في عيون الغالبية الغالبة من أبناء الشعب الإيطالي كله ، في هذه الحقبة المبكرة من تاريخه لا في عيون أبناء الجيل الجديد وحدهم ، القدوة الذي لا يجاري ، والمثل الذي يصعب الوصول إلى تقليده ، فهو لا يخطئ أبداً . وكان يحرص على أن يسير ببطء للغاية في البداية ، وأن يعمل بعيداً عن الأضواء ، حتى إن بناء الدولة الجديدة اللاليبرالية كان يتم دون أن يلاحظه أحد . فلم يكن صاحب سياسة مقررة ، وإنما كان يتبنى الأفكار والسبل ، كما تتراءى له ، حالا المشاكل حلا عارضاً عند بروزها ، مضفياً على عهده صورة « فاشية تقلمية » على حد تعبير قانون المعارف اللَّمَى أصلوه جنتيل في عام ١٩٢٣ ، ومعطياً إياه حيناً آخر صورة ا وقوراً ومحترمة ، نتيجة موقف الإجلال اللي وقفه من شدة حاسبة المقترعين الكاثوليك والكنيسة . وكان اضطهاده المتزايد للحرية ، التي وصفها في خطاب عام ألقاه ، « بالآلهة المتعفنة » ، هو الطريق الذي خطت فيه الفاشية ، والذي « لا بد أن تعود السير فيه بهدوء المرة تلو المرة إذا تطلبت الضرورة » ، على اعتبار أنه ضرورة لا بدمنها إذا أرادت إيطاليا أن تغدو قوية وأن تزيح عنها انكماشات التفرقة التي كانت تتسلل إليها منذ سنوات طويلة . ولم يأسف ملايين الإيطاليين على تحول برلمانهم ، إلى مجرد مجتمع للعجزة ، لأنهم وافقوا على ما وصفه به موسوليني من أنه « مجمع القواقع القديمة » . وقد قبلت غالبية الشعب الغالبة ، حرمان الصحافة المتدرج من حريبها ، وإقامة حرس وطنى فاشى معظمه يضم تحوَّا من ماثني ألف رجل لبحل محل الفصائل الفاشية السابقة والسيئة التنظيم ، وليجمع أفرادها إلى صقوفه ، وحل فرق الحرس الملكي الذي لم يلق إلا مقاومة ضعيفة ، وامنداد السنن والشرائع الفاشية إلى كل درب من دروب الحياة الإيطالية يصلح لسريان العدوي ، والعقوبات العنيفة التي تنزل بالنقاد الذين يجهرون برأيهم في نقد النظام ، كمتطلبات أولية لا بد منها لقيام إيطاليا الجديدة التي وعدوا بها . وقد أعلن موسوليني نفسه في شهر يوليو عام ١٩٢٤ . . . « لم يطلب إلى الشعب في المرات العديدة التي قابلته فيها وجها لوجه ، وتحدثت إليه فيها عن كثب . . . تحريره من الطغيان الذي لا يحس به لأنه غير قائم . وكان كل ما يطلبه الشعب مني المزيد من السكك الحديدية ، والمنازل والحجارى والجسور ومياه الشرب والنور والطرقات . ولا ريب في أن قوله هذا صادق إلى حد كبير . فقد شعر الناس بفوائد الفاشية بحيث هانت عليهم أخطاؤها وعيوبها .

وكان موسوليني نفسه يبرأ دائماً من التحريض على عمليات ضرب خصومه الوحشية والدموية . ومن الحق أن يقال إنه بالنسبة إلى الأدلة المتوافرة ، لم يكن يأمر بها ، وكان يحرص أشد الحرص ، على عدم الظهور كمحرض عليها . ولم يظهر اشتراكه في مثل هذه الأعمال إلا فادراً ، كالحالة التي اكتشفت فيها إحدى الصحف الفرنسية ، بقايا برقية بعث بها موسوليني إلى مدير شرطة تورين ما ابنت الصحيفة آن نشرتها ، وفيها يأمره بأن يجعل حياة بيترو جوبى العدو الحطر للفاشية «أمراً لا يطاق ﴾ ، وقمد نفذ المدير أمر الدوتشي ، وضرب الرجل ضرباً عنيفاً في تورين حتى إن أضلاعه المحطمة ، خرقت إحدى رثتيه . ويقول سيزار روسي ، الذي كان رئيساً لدائرة الصحافة الفشية في تلك الأيام إن مراكز الحزب الرئيسية في فلورنسة وميلان وبيزا ومونزا وغيرها من المدن الصغيرة ، تلقت في يوليو عام ١٩٢٣ ، تعلمات من موسوليني بتدمير المكانب المحلية للنوادي والاتحادات الكاثوليكية . وتلتى وزراء الشرطة فى جميع المدن التى وقعت فيها المظاهرات المعادية لاكماثوليات فى الوقت نفسه ، برقبات من موسوليني هذا نصها . . . « بالنظر إلى ما أثارته الحوادث الأحيرة المعادية للكاثوليك من ردود فعل سيئة في الفاتيكان ، فقد يكون من المفيد أن يقوم القادة المحليون في الاتحادات الفاشية الإقليمية رسميًّا، بزيارة الممثلين البابويين لتقديم أسفهم على ما حدث ، وتأكيد إجلال الفاشية الكنيسة من

ولا ربب فى أن المحاولات التى قام بها المؤرخون الفاشيون ، لتبرئة موسوابنى كلية من تهم الاشتراك فى جرائم من هذا الطراز ، أو لإنكار وجودها كل الإنكار ،

مغرقة فى الرياء والحداع . فمنذ أصبحت الصحافة خاضعة السيطرة الفاشية لم تعد تنشر شيئاً عن هذه الأحداث ، أو لم تعد تنشر عنها إلا المختصر الموجز . واكن الشيء الثابت هو أن هذه الحوادث استمرت أمداً ما ، وأن الدونشي كان قد أعان أكثر من مرة لأوساط حزبه إيمانه بأن بقاء الفاشية يتطاب أن يظل أعداؤها فى خوف وقلق دائمين .

ولكن الملايين من غير الفاشيين ، الذين كانوا على استمداد التغاضى عن مساوئ العهد الكبيرة ، أملا فى أن تكون هذه المساوئ النمن الذى تدفعه البلاد الحصول على مستقبل شريف ، فوجئوا فى صيف عام ١٩٢٤ ، بما هزهم هزا عنيفا وأثار سخطهم وهياجهم ، مما تعدر نسيانه ، واستحال تلطيفه إلى أمد بعيد . ولم يكن موسوليني هو الذى أصدر أمره بما اقترف ، كما لم يعرف بالخطة التي دبرت ، ولكن مسئوليته عنه لا تقل عن مسئولية هنرى الثانى عن مقتل توماس بيكيت (١). لكن موسوليني اختلف عن هنرى ، فى أنه لم يذهب إلى قبر الضحية معلناً ندمه وأسفه ، وطالباً الصفح والغفران .

<sup>(</sup>۱) قصة شميرة في التاريخ لإنجليزي . كان توماس بيكيت (۱۱۱۹ – ۱۱۷۰) رئيساً لوزراء إنجلترا ، ورئيساً لأساقفة كنتر برى . ونشأ الحلاف بينه و بين الملك الذي كان راغباً في تحطيم سلطة الكنيسة مما أرغمه على الفرار إلى فرنسا فرومة . سوى الحلاف بينهما في عام ۱۱۷۰ ، وعاد بيكيت إلى إنجلترا حيث استقبالا حافلا . ما لبث الحلاف أن عاد واشته فقام أربعة من فرسان الملك بقتل رئيس الأساقفة في مقره الرسمي .

۵

## الديكتاتو ر

من ۱۳ یولیو ۱۹۲۶ – ۱۰ یونیو ۱۹٤۰

« ليست الحرية غاية في حد ذائب ، و إنما هي وسيلة لتحقيق غاية . وهي كوسيلة ، يجب السيطرة عليها ومراقبتها »

١

أعد موسوليني في صينف عام ١٩٢٣ مشروع قانون عرف فيها بعد باسم « القانون الانتخابي الفج ، ، إذ أقر تفسيم إيطاليا إلى خمس عشرة داثرة انتخابية ، يطلب إلى المقترع فيها أن يقترع إلى جانب الحزب اللي يختاره . ونص القانون على أن الحزب اللَّى يحصل على العدد الأكبر نسبيًّا من الأصوات ، شريطة أن لا يقل عن ربع مجموع أصوات الناخبين المقرّعين ، ينال ثلثَّى المقاعد في المجلس ، بينًا يوزع الثلث الباقى على الأحزاب الأخرى ، على أساس النسبة العددية للأصوات التي حصل كل حزب عليها . وبالرغم من أن هذا المشروع قد لتي معارضة من الاشتراكيين والأحرار (اليبراليين) والكاثوليك على السواء ، إلا أن معظم التواب لم يكونوا قد فقدوا ثقتهم بمكومة موسوليني وكانوا على استعداد لتأييدها ، أوللامتناع عن التصويت على القانون على الأقل. وأقر مجلس النواب ، الذي شهد عدد كبير من ذوى القمصان السوداء جلسته في شهر يوليو من شرفات المجلس ، المشروع بأغلبية كبيرة ، وعاد مجلس الشيوخ فأقره بأغلبية أكبر في شهر نوفمبر . وجرت الانتخابات في أبزيل من السنة التالية ، ومضت جماهير المقترعين إلى صناديق الانتخاب ، تراقبها عيون الحرس الوطني الفاشي (المليشيا) . وكان فشل المُعَارضة في الاتفاق على سياسة مشتركة ، والرعب الذي نزل بالصحف المعارضة ، السبب في استجابة البلاد للنداء الذي وجهه موسوليني إليها لتأييده في مواصلة العمل الذي شرع فيه ، والذي حقق فيه الكثير ، فانتصر نصراً كبيراً ، ونال حزبه ( ٢٥،٢٥ ) فى الماثة من مجموع الأصوات ، باستثناء تلك التي أعطيت لمرشحي الأقلية الذين أعلنوا عن استعدادهم لتأييد الحكومة . كان النصر طاغياً ، إذ مثل أَكبر أغلبية نالتها أية حكومة إيطالية منذ أيام كافور ، وقد تحقق ، كما ادعى الفاشيون زهواً وخيلاء ، دون أى ضغط أو إكراه ، إلا فى بعض الحالات الشاذة المتفرقة .

وهكذا أكدت الفاشية التي وصلت إلى السلطان عن طريق تهديد القوة ، سلطانها الآن بإرادة الشعب . وأراد موسوليني الذي تعزز مركزه كل التعزيز بهذا النجاح أن يعود إلى الأوضاع السياسية العادية ، بل فكر في شكل من أشكال التعاون مع الاشتراكيين ، وراح يعلن في السابع من يونيو بعد أن اقترع المجلس الجديد على الثقة بالحكومة بأغلبية (٣٦١) صوتاً مقابل (١٠٧) ، أنه على استعداد لإدخال عضوين اشتراكيين في وزارته .

ولم تحض أيام ثلاثة ، حتى كان أحد النواب الاشتراكيين واسمه جياكومو ماتيوتى ، وهو ملاك غنى من روفيجو كان موسولينى يصفه بأنه من أصحاب الملايين ، يختنى من مدينة رومة . وكان هذا النائب من أشد خصوم الفاشية وأكثرهم جرأة ، وأكان المعتقد أنه يعتزم نشر بعض الوثائق التى تكشف عن بعض الأعمال اللامسئولة ، والوحشية التى قامت بها العصابات الفاشية . وفي الثالث عشر من يونيو ، عثر على جئته مدفونة في قبر صغير على بعد عشرين كيلومتراً من العاصمة .

ووصل نبأ مصرع الرجل المخترم الشجاع إلى عناوين جميع الصحف في طول العالم وعرضه . وبينها أشار إليه المدافعون عن الفاشية واصفيه بأنه مهيج « تافه » وشرير ، يعتبر مصرعه على أى حال «حادثاً مؤسفاً » ، وإح الأحرار في كل مكان يتحدثون عنه كبطل من الأبطال ، وشهيد من شهداء الاشتراكية ، سيظل اسمه مع الحالدين إلى الأبد . وهكذا وقعت الواقعة . وظل الناس يذكرون أن موسوليني هو قاله . ولا ريب في أنه كان قاته ولكن ليس على النحو الذي يصر خصوم الفاشية على تأكيده . ويعرب كارلو سيلفيسترى ، الصحفي الإيطالي المناهض الفاشية والذي اجتمع كثيراً بموسوليني في الأشهر الأخبرة من حياته ، عن ثقته بأن موسوليني لم يعرف شيئاً عن مؤامرة الاغتيال ، وأنه غير مسئول عنها . واقتنعت السيدة ماتيوتي أرملة الفقيد بأن موسوليني لم يكن على علم بالمؤامرة ،

وأنها أزعجته كل الإزعاج . واتضح في المحاكمة التي جرت في عام ١٩٤٧ ، لإعادة النظر في القضية ومحاكمة الأحياء من المنهمين السابقين ، أن موسوليني لم يكن على علم بالحادث ، وأن القتلة ، وهم من غلاة الفاشيين قد اضطربوا من اتجاه موسوليني الظاهر إلى الإبقاء على الحياة البرلمانية وأرادوا أن يضربوا ماتيوتي ضرباً مبرحاً ، كما كانوا بضربون أنصاره ، ولم يكونوا يعتزمون قتله ، ولكنه مات بين أيديهم متأثراً بسكتة قلبية . وليس ثمة من شك في أن سلوك موسوليني بعد الحادث ، لم يكن سلوك القاتل أو الشربك في القتل . وقد ذكر متبجحاً في سيرة حياته التي كتبها ... ولم أشعر لحظة واحدة بالشك أو بثيوط العزيمة » . الكن الواقع يثبت عكس هذا ، موجريتا ساوفاتي تقول . . . « وبدت حياته ، وقد تعطمت كل التحطم » . وظل محتفظاً بشجاعته أمام الناس ، لكن تعاسته في حياته الحاصة ، كانت مرجريتا ساوفاتي . وفي ذات يوم أبلغ سيلفيسترى بأنه يفكر في تقدم استقالته . وعندما حاولت إحدى صديقاته التسرية عنه ، مظهرة له عطفها عليه ، انفجر وعندما حاولت إحدى صديقاته التسرية عنه ، مظهرة له عطفها عليه ، انفجر باكباً وهو يقول . . . « ما كان في وسع أشد أعدائي خطراً أن يؤذوني ، كما فعل أصدقائي » .

وراح النواب الاشتراكيون بعد يومين من اكتشاف الجثة ، ومعهم حلفاؤهم ، بقيادة جيوفاني أمنيدولد ، الذي قاطع موسوليني وهو في عنفوان ثورته الوحشية المغاضبة ، خطابه الشجاع الأخير ، مديناً عهد موسوليني ، سبعاً وعشرين مرة ، ينسحبون من المجلس ، ليؤلفوا جبهة معارضة حققت حرجة كبيرة من التأييد لم يكن أحد يتصوره قبل أسبوع واحد . وقد أطلقت هذه الجبهة على نفسها اسم « نواب أفينتين » نسبة إلى عامة رومة التي انسحبت في أيام رومة القديمة إلى تل أفينتين ، احتجاجاً على طبقة النبلاء ، وأخذت تذكر البلاد بحملات موسوليني الأخبرة على ماتيوتي ، وبما كتبته صفيفته البوبولو ديتاليا قبل أيام قائلة « لو أن رأس ماتيوتي فد تحطم ، فإن السبب في ذلك يرجع إليه وإلى عناده » . وعلقت الجبهة آمالها على أن تحطم ، فإن السبب في ذلك يرجع إليه وإلى عناده » . وعلقت الجبهة آمالها على أن يقتنع الملك المتخاذل باستخدام نفوذه تأييداً للحكم البرلماني ، وطالبت بوقف جميع يقتنع الملك المتخاذل باستخدام نفوذه تأييداً للحكم البرلماني ، وطالبت بوقف جميع أعمال العنف التي يقوم بها الفاشيون ، وبحل الحرس لفاشي . وشرع موسوليني ،

يرى امامه فى كل مساء ، وهو يغادر مكتبه فى قصر شيجى ، متجهاً إلى منزله ، جماعات من الناس ، تقف صامتة وكأن على رؤوسها الطير ، تنظر إليه موبخة عاتبة ، بينا ظهرت ألوف المناشير المعادية الفاشية على جدران المنازل فى العاصمة .

واعتقل أربعة من كبار الفاشيين بتهمة الاشتراك في عملية القتل ، وهم جيوفاني مارنيبلي ، السكرتير الإداري للحزب ، وفيليبو فيليبيلي ، رئيس تحرير صحيفة « الكورييري إيتالبانو » ، وسيزار روسي ، رئيس الدائرة الصحفية الفاشية ، وفيليبو نالدي . لكن الضجة لم تنته عند حد الاعتقال . وبدأت صحف المعارضة التي لم تكن قد انطوت تحت جناح النفوذ الفاشي ، تعلن آراءها جهاراً ، قبل انتهاء الشهر ، وأصدر موسوليني في الثامن من يوليو مرسوماً ، يخوله وقف أية مطبوعات أو صحف ، تواصل نشر ما يفسر على أنه مادة مهيجة أو مثيرة للاضطراب والعنف . وهكذا تم انتزاع صحيفة كورييرى ديلاسيرا ، الميلانية ، وهي من أكثر الصحف نفوذاً في إيطاليا ، من صاحبها الشيخ البرتيني المناهض للفاشية ، وسلمت إلى محرر كان على استعداد لتأييد موسوليني . وأرغمت صحف ليبرالية وديمقراطبة أخرى ، بينها صيفة «لاستامبا» ، على التحول إلى إيدى لفاشيين ، لكن إحدى هذه الصحف وقد نمكنت من الإفلات من قبضة الفاشيين مؤتتاً وهي إيلموندو لصاحبها إمندولاً ، راحت تنشر في لهاية شهر ديسمبر وثيقة كانت لهاية الأشهر الستة من المعارضة القلقة للفاشية . وكانت هذه الوثيقة ، بياناً من سيزار روسي ، الرئيس السابق للدائرة الصحفية الفاشية، والذي اعتقل بعد حادث القتل، يهم موسوليني بالاشتراك في المؤامرة . وفقد الدوتشي كل أمل في التفاهم مع الليبراليين . وراح يقبل نصيحة روبرتو فاريناشي الكاتب السابق في السكك الحديدية والمحامي الحديث، وأحد العنيفين من قادة الفاشية ، وزعماء الفصائل السابقة التي احتشدت الآن في رومة لدعم ثقة الدوتشي المتزعزعة ، وراح يعلن في مجس النواب ، بعد خسة أيام · من نشر مُزاعم روسي ، بأنه قد رفع يديه عن خصومه الشريرين ، رغبة منه في تهدئة أنصاره الذين نفد صبرهم . وأضاف أن الوقت قد حان الآن للعمل . ثم قال « وها أنا أعلن أمام هذا المجلس ، وأمام الشعب الإيطالي كله ، بأنبي وحدى الذي أتحمل المسئولية السياسية والحلقية والتاريخية عن كل ما حدث ، فإذا كانت الكدمات التى أسيء نقلها كافية لشنق إنسان، فإلى الجمعيم إذن بالمشنقة والحبل. وإذا كانت القاشية قد تحولت إلى شيء بغيض كزيت الحروع ، أو الهراوة ، ولم تعد عاطفة نبيلة زاهية تجيش في صدور خيرة شباب إيطالبا ، فإن اللوم يجب أن يقع على وحدى ، لا على غيرى . وإذا كانت الفاشية قد تحولت إلى مؤامرات إجرامية ، وإذا كان العنف قد نشأ عن أجواء سياسية وتاريخية وخلقية معينة ، فإن المسئولية تقع على وحدى ، لأنى أنا الذى خلقت عامداً متعمداً هذا الجو . إن ما تريده إيطاليا هو السلام والهدوء ، والعمل ، والطمأنينة . وسأمنح إيطاليا ما تريده بالحب إن أمكن ، وبالقوة إذا اقتضى الأمر » .

وكان هذا الخطاب فى الثالث من يناير عام ١٩٢٥ ، وهو أحد التواريخ الرئيسية فى قصة الفاشية وتاريخها .

ولم تعد بعد الآن أية فرصة فى تفاهم ، أو أى احتمال فى نكوص . وبالرغم من أن مصرع ماتيوتي قد أثار موجة واسعة من رد الفعل العنيف ضد الفاشية ، في بلاد خاب رجاؤها فجأة ، فإن مصرعه أيضاً قد أظهر مدى ضعف خصوم الفاشية وتشتبهم ، وعدم تنظيمهم ، وقلة عدد المستعدين منهم لمقاومها مقاومة فعالة . وتمكن موسوليني في غضون خمس سنوات وبمساعدة روبرتو فاريناتشي ، السكرتير العام الجديد للحزب ، من تحقيق هدفه الذي أعلن عنه ، وهو تحويل إيطاليا كلها إلى الفاشية . وتعرضت البقية الباقية من الصحف الحرة إما لخطر الإغلاق ، أو للتحول إلى السيطرة الفاشية . وقد بقيت بعض الصحف المستقلة ، واكنها ظالت بلا لون بحيث لا تلتى من الدولة إلا الامتهان ، ولا تلتى من خصوم الدولة إلا التجاهل والإهمال . وحلت جميع أحزاب المعارضة ، وإنهمي عهد الانتخابات الحرة . ولم بعد مجلس النواب يمثل أكثر من مجرد أداة ، لإلباس المراسيم الفاشية هالة من التأييد القوى . وبات مجلس الشيوخ مليثاً بالشيوخ المستعدين لارتداء القمصان السوداء إذا ما طلب إليهم ذلك ، وأن يشتركوا في إنشاد الأناشيد الفاشية . وقد أدرج المجلس الفاشسي الأعلى ، الذي تولى موسوليني رئاسته ، مع الصلاحيات المطلقة لتحديد جدول أعماله ، وتعيين أعضائه ، في الدستور ليكون بمثابة كابعج للاستقلال اللبي قد يبديه أي فرد من أعضاء الوزارة . وحل رؤساء معينون محل رؤساء المجالس البلدية المنتخبة في نظام أوتوقراطي للحكم أخذ يتجه إلى المركزية المشددة . وحل النشيد الرسمي للحزب الفاشي «جيوفينيزا» ، محل النشيد القوى الإيطالي، في جميع الاستعراضات والحفلات الصاخبة التي كان اللوتشي مولعاً بها ، وذلك لأن الحزب أصبح الآن مرادفاً للدولة . وأعلنت الإضرابات والتوقف عن العمل، مظاهر لا تتفق مع النظام التعاوفي الجليد الذي أدخله موسوليني والذي تميز بالفساد ، بالرغم من وصف موسوليني له بأنه سيكون « الحبسد لحضارة القرن العشرين » . وكان من المقرر في ظل هذا النظام التعاوفي ، الذي كان دانونزيو قد أدخل شكلا مبسطاً منه في فيوي ، بأن تحل جميع الحلافات العمالية ، عن طريق إحالتها إلى محاكم عمالية ، تكون ملحقة بمحركم الاستثناف ، وتؤلف من ممثلين المحاليا الأعمال والمستخلمين . ولما كان الحزب هو الذي يعين موظني جميع الاتحادات النقابية التي تشمل الفثات الاثنتين والعشرين لمختلف المهن والحرف ، فإن النظام التعاوفي تحول في الوقت المناسب إلى فناع صالح لإخفاء الديكتاتورية وأن النظام التعاوفي تحول في الوقت المناسب إلى فناع صالح لإخفاء الديكتاتورية وكانت الفوانين التي وجهت ضد الماسونية وضد الإيطاليين المناهضين للفاشية ، والذين يعيشون خارج البلاد ، والقوانين التي وسعت من صلاحيات رئيس الحكومة ، والذين يعيشون خارج البلاد ، والقوانين التي وسعت من صلاحيات رئيس الحكومة ، أكثر يعداً عن الليبرالية بشكل جلى واضخ .

وقد عنى بالشبيبة عناية خاصة ، كما هى الحالة فى جميع النظم الجماعية . وتقرر إدخال الأطفال من سن الرابعة فى منظمات الطفولة الفاشية ، التى كانت تزودهم بمسدسات من اللعب وقمصان سوداء . ولم تثر هذه الإجراءات التى قصد من كل منها أن يفرض طبيعة فاشية واضحة على الدولة وأنظمتها ومواطنيها ، وآن يضمن على غرار النموذج البلشنى الروسى ، سيطرة الدولة على جميع أجهزة الإعلام ، معارضة كبيرة لدى جماهير الشعب الإيطالى ، التى لم تعترض على عزم المحكومة الذي أعلنت عنه مراراً وتكراراً على التسامح بل الترحيب بالمعارضة المسئولة ، وعلى عدم السهاح للمعارضة الشريرة واللاقومية والمثيرة للفتن والمنافقة والمشاغبة . وبالرغم من جماعية هذه القوانين نقد قبلها الشعب ، إذ أنه قبل معظم القوانين الفاشية المعتدلة المبكرة ، كثمن لا بأس به لقيام إيطاليا الجديدة التى كان ظهورها قد بدأ يثير دهشة العالم .

واستقر النقد الإيطابي أخيراً وبعد سنوات من الأزمات الاقتصادية المتكررة . وغدت البلاد تتمتع برخاء كان شاملا أوربا بأسرها ، وإن عزى لمجيء الفاشية وتصميمها على تحقيق الاكتفاء المداتى عن طريق الاقتصاد الموجه . وبالرغم من أن موسوليني لم يفهم قط مشاكل الاقتصاد والتجارة ، إلا أنه تقبل بسرعة الفضل ف فترة الإبلال الاقتصادي التي كانت قد بدأت في البلاد ، قبل مجيئه إلى الحكم ، تماماً كما سارع فيها بعد إلى تقبل الفضل في إبلال البلاد ، من الأزمة التي كانت سياساته إلى حدما هي المسئولة عنها . ولم يبد هذا الفضل في غير موضعه في الظاهر . فقد حمله تصميمه على تسوية دين البلاد الهائل للولايات المتحدة إلى الإبحار إلى واشنطن ، ومعه وكيل وزارة خارجيته ، دينو جراندى ، حيث عقد اتفاقاً ضمن إجراء تخفيض كبير في الدين الأصلي . وزاح نتيجة تصميمه على كسب ما أسماه «معركة القمع» ، يطوف أرجاء البلاد ، ملقياً الخطب على « الفلاحين الشجعان الذين يحاربون في خط الفتال ، ، وهكذا راح المحصول ، يرتفع سنة بعد أخرى . فقد بلغ المحصول في عام ١٩٢٥ نحواً من أربعة وستين مليون قنطار ، مقابل ٤٩ مليوناً في السنوات التي سبقت الحرب . وراح نتيجة تصميمه على أن يجعل من إيطاليا دولة حديثة وقوية على النحو الذي تصوره ، يضع برنامجاً للأشغال العامة ، لم يسبق له مثيل في أوربا الحديثة كلها . وأقيمت الجسور والقنوات والطرق ، وشيدت المستشفيات والمدارس ومحطات السكك الحديدية وملاجئ الأيتام ، وجففت المستنقعات ، واستصلحت الأراضي ورويت ، وزرعت الأحراج ، وافتتحت الحامعات . ولم تحل لماية الثلاثينات حتى كانت مشاريع ضخمة كثيرة قد أكملت ، لا على الأرض لإيطالية وحدها بل في جزيرتي صقلية وسردينية أيضاً ، وكذلك في ألبانيا وإفريقيا ، بيها وضعت الخطط لتنفيذ مشاريع أضخم ، انهى التفكير في تنفيذها . وكان رجال الإحصاء من الفاشيين يزهون بأن ما لا يقل عن مائة ألف عامل ، أصبحوا يعملون في الأشغال العامة ، ولم يحل صيف عام ١٩٣٩ ، حتى كان نحو من ماثة وسبعين ألف رجل ، بعملون في الطرقات وفي مشاريع الري في ألبانيا وحدها . وقد أنفقت وزارة الأشغال العامة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ نحواً من (٣٣,٦٤٣) مليون ليرة إيطالية في مثل هذه المشاريع . وجرى تمويل أعمال التنقيب عن الآثار في محاولة لتبصير الشعب بذكريات ماضيه الحيد . وتحدث موسوليني إلى مجلس مدينة رومة فقال ... ويجب أن تبدو هذه المدينة في غضون خس سنوات ، في منهي الروعة أمام العالم كله . وأن تغدو عظيمة ومنظمة وقوية تماماً كما كانت في أيام الإمبراطورية الأولى في عهد أوغسطس . ويجب تطهير مسرح مارسيلوس وكامبيدوليو والبانثيون من كل ما ظهر حولها إبان عصور الانحطاط . وقبل مرور خس سنوات ، يجب أن يبدو تل البانثيون واضحاً عبر طريق رئيسي يمتد إليه من ميدان كولونا . . ويجب أن تمد رومة الثالثة فوق التلال الأخرى على ضفاف الهر المقدس ، لتصل إلى شواطئ البحر التيراني » .

وبالرغم من أن الكثير قد تم تحقيقه ، وهو في منتهى الأهمية والبروز ، إلا أن المنجزات في ميدان الأشغال العامة كما في التنمية الاقتصادية والتصنيع بل في معظم أميادين العمل الفاشي ، كانت أقل من الخطة المقررة . وكان العمل يبدأ ، ثم يتوقف دون أن يكتمل ، وتنفق كميات ضخمة من المال على مشاريع ضخمة لا تتبحقق ، أو تتسرب إلى جيوب الموظفين المرتشين والفاشيين من ذوى الرتب العالية ، التواقين إلى جمع الثروات قبل أن تتبدل الأوضاع . ولكن وراء هذه الصورة التي أتقن الإعلان عنها من مشاريع التعصير ، والحدمات الاجمّاعية ، ما يربو على نصف مليون إنسان لا يزالون يعيشون في فاقة تثير الإشفاق. وكان رجال الشرطة يخلون الشوارع من المتسولين للإبقاء عليها نظيفة في عيون السائحين ، لكن الفاقة لا تعالج بإخفائها . وخصصت الأوسمة والمساعدات المالية للفلاحين لمساعلتهم في خفض ما تستورده البلاد من الحنطة ، وذلك لضمان النصر في « معركة القمح » . لكن أعمال الزراعة تأثرت تأثراً بالغاً ، بهذا التركيز على الحبوب التي لم نكن في يوم ما من المنتجات الزراعية الاقتصادية في إيطاليا . وهجر الأرض ألوف أمن صغار المزارعين ومن الفلاحين الساخطين ، بيما لم يقم الحكم بأى إجراء لتوزيام الإقطاعيات الزراعية الكبيرة التي كان وجودها مصدراً رئيسياً من مصادر السنخُطُ والنقمة . وظلت الأجور وأوضاع العمل في المدن وفي الأرياف على حالها من السوء ، رغم انقضاء السنوات واحدة إثر أخرى ، ولم يصل حدود التحسن فيها

حنى حدود المستويات الخفيضة التي وصلت إليها بلاد أوربا ألغربية .

ومع ذلك فاللوم لم يوجه إلى الدوتشي . وبالرغم من إدراك الناس لما في الفاشية من نقص ، إلا أن مؤسسها كان لا يزال يمثل رجل القاس للشعب الإيطالي . ومن المحتمل أن يكون قد وجد في إيطاليا في تلك الأيام مناهضون للفاشية ، ولكن لم يكن ثمة إلا عدد قليل للغاية يناهضون موسوليني . فليس ثمة من يسأله أو يحاسبه . وهو لا يبدو ديكتاتوراً فحسب ، بل هو المعبود أو الإله . والناس يقطعون صوره من الصحف ، ويلصقونها على جدران ألوف المنازل ، بيها تكتب عبارات إطرائه ومديحه بالدهان الأبيض في كل مكان . واحتفظ الناس بالأقداح التي شرب بها أثناء جولاته الواسعة ، وبالفؤوس التي استعملها. في العمل مع الفلاحين كآثار مقدسة . ووصلت شعبيته إلى آفاق أسمى وأرفع في عام ١٩٢٩ عندما حل تلك المشكلة التي ظلت تجزئ إيطاليا منذ عام ١٨٧٠ ، ووقع مع الفاتبكان الاتفاق الجديد المعروف « بالميثاق الجانبي » . ونسى ناقدوه السابقون مِن الكاثوليات كل ما سبق له أن قاله من بيانات مناهضة للكنيسة ، وغفروا له هجماته الإلحادية على « المسيح الصغير التافه » ، ورأوا في هذه الاتفاقات بداية علاقات جديدة ومرضية بين الدولة والكنيسة . وسرعان ما غطى الموقف الفاشي الرسمي الجليد الذي يظهر الدوتشي كاتوليكيا يؤدي واجباته الدينية على موقفه الملتبس السابق من الكثلكة والمسيحية ، الذي كثيراً ما قاده إلى التحدث عن نفسه أحياناً « ككاثوليكي متدين . ومسيحي مخلص ، وأحياناً أخرى ، عن نفسه ككافر

ولم يكن فى الواقع فى أى يوم ، أكثر من كاثوليكى غير مستقر. فَهُو دائماً كثير الإيمان بالحرافات ، ولا يستحى من الظهور بهذا المظهر . وكثيراً ما شاهده الناس ، وهو يضع يده فى جيبه لبمسك بها خصيته ، متبعاً التقليد الإيطالى المعروف ، ليقيه ذلك من عين الحسود . وتقول مرجريتا سارفاتى ، إنه كان يؤمن بأشياء فى منتهى الغرابة عن القمر «وعن تأثير ضوئه الخافت على الناس والأحداث ، منتهى الغرابة عن القمر «وعن تأثير ضوئه الخافت على الناس والأحداث ، وكان يفخر بقيدته والخطر من السماح الأشعته بإضاءة وجه الإنسان وهو نائم (١١) . وكان يفخر بقيدته

<sup>(</sup>١) يبدو أنه ووث اعتقاده بالتأثير الشرير لأشعة القمر عن والده الذي يبدو أنه اعتبرها مستولة عن مرض « الجرب » الذي أصابه ذات يوم ؛ عند ما كان سميناً في عام ١٩٠٢ . ه المؤلف » '

على تفسير الأحلام ، والندر ، وفي قراءة العلوالع عن طريق ورق اللعب « الكوتشينة » كما كان يحب أن يقرأ الآخرون له طالعه ، في كفه ، أو في غير كفه . وكانت هناك قارئة للطوالع ، تنبأت يمصرع ماتيوتي قبل وقوعه ، مما دفع موسوابي إلى الإيمان بها ، وإلى استشارتها دائماً عن طريق رئيس شرطته ، كلما واجه مشكلة يرى من الصعوبة بمكان حلها . وقرأ ذات يوم في صحيفة « التايمز » اللندنية عن الكنوز التي اكتشفت في مقبرة توت عنخ آمون ، وعن لعنة الفراعنة التي تنزل بكل من يزعجهم في سباتهم الأخير ، وسرعان ما هرع إلى الهاتف ، يأمر يرفع مومياء كانت قد أهديت إليه ، وكان قد وضعها في صالات دارته ، من مكانها فوراً . وكانت أدراج ، مكتبه مليئة دائماً بالأحجبة السحرية والتعاويذ الدينية والرق ، وكان يتلقاها من المعجبين به ، والتي لم يجرؤ في يوم من الأيام على التخلي عنها . وظل بحمل حتى آخر يوم من حياته ، في عنقه حمالة جلدية ، نضم حجاباً ، كانت أمه قد أعطته إياه ، وقطعة نقدية أثرية كانت الملكة مرجريتا والدة الملك قد طلبت إليه الاحتفاظ بها ليذكرها دائماً ، إذ أنها كانت من أصدق المعجبين به . وكان يقول إن هذه التعاويذ تقيه من الموت على أيدى أعدائه .

وجرت المحاولة الأولى من المحاولات الأربع لاغتياله ، في الرابع من نوفبر عام ١٩٢٥ ، عندما اعتقل النائب الاشتراكي السابق تينو زانيبوني ، الذي وصفه موسوليني ابنه كان مدمناً على المخدرات يعمل لحساب تشيكوسلوفاكيا ، في غرفة في أحد الفنادق القريبة من دارة شيجي ، حيث كان قد اعتزم إطلاق النار على المدوتشي وهو يخرج من منزله ليعرض قوة عسكرية . وجرت المحاولة الثانية بعد خسة أشهر ، عندما أطلقت عليه سيدة إيرلندية تدعى فيوليت جيبسون النار وهو في طربقه لزيرة طرابلس . لكن موسوليني لم يبدأ في أية إجراءات انتقامية إلا بعد المحاولة الرابعة التي جرت في بولونا في ٣١ أكتوبر ١٩٢٦ ، والتي قام بها صبي ما لبثت الحماهير أن مزقته إرباً ، وإن ظل موسوليني على اعتقاده ببراءة الصبي ما لبثت الحماهير أن مزقته إرباً ، وإن ظل موسوليني على اعتقاده ببراءة الصبي على اعتبروا الآن إجراءاته ضد الماسونيين والاشتراكيين عادلة كل العدل وأعجبوا اعتبروا الآن إجراءاته ضد الماسونيين والاشتراكيين عادلة كل العدل وأعجبوا ببسالته وهدوئه في كل حادثة من هذه الحوادث . وعنسما أصابت قديفة الفاة بسالته وهدوئه في كل حادثة من هذه الحوادث . وعنسما أصابت قديفة الفاة

الإيرلندية طرف أففه فخلشته . راح يقول بمنهى الهدوء ، وهون أن يبدو عليه أى أثر لقلق . . . « تصوروا . . . فتاة تفعل هذا » . و بعد أن أسعفوه بالعلاج ، وربطوا أففه الجريح ، راح يهتف بمن حوله من الموظفين . . . « إذا تقدمت فاتبعوني . أما إذا تراجعت فاقتلوني وإذا مت فاثار والى » . وتاتي بعد إحدى المحاولات مباشرة زيارة من السفير البريطاني ، الذي كان يجهل أمر المحاولة ، وظل يجهلها مدة طويلة أثناء اجتماعه إليه ، إلى أن تُناهت إلى مسامعه عبر النافذة ، أصوات الناس وهم يشكرون الله في الشوارع على نجاته (١) .

ووقف سكرتير الحزب ، يخطب الجماهير التي وصل هتافها إلى عنان السياء ويقول . . . « عناية الله تحرس الدوتشي ، فهو أعظم من أنجبته إيظاليا من أبناء . إنه خليفة يوليوس قيصر » .

وردت الجماهير بهزيم كالرعد . . . « يا دوتشي ، يا دوتشي . نحن معك حتى النهاية » .

ومضت الشهور ، وتضاعفت الانتصارات ، وأسقطت النكسات من الحساب ، واستبعلت ، واخترعت الأساطير ونشرت ، وشوهت الحقيقة وخنقت ، وارتفعت صورة اللونشي كالإنسان الأكمل ، ورجل الخير ، تحلق في مخيلة كل إنسان . أما تقلبه وعدم استقراره ، وتصنعه ورياؤه ، وغروره أمام الجماهير ، وإيمانه الخطر بأنه يستطيع أن يسيطر على كل مشكلة وأن يحلها بسرعة وحزم ودقة ، وطرده المتواصل لوزرائه وسكرتيري حزبه وكبار موظفيه ، إن ارتبى أي منهم إلى رتبة يصبح فيها منافساً خطراً له ، كما حاول بالبو أن يفعل ذات يوم ، وحقارته التي دفعته فيها منافساً خطراً له ، كما حاول بالبو أن يفعل ذات يوم ، وحقارته التي دفعته أثناء إلقائه خطابه في عصبة الأمم نياية عن الحبشة بلاده ، وأن يسكتوه ، وتركيزه السلطات في يديه بحيث يات في يوم من الأيام ، رئيساً للوزراء ، ووزيراً للخارجية ، ورئيساً للمجلس الأعلى ، ووزيراً للتعاون . وقائداً أعلى للملبشيا ،

<sup>(</sup>١) سلك الملك فيكتور عمانوئيل الذي كان لا يقل عنه جرأة وشجاعة ، سلوكاً بماثلا عند ما بحاول شاب اغتياله في تبوانا (عاصمة ألبانيا) في عام ١٩٤١. وراح الملك يقول بهدو إلى رئيس وزراء ألبانيا الذي كان يجلس معه في نفس العربة . . . « إن الصبي إنسان بائس . أليس كذلك ؟ » « المؤلف »

ووزيراً للبحرية والحربية والطيران ، فكلها أموركان الناس ينسونها ويغفرونها له ، ولا يتحدثون عنها ، ولا ينشرونها .

وكان هناك المنشقون بالطبع ، والأصوات المعزولة التي تنادى بالحرية والحلاص من هذا الوضع السبيم ، ومن هذا الرخص الفكرى والمادية الضحلة اللذين تتميز بهما الفاشية ، لكن الناس لا يأبهون لهم ، وإنما يقابلونهم بالزراية والاستخفاف . وبدا النجاح ، والاحترام أفضل عند الناس من الحرية السياسية ، وبدت الأجور المضمونة خيراً عندهم من الحق في الإضراب في أية صناعة فقيرة . وكان عدد أعداء الفاشية الذين يعملون ضد الدولة من خارج إيطاليا او داخلها ، والدين يتميزون باللكاء والجرأة من أمثال إجنازيو سيلوني ، صغيراً ، ولم يكونوا يستطيعون التأثير على شعب ، يتعرض للتضليل أكثر من تعرضه للقسر والإكراه ، ويدفعه الخداع إلى الانسجام مع العهد . وكان الفاشيون يقولون إن الحرية لا تعني شيئًا للفلاح الذي يحشى عودة المجاعة ، أما أولئك المقفون والكتاب ، وغيرهم من المهيجين السياسيين والاجماعيين اللين كان الدوتشي واحداً مهم في يوم من الأيام ، والذين ظلوا يحتجون ويذكرون الشعب بأخطار الحنوع ، فقد تعرضوا إما للإبعاد أو الحد من الحرية ، أو استخدمت الرشوة في حملهم على الخضوع ، وعلى تأييله سياسة كان موسوليني يشير إليها دائماً بكثير من الصراحة الشريرة بسياسة الأغصن الزيتون والهراوة ٥ . وكان هناك عدد آخر من الكتاب والفنانين والعلماء آثروا الصمت ، وكان في وسعهم أن يأملوا في أن تنتهي النزعة الاستبدادية ذات يوم ، عندما تنتهي حالة الطوارئ ، أو في أن يتم إصلاح الفاشية من داخلها . وكان في وسعهم أن يشيروا إلى أمد ما بشيء من الرضي إلى الاين المتبع مع المنشقين على الصف الناشئ. وكانوا يقارنون الإبعاد إلى الحارج أو إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وقرى كالابريا ، والاعتقال في بعض المعتقلات التي لا تتميز بالسوء ، بما ينتظر المنشقين من موت في غرفة التعذيب أو من أشغال شاقة مؤبدة في معسكرات الاعتقال ، أو من أعمال السخرة سنوات طوالا في المناجم ، في ظل الديكتاتوريات الأخرى ، الأقل تسامحاً . وكانت الحملات التأديبية التي تشنها العضابات الفاشية المحلية ، والتي لا سيطرة للشرطة عليها ، حيث تقوم هذه العصابات بإذلال خصومها ، عن طريق إرغامهم على أن يشربوا علناً زيت الخروع . أو يأكلوا الضفادع وهي حية من أبشع الأمور التي تتقزز إمنها النفس ، ولكن في الإمكان مقارنها بالحرية النسبية الممنوحة لبعض خصوم الفاشية الجلبيدة من أمثال بنديتو جروسي . وكانت فرق مكافحة خصوم الفاشية الساهرة (الأوفرا OVRA) ، أقل أذى بكثير من قوة البوليس السري السوفياتي (الأوجبو OGPU) أو الجستابو في عهد النازية . وكان قائدها أرتورو بوشيني ، رجلاً خبيئاً، ولكنه لم يكن بالرغم من سمعته السيئة ، رجلاً شريراً . ولم يحل عام ١٩٢٧ ، حتى كان الدوشي ، وقد وثق من نجاحه ، ووعي كل الوعي الحقيقة الواقعة وهي أن الناس قد نسوا قصة اغتيال ماتيوتي ، قد أصبح قادراً على إبلاغ «مخافظيه» في الأقاليم ، بأنه لم تعد ثمة ضرورة الفصائل الفاشية ، وأن الإعهد الانتقام والعنف » قد انتهى .

ولم يكن الظن قد ساور موسوليني في أي يوم ، بأنه رجل ظالم . وقد سأله الميل لودفيج ذات يوم عن تجاربه في السجن ، فقال وهو يحني جدعه إلى الأمام ، ليقع ضوء المصباح الكهربائي المرتفع على وجهه ، وليتكئ بموفقيه على المائدة ، وذلك شأنه دائماً إذ يحاول إيضاح أمر ، أو سرد قصة . . . « لقد ذقت مرارة السجن في بلاد عدة ي . و يمضي لودفيج فيروى قصة هذا الحديث قائلا . . . « ويكون الدوتشي في مثل هذه الحالات في منهي الوداعة ، وقد أبرز فكه الأسفل ، وانفرجت شفتاه بعض الانفراج ، محاولا إخضاء مزاجه الهادئ ، وراء تقطب حاجبيه ي . . وما لبث موسوليني أن قال . . . « أجل لقد ذقت مرارة السجن في بلاد عدة ، إذ سجنت يحدى عشرة مرة . . . وكان السجن يمنحني دائماً الراحة بلاد عدة ، إذ سجنت يحدى عشرة مرة . . . وكان السجن يمنحني دائماً الراحة بقدى على سجاني ، وقد قرأت في إحدى فترات سجني قصة دون كيشوت ، حقدى على سجاني ، وقد قرأت في إحدى فترات سجني قصة دون كيشوت ،

وقال لودفيج ساخراً وهو يبتسم . . . « ولعل هذا هو السبب فى أنك تضم خصومك السياسيين فى السجن ؟ ولكن ألا تحملك ذكرياتك المريرة عن الشهجن على التفكير أحياناً فى هذا قبل أن تفعله ؟ »

فرد موسوليني قائلا . . . « لا . لا أبداً . فأنا لا أتردد . لقد بدأوا هم بزسي في السجن ، وها أنا أسد لهم دينهم الآن ، بنفس عملتهم » .

وكان من العسير على المرء أن يصدق ، أن هذا الرجل ، وأقواله على هذا النحو من الزيف والرياء ، كان قادراً على القيام بأعمال القسوة المتطرفة التي تصدر عن الديكتاتور. والم يكن رجلا فظيعاً ، كما تقول البيانات عنه . حقاً كان دائم العبوس ، وكان في مكنته أن لا يعرف الصفح والنسيان ، بل كان أحياناً شريواً ، ومتعجرفاً ، ولكنه كان يخفي وراء صورة الطاغية ، والجمود الرخامي الذي كان يحاول أن يظهره في وجهه الضخم ، كثيراً من العطف والإشفاق . وتروى مرجريتا سارفاني قصة منجه أوسمة ١ نجمة العمل » ، إلى عدد كبير من الرجال الطاعنين في السن . وكان يبدأ بمعانقة الرجل العجوز الواقف في أول الصف ولكنه لا يكاد يصل آخره ، جتى يكون قد انسجم مع طبيعته وراح يداعب كل واحد أمامه ، ويتحدث إليه بحماسة حيى ليخيل إلى من بمدئه ٥ أنه وجد فيه أخاً ضالا ٣ . ويروى ماكارتني مراسل « التايمز ، المندنية في رومة في الثلاثينات قصة حادثين آخرين ، وقع فيهما الدوتشي تحت سيطرة عواطفه . وكان الحادث الأول عندما سمع بوفاة أخيَّه ، بعد أن حمل له النبأ الأميرال الكونت كونستانز و تشيانو والد وزير الخارجية . والهار موسوليني تمام الانهيار وراح يجهش بالبكاء دون تحفظ على كتف الأميرال . ويقول ماكارتني إنه انهار أيضاً عندما قدمت إليه « دمية ، في حفلة الستقبال أقامها رئيس اتحاد الصحافة الأجنبية للمراسلين الأجانب في رومة . وكانت الدمية هدية لابنته الصغرى آنا ماريا التي كانت تبل آنذاك من مرض النهاب النخاع الشوكي الذي توفيت أمه متأثرة منه . . . ويقول مراسل النبلي ميل الذي كان يشهد الحفل . . . ، وقد تساقطت العبرات من عينيه وحمل الدمية في بده لحظة ، وتنحنح وكأنه يعتزم الكلام ، ثم راح يقول بهمسة مغتصبة إلى السنهور ألفييري ، وزير الصحافة . . . « لا أستطيع الكلام . أرجو أن تقول شيئاً ﴾ ﴿ وخطا الدوتشي نحو النافذة ؛ وقد أدار ظهره للناس ، وراح يتطلع إلى الحارج . وبكي مرة ثالثة في نوبة عنيفة من نوبات الألم ، عندما قتل ولده الثاني برونو إفَّى الحرب . وعندما جاءت أرملته لتنسلم المدالية الذهبية التي منحت لزوجها فى حفل رسمى ، وقد حمدت ابنتها مارينا ، حفيدة موسولينى النى مدت ذراعيها إلى جدها ، رأى تشيانو فى عينيه « بريقاً ، فضح كل ما حوات إرادته الحديدية إخفاءه ، وشعر بأنه قريب من قلب حميه وأحزانه ».

وكان مولِعاً أشد الولع بأطفاله الخمسة . وكان يحب اللعب معهم ، وتعليمهم الألعاب المختلفة . وكانت صوره معهم تظهر بانتظام في الصححف المحلية ، التي لم تكن تعرضه على الشعب كرياضي عظيم فمحسب ، وإنما عرضته كفارس من خيرة الفرسان وطيار من أمهر الطيارين ، ورب أسرة من خيرة الناس، بل المثل الرائع نرجل الأسرة في إيطاليا كلها . لكن الناس لم يكونوا يعرفون كثيراً أنه « زير نساء » . وكانت بعض الصحف الأجنبية تنشر أحياناً قصة من قصص مغامراته الغرامية ، ولكن الرأى العام الإيطالي ، ظل يجهل إلى حد غريب ، فجور زعيمه ، الذي كان هو يعمل جهده على إخفائه . وكانت من أولى خليلاته على سبيل المثال امرأة غريبة الأطوار تكاد تكون مجنونة تدعى إيدا دالسر ، وقد ولدت منه طفلا ذا عاهة وضعيف العقل ، ظل مصدر إزعاج له مدة طويلة . وعندما قطع موسوليني علاقاته بها بصورة لهاثية ، تحولت في ثورتها إلى نمرة هائجة ، مما أجبره على حبسها في إحدى المصحات للأمراض العقلية . وكانت تصر على أن موسوليني محون يعدها منذ عام ١٩١٣ بالزواج منها ، أو أنه كان قد تزوجها فعلا ، وأنه لا يستطيع شراءها بالراتب الضئيل الذي خصصه لها . ويقول سيزار روسي ، إنها كانت تزوره دائمًا ً في مكتبه في صحيفة البوبولو ديتاليا في ميلان ، وإنها عندما جاءت ذات يوم وقد حملت طفلها في حجرها ، راحت تصرخ مهددة موسوليني بالنزول إليها إذا استطاع ، وأنه مضى إلى النافذة ليهددها بمسدسه . وقد اعتقلت مرة أخرى ، بنهمة إثارة الاضطراب في ترنتينو عندما أشعلت النيران في فراش غرفتها في فندق بريستول ، صارخة بصورة جنونية بأنها زوجة الدونشي . وقد مانت في مستشني الأمراض العقلية ـ في البندقية في عام ١٩٣٥ ، ومات ولدها بنيتو في مستشفى ممثل آخر على مقربة من ميلان في عام ١٩٤٢ . لكن الشعب الإيطالي ، باستثناء عدد قليل من الأفراد ، كان يجهل كل هذه الحقائق . وتورط موسوليني بعد موت إبدا دالسر بفضيحة غرامية لم يكن من الممكن إخفاؤها . فقد جاءت لممثلة الفرنسية ماجدة كوراييف

وكان اسمها التمثيلي ، فونتانجيس إلى رومه في عام ١٩٣٧ لتجرى مقابلة باسم صحيفة ه ليبرقي » مع اللوتشي . وراحت تجهر علناً ، بأنها لن تعود إلى باريس قبل أن تصبح لها علاقة غرامية باللونشي . وراحت تزهو فيا بعد قائلة ... « وأقمت في رومه شهرين . وكنت خليلة اللوتشي فيهما عشرين مرة » . وظهرت أسرار من هذا الطراز وبلغة مكشوفة في الصحافة الأجنبية ، وأبلغ موسوليني دوائر الأمن الإيطالية ، والسفارة الفرنسية في رومه ، بأن إيطاليا لن تقبل الآنسة فونتانجيس في ربوعها . وكان رد فعلها عنيفاً فقد حاولت الانتحار بالسم ، ثم أطلقت النار على السفير الفرنسي الكونت دى شامبرون وأصابته بجراح ، لأنه كان السبب كما قالت في خسارتها « لحب أعظم رجل في العالم » وعندما اعتقلها رجال الشرطة كما قالت في خسارتها « لحب أعظم رجل في العالم » وعندما اعتقلها رجال الشرطة وجدوا في شقنها أكثر من ثلاثمائة صورة لموسوليني (١) . وكان الدوتشي في غضون هذه الفترة التي لها فيها بهذه الفتاة الفرنسية ، قد شرع في علاقة عاطفية أشد عمقاً مع امرأة شابة أخرى ، لم يكن يشبع قط منها .

وكانت هذه المرآة هي كلاريتا بيتاتشي ابنة طبيب إيطالي ، وزوجة ضابط بمرتبة ملازم في السلاح الجوى الإيطالي ، وهو الرجل الذي حصلت على طلاقها منه فيا بعد من محكمة مجرية . ويقال إن موسوليني رآها لأول مرة وهو في طريقه إلى أوستيا في عام ١٩٣٢ . فقد كان مجلس في المقعد الحلق من سيارته أو الالفاروميو ، عندما مر بها وكانت تلوح بيديها وتهتف « دوتشي دوتشي » . وقد بدت رائعة جميلة في حماسها فاستوقفت أنظاره . وأمر سائقه بالوقوف . وخرج من السيارة متجها إليها ، فارتجفت من وقع المفاجأة ، وأحست بشعور طابغ ، كما ذكرت ، وهو يتحدث إليها لأول مرة .

كانت فتاة جميلة ، ذات عينين خضراوين ، وساقين طويلتين وملفوفتين ، وصدر عامر من الطراز اللى يحبه موسوليني في أبة امرأة . وكان في صوبها بحة جمنيلة . وكانت ملابسها زاهية الألوان بلا ذوق ، بينا سرحت شعرها أيضاً بصورة تافهة . وكانت شفتها العليا قصيرة ، وأسنانها صغيرة ، حتى إذا ما ابتسمت

<sup>(</sup>١) حكم عليها بالسجن سنة واحدة بتهمة الاعتداء على السفير وإسابته بجراح . كما قضت مدة أخرى في السجن بعد الحرب بتهمة التجسس للمحور ، وقد انتحرت بالسم في جنيف في عام ١٩٦٠ .

بانت لشها، وظلت على هذه الصورة حتى تعلمت الابتسام دون أن تفترق شفتا كثيراً. وكانت كريمة ، وفي عقلها لوثة ، كما كانت مغرورة ومشبوبة العاط وكثيرة التبلك . وكان إخلاصها لموسوليني كاملا وقويباً . وكانت تشكو دائماً ، أوجاع حقيقية ووهمية ، وعندما أجهضت ذات مرة ، كادت تموت من النزيف وواظب موسوليني على زيارتها ، فتأثر والداها بإخلاصه الواضح ، وقلقه عليها وإصراره على أن يشهد عمليها . وكانت تذهب إليه في العادة إلى قصر البندقية ولمسراره على أن يشهد عمليها . وكانت تذهب إليه في العادة إلى قصر البندقية وتسخل من باب جانبي . وتستقل المصعد إلى شقة في الطبقة العليا من القصر حيد وافيها الدونشي ، ليقضي معها أحياناً بضع دقائق بين مقابلة وأخرى من مقابلان

وكان موسوليني كأى زير نساء آخر ، ميالا إلى العزلة . ولم يكن له إلا عد قليل جداً من الأصدقاء . ولم تكن له صلات وثيقة بالناس ، وهي حقيقة كالا دائم الزهو بها . وكان يقول دائماً بشيء من التفاخر . . . « لو أن الأب الأقدس جاءنى ليقول إنه صديني ، لرفضت عرضه مهدداً بقبضة يدى ، ولو أن والدي عاد إلى هذه الحياة ، لما وضعت ثقني فيه » . وقال ذات يوم بصورة أرق في أخريات أيامه . . . « لم أعرف قط في حياتي دفء الصداقة الحقيقية ، وإن كنت قد أحببت عدداً كبيراً من النساء . ولكنني لا أعنى هذا ، وإنما أعنى الرابطة قد أحببت عدداً كبيراً من النساء . ولكنني لا أعنى هذا ، وإنما أعنى الرابطة القوية التي لا تنفصم والحب الوثيق بين رجلين . ومن المؤسف أنني لم أعرف مثل هذه الرابطة منذ مات أخي أرفالدو » .

وقد مات أرنالدو في ديسمبر عام ١٩٣١، وكتب موسوليني تخليداً الدكراه ، كتاباً لم يضمنه عواطفه تجاه أخيه فحسب ، وإنما ضمنه أيضاً حبه لوالديه ، بكثير من الإخلاص والتأثر . ويتضمن كتابه هذا ٥ حياة مع ساندرو وأرنالدو » على النقيض من تاريخ حياته الذي كتبه ، ومن الفقرات الواعية الشديدة الإحساس في كتابه الآخر ٥ حديث مع برونو » الذي كتبه بعد موت ولده الثاني في حادث الطائرة في الحرب ، صفحات عدة في منهي الجمال والروعة . وذكر جوفاني جنيل بعد أن قرأ هذه الصفحات التي تحدث فيها موسوليني عن أسرته وعن الريف الحميل الذي عاش فيه ، يقول : «إنه ليس في إمكان طاغية أن يكتب بمثل هذه

الرقة ». وقد يكون فى هذا القول الكثير من المبالغة ، ولكنه صحيح إلى حد كبير وفى وسع الإنسان أن يفهمه. فلاريب فى أن موسولينى قد كتب ما كتبه من صميم فؤاده ، إذ أنه كان يفتقر إلى القدرة على تبين الجمال وتذوقه فى أى عمل من أعمال الفن.

وتصف مرجريتا سارفاتى ، حادثاً وقع لها عندما كانت فى صحبة موسولينى ، وهما ينظران إلى ما فى متحف الفاتيكان من طنافس فنبة . لم يكن الدوتشى قادراً على تمييز الجمال فى هذه الطنافس . فقد ذكرت الكاتبة أنه قال لها . . . ۵ ترى ما الذى تعنيه هذه الطنافس على أى حال ، سوى أنها مجرد أشياء » . وأضافت مرجريتا أن بناء الفاتيكان نفسه لم يكن يؤثر عليه كثيراً ، سوى من ناحية ضخامته . وكان يقول كأى طفل صغير يلج قصراً منيفاً . . . « ما أكثر ما فيه من غرف ، وما أوسعها . كانوا يعرفون فى الماضى كيف ببنون » .

ولاحظ هتلر أيضاً افتقار موسوليني إلى تذوق الفنون المنظورة وقد هاله ما رآه على الدوتشي من ضيق وتبرم أثناء الزيارة التي قاما بها معاً لمعرضي بيني وأوفيزى في فلورنسة في عام ١٩٣٨ . وعاد الدوتشي فأذهل الفوهرر من عدم اكتراثه بالصور التي أخذه لمشاهدتها في مدينة نابولي في ناريخ لاحق . ويقول هتلر عن هذه القصة . . . « وبعد أن شاهد ثلاث صور ، أحس بالملل والضيق ، ولم يعد في وسعه أن ينظر إلى صور أخرى . وكانت النتيجة أنني لم أره بدوري أي صور منها . ولم يكن في وسع موسوليني أبداً أن يشترك مع الإيطاليين في زهوهم بتراثهم الفني ، ولم يستطع فهم ما أثاره تصرف الحكومة الفاشية في إهدائها تمثال « المنتقي » من صنع ميرون ( Myron ) (١) لهتلر عندما أعجب به إبان زيارته لرومة من فزع وسخط . وقد رفض أيضاً أن يحس مع الإيطاليين بالحوف من أن تدمر الطائرات البريطانية والأمريكية بقنابلها ، آثارهم الفنية العظيمة ، أثناء الحرب .

ولكن بالرغم من عدم تأثره بالرسم والنحت ، وجميع الفنون والرواثع الأخرى ، وحيرته فى أمرها ، وبالرغم من أنه كثيراً ما كنان ينام فى دار الأوبرا كما ذكر ولده

<sup>(</sup>١) ميرون نحات إغريق . عاش في القرن الحاسس قبل الميلاد على حدود أتيكا . وكانت تماثيله كلها من البرونز تقريباً . ويعتبر تمثال المنتقم من أعظم التماثيل الأثرية لأنه التمثال الحقيق اللبي صنعه ميرون . . وهناك نسخة فيها بعض الحطأ من نفس التمثال في المتحف البريطاني .

فيتوريو ظل الأدب يفرض عليه طيلة حياته جاذبية مسيطرة ، كان صادقاً كل النصدق فيها ، مزهواً دائماً بذوقه الأدبى وإن ظل يميل سراً إلى قراءة القصص الجنسية الرخيصة (١٠) . وكثيراً ما قال في أخريات أيامه إن مما يؤسيه ويؤله كل الأسى والألم أن الفاشية لم تنجب شاعراً عظيماً واحداً ، أو كاتباً واحداً يستحق القراءة .

وكثيراً ما قال . . . ه ما كنت لأشكو ، لو كان هناك كتاب فاشى راثع واحد . ولكن ماذا نجد أمامنا ؟ نجد كتباً تافهة سيئة الكتابة ، تمتدعنى وكم كنت أوثر لو وجدت كتاباً جيداً بهجوني وينقلنى » . وقد يكون موسوليني صادقاً في قوله هذا ، بالرغم من عجائب الرقابة الفاشية التي حظرت كتب روبرت جريفز (Axel Munthe)، وأكسيل مونتي (Axel Munthe)، وغيرهما ، ومنعتها من العرض في المكاتب العامة .

وتحدث ألبرتو مورافيا في مقابلة صحفية أخيرة عن كتابه النقدى المشهور الفاشية «المسخرة» والذي صور فيه كابرى في عام ١٩٤٠ فقال:

ق كنا فى غمرة الحرب، بما حملته من فاشية طاغية ومن رقابة . وكان علينا أن نقدم ما تكتبه من مخطوطات إلى وزارة الثقافة الشعبية للحصول على موافقتها، وكانت هذه الوزارة مكتظة بمعلمي المدارس الابتدائية الذين يتقاضون ثلاثمائة ليرة عن كل كتاب يراجعونه . وكانوا رغبة مهم فى الاحتفاظ بالمظاهر عندما يجدون إلى ذلك سبيلا، يصدرون أحياناً أحكاماً سلبية . وقد قدمت ذات يوم مخطوطة إلى الوزارة ، ولكن الذين قرأوها فى البداية عزفوا عن اتخاذ قرار بصددها ، فأحالوها إلى مساعد وكيل الوزارة . وتعرض المساعد لامتحان عسير أمام ضميره ، فأحالها إلى الوكيل

<sup>(</sup>۱) لا شك في أن إيجنازيو سيلوني يعارض في هذا الرأى بالطبع . فهو في كتابه الرائع والمعادئ المفشية - « مدرسة الديكتاتورين » - يرمم صورة أحد الأبطال معلقاً على ما قاله موسوليني من أن والد كان ينلو على مسامعه كل مساء سبت ، من كتاب الأمير لكيافل بقوله . . . « لمل معرفتنا بوالد موسوليني تجعلنا فرى أن آخر شيء يمكن أن نصفقه هو أنه كان قادراً على أن يتلو أي شيء على مسامع أي إنسان مساء يوم السبت . وكان هدف موسوليني الوجيد من نشر مثل هذه القصص أن يترك انطباعاً حسناً عند سامعيه . ولعل جل ما استطاع أن يغمله موسوليني طبلة حياته كلها أنه كان لا يقرأ ، يرك الطباعات . ولكنه كصحل موهوب ، كان قادراً على أن يتحدث وأن يكتب بشيء من الفرور عن كل شيء حتى عن الأسور التي كان لا يعرف شيئاً عنه . « المؤلف »

للخلاص من هذا الامتحان ، الذي أحالها بدوره إلى الوزير ووصلت المخطوطة أخيراً إلى موسوليني » .

وسأل الصحفي مورافيا : ﴿ إِذِن أَفْتَرْضَ أَنْكُ تَعْرَضَتَ إِلَى التَّحَقِّيقَ . . ؟ ﴾

- لا ، أبداً . فقد أمر موسوليني بطباعة الكتاب .

\_ حقيًّا !!

\_ أجل ، إنه لم يكن رجلا سيئاً .

ــ سننشر هذا الحديث في الحارج ، حيث ينظر إلى موسوليني بمنظار آخر .

ـ ولكننا نفهم حقيقة موسوليني أكثر من غيرنا ، وآمل أن لا يستنتج الناس من هذا أننا من الفاشيين . ولعل أسوأ أخطائه ، جهله المعبب بالشؤون الحارجية . ولو كانت له سياسة خارجية , ذكية كسياسته الداخلية ، لظل على الغالب في مكانه حتى ليوم .

۲

بالرغم من أن من الشائع المهام المخالفين للعهد الاشتراكي الوطني في ألمانيا بالاشتراك في أعمال هذ العهد ، إلا أن الدولة الفاشية في إيطاليا كانت في نهاية عام ١٩٣٦ ، قد غدت المكان الذي بات الانحراف فيه عن المبادئ الفاشية أمراً مألوفاً . وقد بذلت محاولات ضخمة ومتعبة وسخيفة أحياناً لإرغام الإيطاليين على الارتفاع إلى المثل الفاشية في النظام والواجب ، وفرض سلوك يتميز بالصرامة والفردية عليهم ، وغم غرابته على طبيعهم ، وعدم انسجامه مع الشعار الفاشي المبكر . . «أنا لا أكترث قيد شعرة » . وكان الدوشي لا يمل من تكرار القول ، بأن الوقت قد حان لأن تجعل الفاشية مسئوليها التاريخية والتقليدية ، المراعاة الدقيقة الصارمة للنظام الفاشي ، كما أن واجب الفاشي أن يقدم المثل الذي يحتذى الكفاية ، والحزم في العمل ، والمينامية ، بدلا مما تميزت به الحياة الإيطالية قبل المفاشية من تراخ ، وكسل ، وخلافاً للحياة في الديمقراطيات الغربية التي يصورها الفاشية من تراخ ، وكسل ، وخلافاً للحياة في الديمقراطيات الغربية التي يصورها الفاشية من أمثال . . . «عش حياة خطرة » ، و « انظر إلى الحياة نظرة جدية » ،

مجرد شعارات ، وإنما كانت خصائص جوهرية فى العقيدة الفاشية . وكان موسولينى مولعاً دائماً بأن يقول . . . « لقد تحول الثوريون فى البلاد الأخرى بصورة متدرجة إلى موادعين هادئين ، لكننا هنا فى إيطاليا ، نزداد يوماً بعد آخر ، تطرفاً وعناداً وإصراراً ، .

وكان عمى الفاشي أن يحذر دائماً من خطر الاسترخاء والعودة إلى عادات الماضي المتكاسلة من معنوية وخلقية . وعليه أن يكون « ربحل عهد موسوليني الجديد» متقد الحيوية والنشاط ، حازماً في قراره ، مخلصاً في ولائه ، قادراً على التخلي عن ملداته ، وعلى إذابة شخصيته في خدمة المثل العليا الصارمة للأخلاق الفاشية . وكان موسوليني يقول . . « نحن المدافعون عن الأهمية الجماعية للحياة ، ونحن نريد تنمية هذا الاتجاه على حساب التفردية (individualism) . وكان على الأعضاء للسجلين في الحزب ، والذي بلغوا في مارس عام ١٩٣٧ ، أكثر من مدونين ، المسجلين في الحزب ، والذي بلغوا في مارس عام ١٩٣٧ ، أكثر من مدونين ، في سبيل تحقيق هذا الهدف ، أن يضعوا معياراً متزمتاً للسلوك ، يتحتم على جميع الإيطاليين السير بموجه .

وقد أطلق على السنوات المحمس التي سبقت نشوب الحرب العالمية الثانية اسم وحقبة ستراشي، نسبة إلى الجهود المتكررة التي ظل يبلها سكرتبر الحزب، أخيل ستراشي، لصب الإيطاليين جميعاً في قالبالطاعة بحيث يكونون كالإسبارطيين في حمل الشعارات والمثل الموسولينية. وكان ستراشي هذا مطبعاً للدوتشي طاعة عمياء ومتفانية في الإخلاص، يفتقر إلى سعة الأفق واللدكاء، ومكروها، بصورة خاصة من أبناء الشهال، لأنه جنوبي جاهل وتافه، من ذلك الطراز من الموظفين الذين كان موسوليني يحب دائماً أن يعهد إليهم بمراكز المسئولية في السلم الفاشي. وذكر تشيانو في يومياته، أنه لم تحل نهاية الثلاثينات حتى ظهرت موجة شعبية عرمة من السخط على القيود النافهة التي فرضها سكرتبر الحزب. وقد اقترف هذا الرجل الحطأين الكبرين والحطيرين اللذين يمكن للإنسان أن يقترفهما عندما يتعامل مع الشعب الإيطالي . فقد خلق جواً من الإرهاب، وأزعج الإيطاليين بألوف المسائل الصغيرة التافهة ذات الطابع الشخصي . فالإيطاليون يجون من بألوف المسائل الصغيرة التافهة ذات الطابع الشخصي . فالإيطاليون يجون من مكامهم أن يحكموا حكماً عاطفياً . وقد يغفرون للحاكم إذا أساء إليهم ، واكنهم معامهم أن يحكموا حكماً عاطفياً . وقد يغفرون للحاكم إذا أساء إليهم ، واكنهم معامهم أن يحكموا حكماً عاطفياً . وقد يغفرون للحاكم إذا أساء إليهم ، واكنهم ألبي المهم أن يحكموا حكماً عاطفياً . وقد يغفرون للحاكم إذا أساء إليهم ، واكنهم معاهم أن يحكموا حكماً عاطفياً . وقد يغفرون للحاكم إذا أساء إليهم ، واكنهم من المحتورة التواهية والمحتورة التواهية والمهم أن يحكموا حكماً عاطفياً . وقد يغفرون للحاكم إذا أساء الهم ، واكنهم من المحتورة التواهية والمحتورة المحتورة والمحتورة التواهية والمحتورة والمحتور

لا يغفرون له أن ينكد عليهم عيشهم » .

وكان سنراشى . مكروها من جميع مواطنيه ، محتقراً منهم ، لأسباب عدة منها حبه للمظاهر والأوسمة ، وإصراره على أن تحل التحية الرومانية القديمة محل المصافحة باليد، وإخلاصه للشعارات ونفاقه المتلهف الواضح فى تبنى كل ما يصدر عن الدوتشي من فكر أو رأى . وعندما تبني موسوليني في عام ١٩٣٨ آراء برونو سيكوجناني (Bruno Cicognani)، الذي كان قلد كتب مقالاً في صحيفة الكورييري ديلا سيرا ، يهاجم فيه الاستعمال المضحك لضمير «أنت» الشائع (Lai) في الأحاديث المهذبة ، كضمير المخاطب في الكلام مما يتعارض مع التقاليد الأدبية الإيطالية القديمة والمجيدة ، ويتناف مع الكرامة الشخصية ، بادر ستراشي إلى تبني الحملة ، ضد هذا «الضمير » بعنف شديد ، وأصدر منشورات حزبية بطلب فيها على الفور وبصورة إلزامية استعمال الضمير القديم « أنت » (Voi) بدلا من ذلك « الضمير » المألوف . ولا ريب في أن حملاته المفرطة والعنيفة على هذا الضمير ، عمقت مشاعر الازدراء التي يحملها له الشعب الإبطالي . ودفعت خصوم العهد إلى ـ الإصرار على استخدامه دائماً كرمز على تحديهم للعهد الفاشي . وراح ينديتو جروش ، الذي تحول الآن إلى خصم قوى ومكشوف للفاشية يستعمل الضمير المألوف في أحاديثه مع أسرته وأصلقائه بدلا من الضمير التقليدي ، الذي كان دائم الاستعمال له من قبل . وكثيراً ما خرج ستراشى على حدود المألوف ، وحدود ما يرضي به موسوليني ، كمحاولته مرة ، فرض قاعدة معينة ، وهي إنهاء جميع المراسلات الرسمية بعبارة ١ عاش الدونشي ١ . وسمع موسوليني لأول مرة بهذه القاعدة الجلبيدة ، عندما رآها متشورة في الصحف كأمر من الحزب ، وراح يستدعى سكرتير الحزب إلى حضرته وهو فى ثورة غضبه . وعندما دخل ستراشى مكتب الدوتشي ، راح موسوليني يملي على سكرتيرته أمامه . . . قائلاً . . . و سيدتي . . . أبعث إليك بهذه الرسالة لأبلغك أن ولدك العريف في كتيبتنا ، قد سقط عن جواده ، وتهشم رأسه . عاش الدوتشي » . . . ه وسبدى العزيز . . . تبعث إليك بهذه الرسالة لنبلغك أن الرغبة في التخفيض في عدد الموظفين في الشهر القادم ستؤدى إلى فصلك من وظيفتك . عاش الدوتشي ، ومضى موسوليني على مجموعة

من أمثال هذه الرسائل الوهمية قبل أن يستدير غاضباً إلى ستراشى . ليطوده من حضرته ، مهماً إياه في سورة غضبه ، بأنه قد نجح في أن يجعل من الدوتشي أضحوكة في طول إيطاليا وعرضها .

وكان ستراشى كسكرتير للحزب مستولا أيضاً عن التدخل المتزايد للأفكار والعقيدة الفاشية في الرياضة ، مما أدى إلى أن تصبح احتكاراً لللولة ، تمارس عليها دوائر الدعاية في الدولة إشرافها السخيف الغوذجي، كأن تقرر مثلا أن يرتدى فريق التنس اللمولى الإيطالي القمصان السوداء ، وأن يرفض أفراده مصافحة من يلعبون معهم مكتفين بالتحية الرومانية ، وأن تمنع الصحف مثلا من نشر صورة بطل الملاكمة الإيطاني ، بريموا كارنيرا ، وهو يهزم في الحلقة في مباراة البطولة العالمية . ومع أن المنظمة التي حملت اسم «بعد العمل» (Dopolavoro) ، قد عملت الكثير لتأمين الألعاب المسلية والرخيصة للعمال ، وامتاعهم بعطل وأجازات لاتكلفهم كثيرًا ، إلا أن هؤلاء العمال ، غضبوا من الإصرار عي « الطراز الفاشي ، ف الرياضة وألعاب التسلية ، واعتبروه تدخلا فيه الكثير من الددعاء والتظاهر . وكان النظام الذي أدخل وبات يسمى « بالسبت الفاشي » كالعطلة الأسبوعية التي حلت محل ونهاية الأسبوع ، وكل ما انطوى عليه هذا النظام من مظاهر « بث روح النورة » ، نموذجاً لهذه الحقيقة . وكان يطلب إلى العمال والكتاب سواء أكانوا في خدمة الحكومة أم لا، أن يقضوا أوقات بعد الظهيرة يلعبون الألعاب ، أو يشتركون في التمارين العسكرية والدستعراضات . أو يحضرون بعض الندوات والمناقشات السياسية .

وقد كتب مؤرخا العهد الفاشى لويجى سلفاتوريللى وجيوفانى ميرا ف كتابهما «تاريخ إيطاليا فى العهد الفاشى ، يقولان إن . . .

و المدول الطبيعية للشعب والمقاومة السلبية التي أبدها ، هبطت بالبرنامج الفاشي الله الحد الأدنى ، وبات و السبت الفاشي و في النهاية مجرد وقت للراحة والمتعة ، أي كالسبت الإنجليزي . ولم تظهر المقاومة للانضباط الستاراشي في هذه الصورة وحدها . . . فالتباين المقبول بين ما هو مطلوب ، وببن ما هو واقع ، أو بين النظرية والتطبيق وبين المظهر والواقع في ميدان الانضباط الفاشي ، أسهم من ناحية

فى حماية الإيطاليين من الاستعباد المطلق والانحلال الروحى ، كما خلق من الناحية الآخرى ، تلك النزعة لاحترام القانون ، وعدم التظلم من الأنظمة ، وذلك الافتقار إلى الضمير الاجتماعى ، وهي جميعها عيوب كانت وما زالت خطيرة في الشخصية القومية . على أى حال ليست هذه هي أقل التهم التي توجه إلى العهد الفاشي أهمية » .

وكان إيتالو بالبو ، أذكى الأربعة من أعضاء مجلس الأربعة ، والذى كان موسولينى يخشى من شعبيته ويثور على انتقاداته العلنية ، ولذا فقد بعث به الدوتشى ليكون حاكماً عاماً فى ليبيا . ولم يكن هذا الرجل يجهل هذه الحقيقة ، إذ أنه قال فى صيف عام ١٩٣٨ . . . لم يعد هناك مع الأسف طعم للإخلاص فى إيطاليا .

القسم|لشانى الإمبراطورية والمحور

## الدبلوماتي

## ۲۸ أكتوبر ۱۹۲۲ – ۲۰ يونيو ۱۹۶۰

«على الألمان أن يسمحوا لى بتوجيههم ، إذا أرادوا تجنب الأخطاء الى لا تفتفر . وليس نمة من يشك في أنني أكثر ذكاء ودهاء من هتلر في الشؤون السياسية ،

١

«كان من رأيي دائماً ، أنني وقد حطمت كبرياء البلشفة ، يجب أن تغدو الفاشية الحارس الأمين لسياستنا الحارجية ، . . . هذه هي العبارة التي صدرت عن موسوليني قبل لشروع في الزحف على رومة . ولعل هذا الوعد اللدي كان يكثر من ترداده ، هو الذي دعاه إلى أن يحاول قيادة إيطاليا إلى مركز أكثر احتراماً في أوربا ، وإلى أن يحظى بتأييد قوى من جانب الشباب في بلاده . فقد راح في أول خطاب ألقاه في مجلس النواب بعد انتخابه نائباً ، يعرب عن تطلعاتهم الملحة ، وقد لتي التشجيع في موقفه هذا مما دعاه إلى اتخاذ موقف التحدي . الذي أوصل البلاد إلى شفير الحرب في غضبون سنة واحدة من توليه الحكم .

فنى السابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٣ ، اغتال بعض اليونانيين الجنرال الإيطالى إيريكو تللينى ، رئيس اللجنة الدولية لتخطيط الحدود بين ألبانيا واليونان مع ثلاثة من الجنود الإيطاليين ، لاتهامه بممالأة المطالب الألبانية . ولم يمض يومان حتى كانت إيطاليا توجه إلى اليونان إنذاراً نهائياً مطالبة بتعويض قدره خسون مليون ليرة إيطالية . وعندما أنكرت اليونان مسئوليتها عن الحادث ، أرسل موسوليني الأسطول الإيطالي إلى جزيرة كورفو فاحتلها . واشتكت اليونان في الأول من سبتمبر إلى عصبة الأم ، وكان رد إيطانيا الإصرار على أن العصبة لا تملك الصلاحية في معالجة القضية . وسرعان ما تعرضت اليونان للضغط الشديد لتلبية مطالب إيطاليا ، ودفع التعويضات الكاملة وجلا الإيطاليون عن كورفو .

وأفرعت الحرب الوشيكة موسوليني . وبالرغم منأنه لم يعترف بهذه الحقيقة إلا بعد سنوات طويلة ، إلا أنه راح منذ ذلك الحادث ، يسير بمنتهى الحنر والحيطة في سياساته الخارجية وفي هذا الميدان الخطر من سياسات القوة . وبدا في الواقع في السنوات العشر الأولى من حكمه ، وكأن لا مطمح له في أوربا وأفريقيا ، وكان قانعاً بأن ينفق كل طاقاته في الرفع من شأن دولته الفاشية وتعزيز الرخاء فيها . وقد بدا في الحالات القليلة التي ظهر فيها خارج إيطاليا ، في لوزان وفي لندن أثناء مؤتمرات عام ١٩٢٢ ، وفي لوكارنو في ديسمبر عام ١٩٢٥ ، ليوقع نيابة عن إيطاليا المعاهدة المشهورة بهذا الاسم ، برباط عنقه الذي يجعله على شكل الفراشة ، وبحداثه المغطى بالقماش ، وقبعته العالية ، وقفازيه الأبيضين ، وسرواله التي ينقصه الكي ، شخصاً بختلف كل الاختلاف عن صورة ذلك الثوري العنيف الذي كان يرسمه فيها الصحفيون الأجانب. وكان الناس يدهشون من ضآلة جسمه ، إذ لم يعد طوله خمس أقدام وست بوصات ، وبما يبدو في ابتسامته غير المتوقعة من دفء . ولم يكن ثمة ما يدعو أحدهم إلى الفزع منه . وقد علق اللورد كبرزون على شكله بشيء من الازدراء الأرستقراطي قائلا . . . « حقًّا إنه شخص غريب(١) ، . . ويدت آراؤه معقولة ، بل أكثر انطباقاً على العقل في الواقع من تلك التي كان يحملها كثيرون من ساسة أوربا في عهده ، وكانت الخطب التي يعرض فيها هذه الآراء إذا ما قورنت بانفجاراته اللاحقة ، من النوع الإيجابي الموادعة والتوفيق. وأقام الدليل على تسامحه الواضح ، بتلك السلسلة من الاتفاقات التي عقدها مع يوجوسلافيا ، والتي كانت من ناحية المصلحة الإيطالية ، أقل بكثير مما كان يتوقعه الكثيرون من القوميين الإيطاليين . ولما كان قد رأى في « المراجعية » فرصة لاستغلال ما تحس به أوربا من مرارات هي في صالح إيطاليا ، فقد واصل الحمث على ضرورة تعديل معاهدة فرساى وراح فى عام ١٩٢٦ يقول . . . « ستؤدى هذه السخافة المسهاة بفرساى ، لا إلى الثورة فى ألمانيا فى يوم ما ، بل إلى الحرب ف أوربا أيضاً ». وقد أعاد هذا الإنذار المرة تلو المرة . وبالرغم من استمراره

<sup>(</sup>١) أعد موسوليني الإهانة لكبرزون . فقد كره كبرزون ، ولندن معه ، لأنها بعث في عينه حاشدة بالناس من أمثال كبرزون ، وقد قرر بعد زيارته القصيرة للندن أن العاصمة البريطانية تمثل كابوساً لكل من يفد إليها من إيطاليا . وأعرب عن أمله في أن لا يزورها مرة ثانية . « المؤلف »

فى الإخلاص لحلفاء إيطاليا فى الحرب ، ومن تأييده لهم عامة فى جهودهم للعثور على حلول سلمية لمشاكل أوربا ، فإنه لم يستطع الموافقة دائمًا ، على أن حلفاءه يعالجون هذه المشاكل بطريق واقعى ، ولذا فقد دأب دائماً على السير على سياسة مستقلة بل مناقضة لسياساتهم أحياناً ، متابعاً كما قال اللورد هاليفاكس(١) ، فيما بعد « الدور التقليدي لإبطاليا في الموازنة بين ألمانيا والدول الغربية » . ووقف إلى جانب تلك البلاد التي أحس بأنها عوملت معاملة خطرة وبجحفة في معاهدة فرساى ، وراح يلحف على وجوب اتخاذ مواقف أكثر عملية وعطفاً من مشاكل أعداء إيطاليا السابقين ، ويطلب بصورة خاصة ، أن تتخذ فرنسا موقفاً أكثر واقعية ، ولا سما أنه لم يستطع أن ينسى قط معارضها لطلباته في مؤتمر لندن في عام ١٩٣٠ ، لتكون لإيطاليا المساواة البحرية مع فرنسا . واقترح في عام ١٩٣٣ ، عقد ميثاق رباعي يضم فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا ، آملا في أن تؤدى ﴿ إعادة النظر السلمية » عن طريق قيام إيطاليا وبريطانيا بدور الوسيط بين فرنسا وألمانيا ، إلى وضع أفضل تستطيع إيطاليا عن طريقه الإفادة من حركة بعث ألمانيا في الحصول على تنازلات جليدة من فرنسا . لكن الفرنسيين وقد شكوا في حوافزه ، وقفوا موقف التحفظ من اقتراحه ، ثم أقنعته الأحداث التي وقعت في النمسا في العام التالى ، بأن الفرصة في تحسين مركز إيطاليا في أوربا عن طريق العطف على مطالب ألمانيا المشروعة قلد وليت وانتهت . وكان ما يراد الآن ، كما يعتقد اتخاذ موقف صلب من الأطماع المترايدة لهذه الدولة التي بدأت تدرك أن في وسعها أن تأخذ كل ما تريده ، رغم إنكار جاراتها المعاديات لها عليها ذلك .

وسرعان ما عدال موسوليني سياسته التي تدعو إلى قيام جبهة قوية مناهضة لألمانيا، وما أعقب هذه السياسة من توثيق لعلاقاته بفرنسا وبريطانيا، تعديلا جدرياً ووقع في نهاية عام ١٩٣٤، صدام بين الجنود الإيطاليين والأحباش على الحدود بين الحبشة والصومال الإيطالي. ولم تمض عشرة أشهر انصرمت في التأهب والشائعات والمهديد والإندارات والتردد حي كانت إيطاليا تغزو الحبشة في أكتوبر

<sup>(</sup>۱) اللورد هاليفاكس ، كان وزيراً لخارجية بريطانيا مدة طويلة في عهد حكوبة تشميراين قبيل الحرب العالمية الثانية وبعد نشوبها ثم في وزارة تشرشل ، وعين في عام ١٩٤١ سفيراً في وإشنطن حيث ظل هناك حتى توفي بعد بضع سنوات .

عام ١٩٣٥. ولم يكن الصدام الذي وقع على آبار « وال وال » بالطبع إلا الدريعة الظاهرية . فقد ركز موسوليني نظره على هذه البلاد الوحيدة التي لم تستعمر حتى تلك اللحظة في أفريقيا منذ أمد طويل، ويقول الجنرال دى بونو إن وسوايني قرر غزوها منذ عام ١٩٣٧. وبالرغم من خوفه منذ البداية من تلخل بريطانيا لمنعه من تحقيق غايته . فإن دينو جراندي ، سفيره الآن في لندن ، واح يبلغه أنه علم من خصوم إيدن في الوزارة البريطانية أن بريطانيا لن تحارب دفاعاً عن الجبشة . وسرعان ما تأكد من هذا النبأ من وسالة حصلت عليها المخابرات الإيطالية وأمل هتار في أن يؤدي انشغال إيطاليا في أفريقيا إلى تحقيق مطامعه هو في النمسا ، فراح يشجع موسوليني على القيام بمغامرته .

وسمع العالم بأسره بقصص الأحباش العزل من السلاح الذين تحصدهم مدافع الإيطاليين الرشاشة ، وتخنقهم غازاته السامة التى سلطها عليهم ، فاشند سخطه وغضبه . لكن هذه الأمور فسرت للإيطاليين في صورة أخرى . وعندما انتهت الحملة السريعة القصيرة ، كان موسوليني قد وصل إلى ذروة شعبيته وسلطانه في بلاده .

فقد تحدى العالم بأسره وانتصر في تحديه . ومثل انتصاره لكثبرين من الإيطاليين مكافأة عادلة ، كما مثل تحديه للعالم ، موقفاً كريماً ، وشريفاً ، وذلك لأنهم لم يروا في عزمه على إقامة إمبراطورية في أفريقيا عملا من أعمالا الوحشية والسلب. وكان البريطانيون والفرنسيون قد بنوا إمبراطوربهم بنفس السبل والوسائل، ولكن بحماية الاتفاقات الدولية ، ولذا لم يكن لهما حتى في هذا الرياء الزائف في استنكار الطلبات المشروعة لدولة أوربية أخرى تكاد تموت اختناقاً ، وتتطلب فراغاً لإيواء عدد متزايد من السكان . وكانت بريطانيا وفرنسا تحتجان باسم الإنسانية ، لكن عداءهما كان نابعاً في الواقع عن رغبتهما في الإبقاء على باسم الإنسانية ، لكن عداءهما كان نابعاً في الواقع عن رغبتهما في الإبقاء على ومن إمكان التوسع الإقليمي. وكان من السخف في رأى الإيطاليين التحدث عن الحبشة كدولة مستقلة ذات سيادة ، إذ أنها لم تكن في الواقع أكثر من مجرد مجتمع المبنل غتلفة الخنس والعنصر ، يسيطر عليها عدد من الشيوخ القبليين البدائيين ، لقبائل غتلفة الخنس والعنصر ، يسيطر عليها عدد من الشيوخ القبليين البدائيين ،

وفي مقدمتهم هيلاسلاسي ، الذين لا يحترمهم خصوم إيطاليا وأعداؤها ، إلا الأنهم يعتنقون مذهباً من مذاهب المسيحية . وكان من السخف أيضاً إنكار الحقيقة الواقعة ، وهي أن نفوذ إبطاليا في الحبشة سيكون نفوذاً طيباً . وكانت بريطانيا نفسها قد اعترضت على قبول هذا «الدولة المتوحشة» عضواً في عصبة الأمم ، عندما اقترحت إيطاليا إشراكها فيها لمنع بريطانيا من التدخل في شؤونها . وسبؤدى غزو إيطاليا لها إلى وقف الحروب الداخلية وتجارة الرقيق ، كما سينجم الشعب بالفوائد الاجهاعية العظيمة (١). وكانت الهمة التي نشرتها بريطانيا وفرنسا على نطاق واسع من أن الجيش الإيطالي قد استخدم الغازات السامة في قتل الألوف من الإفريقيين الأبرياء ، في نظر الإيطاليين مجرد دعاية شريرة ليس إلا. وكانت الغازات المسيلة لللموع هي الغازات الوحيدة التي استعملت، بالإضافة إلى هغاز الحردل » الذي لا يميت ولا يصيب بعاهات دا ممة . أو لم يجد برنارد شو نفسه مبر رات لاستخدام هذه الغازات؟ وكان الدوتشي نفسه قد قال لأحد الصحفيين الإنجليز: ﴿إِذَا أَرْدُتُمُ الْحَدَيْثُ عَنِ الْفَظَائُعِ، فَسَارَ بِلُتُ صَوْرًا لِمَا فَعَلَهُ الْأَحْبَاشِ بجنودنا، وهي ف منتهى البشاعة ، بحيث تشمئز أية صحيفة من نشرها . ونحن لم نستخدم قط سحب الغازات التي استخدمت في الحرب الكبرى ، أما غازات الخردل ، التي كنا نقذف بقنابلها في لشقوق والوهاد الجبلية التي كان الأحباش يزحفون إليها لمهاجمة رتل إيطالي معزول، فلم تكن في الواقع إلا إجراء إنسانيًّا للحيلولة دون ضياع أرواح أخرى ۽ .

وهكذا كانت ضهائر الإيطاليين مستريحة لما تفعله حكومتهم . ولم يُكونوا قد أحسوا بالحاجة الماسة إلى الإمبراطورية كما أحس بها الدوتشي ، ولذا لم تكن حماستهم شديدة لضهان وجودها عن طريق القوة . وقد تحدث كثيرون من الفاشيين القياديين

<sup>(</sup>۱) لم تكن هذه الادعاءات الإيطالية وما شاجها من أقوال جديدة على الاستمار العالمي . فقد استخدم الاستماران البريطاني ولغرنسي أمقالها في تبرير استمارهما للقارتين الأفريقية والآسيوية ، كما بِخَات إليها الدول الاستمارية الأخرى كأسبانيا والبرتغال وهوائدة وينجيكا ، فالشعوب المستمعرة لا تستحق الحياة الحرة لأنها متأخرة ، وعلى والرجل الأبيض » أن يؤدى رسالته » المزعوبة » في نشر الحضارة التي لم تكن في الواقع إلا استغلال ثروات هذه البلاد واستعباد أهلها ، وتسخيرها في خدمة البلاد الاستعباري وضان رخائه وإزدهاره .

إلى الأمير ستارهمبرج نائب مستشار النمسا ، وقائد جيشها ، وكان صديقاً شخصياً لموسوليني ، فبينوا له معارضهم للحرب الحبشية ، ولم يكونوا يوافقون الدوتشي في إيمانه بأن الفاشية ستتعزز في الداخل وعلى المسرح الدولى ، بعرض من عروض القوة ، وأن هذا العرض يفرض من الاحترام أكثر ما تفرضه أية مناورات سياسية مهما كانت فاجحة ؛ ولم يتبينوا أيضاً ، افتراض الدوتشي العاطني بأن سلطة إيطاليا في أوربا « وتقدم الحلق الفاشي المقبل ، يتطلب الثار من معركة عدوة » ، وهي المعركة التي هزم الاحباش فيها ، قبل نحو من أربعين عاماً ، الإيطاليين هزيمة منكرة ومذلة ، أضحكت العالم بأسره على إيطاليا .

أما الآن فقد ثبت بطلان هذه التحفظات ، وأخرست الأصوات المطالبة بالحذر وضبط النفس . وكان موسوليني قد أعلن قبل بضع سنوات . . . « أن هدفي ف منهى البساطة ، فأنا أريد العظمة لإيطاليا ، وأريد من الدول الأخرى أن تحترمها وأن تخافها » . ولم يعد في وسع الإيطاليين أن ينكروا أنه حقق هذه الغاية . وكان هناك بالطبع بعض الإيطاليين الذين شكوا في أن يكون عمل إيطاليا متفقاً مع « أخلاق » القرن العشرين ، والذين خافوا من أن تكون غيرة موسوليني من نجاح هتلر المتزايد في أوربا ، ورغبته في أن يظهر أن إيطاليا ، دولة قوية أيضاً ، هما السبب فيما حدث . ومع ذلك فقد وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الإعجاب بالسرعة التي أنتهت فيها حملة الحبشة خلافاً لتوقعات الخبراء العسكريين في لمنلـن ورومة ، وهي سرعة يرجع الفضل فيها إلى الدوتشي وحده ، ملاحظين ، وكأن ملاحظتهم هذه مدعاة للتبجح والزهو ، بأنه ظل يمطر قائده في الميدان بتعليماته المستمرة ، التي وصلت في بعض الأيام ، إلى أكثر من ماثة برقية عاجلة ، تعالج كل ناحية محتملة من نواحي العمل العسكري . لكن النجاح العسكري لم يكن إلاجزءاً فقط من النصر الذي حققه الدوتشي . فقد خلفت الحرب أثراً أكبر أهمية ، وهو الروح الدائمة للوحدة القومية التي خلقتها . وتمكن أنطوني إيدن الوزير البريطاني لشؤون عصبة الأمم بعد الاجتماع العاصف الذي عقده في رومة مع موسوليني ، والذي حدد الشكل النهائي لرأى كل من الرجلين في الآخر ، من الفوز بتأبيد عصبة الأمم لسباسة : العقوبات ، التي اقترحها ، وقررت الجمعية العامة لعصبة الأم فى العاشر من أكتوبر عام ١٩٣٥ ، بأغبية خمسين صوتاً ضد صوت واحد ، القيام بإجراء جماعى ضد إيطاليا . لكن نتيجة القرار كانت فى صالح إيطاليا إلى حد كبير . فقد أعلن ستانلى بلدوين رئيس وزراء بريطانيا فى تاك الأيام ، جرياً على القاعدة المقبولة آنذاك للدبلوماتية البريطانية، وفضه دعم عصبة الأيم إلى الحد الذى قد يؤدى إلى خطر الحرب ، كما رفض أن يتخى عنها ، بإعلان صفحه عن عمل موسولينى . وراح يؤكد أن العقوبات تعنى الحرب ، وأنه مصمم ثانياً ، كما ذكر ونستون نشرشل فيا بعد ١ على أن لا تقع هناك حرب . وإنه عازم ثالثاً على تأييد العقوبات . وكان من الواضح أن التوفيق بين هذه الأهداف الثلاثة أمر مستحيل ٥ . وأدرك بيير لافال وزير خارجية فرنسا الذكى والشرير ، منذ البداية استحالة التوفيق بين هذه الاتجاهات الثلاثة ، ودعا إلى مساومة موسولينى . وعتدما أفرت العصبة قرار العقوبات ، راحت تعمل بتشجيع من بريطانيا على أن لا تضم قائمة الصادرات الممنوعة إلى إيطاليا ، أياً من الموادى من بريطانيا على أن لا تضم قائمة الصادرات الممنوعة إلى إيطاليا ، أياً من الموادى قد تشعل حرباً أوربية ، كالزيت منلا .

وهكذا لم تحل الدبلوماتية الغربية بين موسوايني وبين مهاجهة الحبشة واحتلالها، وكان كل ما فعلته على النقيض من ذلك ، هو أنها أعطته الفرضة لتوحيد شعبه في ظل الفاشية وحمايتها ضد ما يقوم به العالم المعادى لها من أعمال ، وإساءات ، وراح يعلن قائلا . . . « ستواجه إيطاليا العقوبات بالانضباط ، والاقتصاد والتضحية » . وهذا ما فعلته حقاً . وكما التفت الدول الأعضاء في عصبة الأمم ، الساخطة على موسوليني ، حول أتطوني إيدن ، راح الشعب الإيطالي المعزول ، الذي لقينت غالبيته ، مشاركة موسوليني في كراهيته لإبدن ، يلتف حول الدوتشي . وأنه لت عليه التبرعات من كل مكان ، فالسيدات العجائز يبغن الدوتشي . وأنه لت عليه الإنفاق على الحرب ، وأعلن شباب إيطاليا أنهم على استعداد للتضحية بأر واحهم في غارات جوية انتحارية على الأسطول البريطاني . استعداد للتضحية بأر واحهم في غارات جوية انتحارية على الأسطول البريطاني . واشترك كثيرون من الأحرار ( الليبراليين ) السابقين في تأييد الحرب ، ولم تعترض الكنيسة عليها . وآب إلى البلاد عدد كبير من أعداء الفاشية السابةين الذين كانوا يعيشون في منافيهم الاختيارية بعيداً عنها ، ليساعدوها في أوقات محنها . وقد قال يعيشون في منافيهم الاختيارية بعيداً عنها ، ليساعدوها في أوقات عنها . وقد قال

موسوليني في إحدى خطبه التي كانت تفرح الإيطاليين من فاشيين وغير فاشيين ... وإن الشعب الإيطالي جدير بمصيره العظم ». وعندما استقبل الشعب البريطاني بما يشبه اللاعر ،انفاق هور – لافال لعام ١٩٣٥ ، والذي قضى بتقسم الحبشة بين إيطاليا وبين الإمبراطور ، اعتبر الإيطاليون هذا الاستقبال مناهضاً لإيطاليا ، وعندما اضطر السير صمويل هور إثر الضجة العنيفة التي أثارها نشر الاتفاق إلى الاستقالة من وزارة الحارجية ليخلفه فيها أنطوني إيدن الذي يكرهه الإيطاليون ، اعتبر هذا التبدل في بريعانيا دليلا على اتباع سياسة أكثر صرامة وقسوة مع إيطاليا ، عما أدى إلى ارتفاع شعبية موسوليني في بلاده إلى ذرى جديدة .

وكان ثمة نتيجة أخرى ، أكثر أهمية لانتصار موسوليني ، فقد راقب هنار نجاح صديقه الإيطالي في نزاعه مع عصبة الأمم التي كان هو قد انسحب منها بصورة تميزت بالضجة والعنف في أكتوبر عام ١٩٣٣ ، وبني على ضوء هذا النجاح استنتاجاته الجديدة . وهكذا مثل تصدع العصبة ، أكثر من مجرد تكريس لفلسفة القوة ، ومن عرض جديد لانحلال الديمقراطية ، إذ مثل نهاية ماسمي بجبة ستريزا وبداية عهد التحالف الألماني \_ الإيطالي .

۲

مر ثمة وقت كان فيه مثل هذا التحالف يبدو مستحيلاً. فقبل سنتين ليس إلا تورت العلاقات بين البلدين إلى الحد الذي هددها بالانقطاع . فقد كان موسوليني في حرصه على حماية المصالح الإيطالية في الأوربيتين الوسطى والجنوبية ، مصمماً على منع هتلر من تحقيق أطماعه المعروفة في النمساً . واشترك مع بريطانيا وفرنسا في السابع عشر من فبراير عام ١٩٣٤ ، في إصدار إعلان عن الحاجة إلى المحافظة على استقلال النمسا . وراح بعد شهر من هذا التاريخ يؤكد تصميم إيطاليا على الحيلولة دون توسع ألمانيا باتجاه حدودها الجنوبية والشرقية عن طريق التوقيع مع النسا والمجر على اتفاقات رومة ، التي نصت على التشاور المتبادل في حالة وقوع أي خطر يهدد هذه البلاد الثلاثة . وعندما حاول النازيون في يوليو من العام

نفسه ، القيام بانقلاب في النمسا عن طريق اغتيال مستشارها إينجلبرت دولفوس ، في الوقت الذي كانت فيه زوجة المستشار وأولاده في ضيافة موسوليني في إيطاليا ، كان رد فعل الدونشي فوريًّا وعنيفاً ، إذ أبرق إلى الأمير ستارهمبرج ، المستشار بالوكالة ، واعداً إياه بمساعدة إيطاليا ، ثم بعث بثلاث فرق إيطالية إلى الحدود النمسوية للتأكيد على جدية الوعد المذكور . وعندما أدرك هتلر أن أنصاره في النمسا قد شطوا بعيداً في أعمالهم ، وجد نفسه مرغماً على التراجع . وتحولت غيرة موسوليني التي كان يتقن إخفاءها ، من الرجل الذي تحدث عنه بكثير من الازدراء بعد اجتماعه الأول به واصفاً إياه « بالمهرج الصغير المجنون » ، إلى ما يشبه الكراهية . وقال الأمير ستارهمبرج إن هتلر هو قاتل دلفوس ، وهو المسئول عن كل ما حدث . وراح ينعته بأقبح النعوت ويصفه « بالمخلوق المنحل جنسيًّا إلى درجة محيفة » و « بالمجنون الحطر » . وكان في رأيه الزعيم الطبيعي للاشتر كية الألمانية وهي صورة مزوقة ومتوحشة للفاشية ، و « نظام بربري متوحش ، لا يعرف إلا القتل والنهب والابتزاز » . وعندما وقعت عمليات التطهير العنيفة في ألمانيا في يونيو عام ١٩٣٤ ، وصفها موسوليني دبأنها الأزمة الحتمية لمثل هذا النظام السياسي الكريه». وراح يقول لصديق آخر له ، هو الصحفي ميشيل كامبانا ، «يسرني غاية السرور أن يكون هتلر قد أعلن ثورته على طريقتنا . ولكنه يقود الألمان ، وسينتهى بهم المطاف إلى تحطيم فكرتنا . فما زالوا هم برابرة تاسيتوس وعصر الإصلاح الديني الذين يصطرعون اصطراعاً أبديًّا مع رومة ».

وفى وسع الإنسان أن يفهم السبب فى غضب موسولينى . فتهديد استقلال النمسا بالخطر ، يعنى تعرض إيطاليا نفسها لخطر إضاعة ضانات أمنها ، وضراع ثلمائة ألف من الإيطاليين خاضعين لحكم النمسا فى منطقة « التواديج »، ليصبحوا عبيد القومية الألمانية . ووجد نفسه مضطراً إلى التخلى عن سياسته « المراجعية » ليتخذ موقفاً أكثر وداً من فرنسا التي يحتاج الآن إلى دعمها . وكانت هذه مى الأفكار التي سيطوت عليه عندما انضم إلى جبهة ستريزا المعادية لأاانيا فى الحادى عشر من أبريل عام ١٩٣٥ ، إذ اتفق مع بريطانيا وفرنسا على استنكار أية محاولة تجرى لتغيير الاتفاقات التعاهدية عن طريق القوة .

وقد شهد موسوليني هذا المؤتمر مع فولفيو سوفيتش ، وكيل وزارة الدولة المشؤون الخارجية ومستشاره لرئيسي في القضايا الخارجية ، وهناك بين أن إصراره على كبح جماح المطامع الألمانية لم يكن السبب الأول في حضوره المؤتمر . وكان التفاهم مع فرنسا وإنجلترا ، كفيلا بأن لا يحفظ لإيطاليا مركزها في أوربا فحسب ، بل أن يساعدها أيضاً في توسيع نفوذها في البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا .

وكان قد أشار في خطابه إلى البيان النهائي للمؤتمر الذي أدان أي « رفض من جانب واحد المعاهدات قد يهدد سلام أوربا » . وكان الدوتشي قد أورد كلمة اوربا » ، بشيء من التأكيد الواضح ، ثم توقف طويلا قبل أن يواصل كلامه ، قائلا إن ممثلي وزارة الخارجية البريطانية أدركوا لتوهم ، ما يفكر فيه ، وتشاوروا فيا بينهم في تلك الليلة ، ليقرروا ما إذا كانوا سيحذرونه من الهجوم على الحبشة أم لا . وقد قرروا أن تأييده لموقفهم ضد ألمانيا ، هام جداً بحيث لا يستطيعون المنامرة به . ولذا فقد امتنعوا عن تحذيره . وغادر موسوليني ستريزا معتقداً بأنه قد حقق غايته . وعندما وقعت المعاهدة البحرية الإنجليزية – الألمانية في شهر يونيو ، تأكد موسوليني من يقينه الثابت من أن بريطانيا لا نهتم حقاً بما يقع في العالم طالما أن مصالحها في ذجوة من المهديد .

وبدأ غزو الحبشة بعد أربعة أشهر . وعندما تحولت أوربا الغربية فى ذلك الحريف ضده ، بتلك الصورة اللافعالة ، طرأت على تفكيره فكرة جديدة ، وهى أن يتحالف مع الدولة القوية الوحيدة التي لم تعاده علناً حتى الآن ، واستولت على جماع تفكيره .

٣

قام هتلر بالحطوة الأولى ، إذ كان معجباً بالدوتشي طيلة حياته السياسية ، كما كان متأثراً تأثراً عيةاً بكثير من مفاهيم الفاشية الملهبية وأساليبها المتقلبة . وكان في عام ١٩٢٦ ، قد كتب إلى رومة ، يطلب إلى الدوتشي صورة موقعة منه . وقد بعثت وزارة الخارجية الإيطالية برد في منهى البرود إلى سفارتها في براين

تقول ... « أرجو أن تشكروا السيد المشار إليه على عواطقه، وأن تبلغوه بالطريقة التي تستنسبونها ، بأن الدوتشي لا يرى من المناسب إجابته إلى طلبه » .

وبالرغم من وجود بعض الأدلة التي تشير إلى أن النازيين كانوا يتلقون معونة مالية من إيطاليا منذ عام ١٩٣٧ ، إلا أن الدوتشي نفسه ، لم يرغب في تشويه سمعته الرائعة ، عن طريق الاتصال علناً بذلك المغامر التافه النتن » الذي يتولى قيادتهم . ولم يتخفف موسوليني من شكوكه واحتقاره لمتلر ، حتى بعد وصوله إلى الحكم في عام ١٩٣٣ ، وهو التطور الذي فجأ موسوليني وباغته . وكان يقول في هذه الآونة ، إنه جعل من الفاشية ، كما يعتقد ، شيئاً يمترمه الناس ويعجبون به ، ولذا لم يكن راغباً في تشويه سمعتها وتلويتها عن طريق الارتباط بالاشتراكية الوطنية التي وصفها بأنها «ثورة القبائل الألمانية التي ما زالت تعيش في غابات ما قبل العصور الوسطى وبجاهلها » . ولم يكن ثمة أدنى شك على الإطلاق ، في أن أوربا وأمر يكا كانتا تنظران إلى موسوليني نظرة أكثر احتراماً من نظرتهما إلى هتلر . وكانت عبارات الإطراء التي الهالت عليه بسخاء وحماسة من الكتاب المحافظين ، ومن الشخصيات العامة في عشرينات القرن ومسهل ثلاثيناته ، كثيرة ، المحافظين ، ومن الشخصيات العامة في عشرينات القرن ومسهل ثلاثيناته ، كثيرة ، أعظم ساسة العالم في عصره .

وقد أشار إليه السير أوستين تشميرلين ، وزير خارجية بريطانيا عندما زار رومة في ديسمبر عام ١٩٢٤ ، بأنه ه رجل عظيم . . . يعمل ليضمن العظمة لبلاده » . وكثيراً ما ظهرت السيدة تشميرلين في السنوات التالية ، وقد وضعت الإشارة الفاشية على ذراعها . وقام ونستون تشرشل بزيرة رومة في عام ١٩٢٧ ، وروي عنه أنه قال إبان هذه الزيارة . . . « لو أنني كنت يطاليًا لما ترددت لحظة واحدة في ارتداء القميص الفاشي الأسود » . وقد صرح في مؤتمر صحني نشرته صحيفة النايمز الاندنية بقوله . . . « لم أستطع أن أمنع نفسي ، كما عجز كثيرون غيرى ، عن أن أقع تحت تأثير ما في شخصية السنيور موسوليني من استهواء ولطف وبساطة ، وأن أعجب بما يبديه من هدوء وكرامة ، بالرغم مما يواجهه من أعباء وأخطار كثيرة . وفي وسع كل من بلقاه أن يرى أن خير الشعب الإبطالي على النحو

الذي هو يراه ، هي الفكرة المسيطرة عليه دائمًا ، وأنه لا يهتم قيد أتملة ، بأي موضوع آخر . . . ولو كنت إبطاليًّا ، لكنت معكم بجماع عواطنى وقلبي منا البداية حتى النهاية ، في نضالكم الظافر ضد غرائز اللينينية المتوحشة واندفاعاتها العاطفية ٤ . وراحت صحيفة التايمز اللندنية في اليوم التالي تهنيُّ المستر تشرشل ﴿ لأنه تفهم الروح الحقة للحركة الفاشية α , وأعلن لويد جورج اتفاقه مع موسوليني فى أن النظام التعاوني هو : التطور المبشر بالخير العميم ٥ . وراحت صحيفة الديلي ميل تنشر في عام ١٩٢٨ ، بكثير من الحماسة والتأكيد ، ما أعلنه صاحبها اللورد روذرمير ، من أن موسوليني ، « هو أعظم شخصيات العصر » . وذكر كاتب بريطاني أرخ حياة موسوليبي في كتاب طافح بالثناء والإطراء ، نشره في عام ١٩٣٢ ، بأن موسوليني هو « أعظم سياسي في عصرنا ؛ ، وهو رأى اعترفت المانشستر جارديان حتى في يناير عام ١٩٣٩ بأنها تحمله أيضاً . ولم تكن هذه الآراء نادرة أو شاذة . فقد كان بؤثر تأثيراً طاغياً على جميع الدبلوماتيين والزائرين الأجانب من رسميين وغير رسميين الذين يقابلهم في مكتبه الغخم في قصر البندقية ، ولم يكونوا يترددون في الإعراب عن إعجابهم به . وقد أحس المستر ريشارد وإشبورن تشايله السفير الأمريكي في رومة بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٤ ، نحو الدوتشي بإجلال يكاد يقرب من العبادة ، وراح يكتب في المقلمة التي وضعها لسيرة حياة موسوليني كما كتبها صاحبها بقوله . . . و ولم يكتف بالقدرة على الاحتفاظ بتعلق الناس جميعاً به فحسب ، بل قام ببناء دولة جديدة على أساس مفهوم جديد للدولة . ولم يكتف بإحداث انقلاب في حياة الناس ، بل أحدث انقلاباً ، اثلا في عقولهم وقلوبهم وأدواحهم » . ثم راح يتحلث بعد ذلك عن إنسانية الدوتشي وحكمته وقوته وحيويته الدائمة الحركة ، ثم قال . . . « إنه أعظم رجال العصر ، وعندما يغلق الإنسان الباب وراءه وهو يفارقه ، يضم ملابسه إلى جسده ، محاولا الاحتفاظ بشيء منه في قرارة صدره ٥ .

وقد رويت قصص كثيرة عن غروره ، وعن تمثيلياته ، وعن سأوكه الدعى وإيماءاته السخيفة ، لكن معظم زائريه اكتشفوا فيه منطقاً وجاذباً ، كما رأوا فيه، وهذا يثير الدهشة حقاً ، رجلا حيبًا ، يتميز بشيء من الافتقار الواعى إلى

الثقة بنفسه . وكثيراً ما قبل لهم ، بأنهم سيجدونه عند ذهابهم إلى زيارته ، جائساً وراء مكتبه الضخم في تلك القاعة الفسيحة والكثيرة الزخارف ، يختلس النظر المبهم ، وهم يتقدمون إليه عبر القاعة المرصوفة بالفسيفساء ، الممتدة ستين قدماً ، لينشغل بعد ذلك كلية عنهم في مواصلة الكتابة . وكان يقال لهم أيضاً : إن عليهم عند مقابلته أن يمروا بصفوف من الحناجر ، يتضبها عدد من الرجال المقطبي الوجوه من ذوى القمصان السوداء . لكن هذه المناظر لم تكن تحدث إلا نادراً . وكان المنظر المألوف ، هو ذاك الذي وجده داف كوبر عندما زار رومة في عام ١٩٣٤ ، فقد كتب يقول . . . ه لم أجد تمثيليات على الإطلاق ، ولم أجد نفسي مضطراً كما قبل لى ، إلى السير عبر قاعة طويلة من الباب إلى مكتبه . أهمية إعادة التسليح ، وضحك كثيراً ، عندما قلت إن من الحقا الظن بأن التسليح فقد استقبلي عند بأن من الحقا بل الجنون القول بأن المظلات تأتى بالمطر . وحنيل إلى أنه رجل يحب المزاح ، وكنت على استعداد لأن أتصور وجود مزايا أخرى عظيمة فيه . . . حقاً إنبي تأثرت بمقابلي المنعداد لأن أتصور وجود مزايا أخرى عظيمة فيه . . . حقاً إنبي تأثرت بمقابلي له غاية التأثر . . »

كان هذا هو الانطباع العام. ولكن كان هناك حقّاً آخرون لم يعجبوا به . فقد كانوا يصابون بالفزع منه وهو يتقدم إليهم بخطى قافزة كخطوات القطط ، مرحبا وبوداً ، وعندما كان يوحى بالانطباع ، كما أوحى إلى الاورد فانستيارت ، بأنه رجل لا يسر بالغ السرور لصحبة الآخرين » ، كان يذكر زائره بأنه أقرب ما يكون إلى الملاكم الذي يرتدى ملابس زاهية مصافحاً نفسه أمام نظارته » ، وكان يبعث في نفس زائره ، لا شيئاً من السرور الذي يحس به هو » . وقال عنه فانستيارت أبضاً . . . وإنه على أي حال ليس بالإنسان التافه ، ولا بالمهرج الذي يقتله الحسد » . فهو يتحدث في صوت هادئ خفيض ، وكانت مواهبه في الحديث رفيعة المدرجة . فهو طلق اللسان ، مؤثر في حديثه الذي لا يخلو من سرعة البديهة واللكاء أحياناً ، وكانت تعليقاته مفعمة بالإشارات غير العادية ، والقلوة الواضحة على العصرية في حديثه . ولقد ذكر وزير خارجيته عنه ذات يوم . . .

٥ عندما يشرع الدوتشي في الحديث ، يبدو إنساناً ممتعاً . ولا أعرف رجلا يستعمل مثله الاستعارات الراثعة والأصيلة » . فهو كمعظم المحدثين الممتازين ، لا بحسن الاستماع ، وكثيراً ما قطع على محدثه كلامه ، ناهضاً من مقعده ، لينقل المبادرة بالحديث إليه ، فيخطو في الغرفة جيئة وذهاباً ، وهو يتحدث . لكنه كان يبذل جهداً بالغاً للتغلب على هذه العادة عند مقابلته لزائريه من الأجانب ، وبالرغم من أنه كان يجد من الصعوبة بمكان ، بسبب القرحة التي كان يشكو مُهَا ، أَن يُظْلُ قَامِماً في مقعده ، فإنه كان يتظاهر بالإصغاء لمحدثيه ، وهو جالس إلى مكتبه منتصب القامة ، وقد جمع أطراف أنامله إلى بعضها . وكان نادر الضحك ، ولكنه عندما يضحك ، فإن ضحكته تبدو وكأنها صادرة عن الازدراء، أو ضحكة ذلك الإنسان الذي يحس بضرورة إبداء المرح، دون أن يكون مرحاً في الواقع . لكن البسمة الى تحمل طابع الموافقة ، كثيراً ما أضاءت وجهه الذي يغلب عليه العبوس . وقد تحدث عنه أريستيد بريان (وزير خارجية فرنسا) فقال . . . ه إنه ليس بالرجل العظيم فحسب ، بل إنه رجل طبب أيضاً ٥ . . وقد وجد فرانز فون بابن في موسوليني عندما ذهب إلى رومة في صيف عام ١٩٣٣ لتوقيع الانفاق مع الفاتيكان « رجلا يختلف كل الاختلاف عن هتلر . فهو قصير القامة . لكن علائم السلطة تبدو على محياه . وتوحى هامته الضخمة لناظرها بما فيها من قوة شخصية ، وهو يتصرف مع الناس تصرف الرجل الذي ألف منهم أن يطيعوا أوامره ، ولكن مع كثير من الحاذبية . . . وبينما يتميز هتلر دائماً بشيء قايل من عدم اليقين والثقة ، فيسير وكأنه بسبر أغوار طريقه ، كان موسوليني ببدو دائماً في منهى الهدوء ، والاعتزاز ، والثقة بالموضوع الذي يتحدث فيه . . . وهو يجيد الفرنسية والألمانية ، .

ولم یکن إطراء موسولینی فی أمریکا أقل منه فی أوربا . وكما شبهه اللورد روذرمبر بنابولیون ، نری رئیس جامعة كولومبیا ، یقارنه بكرومویل . وبحضی المذكور قائلا . . . ۵ ولا ریب فی أن الفاشیة طراز من الحکم من الدرجة الأولی فی الصلاح والتفوق ، . وقد انفق معه أوتو كان ، رجل المال المعروف، وراح یصف موسولینی فی خطاب ألقاه علی طلبة جامعة ۵ ویزلیان ، بالإنسان العبقری . وأید الكردینال

الأمريكي أوكونيل ، هذا القول . . . إذ بجاء عني لسانه . . . ا لا شك في أن موسوليني عبقرى في ميدان الحكم ، وقد منحه الله لإيطاليا لبساعد شعبها على ارتقاء ذرى المجد بسرعة لتصل إلى قدرها المجيد» . وعاد رئيس أساقفة شيكاجو من زيارته لرومه ، فذكر أنه يرى في موسوليني رجل العصر . وأعرب فيوريلو لا جوارديا ، رئيس بلدية نيويورك عن أطيب نمنياته الدوتشي بالنجاح مؤكداً أن ليس ثمة سبيل للمقارنة بين هتلر وموسوليني .

وقد رفض موسوليني رفضاً قاطعاً مصحوباً بالغضب الأقوال التي تشير إلى وجود شبه بينه وبين هتلر . وقد اضطر إلى الإقرار بأن الاشتراكية الوطنية نشبه الفاشية في تسلطها ، وجماعيها ، وعدائها النظام البرلماني ، ولا ديمقراطيها ، ومناهضها للبيرالية ، ولكنه رفض المضي إلى أبعد من هذا . أما بصدد النظرية التي تقوم عليها الفلسفة النازية ، وأعنى بها وجود «العنصر السيد» ، فقد رفضها موسوليني رفضاً قاطعاً وقال : « إنها سخف مطلق ، بل بلادة وجمود » . وكان يقول إنه لو صحت نظريات هتلر في التفوق العنصري ، فإن « الشعب الإيطالي يجب أن يصير أسمى شعوب الإنسانية رتبة » . . . وواح يقول في خطاب ألقاه ذات يوم من أيام شهر سبنمبر عام ١٩٣٤ في مدينة بارى . . . « هناك ثلاثون قرناً من التاريخ الحبيد ، تحملنا على أن ننظر بشيء من الإشفاق المتعلى على بعض العقائد التي تعلم على الحانب الآخر من جبال الآلب من ذرية ذلك الشعب الذي كان يعيش في خليات الأمية ، عندما كانت رومة تزهو بأمثال قيصر وفرجيل (Virgil) (الإنسانية الألمنية ، عندما كانت رومة تزهو بأمثال قيصر وفرجيل (Virgil) (الإنسانية الألمنية ، ووصف اللاسامية في حديث له مع إميل لودفيج في عام ١٩٣٧) وأوغسطس » . ووصف اللاسامية في حديث له مع إميل لودفيج في عام ١٩٣٧) ولا يمكن أن تقوم مثل هذه المشكلة في بلاد تتمتع ينظام حكم سليم » .

ولم يجتمع بهتلر للمرة الأولى إلا فى الرابع عشر من يونيو عام ١٩٣٤ . وقد كرهه بعد هذه المقابلة ، بنفس القوة الني كان يتوقعها . وقد جرت المقابلة التي

<sup>(</sup>١) فرجيل فرجيليوس (٧٠ - ١٩) ق . م . شاعر الرومان الكبير . ولد قرب مانتوا . ودرس في كريمونيا (ميلان) ونابولي . طاف في أنحاء الإمبراطورية الرومانية . أهم روائمه الإيتيادة ودرس في كريمونيا (ميلان) ونابولي . طاف في أنحاء الإمبراطورية الرومانية . أهم روائمه الإيتيادة وم ملحمة شعرية قصصية تقف على قدم المساواء مع إلياذة هوم .

أعدها الدبلوماتيون الألمان أملا منهم في أن يتمكن موسوليني من حمل هتلر على الاعتدال في موقفه من النمسا ، في الدارة الملكية في سترا ، على نهر برنيتا على مقربة من بادوا . وبدأ هتلر الذي استصحب معه عدداً من ربجال حرسه النازى الحاص ، ومعهم سيب ديتريش ، عصبي المزاج ، تافهاً . ولاحظ موسوليني بوجه خاص ، شعره المسترسل وغير الممشوط ، وعينيه الشاحبتين ، فتمتم قائلا . . . «أنا لاأحب رقيته ، وكان يرتدي معطفاً من الجلد، وسروالا مخططاً ، وحداء مفتوحاً من الجلد ، ويشد إلى رأسه قبعة رمادية من الفلين ، كان يلوكها دائماً في أصابعه ، وبدا وكأنه كما قال أحد الصحفيين الفرنسيين ، «سباك تافه ، يمسك بيده آلة غريبة » . أما موسوليني فقد وصل إلى مكان الاجتاع أيضاً في ملابس مدنية ، ولكنه ما لبث أن استبدل بها على الفور ، بدلة عسكرية زاهية ، ببدو الحنجر على جانبها ، وبحذاء أسود ، له أزرار من الفضة .

ولم يكن حديثهما الأول قد انهى عندما كون موسولينى رأيه فى هتلر . وعندما ابتعد عن مائدة الاجتماع فى فترة راحة قصيرة ، متجهاً إلى النافذة راح يتمتم وقد بدت على محياه علائم الاحتقار . . . ٥ حقاً إنه ربحل مجنون » . ولم يكد بحل المساء ، حتى بدا وكأن الرجلين لم يفقدا احتمالهما فحسب ، بل كأنهما على وشك التشاجر . انفقا على أنهما يكرهان معاً كلا من فرنسا وروسيا ، لكنهما لم يستطيعا الاتفاق على أنهما يكرهان معاً كلا من فرنسا وروسيا ، لكنهما لم يستطيعا الاتفاق على شيء آخر . ولا سيا فى موضوع النمسا ، حيث بين موسوليني أن على النازيين أن يوقفوا حملاتهم الإرهابية فيها . وظل البعوض يمتز طبلة تلك الليلة التى قضاها موسوليني دون أن يستطيع انتوم . إذ أنه بالإضافة إلى اببعوض ، تذكر ما كان موسوليني دون أن يستطيع انتوم . إذ أنه بالإضافة إلى اببعوض ، تذكر ما كان يوصف به فى الماضي من أنه ٥ مهرج سخيف » ، وكابوس شبح نابوليون الذي يوصف به فى الماضي من أنه ٥ مهرج سخيف » ، وكابوس شبح نابوليون الذي المهارة له لحظة واحدة ، إذ قضى ليلة متعبة فى مدينة سترا أيضاً . واقترح عند الصباح أن ينتقل الاجتماع إلى البندقية .

وكان الجو هنا أكثر نوتراً أيضاً . وقد استقبل أهل البندقية الدوتشى بهنافات عالية مدوية ، بينا استقبلوا ضيفه بما يكاد يشبه الصدمت . وعندما تحدث الربجلان فيا بعد عند ملعب الجولف في البيرنوني . دون أن يشترك في محادثاتهما أي من رجالهما ، سمع أفراد الحاشيتين ، وكانوا يقفون على منأى منهما ، الصراخ الصادر

عنهما والذى شبهه قسطنطين فون نوراث وزير خاجية ألمانيه آنذاك الا بعواء كلبين من كلاب الدرواس الكبيرة الله . ولم يعرف إنسان الموضوع الذى كانا يتناقشان فيه ، كما لم يكشف القناع فيا بعد عن سره . كانا يتحدثان بالألمانية ، ولا ريب في أن هذه الحقيقة أضعفت من موقف موسوليني ، إذ بالرغم من رفضه لحدمات بول شميدت الرجمان الإلمانية . فإن تملكه لناصية اللغة لم يكن كبيراً كما كان يفترض في نفسه . وقد ذكر عنه كورت فوذ شوشنيج ، خليفة دولفوس في منصب مستشار النمسا أنه كان يحب التحدث بالألمانية ، واكنه كان يعاني جهداً في التحدث بها ، وكان هذا الجهد يظهر في بطئه في الحديث وفي دقته في النطق بكل كلمة من الكلمات . ولا ريب في أنه كان يبذل جهداً أكبر في تفهم لهجة هتلر النمسوية القوية ، وما يخالطها من تعبيرات بافارية .

وبالرغم من أن موسوليني لم يذكر قط شيئاً فيا بعد عن موضوع هذا النقاش الحاد الذي وصل حدود الشجار ، إلا أنه أشار فيا بعد ، إلى حالات أخرى، بقي الرجلان فيها وحدها أثناء المؤتمر ، عندما راح هتلر و بدلا من مناقشة مشاكل عددة ، يتلو على مسامعي ، عبارات يحفظها عن ظهر قلب من كتابه كفاحي ، ذلك الكتاب الممل الذي لم أستطع قراءته قط » . وعندما اقتربت الزيارة من نهايتها ، وكان موسوليني قد أخذ ضيفه في زورق بخاري في نزهة في و بحيرة البندقية »، نهايتها ، وكان موسوليني قد أخذ ضيفه في زورق بخاري في نزهة في و بحيرة البندقية »، راح هتلر ، بدلا من الصمت والتمتع بسحر الطبيعة وجمالها ، يلتي على مسامع مضيفه خطاباً مطولا عن نظرياته العنصرية . وقد ذكر سوفيتش لستار هيمبرج أنه وقضي الوقت كله ، متحدثاً عن تفوق العنصر النوردي ، ومنهماً جميع شعوب البحر الأبيض المتوسط ، وفي مقدمتها الشعب الإيطالي ، بأن دمها قد اختلط بالدم الزنجي الذي يسرى في عروقها » . . وكان موسوليني قد يئس من مناقشة ضيفه ، الزوجي الذي يسرى في عروقها » . . وكان موسوليني قد يئس من مناقشة ضيفه ، فجلس صامتاً يصغى إليه ، وقد ظهرت عليه علائم السخرية . وسئل موسوليني في اليوم التالي لعودة هتلر إلى ألمانيا ، عن رأيه في الرجل ، فقال ، وهو يومي بما يفسر على أنه زراية واستخفاف عنه إنه و راهب ثرئار » .

لكن موسوليني سرعان ما أحس ، رغم احتقاره لهتلر ، بحاجته إلى صداقته . وراح يقنع نفسه بأن من الحير لإبطاليا أن تتحالف مع ألمانيا ، وأن تحالفها هذا

يفيدها أكثر من التحالف مع الديمقراطيات الغربية (١) . وكان العداء الذي أظهرته فرنسا وإنجلترا لإيطاليا إبان حرب الحبشة ، قد قضى على كل فرصة في عقد انفاق بين الدول الثلاث مناهض لألمانيا ، وإن كان لم يدفع إيطاليا إلى الاقتراب كثيراً من هتلر ، الذي كان يحرص كل الحرص ، على ابتزاز كل ما يمكنه من مزايا من الصراع ، وكان قد انزعج كل الانزعاج من احتمال إنهائه ، بحن وسط من النوع الذي اقترحه انفاق هور ولافال(٢) . فقد ظلت المعاهدة الإنجليزية ــ الألمانية التي عقدت في عام ١٩٣٥ ، تقض على موسوليني مضجعه ، كما كانت مشكلة استقلال النمسا وخطر ضمها إلى ألمانيا (الانشلوس) ، الموضوع الذي يشغل فكره كثيراً . وكان من المتعذر الوصول إلى تحالف بين إيطاليا وألمانيا ، طالما أن هذه المشكلة ما زالت قائمة . لكن هتلر كان يحس بالحاجة الماسة إلى صداقة موسوليني الظاهرة ، بصورة تفوق إحساس موسوليني بحاجته إلى صداقة هتلر ، ولا ريب في أن هذه النظرة من جانب هتار ، والرغبة في اكتساب صداقة الدوتشي هما العاملان اللذان دفعاه إلى توقيع الاتفاق النمسوى ــ الألمانى فى بوليو عام ١٩٣٦ ، بموافقة موسوليني وإقراره . وبالرغم من أن هذا الاتفاق قد سوّى في الظاهر ، الحلافات بين النمسا وألماذ، يابشكل يرضي البلدين ، إلا أنه أعطى هتلر الفرصة ، ليقتطع شيئاً من استقلال النمسا . كما أناح له الفرصة الحقيقية الأولى ، التي كان يتطلع إليها ، للتفاهم مع إيطابيا . فلم يعد في وسع موسوليني الذي بات الآن في منأى عن الدول الغربية الدفاع عن استقلال النمسا بنجح ، وكان لا بد له من أن يحمد لهذا الاتفاق إبقاءه عبى استقلال النمسا ولو بصورة شكلية . وقد تحققت الفرصة النموذجية لإقامة علاقات أوثق بين ألمانيا وإيطاليا بعد شهر واحد ، عندما اندلعت نيران الحرب

<sup>(</sup>١) يكثر الكتاب الفربيون من التحدث عن الدول الغربية ، واصفها بالديمقراطية ، لكن هذا الوصف المستمد من المفهوم البورجوازي الديمقراطية ، لا ينطبق على الواقع والحقيقة ، إذ أن معظم هذه الدول ، أو بعضها على الأقل ، بعيدة عن الديمقراطية في معناها الاشتراكي الصحيح ، بعد الأرض عن السياء . فبالرغم من أنها تشير على نظام التمثيل البرلماني ، إلا أن الطبقة الممثلة هي في الفالب من الفئات البورجوازية والرآسالية ، التي تمكنها سيطرتها الاقتصادية من تحقيق السلطان على الصحيد السياسي التمثيل ، الذي لا يعبر عن إرادة الشعب ، الفاقد إرادته وقدرته على التعبير ، بالإضافة إلى ما يسود بعض هذه الدول من تعرقة عنصرية تتنافي مع أبسط مفاهيم الديمقراطية الحقة .

 <sup>(</sup>٢) نسبة إلى صمويل هور وزير خارجية إنجلترا ولافال وزير خارجية فرنسا آنا الد. « المعرب »

الأهلية في أسبانيا ، وراح موسوليني عن طريق إسراعه إلى مساعدة فرانكو ، أملا منه في خلق دولة فاشية ثالثة في أوربا ، وفي الحصول على بعض القواعد البحرية في أسبانيا لهديد فرنسا عن طريقها . يزداد نأياً عن أعداء ألمانيا وسرعان ما تبين أولريخ فون هاسيل ، سفير ألمانيا آنذاك في رومه أهبة «الحرب الأسبانية بالنسبة إلى علاقات إيطاليا بكل من فرنسا وإنجلترا » . وأبرق إلى وزارة الحارجية الألمانية ، مشيراً إلى أن دور هذه الحرب يمكن أن يكون مماثلا «لدور الحرب المبشية في عرض المصالح المتعارضة للدول الكبرى ، ومنع إيطاليا من الوقوع في شباك الدول الغربية » . وحققت الحرب الأسبانية هدفاً آخر ، فقد تمكن هتلر عن طريق السماح لإيطاليا بحمل العبء الأكبر من المساعدات النازية — الفاشية عن طريق السماح لإيطاليا بحمل العبء الأكبر من المساعدات النازية — الفاشية نفوانكو ، تحت ستار الادعاء بأن أسبانيا من بلاد البحر الأبيض المتوسط ، أي الفرانكو ، تحت ستار الادعاء بأن أسبانيا من بلاد البحر الأبيض المتوسط ، أي المتصاص قوة إيطاليا ، ويحول بينها وبين الوقوف موقفاً صلباً من المشكلة النسوية بالتي كان قد حزم أمره على تسويتها بالشكل الذي يريده (۱) .

ومهد هتلر طريق التقارب مع موسوليني ، بإعرابه عن استعداد ألمانيا للاعتراف بالإمبراطورية الإيطالية . وكانت قضية الاعتراف من القضايا الحساسة للغاية بالنسبة إلى موسوليني إذ أنه إقرار بوضع إيطاليا الجديد ، الذي ترفض معظم الدول الاعتراف به ، ولما فقد فرح الدوتشي ، كما توقع فون هاسيل ، غاية الفرح لخطوة هتلر ، التي لم يستطع إنكار جميله فيها . وأوفد هتلر في سبتمبر من ذلك العام ، إلى موسوليني وزير عدله الذي يتحدث بالإيطالية ، هانز فرانك ، ليوجه الدعوة إلى الدوتشي لزيارة ألمانيا . وأصغى موسوليني بكثير من التحفظ ، إلى ما وجهه إليه فرانك من إطراء بالغ ، وإلى ما أعرب عنه من إيمان الفوهرر بالحاجة إلى المزيد من التعاون بين البلدين . وقد غر هذا الإطراء موسوليني ، رغم بالحاجة إلى المزيد من التعاون بين البلدين . وقد غر هذا الإطراء موسوليني ، رغم تظاهره بالصلابة في موقفه ، ولم يكد يفرغ من اجتماعه مع مبعوث هتلر ، حتى واح يلتي خطاباً في ميدان دوومو في ميلان ، استخدم فيه للمرة الأولى ، تعبيراً

<sup>(</sup>١) تفسر هذه الحقيقة ظاهرة عريبة أذهلت الجمهوريين الأسبان في تلك الأيام ، وهي أنهم كانوا يتلفون في وقت واحد مع أعدائهم من الفاشيين السلاح من ألمانيا .

قدر له أن يحمل فيما بعد معنى الدمار لبلاده . فقد أشار إلى التفاهم الأفضل بين ألمانيا وإيطاليا ، واستعار تعبيراً مجازيًا مسرحيًّا كان رئيس وزراء المجر كومبوس ، قد استعمله قبل عامين فى وصف هذا التفاهم . وراح الدوتشى يقول . . «خلق محور برلين – رومه ، وهو المحور الذى تستطيع جميع الدول الأوربية المحبة للسلام ، الدوران حوله ». وطرب الألمان لهذا الإعلان الواضح عن الصداقة ، وقراًوا فى الحطاب أكثر مما عناه صاحبه بالفعل ، وتولد لدى الشعب الألمانى الانطباع مما ذكرته صحافته ، بأن سياسة مشتركة قد تم إرساؤها بين الدولتين .

وكان وزير خارجية إيطاليا الجديد ، الكونت جاليازو تشيانو ، يمهد الطريق فى غضون ذلك ، للزيارة الرسمية ، التي تقرر أن يقوم بها الدوتشي عما قريب لألمانيا . وكان هذا الوزير نجل الأميرال الكونت قسطنطين تشيانو أحد أبطال الحرب العالمية الأولى ، قد التحق بالسلك السياسي وهو في الثانية والعشرين من عمره ، بعد أن عمل أمداً ما في الصحافة في رومة . وراح بعد ثلاث سنوات ، أي في الرابع والعشرين من أبريل عام ١٩٣٠ ، يبني بإيدا موسوليني ، كبرى بنات الدوتشي ، وأقربهن كما كان يعتقد إلى قلبه . وبدأ منذ تلك اللحظة صعود تشيانو سلم الحكم والشهرة ، بسرعة تكاد تشبه سرعة الصاروخ . ولم ينض شهران ، حتى كَانْ تشيانُو ، يعين قنصلا عامًّا فى شانجهاى ، ليصبح بعد فترة قصيرة ، وزيرًا مفوضاً لبلاده في الصين . وعاد إلى إيطاليا في عام ١٩٣٣ ، ليصبح رئيساً لدائرة الصحافة ، ثم عمل طياراً إبان الحرب الحبشية ، ليصبح بعد ذلك وزيراً للخارجية. وكان يتصرف في هذه السنوات الأولى ، تصرف الحواري المخلص لأستاذه الذي خلقه ، والذي لم يعد يعامله كصهر قريب إلى قلبه فحسب ، بل كصديق يثق فيه كل الثقة . وكان تشيانو إنساناً مغروراً ، محبًّا للمانه ، مغرقاً في حبه لها ، طموحاً ، دعينًا ، وكثير النقلب ، وكان يحاول أن يخبي بشيء من الدناءة المصطنعة ، ما كان يحمله من إعجاب حقيقي بالدونشي . وقد حاول حتى في اليوميات التي دأب على كتابتها بعد أن أصبح وزيراً للخارجية ، إخفاء ما يحمله من عبادة لموسوييني ، كان في أحاديثه مع أصدقائه يسعى إلى عدم إظهارها مطلقاً . لكن هذه المحاولات المكشوفة ، كانت تظهر على حقيقتها في بعض الأحيان ، عند ما يكتب فى يوميانه بشىء من الصراحة ، إذ يقول . . . و أطرى الدوتشى جهودى اليوم عدة مرات . . . وقد أحست بالضيق من هذا الإطراء البالغ ، حتى إننى عجزت عن شكره . ولا ريب فى أن هدفى الأول من عملى ، هو أن أرضيه . ولا ريب أيضاً فى أن نجاحى فى إرضائه ، هو خاية ما أنشده وأتمناه ٥ . وذكر فى عام ١٩٣٨ ، بعد أن أبل من مرض أصابه ، أنه عند ما سمع صوت الدوتشى ينطلق من جهاز الإذاعة « راح يركى وكأنه طفل صغير ٥ .

وكان هذا الإعجاب الشديد البالغ بالدوتشي ، يبدو واضحاً في شي الصور ، التي أظهرته أحياناً في مواقف تثير الهزء والسخرية . فهو بقلده بصورة لا واعية . وهو يقتبس منه مواقفه ، وتصرفاته العامة والخاصة على حد سواء . وكان يحذو حذوه في التحدث بسرعة وبصوت عال ، وبصورة تنطوى على التأكيد ، كما كان يقلد مواقفه الحامدة ، عند ما يوشك أن يسمع أنباء كان ينتظرها بفارغ الصبر . لكنه لم يكن إنساناً تافهاً يثير السخرية . فقد كان مهازاً للفرص ، ذا موهبة كبيرة في هضم المعرفة ، ووطنية صادقة . ولم يكن مولعاً بكتم الأسرار ، بل كان أحياناً قاسياً في صراحته ، وكثيراً ما وضع بلاده ، في أوضاع حرجة ، ودفعها إلى معامرات لا خلقية وتافهة . وقد تميز بالكسل الشديد ، حتى إنه كان يرفض قراءة أية مذكرة ، إذا تجاوزت الصفحة الواحدة ، وكان يقضى جل أوقاته في لعب الحولف ، أو في حضور الحفلات التي يقيمها أصدقاؤه من رجال المجتمع في رومة ، أو الجلوس متكاسلاً في مكتبه في قصر شيجي . وكان يفتقر إلى الشعور بالمسئولية ، فقد ذكر رافائيل كواريجليا ، سفير إيطاليا في باريس بين عامي ١٩٣٨ و ١٩٤٠ ، أن التعليمات الوحيدة التي تلقاها منه طيلة تلك المدة ، كانت تقضى بالبحث عن مربية فرنسية لأطفاله . لكنه كان يتمتع على أي حال ، ببعض المزايا التي ندر وجودها عند كبار الفاشيين . فقد كان إنساناً ذكياً ، ويقظاً وشجاعاً ، ولا يفتقر إلى الإحساس ، كما كان جذاباً رغم مواقفه التمثيلية وادعاءاته المغرورة . وكان ولداً بارًا ، وأخاً رفيقاً بإخوانه ، يحب أطفاله ، وبالرغم من وفرة عدد أصدقائه من رجال ونساء ، إلا أنه لم يفقد قط حب زوجته له . وقد ذكر عنه اللورد فانسيتارت الذي لقيه لأول مرة في عام ١٩٣٤ ، أنه 1 إنسان داعر ، ، لكن الدحارة

لم تكن تعتبر خطيثة فى تلك الأيام . فقد أحب النساء ، وتعشق العظمة ، وكان يبز غيره فى إرضاء شهواته . فقد حياه الله بشكل جميل الصورة ، وطبيعة طيبة ، وإحساس عارض بالنكنة الطريفة . وكان يقضى وقتاً طيباً لا يحتمل التعرض لأى إزعاج ، ولا ريب فى أن كراهية المغرق فى ملذاته للحرب ، تكون أقوى من كراهية الإنسان ذى النزعة السلامية ، لأنها أكثر اتصالاً بالعملية والواقع » .

وقدر لدينو الفيرى ، سفير إيطالبا فى ألمانيا ، أن يعرف تشيانو معرفة وثيقة ، ولذا فقد رسم له صورة مماثلة ، وإن كانت أكثر زهواً وإطراء . . . فقال . . .

و بالرغم من تقلبه وافتقاره إلى الاستقرار ، وهما صفتان كانتا تثيران الدهشة والحيرة فيمن يعرفه ، فإن تشيانو كان رجلاً طيباً وكريماً . وكان يحب دائماً خدمة أصدقائه ، ويحس بأقصى السعادة ، إذا تمكن من إبلاغهم نبأ طيباً . وكانت تعبيراته تحمل الطابع « التوسكانى » ، كما كان حديثه يتصف بالحيوية ، ولغته بالدقة والاختصار . وكان يبدو أحياناً فى منتهى الجد والذكاء ، والرغبة فى السخرية التى تصل فى حالات معينة حدود الدناءة . . . لكنه كان بطبيعته ، إنساناً مرحاً ، يتعلق بنزواته ، كثير الفضول والسخرية ، مغرقاً فى الاستجابة لعواطفه ، وكان مريع الحاطر ، حاد الذكاء ، حاضر النكتة ، ساخر الكلم » .

لكن الآخرين لم يوافقوا الفيرى على ما رآه فيه من سرعة بديهة ، وجاذبية ، وإن كان معظم الناس لم يكرهوه ، ولم يجدوا فيه إنساناً تافهاً . لكن الألمان لم يجبوه على أى حال . وكان يحرص دائماً على القول فى مذكراته الرسمية ، بأنه على خير ما يرام من التفاهم معهم . لكنه لم يكن فى الواقع متفاهماً معهم ، إذ كانوا يرون فيه الإنسان المتصنع ، المغرور ، الراغب فى تأكيد وجوده ، بحيث يتصرف تصرفات فى منهى السوء والسخف . وقد وصفه ويليام شيرر ، الصحنى الأمريكي (١) ، أثناء زيارته فى إحدى المرات لبرلين بأنه كان ٥ مهرج تلك الأمسية . فقد كان يكثر ، دون أى مناسبة ، من صفق قدميه ، وأداء التحية العسكرية . ولم يكن

 <sup>(</sup>١) وردت هذه العبارة في الكتاب الضخم الذي وضعه ويليام شيرو ، عن تاريخ ألمانيا الهتلرية ،
 والذي توليت تعريبه في أربعة مجلدات .

ف وسع إنسان ألا يلحظ شدة عصبيته ، فهو بحرك فكيه باستمرار ، دون أن يمضغ قليلا من اللبان » .

وكانت زيارته الرسمية الأولى لبرلين في شهر أكنوبر عام ١٩٣٦ ، أي بعد شهر واحد من زيارة هانز فرانك لرومة . وقد نجحت هذه الزيارة نجاحاً كاملا ، إذ لم يكن ريبنتروب الذي دأب على كراهية تشيانو ، قد حل بعد محل نوراث في وزارة الحارجية الألمانية ، بيها عامله هتلر ، الذي كرهه فها بعد أيضاً ، عند استقباله له في برختسجادن ، معاملة تنطوى على الكثير من الاحترام الزائف . وقد سر هتلر طبعاً بالرسائل الودية التي حملها تشيانو معه . وتحدث الفوهرر عن رأيه في موسوليني إلى صهره ، حديثاً ، أطرب تشيانو ، فقد وصفه بأنه ، أعظم سياسي فى العالم ، ولا يستطيع أي سياسي آخر ، أن يقارن نفسه به لا من قريب ولا من بعيد ، وانطلق بعد ذلك يتحدث بسرعة عن الوضع الدولي ، وعن خطر البلشفية المتزايد ، وعن سرعة ألمانيا في تسلحها . وكتب تشيانو في يوميانه عن هذه المقابلة يقول . . . و كان هتلر يعرض كل موضوع عرضاً مطولا ، يصل منه إلى استنتاجات يكررها مرارًا وتكراراً ، وبعبارات مختلفة » . واستخلص تشيانو من هذر محدثه وثرثرته ، أن هنلر لم يكن قد حزم أمره بعد بالنسبة إلى بريطانيا ، وأنه لم يكن حتى تلك اللحظة ، يستبعد احيال شكل من أشكال الاتفاق معها . أما موسوليني فكان ساخطاً أشد السخط على بريطانيا لأما وجهت الدعوة إلى هيلاسلاسي لحضور حفلات تتويج ملكها جورج السادس ، وكان يخشي من أي تقارب ألماني ــ بريطاني ، ويعمل على إحباطه ، بكن وسيلة ممكنة . وقد سرّ غاية السرور عندما سمع من تشيانو ، أن مثل هذا التقارب غير محتمل بالرغم من اعتدال هتلر في موقفه ، وأنه نقل إليه قول الفوهرر بأن في وسع ألمانيا وإيطاليا ، إذا واصلت بريطانيا العمل ضدهما ، أن يهزماها ، إذ أن القوة ستكون متوفرة لديهما للقيام بذلك . ومضى الفوهرر يقول لضيفه . . . ٥ وستكون ألمانيا مستعدة لذلك في غضون ثلاث سنوات . أما بعد أربع سنوات فستكون أكثر من مجرد مستعدة . وإذا أتبيح لها أن تستعد لخمس سنوات فإن في ذلك الخير كل الخير . . . ويرى الإنجبيز أن هناك بلدين في العالم، يقودهما مغامران ، هما ألمانيا وإيطاليا.

لكن المغامرين كانوا يتولون أيضاً قيادة بريطانيا عندما قامت إمبراطوريها. أما اليوم فيحكمها ضعفاء عاجزون ». ولم تمض بضعة أشهر ، حتى كانت بريطانيا تضيف سيئة أخرى إلى مساوئها تجاه إيطاليا ، وذلك عندما وقعت فى اجتماع نيون فى العاشر من سبتمبر عام ١٩٣٨ ، اتفاقاً جديداً مع فرنسا ، لحماية السفن التجارية الفرنسية فى البحر المتوسط ، حيث كانت المغوصات الأسبانية فى الظاهر ، والإيطائية فى الواقع تقوم نيابة عن فرانكو « بأعمال القرصنة » ضد السفن الفرنسية والبريطانية . وراح هتلر يستغل هذه الفرصة من جديد ، فيعلن تأييده لموسوليني وعطفه عليه ، ويبين أن محاولة الديمقراطيات الجديدة ليست إلا سعباً منها للاتحاد ضد المحور النامى والناهض .

وكما كان موسوليني متلهفاً على ألا يقع اتفاق بين بريطانيا وألمانيا ، وهو الاتفاق الذي لم يغب لحظة واحدة عن تفكير هتلر في هذه السنوات كلها ، كان الفوهرر بدوره ، متلهفاً أيضاً على أن تجدد إبطاليا وبريطانيا علاقاتهما الودية على حساب ألمانيا . وقام سعباً وراء هذا الهدف ، وتأكيداً منه لتضامنه مع إيطاليا في المحور ، بإيفاد عدد من المبعوثين إلى رومه في عام ١٩٣٧ ، في زيارات بدت في ظاهرها بقصد تأكيد الود والصداقة . لكن أيّا من هذه الزيارات لم تنجع نجاحاً في ظاهرها بقصد تأكيد الود والصداقة . لكن أيّا من هذه الزيارات لم تنجع نجاحاً بارزا وملحوظاً . وعندما وصل جورنج في مطلع العام ، وعقد اجماعين مع موسوليني ، كان الجو في الاجماعيين في منهي التوثر . وكان موسوليني قد قرر لنفسه أنه لا يحب جورنج منذ اجماعيما لأول مرة . فقد رأى فيه شخصاً « سريع الغضب كثير الادعاء » ، ولم يعجبه منه إعجابه الشديد ببالبو . وعندما أشار جورنج في إحدي هاتين المقابلتين إلى الاتحاد مع النمسا ، كأمر حتمى ، هز موسوليني ، كاروي المترجم بول شميدت ، رأسه ممتعضاً ، وبعنف شديد .

لكن النسالم تكن إلا مشكلة واحدة من مشاكل موسوليني ، وقد قادته أطماعه التي لم تتجقق في أوربا والبحر الأبيض المتوسط ، وحقده على الدول الغربية ، إلى الإيمان بأنه بات عاجزاً عن مقاومة إغراءات هتلر وملاطفاته . وراح يعلن أنه سيزور ألمانيا في شهر سبتمبر بعد أن قبل الدعوة الموجهة إليه ، مشترطاً أمرين ، أولهما أن لا يحمل معه ملابس السهرة الرسمية ، وثانيهما أن لا تقتصر

اجتهاعاته على زعماء البلاد ، وأن يسمح له بمقابلة العاديين من الناس ، ولم يكن تواضعه هو الذى حفزه على التقدم بهذين الشرطين . فقد أراد أن يظهر ، أن فى وسعه حتى بلغة أجنبية بالنسبة إليه ، إثارة جماهير برلين ، بنفس الحماسة التي يثير فبها شعبه ، كما أراد أن يضمن عدم الظهور بالملابس المدنية التي لا يبدو فيها في صورة مقبولة .

وقد ارتدى بزة رسمية رائعة ، صنعت خصيصاً لهذه المناسبة ، ثم سافر إلى ألمانيا في الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٨ ، ترافقه حاشية كبيرة ، ترتدى أجمل الملابس أيضاً كملابسه . وأصدر هتلر ، الذي لم يرغب في تفوق موسوليني عليه، أمراً بأن برتدى أفراد لجنة الاستقبال، الذين كانوا سيستقبلونه على الحدود البزة الرسمية أيضاً ، بينها ارتدى هو القميص البنى والسروال الأسود ، لباس النازى الرسمي ، منتظراً ضيفه في مونيخ التي اصطف الجنود على جانبي شوارعها ، والتي اردانت مبانيها بالأعلام ترحيباً يمقدم الدوتشي .

وكانت ألمانيا تعد العدة منذ أسابيع لهذه الزيارة ، لا الترحيب بالضيف وإيلائه ما يستحقه من احرام فحسب ، بل لعرض قوتها عليه بصورة دقيقة ومدروسة ، ينبين فيها حسن التنظيم وروعة الانضباط ، بحيث لا ينسى موسولينى ذلك طيلة حياته . ولم ينس موسولينى بالفعل هذه الزيارة . فقد ظل طيلة حياته ، رغم خيبة أمله بالألمان فيها بعد ، يؤكد أنه لم يتخل يوماً عن إعجابه بكفايتهم وإخلاصهم ، وجدهم العسكرى العنيف . وبدا عليه التأثر منذ اليوم الأول للزيارة . وكان له مطلق الحن في هذا التأثر . فقد كانت هنافات الجماهير تشق عنان السهاء ، رغم الأمطار الغزيرة الهاطلة ، وبدت الصفوف التي لا نهاية لها من الجنود من ذوى الحوذ الفولاذية جامدة بلا حراك . وأقيمت المآدب على شرفة في مونيخ ، والمناورات العسكرية في مكلينبرج ، كما أعدت له زيارات لمصانع الروهر ، وعروض عسكرية للجنود يمشون مشية الأوزة في كل مكان . واحتشد أكثر من تسعمائة ألف إنسان في برلين ، قبيل نهاية الزيارة ، ليستمعوا إليه وهو يخطبهم ، وهناك ، وبالرغم من أن جورنج كان قد أثار أعصابه بالسهاح للبؤته الصغيرة بأن تقفز على حضن الدونشي ، متشاغلا عنه باللعب بقطاراته الكهربية الصغيرة بأن تقفز على حضن الدونشي ، متشاغلا عنه باللعب بقطاراته الكهربية الصغيرة بأن تقفز على حضن الدونشي ، متشاغلا عنه باللعب بقطاراته الكهربية

حتى اللحظة الأخيرة . وبالرغم من العاصفة الهوجاء التى هبت عنيفة على الميدان عيث كان يخطب ، قاطعة عليه خطابه ، ومبللة أوراقه ، وغربة مكبر الصوت ، فإن تأثره كان بالغاً بهذه المناسبة . وقد انتظرت الجماهير تبحت المطر المهمر ، وكأتها في عرض عسكرى ، لهتف له في نهاية خطابه ، الذي لم يعد في وسعها الإصغاء إليه ، والتي صعب عليها أن تفهمه منذ بدايته . وعاد الدوتشي في السرارة لم مقره ، وقد أغرقه البل ، ولحق به الإجهاد ، ولكن معنوياته ظلت عالية . فقد رأى بأم عينيه «أقوى أمة في أوربا الحديثة ، وهي تسمو في طريقها إلى المجد والعظمة » . وكان نجاحه في تلك البلاد منقطع النظير . وكتب تشيانو معتزاً به في يومياته يقول . . . «أسرت جاذبيته ، وصوته ، وفتوته ، وحيويته ، عيلة الجماهير يومياته يقول . . . «أسرت جاذبيته ، وصوته ، وفتوته ، وحيويته ، عيلة الجماهير من بضع دقائق ، لم يدر إبانها حديث في أي موضوع هام ، ولم تذكر قضية المساكما نشو شنيج فيا بعد ، لا في قليل ولا في كثير . ولكنه كان قد حزم أمره ما نسبة إلى ألمانيا ، فقد واح بصرخ بأعلى صوته عندما تعطل جهاز تكبير الصوت في ميدان متيفيلد ليسمع الناس قوله ، رغم ألمياه المنصبة كالقرب من السهاء . . . في ميدان متيفيلد ليسمع الناس قوله ، رغم ألمياه المنصبة كالقرب من السهاء . . . في ميدان متيفيلد ليسمع الناس قوله ، رغم ألمياه المنصبة كالقرب من السهاء . . . في ميدان متيفيلد ليسمع الناس قوله ، رغم ألمياه المنصبة كالقرب من السهاء . . . في ميدان متيفيلد ليسمع الناس قوله ، رغم ألمياه المنصبة كالقرب من السهاء . . . في ميدان متيفيلد ليسمع الناس قوله ، وغم ألمياه المنصبة كالقرب من السهاء . . . في ميدان مينوي المهاية » . . في ميدان مينوي المهاية » . . في ميدان مينوي المهاية » . . . في ميدان مينوي المهاية » . . . في مينوي المهاية » . . . في مينوي المينوي في المياه المينوي في المينوية عندما يكون المينوية عيما ميدوية عندما يكون المينوية عيما يكون المينوية عيم المينوية عيم المينوية عيما يكون المينوية عيما يكون المياه المينوية عيما يكون المينوية ع

وكان هذا الوعد القاطع بالولاء ، بداية الهبوط نحو الكارثة . وكان هذا الوعد أيضاً بالنسبة إلى كثيرين من الإيطاليين بداية خيبة الأمل المرة . فقد كانوا يرون في الثورة الغاشية حتى هذه اللحظة شيئاً ذفعاً ونظيفاً . وبالرغم من نزوعها إلى الحكم السلطوى ، وإلى بعدها عن الليبرالية ، كانوا يروبها شيئاً رائعاً إذا قارنوها بوحشية الاشتراكية الألمانية الفسخمة . وكانوا يحسون بالسعادة عندما يسمعونالناس يصفون الألمان بالغلظة ، وهتلر بالوحش السياسي ، المجنون ، والذي يقلد غيره ، والغريب الأطوار . لكنهم تحتم عليهم الآن أن يقرأوا قصة مغايرة . فقد أشار الدوتشي نفسه إلى الألمان متحدثاً عهم بأنهم ه الشعب العظم ذو التقاليد الكريمة ، والمستقبل العظم » . ولم يعد هتلر عنده « المهرج » ، بل صوره في خطاب ألقاه ، ونشر على نطاق واسع في إيطاليا على أنه « العبقري ، بل أحد أولئك العباقرة القليلين الذين يصنعون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة يصنعون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة يصنعون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة يصنعون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة يصنعون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة يصنعون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة يصنعون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة ويسيدون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمض شهر واحد على هذه الزيارة ويسيدون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمن شهر واحد على هذه الزيارة ويسيدون التاريخ ، ولا يسيرون في ركابه » . ولم يمن شهر واحد على هذه الزيارة ويشير ويسيدون التحديد و التحديد و التحديد و التحديد و التعديد و التحديد و ا

حتى كانت إيطاليا توقع فى السادس من نوفمبر عام ١٩٣٧ على ميثاق مكافحة الشيوعية الدولية . ونص هذا الميثاق على أن تقف إيطاليا وآلمانيا ٥ جنباً إلى جنب ضد تهديد البلشفية وخطرها » .

وسرعان ما اتضح نفوذ الألمان على الفاشية . وقد تأثر موسوليني تأثراً بالغاً ، ينطوى على الإعجاب الذي لا مزيد عليه برؤية هذه الألوف من الجنود المدربين تدريباً صارماً ، وهم يخطون أمامه في مشية الأوزة ، وأحذيتهم الغليظة تضرب الأرض بإيقاع موسيقي رهيب ، مارين بتلك الشوارع التي غسلها مياه الشتاء ، مما دحاه إلى أن يقرر إدخال هذا المظهر الحيوى الذي يدل على النشاط في الحيش الإيطالي والحرس الفاشي . وراح يصدر أمره ، جاهلا أو متجاهلا ، ما يثيره هذا التقليد المحط من موجات الاستياء والسخرية ، بأن تصبح مشية الأوزة ، المسيرة الحديدة للجندى الإيطالي . وأطلق عليها اسم # الحطوة الرومانية » ، واصفاً إياها بأنها « الحطوة الثابتة الصارمة التي كانت الفيالق الرومانية تخطوها . والتي كانت كل واحدة منها تقود إلى الفتح والنصر ، وكان النازيون قبل عشر سنوات قد جعلوا من التحية ـ الرومانية ، تحيتهم الرسمية ، وها هو ذا موسوليني اليوم، رغم إنكاره العنيف لظاهرة التقليد ، يدعى أن الأوزة طائر روماني لأنها هي التي أنقذت الكابيتول(١١)، وينقل عن الألمان مشية الأوزة دون أن يعترف بفضل النقل ، تماماً كما نقل هتلر من قبل التحية الرومانية عن دانونزيو . وكانت هذه المشية صعبة عسيرة على الأداء ، وكمانت في منتهي البشاعة ، إذا لم يتقنها القائمون بها . وقد ثار موسوليني على ما وجه إليه من نقد في هذا المجال ، وعلى تسمية المشية الإيطالية الجديدة بالصورة المقلدة لمشية الأوزة . وعندما حاول الملك أن يمشى مشية الأوزة ، راح موسوليني يعلق بشيء من الزراية لتشيانو قائلاً . . . ه ليس الذنب ذنبي إذا كان الملك لا يعدو من الناحية العضوية أن يكون نصف إنسان، قمىء القامة . ومن الواضح أنه لا يستطيع تأدية الخطوة دون أن يثير الهزء والسخرية . وهو لا يحب هذه المشية ، لنفس السبب

<sup>(</sup>١) إشارة إلى قصة قديمة من التاريخ الرومانى ذكرها تيتوس لينى فى كتابه «تاريخ روبة».
وكان الرومان يؤمنون بالفؤول والعرافة ، ويكيفون خططهم احربية على ضوء ما يقوله لهم رجال الطير.
وقد نجا الكابيتول من الحريق بغضل أو زة فى الحرب البوئية التى وقعت فى القرن الثالث قبل الميلاد.
« المعرب »

الذي يكره من أجله امتطاء الجباد ، إذ يجد نفسه مضطرًا إلى استخدام سلم الصعود إلى ظهر الجواد » . وراح يقول في مناسبة أخرى بعد أن جرب المشية بنفسه : « من الواضح أن ذلك الإنسان القمىء الشي لا يستطيع أداء المشية في الاستعراضات العسكرية ، لكن هذا لا يهم على الإطلاق . فسأعمل على الحلاص منه . وكثيراً ما تغير سير التاريخ في ليلة واحدة » . وقد اشتدت نقمة موسوليني على الملك من جراء الحقيقة الوقعة ، وهي أنه كان يكره الألمان ، ولم يكن يتردد في إبداء هذه الكراهية لم ، والتعبير عن قلقه من جراء توثق عرى الصداقة بين إيطاليا والرايخ . وقرر موسوليني وهو ساخط ، أن « الملكية قد غلت نظاماً لا ضرورة له » . وعندما قيل له إن الملك قد اعترض على إدخال التحبة الرومانية في الجيش ، انفجر موسوليني غاضباً ، وهو يقول . . . « إنني احتملت فوق ما أطيق لأجر هذه الملكية المتعبة معي . ولم أقم حتى الآن بعمل يلز م العهد ببقاء الملكية . أنا ما زلت أنتظر وأعتقد أن الوقت في مصلحتنا ، لأن الملك قد بلغ السبعين من عمره ، وكلى أمل في أن تهرع الطبيعة لمساعدتي في هذا الصدد » .

وكانت هناك نتيجة أخرى أكثر إلاه الرعب والفزع لصداقة موسوليني الجديدة لألمانيا ، وأكثر مدعاة الزراية والاحتفار من إدخال مشية الأوزة والتحية الرومانية في الجيش الإيطالي ، وهي إقحام اللاسامية على الحياة القومية الإيطالية . لكن هذا الشر لم يتعمق جدوراً قط في هذه الحياة . واستقبل البيان اللي أصدره بعض أساتذة الجامعات المشهورين ، واللي نشرته الصحف الفاشية في يوليو عام ١٩٣٨ من أن الإيطاليين من العنصر الآري النوردي اللي لم يختلط دمه بغيره منذ غزوات اللومبارديين ، بكثير من الاستخفاف الذي يستحقه . ولكن لم تحض ثلائة أشهرحتي كان المجلس الفاشي الأعلى ، يقر بونامجاً للتشريع العنصري . وقد حظر هذا التشريع الزواج بغير الآريين ، وهو تعريف لم يحدد قط ، إلا بإذن من وزارة اللماخلية ، وقر و طرد اليهود الأجانب أو أولئك الذين جاءوا إلى البلاد بعد الأول من يناير وقر ر طرد اليهود الأجانب أو أولئك الذين جاءوا إلى البلاد بعد الأول من يناير وأن ينتموا إلى عضوية الحزب الفاشي ، وأمر بفتح مدارس ابتدائية خاصة للأطفال وأن ينتموا إلى عضوية الحزب الفاشي ، وأمر بفتح مدارس ابتدائية خاصة للأطفال البهود . ونص القانون على معاقبة من ينز وجون من أفريقيات أو حتى من يقيمون

علاقات جنسية معهن بالسجن . وقال الدوتشي . . . ٥ إن هذه الإجراءات كلها ستزيد من كراهية الأجانب لإيطاليا . حسناً فليكن » .

وقد زادت هذه الإجراءات أيضاً بما تلقاه الفاشية من معارضة ، ودفعت هذه التطورات موسوليي إلى الحملة حملات عنيفة ومتكررة على من أسماهم « بالحبناء في إيطاليا الذين أثر عليهم مصبر اليهود » وكان الملك أحد هؤلاء الحبناء . وقد أثار إعرابه عن «عطفه اللامحدود على اليهود » موسوليني ، ودفعه إلى القول بأن من الواجب معاملة هذا « المحنث » كما يعامل اليهود . وكان موسوليني حتى قبل زيارته لألمانيا قد أطلق عبارة ساخرة ضد أمريكا نقلها تشيانو في يوميانه فوصفها « ببلاد الزنوج ، واليهود ، وهما القرتان اللتان تعملان على انحلال الحضارة » . وتنبأ بأن الشعوب واليهود ، وهما القرتان اللتان تعملان على انحلال الحضارة » . وتنبأ بأن الشعوب والروسي والياباني ، ومضي يقول . . . « أما البلاد الأخرى ، فسيحطمها ما يحدثه والروسي والياباني ، ومضي يقول . . . « أما البلاد الأخرى ، فسيحطمها ما يحدثه الخنه يسبب الألم ، وهم لا يدركون أن الألم هو العامل الحلاق الوحيد في حياة الأمم » . "الحامض" البهود ي بعد ، إنه يقر بلا قبد أو شرط ، العمليات الثأرية التي قام بها النازيون ضد اليهود ، بعد مصرع السكرتير الثالث للسفارة الألمانية في باريس على النازيون ضد اليهود ) متخلين من الحادث مبر رآ للمزيد من أعمالهم اللاسامية .

ومع ذلك ، لم يكن الدونشي يتابع باهنام واضح ، الطريقة الفجة والاتفاقية التي كانت تتبع في إنفاذ تشريعاته العنصرية ، بل جميع تشريعاته الفاشية الأخرى . وروى أحد موظني السفارة الألمانية في رومة لصديق له ، أن الصورة الحقيقية للدوتشي ، « هي أنه ينبح كالكلب المسعور ، ولكنه لا يعض » . وقد ستبدل بطبيب أسنانه اليهودي طبيباً آخر ، كما أمر أحد الزعماء الفاشيين باستبدال سكرتيرته اليهودية بأخرى ، لكن مثل هذه الإجراءات ، لم تقنع الألمان بأنه جاد في موقفه من المشكلة اليهودية . ولم تصدر الأوامر قط للحزب الفاشي ، بأن يتأكد من تنفيذ التشريعات العنصرية ، كما أن بوشيني ، سكرتير الحزب نفسه ، عرف من تنفيذ التشريعات العنصرية ، كما أن بوشيني ، سكرتير الحزب نفسه ، عرف على عمل الحد . فقد كان موسوليني وظل حتى النهاية ، عنباً لأمل هتلر في موضوع العداء للسامية . وعندما ذهب إليه أحد العلماء

الإيطاليين يشكو من المعاملة التي يلقاها بعض أصدقاته من اليهود ، رد عليه قائلا . . . « إنني على وفاق مع ما تقوله على طول الخط . فأنا لا أومن قيد شعرة بنظرية اللاسامية السخيفة ، وإن كنت أطبقها لدوافع سياسية مجردة » . وليس في وسع إنسان أن بتحرر من الانطباع ، بأنه كان ينفذ هذه السياسة إرضاء لرغبات الآلمان .

ولحق الوهن في مستهل عام ١٩٣٨ ، بحماسة موسوليني لألمانيا ، فقد أدرك في ذلك الشتاء أن هناك خطراً قريباً عن اعتداء الألمان على استقلال النمسا ، دون أن يكلف هتلر نفسه ، عناء التحدث إليه ، أو الإفضاء إليه بخططه ومشاريعه . وقام شوشنيج ، مستشار النمسا الذي كان مند توقيع انفاق يوليو عام ١٩٣٦ مع أَلَمَانَيا ، يحاول كسب الوقت ، وإرضاء الألمان . ليتجنب وقوع انقلاب نازى في بلاده ، بزيارة برختسجادن في الثاني عشر من فبراير عام ١٩٣٨ ، لإجراء محادثات مع هتلو . وقد انهال عليه الفوهرر عند لقائه به بالإهانات والسباب ، منذراً متوعداً . وقدْم إليه الألمان مطالب واسعة شاملة ، لم يكن الإيطال ون قد أبلغوا بها مسبقاً . وأدرك شوشنيج أن عليه أن يذعن إذا كانت تهديدات هتلر ستؤدى إلى الحرب ، وعندم اتخذ بعد شهر خطوته الجريثة والحطرة ، بإعلان ضرورة استفتاء الشعب النمسوى في موضوع الوحدة مع ألمانيا (الانشلوس) ، علق موسوليني على إعلانه هذا ، بأنه خطيئة كبرى . لكن هتلر رأى في هذه الحطوة أكثر من مجرد خطيئة . وكانت الخطوة كما وصفها أى . جي . بي . تيلور « أشبه بمن يمس عصباً مصاباً عند إنسان متألم ٪ . وراح هتلر يحدد يوم السبت في الثاني عشر من مارس موعداً للزحف عبر الحدود ، وبعث قبل يومين من الموعد ، بوسالة إلى رومة ، ليسلمها إلى الدوتشي شخصياً ، الأمير فيبيب هيسي ، الذي لم يكن يحظى بالتقدير والاحترام في رومة ، كرسول من الأمراء ، اشتهر بالشذود الجنسي ، وانحطاط الحلق من ناحية ، وكصهر لملك إيطاليا ، إذ كان متزوجاً من ابنته الأميرة مافالدا .

وكان هتلر قد كتب فى رسالته إلى موسوليني يقول . . . وحزمت أمرى الآن على إعادة النظام وحكم القانون إلى نصابه فى وطنى . وأود أن أؤكد لفخامتك

بكل إخلاص وصدق ، كزعم لإيطالبا الفاشية بأنى (١) أعتبر هذه الحطوة مجرد دفاع قوى عن النفس و (٢) كنت قد برهنت لك فى ساعات إيطالبا الحرجة على صدق عواطنى ، وأرجو أن تتأكد بأن أى تبدل لن يطرأ على موقفي هذا فى المستقبل، و (٣) مهما كانت نتائج الأحداث المقبلة ، فقد رسمت حدًّا نهائبًا بين ألمانيا وفرنسا ، وهأنذا أرسم أيضاً ، حدًّا نهائبًا بين ألمانيا وإيطاليا . إنه ممر برينر . ولن يكون هذا القرار فى المستقبل موضع نقاش أو تبدًّل » .

وبالرغم من أن هتلر ، كان متلهاً على الحصول على موافقة موسولينى بعدم التدخل فى الموضوع كما فعل فى عام ١٩٣٤ ، إلا أنه قرر أن يهجم على النمسا ، مهما كان موقف إيطاليا . وبيبا كان أمير هيسى لا يزال فى طريقه إلى رومة ، صدرت أوامره بالشروع فى عملية « أوتو » . وكان موسولينى على علم بهذه الحقيقة عندما تسلم رسالة هتلر . وقد أدرك أن معارضته لن تجدى فتيلا ، وكان قد تبين منذ زيارة شو شنيج لبرختسجادن ، أن المعارضة فى هذا الصدد ، لا تنفق مع الفراهة السياسية . وكان كل ما يأمل فيه الآن ، هو الحصول على فائدة نتيجة استعداده للاعتراف بتعرض هتلر للاستفزاز . وقبيل الساعة العاشرة والنصف من ليلة الجمعة ، كان الأمير فيلب ينقل إلى هتلر عن طريق الهاتف ، رد الدوتشي للبة الجمعة ، كان الأمير فيلب ينقل إلى هتلر عن طريق الهاتف ، رد الدوتشي على رسالته قائلاً . . . « هأنذا قادم من قصر البندقية ، وقد قبل الدوتشي الموضوع كله بروح ودية صديقة مطلقة . وهو يبعث إليك بخالص احترامه . . . »

وسر هتلر بهذه النتيجة سروراً بالغاً . فقد كان يعرف أن موسوليني سبق له أن أعلن بشيء من الاندفاع العاطني بأن إيطاليا ﴿ لن تسمح قط بأن تغدو النمسا القلعة المدافعة عن الحضارة المتوسطية ، فريسة للدعوة الجرمانية القومية ، وها هوذا يتأكد الآن من تأييد الدوتشي ، الذي لم يكن مقتنعاً في أي يوم مضى ، بأنه سيحصل عليه .

وراح يقول لرسوله . . . « أرجو أن تبلغ موسوليني بأنني لن أنسي له هذا الفضل أبداً . . . »

\_ أمرك يا سيدى .

\_ أجل لن أنسى له هذا الفضل أبداً . . . أبداً . . . مهما حدث . . . وعندما تتم تسوية المشكلة النمسوية ، فسأكون على استعداد للمضى معه جنباً إلى جنب ، فى السراء ، والضراء ، مهما حدث من تطورات .

ــ أجل يا سيدى الفوهرر .

\_ سأوافقه على كل ما يريده . . . وفى وسعك أن تبلغه ، بأننى أشكره جزيل الشكر . . . ولن أنسى له منته أبدآ . . .

ــ أجل يا سيدى الفوهرر .

ــ لن أنسى له فضله مهما حدث . واو حدث واحتاج إلى عون ، أو تعرض إلى خطر ، فنى وسعه أن يثق بأننى سأكون إلى جانبه ، مهما حدث ، حتى ولو وقف العالم بأسره ضده .

\_أجل يا سيدى الفوهرر، .

وبعد يومين ، كان هنلر بكرر تأكيداته هذه واعترافه بفضل الدوتشي مدى الحياة في برقية بعث بها إليه في النمسا التي كانت قد غدت بصورة رسمية « إحدى مقاطعات الريخ الثالث » ، قائلاً . . . « لن أنسى لك هذا الفضل » .

ورد عليه موسوليني ف برقية جوابية يقول . . . « قررت الصداقة بين بلدينا التي يجسدها المحور ، موقفي هذا » .

ولكن تحتم على موسوليني على أى حال ، أن يوضح هذا الموقف للشعب الإيطالى الساخط ، الذى كان قد استمع قبل بضعة أشهر إلى الدوتشى ، وهو يعلن بأن (استقلال النمسا الذى مات دولفوس من أجله ، سيظل أحد المبادئ التي حاربت إيطاليا ، وستحارب فى المستقبل من أجلها ». ولم يكن فى وسعه إيضاح موقفه هذا للإيطاليين على النحو الذى أوضحه إلى تشيانو فى حديثه معه ، عندما وصف النمسا بأنها «كمية غامضة مهملة كان لابد من زوالها من خارطة أوربا » . وقد حاول فى مجلس النواب ، إسكات المعارضة بأسوب ينطوى على المراوغة والحداع ، عندما راح يؤكد فى خطاب ملى م بالتبجح والادعاءات ، بأن إيطاليا والحداع ، عندما لن يعهدت بصورة مباشرة أو لا مباشرة ، وخطيًا أو شفوينًا ، بالتدخل لإنقاذ استقلال النمسا » . ولكنه كان يكذب فى قوله هذا ، وكان الشعب الإيطالي

يعرف أيضاً أنه يكذب في إدعائه . وساد الشعب الإيطالى ، لأول مرة بعد مصرع ماتيوتي ، شعور عام وعميق من خيبة الأمل . وبالرغم من أن المحور قد استطاع البقاء بعد « الانشلوس » ، إلاأن شعبية موسوليني المؤكدة قبلها ، لم تستطع البقاء . ولم يكن في وسع أي مراقب ذكي للأمور ، أن يتجاهل الأخطار التي ينطوى عيها بالنسبة إلى إيطاليا السهاح لدولة قوية ومحاربة كألماني بتوسيع حدودها إلى جبال الألب ، بالإضافة إلى ما في هذا العمل الذي قام به الدوتشي من تبدل وضيع وفجائي في سياسته لإرضاء حليف مقيت ومكر وه . ولا رب في أن هذا التبدل ، كان مناقضة صريحة لنظرية السياسة الحارجية الإيطالية التقليدية كلها .

ومثل نصر النمسا لهتلر نصراً كبيراً ، بل وتحقيق أحد مطاعه الرئيسية . لكن هذا الضم كان في الوقت نفسه نقطة وثوب . باتجاه إمبراطورية أوسع في الشرق . وكان منذ نوفيبر عام ١٩٣٧ ، قد تحدث في اجتماع سرى عقد في دار المستشارية في برلين ، عن عزمه على احتلال تشيكوسلوفاكيا . وها قد بات الآن على استعداد لنتفيذ خطته . ولم يحمل تأكيد الحكومة الفرنسية لضماناتها السابقة لتشيكوسلوفاكيا ، على محمل الجعد . وقد أحس بتلك الحاسة السادسة الغامضة التي كان قد شرع يؤمن بصدقها عنده ، بأن فرنسا كإنجلترا ، لا ترغب في الدخول في حرب ، وأن في وسعه أن يتجاهل ادعاءاتها واحتجاجاتها . ولكنه رغبة منه في التأكد من أن الحوف سيدفع فرنسا إلى الانكماش ، قرر قبل أن يقوم بهذه الحطوة الحاسمة أن يعمل على تعزيز المحور وتقويته .

وكان موسوليني قد وجه إليه الدعوة في سبتمبر الماضي لزيارة إيطاليا. وفي الثاني من مايو عام ١٩٣٨ ، غادر الفوهرر برلين قاصداً رومه ، وهو عازم كما روى أحد سكرتيري السفارة الإيطالية في ألمانيا ، على إشباع غرور الإيطاليين وإرضاء كبريائهم ، والتأكيد لهم بأن المحور حقيقة واقعة . وكان قد فقد الكثير عند الإيطاليين نتيجة ضمه للنمسا ، وتحتم عليه أن يستعبد الأرض التي فقدها . ولم يكن هؤلاء قد نسوا حادث النمسا ، وكذت مخاوفهم قد تجددت من المطامع الألمانية في منطقة و الاديج » . يضاف إلى هذا أن الحكومة البريطانية ، أرادت اهتبال فرصة ما تصورته من خيبة أمل الإيطاليين في ألمانيا بعد موضوع النمسا ،

وأن تحول دون مزید من التوسع من جانب هتلر ، فراحت تسوی مشاكلها مع موسولینی .

وقد رحب تشميرلين ، بهذه التسوية التي اقترحها تشيانو ، بالرغم من معارضة إيدن الشديدة لها وهو « العدو الأكيد لإيطاليا » كما أسماه موسوليني ، ودار نقاش حاد بين الرئيس البريطاني ووزيره بحضور الكونت دينو جراندي سفير إيطاليا في لندن ، أسفر عن الاستقالة الى قدمها وزير الحارجية إيدن ، بعد يومين اثنين ، وطرب موسوليني لاستقالة إيدن ، الى اعتبرتها الصحافة الإيطالية نصراً لإيطاليا ، بالرغم من التعليات التي وجهت إلى رؤساء تحريرها . بالحدمن النّهبيل لها مخافة تحولُ إيدن إلى « شهيد » عند الرأى العام البريطاني ، وراح يقبل التسوية . بشيء من السرور الممزوج بالتبرم . وكان يعرف أن أعمال هنلر في أوربا ، قد عززت من قلىرته هو على المساومة ، وبمكن عن طريق وعود غامضة وغير حاسمة قلمها بالنسبة إلى أوضاع أوريا الوسطى ، من الحصول على إقرار بريطانيا بالفَتْوحات التي قام بها في الحبشة ، وبتدخله في أسبانيا ، بالإضافة إلى ما حصل عليه من ضانات مرضية في البحر الأبيض المتوسط . وكتب تشرشل ساخطاً إلى إيدن يقول . . . . « لا ريب في أن الاتفاق الإيطالي ، نصر كامل لموسوليني » . وكان هذا هو عين رأى تشيانو أيضاً ، إذ لم يستطع إخفاء احتقاره الملطف للإنجليز ، لتخييهم عن الكثير من المواقع لإيطاليا. وراح يعلق على الاقتراحالذي قدم إليه لتوقيع الاتفاق في عيد الفصح لأنه يصادف عيد مبلاد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية الجديد بقوله . . . «حقًّا إنه اقتراح رومانطيني». وكتب في يومياته بشيء من الحماسة يقول . . . « لا ريب في أن مجال الاتفاق واسع كل السعة . فهو يمثل بداية عهد جديد في علاقاننا مع بريطانيا العظمي. إنها الصداقة على قدم المساواة ، وهي الطراز الوحيد من الصداقة الذي يمكن أن نقبل به مع لندن أو مع غيرها» . وأضاف في يومياته يقول . . .« وسيرحب الرأى العام الإيطالي بهذا الاتفاق ، ترحيباً حماسياً ، إذ أنه سيرى فيه وسيلة ممكنة للتحلل من ارتباطاتنا ببرلبن » . وحقاً قوبل السفير البريطاني اللورد بيرث ، عند مغادرته قصر شيجي بعد توقيعه على الاتفاق في الأول من أبريل عام ١٩٣٨ ، من الشعب الإيطالى مقابلة حماسية ، إذ تعالت له الهتافات ، كما تكررت هذه المقابلة الحماسية لتشيانو وهو يغادر القصر إلى قصر البندقية ، ليقدم تقريره إلى الدوتشي . ولم تكد تحل الساعة الثامنة من ذلك المساء ، حتى كانت الحشود المتجمهرة قد بلغت حداً كبيراً أمام قصر البندقية ، ثما أرغم موسوليني على الحروج إلى شرفة القصر ، لتلتي هتافات هذه الحماهير .

حقاً لقد كان الاتفاق « نصراً » على النحو الذي وصفه فيه تشرشل . لكنه كان بالنسبة إلى البريطانيين شيئاً لا قيمة له البتة . فوسوليني لم ير فيه لحظة واحدة . الخطوة الأولى في سياسته للتحلل من التزاماته تجاه ألمانيا، وإنما رأى فيه مجرد اعتراف آخر، بنفوذ إيطاليا المتزايد ، وسلطانها النامي . وقد أرضاه غاية الرضي في الواقع ، أن ألمانيا نفسها اعتبرت الاتفاق من جانب واحد ، وكان هذا الاعتباراً من جانبها أكثر إرضاء له من الفوائد التي ستجنيها إيطاليا منه . ويبدو أنه لم يدرك الآن ولا فيا بعد الفرص العظيمة التي أتيحت له في اتباع السبيل التقليدي الوسط بين ألمانيا والديمقراطيات الغربية ، كما لم يدرك أن شريكه في المحور ، لابد وأن يزيد من توقيره له ، بشكل يفوق احترامه له لو أنه كان واثقاً كل الثقة في إمكانه الاعتباد عليه . لكن موسوليني كان متلهفاً في الواقع إلى التأثير على الألمان بصرامته ، وبأن في وسعه أن يطرح جانباً هذه الفرصة التي أتبحت له لاتباع سياسة دبلوماتية أكثر براعة وذكاءاً .

وكانت هذه الرغبة فى التأثير على الألمان ، قد نمت لديه بشكل واضح منذ زيارته الأخيرة لألمانيا ، وأضحت العامل المؤثر فى جميع سياساته . وكان اللورد بيرث قد احتج فى المراحل الأولى من المفاوضات لعقد الاتفاق الإنجليزى الإيطالى ، لدى تشيانو على الغارات الجوية الإيطالية على المدن الأسبانية . لكن المدوتشي « لم ينزعج قط » ، كما قال تشيانو فى يومياته ، من ملاحظات السفير البريطانى ، وإنما « سر فى الواقع ، لأن يعرف بأن الإيطاليين يثيرون الفزع فى العالم ، بهذا التبدل الاستفزازى العدوانى الذى طرأ عليهم ، بعد أن كانوايسحرونه بمهاراتهم فى العزف على القيثار ، وكان يرى أن هذا سيرفع من أسهمنا فى ألمانيا ، حيث يحب الناس فيها الحرب الشاملة التى لا تعرف الرحمة » .

وقرر موسوليني أن تكون زيارة هتلر المقبلة لإيطاليا ، مؤارة بالقدر الذي حققته زيارته لألما يا هو . وبدأ الإعداد للزيارة قبل موعدها بستة أشهر ، وحرص تشيانو ، على أن لا تضم هذه الإعدادات ، كما قال في يومياته « شيئاً عاديباً ، وريفيباً ، ورخيصاً » ولذا فقد عنى أشد العنابة بتزيين الشوارع ، وبالرغم من أن الكثيرين من أحصاب الحوانيت رفضوا أن يرفعوا على حوانيهم صورة هتار ، فإهم أرغموا على أن يبدوا هذه الحوانيت في صورة رائعة تنطوى على الترحيب . وقضى الدوتشي ساعات طويلة ، وهو يشرف على الإعدادات التي تجرى للعروض العسكرية ، ويدرس بنفسه تفاصيلها . ويبدو أن جهوده قد حققت النجاح ، فقد كان أخيل سناراشي ، وغم جميع أخطائه ، مديراً مسرحياً رائعاً . وكتب تشيانو يقول . . . « وكانت العروض العسكرية في منهى الروعة . ولا ريب في أن الألمان الذين كانوا يشكون في قدراتنا العسكرية ، سيغادرون بلادنا بانطباع مختلف تمام الاختلاف »

وليس ثمة من شك في أن هتار قد تأثر فعلا . وبالرخم من أنه كان قد شهد عروضاً أكتر خبرة في ألمانيا . وكان قد عرف بأن إيطاليا لا يمكن أن تحسب قوة عسكرية ضخمة ، فقد أهرك أن إيطاليا ، حليف لا يمكن أن يتخلي عنه على الإطلاق . وبرهن موسوليني لهتلر ، على أن من حقه أن يعتبره الزعيم الوحيد في العالم ، الذي يستحق المقارنة به . وسلك القوهرر من ناحيته سلوكاً ممتازاً . ولم يعد ذلك ه المهرج الصغير السخيف » ، الذي كان عليه عند زيارته السابقة للبندقية ، وكان العيب الوحيد الذي رآه الدوتشي فيه هذه المرة أنه ببدو وقد صبغ وجنتيه ه بالحمرة » ، ليخني شحوب وجهه . وقد هتفت له الجماهير بحماسة في رومة وقاورنسه وتابولي ، وخطب الحشود الحاشدة ببراعة واعتزاز . وراح يعان لها عزمه على عدم المطالبة بعودة التبرول الجنوبي قائلا . . . « و إن إرادتي التي لا تتحول على عدم المطالبة بعودة التبرول الجنوبي قائلا . . . « و إن إرادتي التي لا تتحول الألب ، التي أقامتها الطبيعة بيننا ، ستظل دائماً وإلى الأبد دون أي تبدل » وسجل تشيانو انطباعاته عن هذه الزيارة بقوله . . . « لا ريب في أن الفوهرر ، وسجل تشيانو انطباعاته عن هذه الزيارة بقوله . . . « لا ريب في أن الفوهرر ، حقق نجاحاً شخصياً عظيماً » . وقد أفلح كل الفلاح في إذابة الجليد الذي كان عيم عند النساء » وأكسبته انصالاته الشخصية مزيداً من الحب ، ولا سيا عند النساء »

ولم تحطم الصورة السخيفة التي ظهرت له وهو يغادر دار أوبرا سان كارلو ، في ملابس السهرة والقبعة العالمية ، الانطباع الناجح الذي تركه عند الشعب الإيطالي لكن الملك فكتور عمانوثيل ، لم يكن راضياً ، بالرغم من رضى القيادة الفاشية فقد كره هتلر منذ النظرة الأولى ، ولم يستطع أن يكسب ثقته ، وكان بادى التبرم، عندما استضافه في قصر الكيرينالي . وراح يقول لموسوليي إن هتلر ، طبب في ليلته الأولى في القصر ، امرأة في غرفته . وأثار هذا الطلب موجة عارمة من السخط ، في القصر الملكي ، لم تهدأ إلا عندما فسر رجال حاشيته ، طلبه بأن هتلر لا يستطيع النوم ، إلا إذا رأى امرأة تعد له سريره . وقد تساءل تشيانو في يومياته دهشاً عن عدة هذه القصة ، معرباً عن شكه في أن تكون أكذوبة اخترعها الملك للتعبير عن كراهيته ، مصيفاً إليها أن هتلر « يحقن نفسه بالحقن المهيجة والمنومة ، وأضاف تشيانو أن جو القصر كله . كان متعفناً ، إذ لا يعقل أن تحب أسرة وأضاف تشيانو أن جو القصر كله . كان متعفناً ، إذ لا يعقل أن تحب أسرة ماكة يرجع تاريخها إلى ألف سنة ، الطريقة التي يعبر بها عهد ثوري عنذاته . ولا ريب في أن هذه الأسرة ، تؤثر ملكاً صغيراً تافهاً على هتلر ، الذي تعتبره من محدثي النعمة .

وقد كره هتلر الملك فكتور عمانوثيل ، ككره الملك إياه ، وظل طيلة حياته كلها ، يحمل حقداً وضغينة على أسرة سافوى المالكة وكانت هذه الكراهية المتبادلة ، تبدو واضحة عليهما فى الحالات التى كانا يظهران فيها معاً فى الحفلات العامة . لكن الود بدا من الناحية الثانية جليًّا بين الفوهرر والدونشى . وقد ظهر التأثر عليهما بجلاء فى المحطة ، عندما وقف موسولينى يودع ضيفه أثر انتهاء زيارته ، وبدا الفوهرر وهو ينظر إلى مضيفه نظرة حب وإخلاص كتلك التى تبدر على الكلب وهو ينظر إلى سيده . وقال الدوتشى موجهاً حديثه إلى ضيفه ، « لن تستطيع قوة فى الأرض بعد اليوم ، التفريق بيننا » . واغر ورقت عينا هتلر بالدمع وهو يستمع إلى هذا القول .

وعاد هتلر من إيطاليا ، وقد وثق من أن الدوتشى لن يتلخل فى الحطط الى رسمها لتشيكوسلوفاكيا . وبالرغم من أنه لم يشر إلى الموضوع إلا إشارات غامضة أثناء الزيارة ، إلا أنه كان يعرف أن موسوليني لا يحب التشيكيين وكان يشير إلى بلادهم

كما أشار من قبل إلى النمسا بأنها « نقطة غامضة على الخارطة الأوربية » . وراح الدوتشي بمهد الجو لتقبل الشعب الإيطالي ، الحل الذي تراه ألمانيا للمشكلة التشيكية ، فأخذ يتحدث في خطبه عن ضرورة مواجهة المشكلة التشيكوسلوفاكية ، و « حلها بصورة عامة » . . . وقال في إحدى خطبه . . . « وإذا كانت تشيكوسلوفاكيا تجد نفسها اليوم في موقف دقيق ، فإن هذا الموقف ناشي عن أنها لا تضم التشيك والسلوفاك وحدهم ، وإنما نضم التشيك والألمان والبولنديين والمجريين والمجريين والموثنيين والمرومانيين والسلوفاك أيضاً » .

ولم يكن قلق الدوتشى منصرةً إلى أن الألمان سيحلون هذه المشكلة إذا تطلب الأمر بالقرة ، بل إلى خوفه من ان لا يبلغه الألمان بموعد عمليتهم مسبقاً » . فقد تلقى برناردو اتوليكو ، سفير إيطاليا فى برلين التعليات أكثر من مرة ، بأن يسأل ربينتروب ، خليفة فون نوراث فى وزارة الخارجية الألمانية أن و يبلغه مسبقاً ، الموعد التقريبي للعمل الذى تزمع المانيا القيام به ضد تشيكوسلوفاكيا » . ولكن عندما كان موسوليني يرى أن دبلوماتية هتلر ، قد تستفز حرباً عالمية ، وأن تهديداتها قد تخلق أزمة دولية ، كان ينكمش متراجعاً ، ومعيداً النظر فى موقفه ، متسائلاً عما إذا كانت المصلحة تقضى بأن يواصل تأييده لهتلو ، بلا قيد أو شرط . ويقول تشيانو ، الدوتشى أخد يحس فى الواقع بأن هتلر يقترب من شفير الحرب ، وشرع يدرك الدوتشى أخد يحس فى الواقع بأن هتلر يقترب من شفير الحرب ، وشرع يدرك خطورة الساح لبلاده هو ، وهي على ما هي عليه من افتقار إلى الإعداد ، بأن ترغم على الدخول فى الصراع ، لما فى ذلك من تعريض و لبنفته الدعية لخطر ترغم على الدخول فى الصراع ، لما فى ذلك من تعريض و لبنفته الدعية لخطر الاتكشاف . وراح يسر إلى وزير خارجيته تشيانو قائلاً . . . ولو قدر للحرب النتشب فى ألمانيا وبراج وباريس وموسكو ، فسألتزم جانب الحياد » .

وبدت الحرب في الثامن والعشرين من سبتمبر ، حتمية الوقوع . وكان من المقرر أن تنهى مهلة الإندار الذي قدمه هتلر إلى التشيكيين في جودسير جقبل أربعة أيام في الساعة الثانية من بعد ظهر ذاك اليوم . وتلتى مقر وزارة الحارجية الإيطالية في قصر شيجي في ذاك الصباح ، محادثة هاتفية عاجلة . فقد تطلع البريطانيون من جديد إلى موسوليني ، ليؤثر على هتلر و يحمله على الاعتدال .

وتساءل السفير البريطانى اللورد بيرث ، عما إذا كان فى مكنته أن يلتى الكونت تشيانو على الفور ، وأن اسفير أبلغه بكثير من الهياج العاطنى ، بأن تشميرلين يناشد الدوتشى ، أن يتدخل تلخلاً ودياً فى «هذه الساعات الحرجة التى يعتبرها آخر فرصة للقيام بعمل ما لإنقاذ السلام والحضارة » .

وطرب موسوليني لهذا التطور . واعترف بأن من الحير له أن يبدو كصانع للسلام ، على أن يغامر في الانجذاب إلى حرب . لم يستعد لحوضها . يضاف إلى هذا أن أعين العالم بأسره ، قد شخصت إليه . وراح يأمر تشيانو ، بأن يطلب برلين هاتفياً ، وعندما بات سفيره اتوليكو ، على الجانب الآخر من الحط ، تناول الدوتشي مماعة الهاتف وأمره بأن يمضي لتوه إلى هتلر ، ليؤكد له وقوف إبطالبا إلى جانب ألمانيا ، وليقترح عليه تأجيل التعبثة العامة أربعاً وعشرين ساعة وأضاف قائلاً . . . « أريد الرد قبل الظهر » .

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة . وهرع اتوليكو يهبط سلم السفارة واكضاً ، ليقفز وقد تقطعت أنفاسه في أول سيارة أجرة . وعندما وصل إلى دار المستشارية ، كان هتلر مجتمعاً مع اندريه فرانسوا بونسيه ، سفير فرنسا في برلين ، الذي جاء بحمل إليه ، وفي اللحظة الأخيرة ، عرضاً من الحكومة الفرنسية . وانطلق ضابط من ضباط الحرس النازي ، إلى مكان الاجتماع . ليعلن للفوهرر ، أن اتوليكو ، قد وصل حاملا رسالة إليه من الدوتشي . وسرعان ما فارق هتلر زائره ، ليجتمع بالسفير الإيطالي . وقراً رسالة الدوتشي التي كان اتوليكو قد ترجمها إلى الألمانية ، فتردد لحظة واحدة ثم أعلن للسفير ، قبوله ، بوجهة نظر موسوليني . وقد اعترف هتلر فيا بعد لجورنج ، بأن رسالة موسوليني جعلته حاثراً في أمره ، ولم يستطع التأكد مما إذا كان رفضه اقتراحه ، لن يؤدي إلى أن يتخلي الدوتشي عنه ليضي في طريقه وحيداً . و بعد بضع ساعات ، كان اتوليكو ، يقول للسفير البريطاني في برلين ، نيفيل هندرسون إن و الشيوعيين قد خسروا فرصتهم اليوم، إذ لو قطعوا أسلاك الهاتف بين رومة و براين ، لكانت الحرب العالمية قد نشبت » .

وأعلن نفين تشميرلين ، رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم في الساعة

الثالثة من بعد ظهر داك اليوم ، موافقة هتلر على التأجيل . . . ومضى رئيس الوزراء يقول وقد استبدت به العاطفة ، عندما تلقى وهو يلتى كلمته ، رسالة جديدة قرأه بعد أن قطع خطبته . . . وهذا ليس كل ما فى الأمر . فلدى الآن ما أضيفه للمجلس الموقر . فقد تلقيت الآن دعوة من الهر هتلر ، لملاقاته غداً صباحاً فى مونيخ . وقد وجه دعوة مماثلة إلى كل من السنيور موسوليني والمسيو ديلادييه وقد قبل السنيور موسوليني فلدعوة ، وليس لدى من شك فى أن المسيو ديلادييه سيقبلها . وغنى عن القول ، أنني سأرد علها بالإيجاب أيضاً » .

لكن موسوليني ، رأى من ناحيته إن سرور تشميراين واعتزازه كانا في غير موضعهما . وعندما هنف له تشيانو ليبلغه قرار هنار . على عليه بشيء من الرضي قائلا . . . « لن تكون هناك حرب ، ولكن هذه هي نهاية مكانة بريطانيا وهيبها » .

وعندما مضى فى طريقه إلى ألمانيا فى تلك الليلة ، راح يفصل رأيه هذا قائلا بشيء من النكتة والمزاح . . . « عندما ترى بلاداً تعبد فيها الحيوانات إلى الحد الذى يقيمون لها فيها مقابر ومستشفيات ومساكن . وتحمل الرسالات إلى الببغاوات تنقلها ، فى وسعك أن تتأكد بأن الانحلال قد دب فيها . وهذا الانحلال عوامل عديدة ، من بينها تركيب الشعب الإنجليزى نفسه . فهناك يزيد عدد النسوة أربعة ملايين على عدد الرجال ! أجل أربعة ملايين من النسوة اللائى لا يجدن الترضية المحنسية ، فيخلقن مجموعة مصطنعة من المشاكل ، لإثارة غرائزهن أو إطفائها . وهن عندما يعجزن عن عدق رجل واحد ، يحاولن معانقة الإنسانية جمعاء » .

ومضى فى مثل هذه الأحاديث حتى ساعة متأخرة من الليل . أجل كان فى نشوة روحية عالية . فقد آمن أن نفوذه وحده ، هو الذى حقق مثل هذا الاجتماع . فهو وحده القادر على مناقشة هتلر ، وكان تبنيه لفكرة المحادثات هو الذى أمّن للفوهرر السبب الذي يغطى به تراجعه ، وقبوله التفاوض . ولم بوافق هتلر على اللخول فى أية محادثات إلا إذا كان الدوتشى حاضراً لها شخصياً . وقد أوكل إليه فوق ذلك كله ، اختيار مكان الاجتماع ، إذ اقترح هنلر فرانكفورت أومونيخ ، وهو الذى اختار ثانيتهما .

وتوقف القطار ، في كوفشتاين ، أي قبل وصوله إلى مونيخ بسبعين ميلا ،

ليستقله هتلر ومعه أمير هيسى ، فقد كان الفوهرر جد تواق للتحدث إلى الدوتشى على انفراد ، قبل بدء الاجتماع . ودعاه هتلر إلى عربته حيث عرض عليه بعض الخرائط المكبرة ، للبلاد التى يعتزم ابتلاعها . وكان يصر على أنه سيفرض حله على تيشكوسلوفاكيا بالقوة فى حالة فشل المؤتمر . ووجد الدوتشى صعوبة بالغة فى إقناعه بأن لا يحكم على المؤتمر بالفشل قبل الشروع فيه ، ولم تبد على هتلر علائم الرضى ، إلا عندما وعده الدوتشى بأن تقوم إيطاليا بمساعدة ألمانيا فى حالة فشل المؤتمر . . ولا ريب فى أن اللحظة التى سنحارب إنجلترا فيها جنباً للى جنب . قادمة عما قريب ٤ . ولم يرد موسولينى على هذا القول ، وظل هتلر فى حيرة من أمره ومن مدى قدرته على الوثوق بمساعدة إيطاليا وعونها .

وأعاد الفوهر ظاهرة عناده من جديد ، عندما التأم شمل الاجتماع بعد بضع ساعات في دارة الفوهرر في كوينجز بلانز . وقد هبط درج الدارة لاستقبال ضيوفه وقد بان الإصرار والتصميم على وجهه . وحيا الوفد الإيطالي بشيء من من الحرارة « الموزونة » بينا صافح بمنهي البرود والحمود كلا من تشميرلين وديلادييه. وراح يعلن زائريه على الفور ، بكلمات متسارعة تطبعها الإثارة والحماسة ، إنه أبلغ العالم بأنه يعنزم العمل ضد تشيكوسلوفاكيا ، ولكن قيل له بأن عمله هذا يحمل طابع العنف ، ومن هنا كان من واجب المجتمعين أن « يحللوا العمل من مثل هذا الطابع ، لا سها وأن العمل بجب أن يقع على الفور » .

ولكنه بالرغم من هذه العبارات القاطعة الحاسمة ، بدا عصبى المزاج ، وغير واثق من نفسه . وعندما انتهى من حديثه ، نأى عن الآخرين ، ووقف إلى جانب الحائط وقد بان عليه القلق ، يتطلع إلى موسولينى ، الذى بدا على النقيض من زميله فى منتهى الثقة . وفى صورة الوصى على المجتمعين ، يخطو فى الغرفة جيئة وذهاباً ، وقد وضع يديه فى جيبيه منحدثاً بفرنسية طليقة إلى دبلادييه . وبألمانية دقيقة إلى رببنتروب ، وبإنجليزية صعبة وإن كانت سليمة إلى تشميراين . وراح يخرج من جيبه مذكرة تضمنت كل الاقتراحات الألمانية التى نقلها إليه سفيره اتوليكو هاتفياً قبل مغادرته رومه ، بعد أن أدخل عليها تعديلات طفيفة . وقبل الآخرون الملكرة على أنها من وضع موسولينى ، وإن الألمان على استعداد لتقبلها كأساس

مرض للبحث ، وأعربوا عن استعدادهم لدرسها بدقة وعناية . وأعدت مسودات أخرى ونوقشت . ولكن مذكرة موسوليني هي التي ألفت أساس الاتفاق الذي تم التوقيع عليه في الساعة الثانية من صباح الثلاثين من سبتمبر . وكان موسوليني قبل التوقيع بساعات قد أدرك أن هتلر قد فاز بكل ما أراده تقريباً ، وأن المناقشات التي استطالت ، كانت في الواقع دون أي جدوي . ولم يشترك تبعاً لذلك في هذه المناقشات ونجح في أن يوحي لتشميرلين بالانطباع بأنه « رجل هادئ كل الهدوه ، ومتحفظ بالغ التحفظ ، إلى الحد الذي يجعله يبدو وكأنه خائف من هتلر » وخيل إلى ايفون كيركبا تريك الذي شهد الاجتماع أيضاً ، بأن موسوليني كان بالرغم من ثقته الظاهرة بنفسه ، خائفاً من هتلر ، وإنه بدا وكأن «حملاً ثقيلاً بالرغم عن منكبيه نتيجة الاجتماع » .

وأحس تشيانو بالارتياح أيضاً للتتبجة ، وظل برقب الدوتشى وهو يقف مترفعاً على الآخرين ، مما أثار إعجابه ، وراح يكتب فى يومياته قائلاً . . . ه كانت روحه عالية دائماً سباقة للأحداث والرجال ، وكانت قد استوعبت فكرة الاتفاق ، وبينما كان الآخرون يجهدون أنفسهم فى مناقشة بعض القضايا الشكلية ، كان هو ، قد فقد كل اهمام بالمناقشة . فقد انهى الموضوع بالنسبة إليه ، وراح فكره يجول فى نواح أخرى » .

وبالرغم من أن هتلرظل فيا بعد يعرب عن عدم رضاه عن اتفاق مونيخ، إلا أنه بدا في ذاك اليوم يشارك تشيانو إعجابه بالدوتشي . وقد ذكر فرانسوا بونسيه أنه ظل يرقبه باستمرار «وقد بدا عليه الإعجاب اللى بلغ حد السحر. فلو ضحك الدوتشي . ضحك لضحكه ، ولو عبس ، شاركه عبوسه » .

وهللت إيطاليا للدور الذي أداه الدوتشي معتبرة إياه نصراً عظيماً. وجاءه الملك من فلورنسه إلى دارته الريفية في سان روسورى ، ليهنئه على ما فعله ، وعندما وصل القطار الذي يقله مدينة رومه ، احتشدت جماهير غفيرة من الناس ، جاءت لتحييه بحماسة لم يكن لها مثيل على حد تعبيره هو ، منذ أعلن قيام الإمبراطورية الإيطالية . لكن هذه الحماسة لم تعجبه ولم ترضه ، إذ أن لقب « ملاك السلام » ، الذي سمع الناس يهتفون له به مصحوباً بلقب « الدوتشي » ، لم يكن من الألقاب

التي تعجبه . وعندما رأى قوساً من أو راق الزينون وقد أقيم عبر شارع « ناسيونالى » اللهي مر منه موكبه ، لم يستطع أن يكبت غضبه ، فأنفجر قائلاً . . . « ومن المستول عن هذا الكرنفال ؟ ٥ وكان يرى أن الواجب يقضى يعدم السماح للشعب الإيطالى بأن يتعلق بأهداب السلام ، وأن « الفتال ، يجب أن يصوغ طبيعته وشخصيته ، وحزم أمره على عدم السماح لشعبه بأن يرى فيه صورة أخرى لتشميرلين و صانع السلام ، ، لأنه رأى في هذه الصورة ما يحط من قدره ، وقرر أن يحتفل بعودته إلى إيطاليا بسلسلة من الخطب التي يرغمه فيها ، ولا سيما البورجوازيين من أفراده ، الذين كانوا في حاجة إلى ٥ من يبقر لهم بطونهم ، ، على تقبل ألمانيا المعتدية كصديقة لهم وحليفة بدلا من فرنسا التي بجب أن ينظروا إليها كعدوة . وكان يقول لنفسه . . . 1 لا يمكن لإيطاليا أن تتحول إلى بروسيا ، ولكنني لن أسمح للإيطاليين بأن يعبشوا في سلام إلى أن أموت » . وكان قد تحدث إلى تشيانو قبل بضع سنوات بقوله . . . لا إنني أعلد للإيطاليين مفاجأة مذهلة ، فعندما ننتهى من أمر أسبانيا سأذبع عليهم بياناً تاريخياً . وكان وزراؤه قد ألفوا أن يقبلوا منه مثل هذا الوعيد إليهم بشيء من التحفظ ، ولكنهم لم يستطيعوا إلا أن يتبينوا هذه المرة أنه جاد فيه . وراح في السادس والعشرين من سبتمبر ، يبلغ تشيانو ، بأنه قد حزم أمره على إعلان التعبئة العامة في اليوم التالي ، لإرسال قوات إلى ليبيا ، مما حمل تشيانو على الاعتراف فيما بعد بأنه كان قد صدق ما قاله الدوتشي . وأفضى تشيانو إلى صديق له فيما بعد ، بأنه خشي حقاً في أن يمضى الدوتشي إلى الحرب ، لإثارة البورجوازيين الذبن بكرههم ، والذين كانوا لا ينفكون عن إظهار فزعهم من مغارم السياسة الفاشية ، ومن البيروقراطية الضخمة التي كان الفاشيون قد أنشأوها . وأظهرت أرقام الإنفاق الحكومي لتى نشرت ، وجود عجز يتزايد باستمرار ، إذ ارتفع من نحو ألني مليون لير إيطالي في عام ١٩٣٤ – ١٩٣٥ إنى ما يربو على أحد عشر ألف مليون في عام ١٩٣٧—١٩٣٨ ، وما يزيد على تمانية وعشرين ألف مليون في عام ١٩٣٩ – ١٩٤٠ ، وقد عزا موسوليي ، انسجاماً منه مع طبيعته ، هذا القلق المتزايد عند أفراد الطبقات الوسطى إلى اهتمامهم الأنوى بمصالحهم الحاصة ورخائهم ، وإلى رفضهم الاعتراف بالمصلحة القومية ، أو على

حد تعبيره المشهور والدعى . . . ه بالتوجيه التاريخى والكلاسيكى ، للأساليب الفاشية » . وكان الأغنياء أيضاً مترددين فى تأييدهم للعهد ، وقد سرت إليهم أيضاً ، عدوى الأفكار البورجوازية . وقال إن من الواجب ضربهم بالهراوات ، لإرغامهم على عدم الأثرة والانضباط ، وعهد إلى ستراشى بأن يدرس إمكان القيام بإجراءات ضد البورجوازية (۱) . وعلى قادة الحزب أن يكونو قدوة فى الأخلاق الفاشية المناهضة للبورجوازية بعدم ارتداء الياقات « المنشاة » ، وأم النوادى الليلية ، واحتساء القهوة . وراح يدرس فيا بعد إغلاق البورصة ، وإلغاء الدرجة الأولى فى القطارات ، ومنع رياضة الجولف واستيراد المجلات والملابس والكتب لفرنسية .

وكان قد شرع فى حملته على فرنسا منذ عدة أشهر . وتحفل يوميات تشيانو فى شهر مايو عام ١٩٣٨ بالإشارات إلى هذه الحملة . فنى الثالث عشر من مايو ، وصف الوزير زعيمه بأنه «أخذ يميل شيئاً فشيئاً إلى إظهار عدائه لفرنسا » . وكان يصف الفرنسيين بأنهم شعب « حطمته الحمر والأمراض السرية والصحافة » . وراح فى اليوم التلل يلتى خطاباً فى جنوه وقد تحدث عنه تشيانو بقوله : « كان خطاباً عنيفاً فى عدائه لفرنسا . وراحت الجماهير تصفر هازئة بفرنسا ، وتضحك من اتفاقها مع لندن » . وعندما حل السابع عشر من مايو ، كان لا يزال يوجه حملاته العنيفة إلى فرنسا . وبلغ به الإجهاد والعنف بعد يومين مداهما . ونقلت اليه برقية بعد يومين كان السفير الفرنسى قد بعث بها إلى حكومته ، وقد تضمنت ملاحظات مهيئة له ، قتار غضبه إلى حد الجنون » .

واستمرت الحملة بعد اجتماع مونيخ إلى أن أصبحت المظاهرات العدائية لفرنسا في مستهل شهر ديسمبر أمراً مألوفاً . وراح موسوليني يسر في التاسع من ديسمبر إلى تشيانو ، بأن الأمور قد جاوزت الحد في الوقت الحاضر ، وأن من الواجب تلطيف الحملة المعادية لفرنسا بعض الشيء ، ومضى يقول . . « ولو استمرت الحملة على هذا النحو فسنضطر إلى أن نحمل المدفع على الكلام ،

<sup>(</sup>١) لعل من الحقائق اشابتة أن الناس يميلون إلى أن يستنكروا بمنهى العنف ، كل ما يخشونه أشد الخشية ، ويكرهونه بالغ الكره . وكان موسوليني الشاب بالرغم من بوهيميته المفرطة ، يعني بأن تؤخذ صوره ، وهو مرتد ثياباً مقبولة جميلة ، وقد أعد بطاقاته وقد حملت لقب « الأستاذ » ، وهو اللقب الذي كان يحمله وهو يزاول مهنة العدريس .

ولكن الوقت لم يحن بعد لحديث المدفع . ولم يكن القصد من شن هذه الحملة منذ البداية أن تكون مقدمة إلى الحرب ، وإنما كان القصد منها إعداد الرأى العام لتقبل التحالف العسكوى الحطى مع ألمانيا .

وكان ريبنتروب ، هو أول من اقترح هذا الحلف ، أثناء الزيارة التى قام بها هتر لرومه فى شهر مايو الماضى ، لكن موسولينى بالرغم من رضاه على الفكرة بادئ ذى بدء ، راح بصدر تعلياته إلى تشيانو ، بالهرب من الحديث فيها ، وعاد ريبنتروب فأثار الموضوع من جديد فى مونيخ، إذ دون تشيانو فى يومياته يقول ، وإنه بصف الحلف بأنه أعظم شىء فى العالم . لكن هذا الرجل ميال إلى المبالغة دائماً . ولا ريب فى أننا سندرس موضوعه ، بمنهى العناية ، وقد نؤجل البحث فيه مدة من الزمن ، حقيًا كانت هذه هى إرادة موسولينى وتوجهاته له .

ولم يكن وزير خارجية ألمانيا ، أكثر نجاحاً في هذا الصدد عندما زار رومه في شهر أكتوبر . وقرر تشيانو الآن بعد أن انجلت فورة الحماسة المبكرة . إنه لا يحب هذا الرجل ولا يستلطفه ، ومع ذلك ، فقد ظل يصغى إليه ، وهو يتحدث عن إنجلبرا ، كما تتحدث العشيقة المهجورة عن هصديقها الخائن » ، ويقول للدوتشي بلهجة الأستاذ لتلميذه ، إن الحرب قادمة لا ريب فيها ، وإن الضرورة تقضى بتحويل ميثاق مكافحة الشيوعية إلى حلف عسكري يضم اليابان أيضاً . وكان موسوليني كيساً في حديثه إلى زائره ، إلا أنه رفض أن يعده بشيء ، وقال إن الرأى العام الإيطالي لم يتهيأ بعد لهذه الحطوة التي لا بد وأن تلتي معارضة عنيفة من القادة العسكريين وممثلي الطبقة الوسطى ، بالإضافة إلى معارضة الكنيسة التي ساءت علاقاتها كل السوء بالحكومة الألمانية ، وإلى مقاومة الملك الذي يكره الألمان أكثر من نشهيه الاستيلاء على كورسيكا الفرنسية .

لكن الحصومة مع فرنسا كانت قد أرغمت موسوليني ، كما سبق لها أن أرغمته إبان الحرب الحبشية ، على الإكثار من الاعباد على دعم ألمانيا ومساعلتها . وقد استبد به القبق ، عندما سمع أنه في الوقت الذي كان يطالب فيه علناً بكورسيكا ونيس وتونس من فرنسا ، كان ريبنتروب يزور باريس ، ويوقع مع حكومها رغبة منه في إيقاع الفرقة بينها وبين بريطانيا ، إعلاناً رسمياً بضمن فيه الحدود الراهنة بين

فرنسا وألمانيا . واشتد قلقه وتعاظم . عندما وصلت إلى مسامعه شائعات الاتفاق العسكرى بين بريطانيا وفرنسا . وشائعات أخرى تقول إن أمريكا تعتزم تقديم المعدات الحربية إلى الدول الديمقراطية إذا اقتضى الأمر ذلك . يضاف إلى هذا ، أنه كان بأمل على الغالب ، في أن يصبح في حالة توقيعه ميثاقاً عسكرياً مع ألمانيا ، أكثر قدرة على التأثير على سياسات ألمانيا . وتوصل في نهاية عام ١٩٣٨ إلى الاستنتاج ، بأن التسويف والمماطلة لم يعودا ممكنين . وراح تشيانو يبلغ سفيره اتوليكو في الثالث من يناير ، بأن ينقل إلى الألمان استعداد الدوتشي عماً قريب لتوقيع معاهدة التحالف . ودون تشيانو في يوميانه في هذه الآونة يقول . . . ه وكان اترليكو في الماضي معادياً لفكرة التحالف مع ألمانيا، ولكنه بات الآن .ؤيداً لها كل التأبيد . وراح يقول إن الأجازة التي قضاها أخيراً في إيطاليا ، قد اقنعته بأن ليس ثمة شيء ينال تأييد الشعب الإيطالي . أكثر من الحرب مع فرنسا ، ولم يمض يومان حتى كانت التعلمات قد صدرت إلى أخيل ستراشى . فالدعاية ضد فرنسا يحب أن تستمر وتنسع ، بحيث يمكن إعلان توقيع الحلف في اللحظة التي يبلغ فيها العداء لفرنسا ذروته ، وإن عليه أن يعد العدة لإقامة مظاهرات عدائية لفرنسا في اللحظة التي يعلن فيها عن توقيع الحلف . لكنهذه التعليمات سرعان ما أتبعت بطلب التأجيل إذ أن رئيسوزراء بريطانيا سيزور رومة قريباً ، وإن من الحير التريث في الشروع في الحملة حتى تنتهي هذه الزيارة .

وكان تشميرلين هو للى اقترح هذه الزيارة . وكان قد آمن بأنه قد توصل إلى تفاهم مرض مع هتلر ، وأن عليه أن يتأكد الآن من صداقة إيطاليا أيضاً . وكان على استعداد كغيره من ذوى الإدراك العديدين فى بريطانيا ، لنسيان المغامرة الحبشية ، ولإقامة علاقات جديدة مع إيطاليا على أساس وما فات مات ، على حد تعبير داف كوبر(١) . وكان الكثيرون من أعضاء حزبه (١) ، قد امتنعوا عن استنكار الهجوم الإيطالي على الحبشة في حينه ، وكانوا على استعداد كما ذكر المستر مايكل فوت في كتابه الرائع والساخر ، الغفران والنسيان . وهكذا مضى

<sup>(</sup>١) من وزراء المحافظين ، وكان قد استقال من حكومة تشميرلين في عام ١٩٣٨ احتجاجاً على سياسة الترضية التي البعنها مع هطر .

<sup>(</sup>٢) يعنى حزب المحافظين .

تشميرلين إلى إيطاليا ، وكله أمل فى أن يتمكن من استغلال هذه الحقيقة ، أما إذا أفلح فى خلق شقاق بين رومة وبرلين ، فهذا عين الصواب . وراح يكتب إلى رومة ، بعد أن حصل على موافقة متبرمة من الحكومة الفرنسية ، مقترحاً عليها أن يقوم فى شهر يناير بزيارتها مستصحباً معه ، وزير خارجيته الاورد هاليفاكس .

لكن الزيارة فشلت كل الفشل ، بل كانت مصدر ضيق شديد ، بالرغم من الجهود الهائلة التي بدلها تشميرلين لإنجاحها ، والظهور بمظهر مرض . فقد ذكر موسوليني بأن « الإنجليز يحملون عقولهم في أقفيتهم » ، وراح يقول لزوجته إن « تشميرلين ومظلته سيصلان إلى رومة » . وبالرغم من اعترافه فيما يعد بأن أحاديث رئيس وزراء بريطانيا كانت ﴿ أَكُثُّر مُرْحًا مِنْ أَنْ تَصَلُّمُ عِنْ إِنْجَلَّيْزِي ۗ ﴾ فإن تأثره به في هذه الزيارة ، كان أقل من تأثره عندما التقاه أول مرة في مونيخ . وكانت التعلمات قد صدرت إلى ستراشي بأن لا يكون استقبال تشميرلين وهاليفاكس حماسياً ورائعاً . وقد نفذت هذه التعليات تنفيذاً دقيقاً . فقد استقبل الضيفان الإنجليزيان بمنهى الدمائة المتحفظة . وبالرغم من لطف موسوليني في لقائهما ، ومن تظاهره بالسرور عندما قدم إليه الرئيس الْبريطاني صورته وقد وقع عليها ، إلا أنه كان يتحدث عنهما في غيابهما بكثير من الامهان الذي يبلغ حد الزراية . وراح تشيانو يسجل في يومياته ، بعد أن سافر الضيفان ، وبعد أن رأى عيني تشمبرلين تغرورقان بالدمع عندما تحرك به القطار ، وهو يستمع إلى بعض أفراد ، الحالية البريطانية في رومة ينشدون . . . « حقاً إنه رجل مرح طيب ، . . . ما نصه . « ما أبعدنا عن هؤلاء الناس ، إنهم يعيشون في علم آخر » . وقد كنا نتحدث عن هذا الموضوع بعد العشاء مع الدونشي ، وقد تحلَّقنا في زاوية من القاعة ... وسمعت الدوتشي يقول . . ١ إن هؤلاء الناس من معدن يختلف عن معدننا ، بل وعن معدن فرنسيس دريك (١) ، وغيره من المغامرين العظام الذين خلقوا إمبراطورية بريطانيا . إنهم الأحفاد المجهدون لحلقة طويلة من الأجداد الأثرياء ولا بد من أن يضيعوا إمبراطوريتهم » . وقد أعرب الدوتشي عن نفس هذا الازدراء ، بعد بضعة أسابيع ،

<sup>(</sup>١) السير فرانسيس دريك (١٥٤٦ – ١٥٩٦) – مكتشف إنجليزى مشهور وبن أشهر قادة الأسطول البريطانى ، ذ إليه يرجع الفضل في قهر أسطول أسبانيا العظيم (الأرماده) ، الذي أعدته أسبانيا لنظيم (الأرماده) ، اللمن أعدته أسبانيا لنزو إنجلترة .

عندما عرض عليه اللورد بيرث ، خطاباً كان المستر تشميرلين يعتزم إلقاءه في مجلس العموم ، لينال موافقته عليه . وراح الدوتشي يقول . . . « أعتقد أنها المرة الأولى في التاريخ . حيث يقوم رئيس للحكومة البريطانية بعرض مسودة خطاب يعتزم إلقاءه ، عني حكومة أجنبية . حقاً إنها ندير شؤم لهم » . وقال في مناسبة أخرى ، إن من الطبيعي أن يخشي الإنجليز الحرب وفكرتها خشية كبيرة . فهذا أمر متوقع من شعب يعيش حياة المدعة والاسترخاء « ويجعل من اللعب والأكل . ديانته التي يؤمن بها » . وكانت العقيدة الفاشية معادية كل العداء لهذه الفكرة . فقد كتب في مقال مشهور وبتوقيعه الصريح ، في دائرة المعارف الإيطالية (انسا يكلو بيديا ايتاليانا » ، يقول إن «الفاشية لا تؤمن باحتال دوام السلام ولا بجدواه . . فالحرب وحدها هي التي تستثير طاقات الإنسان كلها ، وتضع طابع النبل على أولئك اللين يجدون الشجاعة لمواجهتها . » وكانت هذه فلسنة « لا يستطيع الإنجليز حتى أن يشرعوا في فهمها » . وراح يتساءل في خطاب فلسنة « لا يستطيع الإنجليز حتى أن يشرعوا في فهمها » . وراح يتساءل في خطاب لاحق ألقاه ، ضمنه هذه المفاهم الخاطئة عن الحياة الإنجليزية بشكل مهول يستثير إعجاب سامعيه قد ثلا . . . « ولكن ماذا ينتظر على أي حال ، من شعب يرتدى ألقاده ملابس السهرة ، إذا ما أقبلوا على تناول الشاي بعد الظهر » .

وتحدث تشيانو هاتفياً إلى ريبنتروب ، بعد انتهاء زيارة تشميراين ، ليؤكد له أن اجتماعه بموسوليني لم يسفر عن شيء ، ثم قال «كان اجتماعاً فاشلا ولا أهمية له على الإطلاق » . وهكذا مضي العمل في إعداد صيغة الحلف العسكرى . لكن صدمة أصابت المحور قبل توقيعه ، كادت تودى به إلى الانهيار .

فني الرابع عشر من مارس عام ١٩٣٩ ، عبرت الجيوش الألمانية دون استشارة موسوليني المسبقة ، الحدود التشيكوسلوفاكية ، ليصل هتلر إلى براج بعدها بيوم واحد . واشتد غضب موسوليني عندما نقلت إليه هذه الأنباء . وراح يقول بعد أن زاره الأمير فيليب هيسي مبعوث هتلر الشخصي ، ليشكره كالعادة على تأييده ... « عودني الفوهرر ، على أن يبعث إلى برسالته ، بعد أن يحتل بلداً ما » . ثم مضي يقول فيا بعد . . . « لا شك في أن التحالف مع ألمانيا سخف مطبق ، لا ترضى به حتى الحجارة التي تقم صرحه » . لكن غضبه سرعان ما تحول إلى لا

أسى . فعندما على تشيانو بشىء من النهكم ، قائلا « إن المحور يعمل لمصلحة أحد جانبيه ليس إلا » ، رد موسوليني ببيت من شعر داني (١) يقول فيه . . . « علينا أن نتجنب إثارة غضب الرب وأعداء الرب » . وأضاف يقول ، علينا أن نقبل «خداع الألمان » برحابة صدر . وكان قد توصل الآن إلى الاستنتاج بأن هتلر غدا أقوى من أن يستطيع أحد وقفه عند حده ، وإن على إيطاليا أن تظل إلى جانبه مهما عاملها بصلف وغرور . وكان أشد ما يقلقه توسع النفوذ الألماني عبر البلقان الذي كان يود أن يعتبره منطقة نفوذ إيطاليه ، وارتضى بشيء من الشك الواضح ، تأكيدات هتلر له بأن ألمانيا ستتخلى لإيطاليا عن البحر الأبيض المتوسط ، وجر الادرياتيك ، ولم يرض على أي حال بقصم المحور ، قائلا آ . . . « لن نستطيع تبديل سياستنا اليوم ، فنحن على أى حال لسنا من عواهر السياسة » .

وأعلن الدوتشي في الخطاب الذي ألقاه عشبة الواحد والعشرين من مارس في المجلس الفاشي الأعلى ، والذي وصفه تشيانو . . « بالروعة وقوة الحجة وسلامة المنطق ، والتصميم ولبطولة » ، قراره التاريخي ، فقد تبحدث عن « الولاء المطلق للمحور » كحاجة حتمية للسياسة الخارجية الإيطالية والمفهوم الفاشي عن الصداقات الحقة . ولما كان المجلس قد ألف الطاعة دون نقاش ، فقد قبل قرار الدوتشي دون أي اعتراض . ويبدو أن جراندي وبونو وبالبو ، كانوا غير راضين عن القرار ، فلما نمي نبأ ذلك إلى الدوتشي تجاهلهم واصفاً إياهم و بالبلداء » . وقال إن بالبو الذي يصف البقاء في المحور بأنه « لعتى لحذاء الألمان » ، ليس إلا «ختزير ديقراطي » ، كان الدوتشي قد قرر مستقبله عندما أعلن « بأنه لا يستطيع أن يضمنه » . أما ديبونو فليس إلا « عجوز أحمق خرف » ، يقول لموظفي قيادة الحزب وأعضائها في مقرهم . . . « أعلن الدوتشي مشيئته ، ولا مرد لهذه المشيئة » . المزب وأعضائها في مقرهم . . . « أعلن الدوتشي مشيئته ، ولا مرد لهذه المشيئة » . ويبدو أن شخصية موسوليني بالإضافة إلى سياساته ، قد تأثرت نتيجة اشتراكه مه هنلر . فقد بات يتكل عليه بشكل متزايد ، وإن كان هذا الاتكال مصحوباً بالغيرة الكامنة ، يحتلان مكانة بارزة بالتردد ، كما أخذ الإعجاب المتبرم مصحوباً بالغيرة الكامنة ، يحتلان مكانة بارزة بالتردد ، كما أخذ الإعجاب المتبرم مصحوباً بالغيرة الكامنة ، يحتلان مكانة بارزة بالتردد ، كما أخذ الإعجاب المتبرم مصحوباً بالغيرة الكامنة ، يحتلان مكانة بارزة بالتردد ، كما أخذ الإعجاب المتبرم مصحوباً بالغيرة الكامنة ، يحتلان مكانة بارزة

<sup>(1)</sup> دانتي اللبجيري (١٢٦٥ – ١٣٢١) - أعظم شعراء إبطاليا ، ومن وجالات الأدب العالمي خلد أسمه بملحمته الشعرية «الملهاة الإلهية – الكوبيديا الإلهية» ، وقد وصف فيها طبقات الجحيم ، وفعيم المهاء في سفرة وهمية قام بها مع عشيقته بياتريس .

فى تصرفاته . وبالرغم من أنه كان يستمع فى الماضى إلى المشورة ، وأحياناً إلى النقد ، . فقد بات الآن يهاجم بكثير من الحقد المرعب ، كل من يجرأ على التقدم ينصيحة أو على مناقشة إحساسه السياسي . ولما كان قد حزم أمره على أن الإيطاليين في حاجة إلى الخشونة وإلى التكيف مع تلك الروح التي طبعت انتصارات ألمانيا العسكرية فقل راح يرخم وزراءه ، وقادة الحرّب الفاشي ، على أن يكونوا قدوة للشعب في أداء بعض التمارين القاسية والحطرة ، والإسهام فى الرياضات المجهدة . ووسع مسهدفاً نفس الغاية ، فثات الموظفين ، الذين كان ينتظر منهم أن يرتدوا البزة العسكرية ، وأصدر مراسيم غايتها فرض الأنظمة التي تلغى المصدفحة باليد ، والطريقة المهذبة في الحديث ، وألزم القادة العسكريين وكبار صباطهم بالحرى بدلاً من المشي فى التمرينات العسكرية . وكان يغرم بالقول دائمًا ، بأن على « الإيطاليين أن يتعلموا الخشونة والصلافة ، وتجنب اللين ، واحتمال كره الناس لهم » . وكثيراً ما قال عن نفسه بأنه يؤثر أن برهبه الناس على أن يحبوه . وكان يعملُ ما في وسعه ، لفرض هذه الرهبة عليهم . فقد أسرت قوات فرانكو قبيل انتهاء الحرب الأسبانية عدداً من الشيوعيين الإيطاليين الذين كانوا يحاربون في كاتالونيا ، وعندما سئل عما يراه فى أمرهم قال على النحو الذى سجله تشيانو فى يومياته . . . «أعدموهم ، غالموتى لا يتحدثون a .

أما بالنسبة إلى اليهود ، فقد أعد مصيراً لهم أكثر ابتكاراً . وعندما عرض عليه مشروع لتحويل جزء من الصومال الإيطاني ، إلى أرض لليهودية العالمية قال ، أن «ميجويرتانيا» هي المكان الأفضل ، لما فيها من موارد أولية يستطيع اليهود استغلالها ، وبينها صبد كلاب البحر ، التي تستطيع أن تعيش في البداية على الحوم اليهود .

وأصبحت اللاسامية الآن جزءاً رئيسياً من السياسة الفاشية . وبالرغم من أن المراسم التي صدوت لتطبيق هذه السياسة ، لم تنفذ تنفيذاً صارماً ودقيقاً قط ، إلا أنه لم تحل نهاية عام ١٩٣٨ ، حتى كان عدد من اليهود البارزين قد فصلوا من مراكزهم الرئيسية في الخدمة العامة ، وأرغم الكثيرون منهم على منادرة البلاد . وانتشرت مصادرة ممتلكات اليهود في ربيع عام ١٩٣٩ . وكان يقال إن حملة

مكافحة السامية التى بدأها موسولينى . كانت تهدف إلى أن يفرض على البورجوازية «المتخاذلة والانهزامية »، والميالة إلى الأجانب » على حد تعبيره ، طرازاً أغضل من التفكير الإمبريالى ، وأنها كانت جزءاً من إجراءات .قتصادية استلزمتها الحالة التعسة التى يعيش فيها الاقتصاد الإيطالى . وكثيراً ما قبل أيضاً ، إن موسوليني أراد عن هذا الطريق اكتساب ود العرب(١) ، ولكن لم يكن هناك من شك على الإطلاق ، في أن تأثير هتلر عليه في هذه الناحية ، كان كبيراً للغاية ،

وليس ثمة من يشك أيضاً فى أن توقيت أول عمل عدوانى ضخم قامت به إيطاليا منذ غزو الحبشة . كان تحت تأثير احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا أيضاً . وبالرغم من أن موضوع الهجوم على ألبانيا كان قد درس منذ بضعة شهور ، وحدد أسبوع عيد الفصح كالموعد المقرر له منذ مسهل شهر فبراير ، إلا أن المدونشي لم يحزم أمره في هذا الصدد إلا فى أواسط شهر مارس . وقد انقضت أسابيع على تردده ، يعد فيها بالأوامر دون أن يصدرها . وبندر إبانها بالمضربات القاصمة دون أن يوجهه . وكان كعادته فى الحالة التي يفتقر إبانها إلى الثقة على بجب أن يعمله . يتراوح بين حالات من الإثارة الجنونية ، والكتابة الصامتة . يتحدث في يوم عن التوسع الذي لابد منه للإمبراطورية الإيطالية ، وهو فى اليوم الثانى ، يرفض الحديث فى أي موضوع مهم على الإطلاق . وكان تباهيه بنفسه يصل فى حالات ارتفاع معنوياته إلى حدود الجنون والنشوة . وقد تحدث بوسيني يصل فى حالات ارتفاع معنوياته إلى حدود الجنون والنشوة . وقد تحدث بوسيني ذات يوم إلى تشيانو ، فقال: ه إن على الدوتشي أن يعالج تفسه علاجاً جذرياً فات يوم إلى تشيانو ، فقال: ه إن على الدوتشي أن يعالج تفسه علاجاً جذرياً من الأمراض الزهرية التي يعانى منها ، إذ أن قلقه قد بات واضحاً الآن لدى حميع زملائه » .

وراح يعلن في إحدى نوبات تفاخره . وفي جلسة للمجلس الفاشي الأعلى ،

<sup>(</sup>١) كانت الحملة التي شبا موسوليني على اليهود . وهي حملة لم تكن عنيفة بحال من الأحوال ، جزءاً من الفلسفة الفاشية نفسها التي تقوم على المعصرية ، كما كانت جزءاً من حملته على المورجوازية التي كان اليهود يؤلفون جزءاً كبيراً منها . واعتقد أن المؤلف بالإضافة إلى مبالغته في الحديث عنها ، قد اخطأ في تفسيرها ، كما اخطأ في الفول ، بأنها صدرت عن رغبته في التحبب إلى العرب ، إذ أن العرب لم يحبوا في أي يوم من الأيام ، إنزال الاضطهاد باليهود في دول العالم ، وهم يعرفون أن هذا الاضطهاد ذريعة سياسية تستخدمها الصهيونية في استثارة العلف العالمي عليها لفرض إطماعها السياسية في فلسطين . « المعرب »

والأهداف لفورية للحركية الفاشية » ، فالبانيا يجب أن تغدو إيطالية والبحر الأبيض المتوسط ، يجب أن يصبح منطقة أمينة لإيطاليا عن طريق احتلال تونس وكورسيكا ، والحدود الألبية بجب أن ترجع إلى الوراء لتشمل منطقة والغار » . ومضى بعد ذلك يقول . . . « وإنني لأنطلع أيضاً إلى تيسينو ، فقد فقدت سويسره قوة تلاحمها ، وأصبح مصيرها كغيرها من الدول الصغيرة حتمياً ، إذ لابد للتفسخ من أن يصل إليها . هذا برنامجي ، ولكنني لا أستطيع تحديد أوقات التنفيذ . وكل ما أعمله الآن هو تحديد الخطوط التي يجب أن نسير عليها . وكل من يبوح بما قلت الآن ، كلا أو جزءاً ، سيحاكم بتهمة الحيانة » . وقد توسعت هذه المطالب المغالية في اليوم التالي لتشمل جيبوتي وحصة في قناة السويس . وبكن لم يحض يومان ، حتى بدأ وكأنه قد فقد كل اهمام بالموضوع ، فقد وجده تشيانو في الثالث من مارس راخباً في « أن يدع الأمؤر تسير سيرها الطبيعي في موضوع ألبانيا . ولم يحل الثالث والعشرون من الشهر حتى كان قد قرر الطبيعي في العمل » (۱) .

وجاء احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا فوضع حداً لشكوكه وغاوفه. ولم تكد تصل إلى مسامعه أنباء الغزو الألماني حتى طار فكره إلى «احتمال توجيه الضربة إلى ألبانيا». ولكنه ما لبث أن أعلن عن غاوفه في أن يؤدى احتلال تلك البلاد الفقيرة ، التي غدت في الوقع تابعة له دون احتلالها إلى «مقارنته عند الرأى العام العالمي ، باحتلال الرابخ لبوهيميا التي تعتبر من أغني بقاع العالم». وكم كان ألم تشيانو الذي كان منذ أمد طويل يلحف بضرورة الشروع في المغامرة الألبانية كحركة مسرحية تخفف قليلا من «اتساع هيبة الرابخ الذي لا ترضى عنه إيطاليا» وتعمل على «رفع معنوية الشعب الإيطالي» ، عند ما رفض موسوليني أن يصدر أوامره على التو ، بالشروع في العمل . ولكن عندما نقل إليه أن الملك عاد وكرر

<sup>(</sup>١) لم تكن هذه التقلبات المفاجئة في أوضاع موسوليني وتفكيره ، بالرغم من صلبها الماسة يتردى حالته الصحية ، ظاهرة من ظواهر هذه المرحلة في حياته فقط ، إذ كانت حالة دائمة سه منذ أمد بعيد ، وتقول مرجريتا سارفاق إن موسوليني أبعنها عشبة يوم الانتخابات في هام ١٩١٩ أنه عدل عن ترشيح نفسه ، ولكنه ما لبث في اليوم التالي أن أعلن أن اسمه يجب أن محتل مقدمة قائمة المرشحين في حيلان .

اعتقاده ، بأنه لا يرى ضرورة للمغامرة فى الحرب من أجل « الاستيلاء على أربعة صخور » ، راح يحزم أمره ويقرر الشروع فى العمل ، « فور الانتهاء من موضوع أسبانيا » .

وأطربته أنباء سقوط مدريد في لثامن والعشرين من مارس . وكان قد شك في يوم ما في أن يتمكن فرانكو « بقيادته الواهنة » للحرب ، من أن يصل إلى النصر ، وذكر لتشيانو في الصيف الفائت ، بأنه يريد منه أن يسجل في يومياته تنبؤه بهزيمة فرانكو . واكن ها هي الحرب المضنية ، تنتهي أخيراً ، وها هو العالم يشهد الدليل على و نصر عظم وجديد للفاشية ، وعاد الدوتشي إلى مكتبه من شرفة قصر البندقية ، حيث كان قد حرج إليها لتحية الجماهير الحاشدة الى جاءت لتحتفل بنهاية الحرب الأسبانية ، وأشار إلى خارطة أسبانيا في الأطاس المفتوح أمامه وهو يقول . . . لا ظل الأطلس مفتوحاً على هذه الحريطة ، مند ثلاث سنوات . وكانت هذه المدة أطول من الكفاية . ولكنه يجب أن يفتح الآن على صفحة أحرى ٥ . ولم تمض عشرة أيام ، حتى كانت القوات الإيطالية تهبط أرض ألبانيا . ولم تقع أية معارك ، أو قتال عنيف . وبالرغم من أن الصحافة الإيطالية وهي تعكس المصاعب الكامنة في تفسير والحركة الفاشية ، والدعوة إليها ، لم تتفق على ما إذا كان عدم القتال ، يعني قوة الجيش الإيطالي ، أو ترحيب الألبانيين به لإنقاذه من حكم ملك مكروه ، إلا أن إيطاليا حققت على أى حال نصراً من نوع ما . ولم يحل المساء حتى كانت إيطاليا قد فازت ، على حد تعبير هتلر ، « بقلعة تستطيع عن طريقها فرض سيطرتها القوية على البلقان » .

وكان تردد الدوتشي قبل بضعة أيام ، قد اختنى ليحل محله إيمان وتصميم . وكتب تشيانو في يوميته للخامس من أبريل يقول . . . « إنه هادئ . أجل هادئ إلى حد يثير اخوف » . وعندما انتهت العمليات في الخامس عشر من أبريل ، ووصل إلى رومة وفد ألباني ليقدم تاج البلاد إلى فيكتور عمانوثيل ، كانت الاقة مسيطرة على نفس موسوليي . وكانت ردود الفعل على الصعيد العالمي تافهة . وكانت الاحتجاجات البريطانية على حد تعبير تشيانو « للاستملاك الداخلي أكثر مها لأي شيء آخر » . وعندما تلتي موسوليني رسالة الرئيس روزفات التي يقترح

فيها هدنة لمدة عشر سنوات ، رفض في بادئ الأمر قراءتها . ولكنه ما لبث أن قرأها ، ثم نحاها جانباً عنه وهو يقول . . . ه إنها ثمرة تفكير شلل الأطفال ، .

ì

وصل جورنيج إلى رومة في ذلك اليوم . وكنان هتلر قلد أوفده ليسرد على مسامع موسوليني أوضاع الإعداد الألماني للحرب ، والثقة التي نواجه بها الحكومة الألمانية موضوع ﴿ حَلَّ المُشْكُلَةُ الْبُولِنْدِيةُ ﴾ . وكان حل هذه المشكلة التي قدر لها أن تقود إلى الحرب ، قد بات وشيكاً ، وكان الفوهرر متلهفاً على أن يعلن إلى العالم ، أَنْ ٱلمَانِيا وَإِيطَالِيا تَقْفَانَ مَعَا ، ويرْبطهما حلف عسكرى ، وَذَلَكُ قبل الشروع في الخطوة التي لا يمكن إصلاحها . وكان يعرف أن إيطاليا لم تصبح بعد قوة عسكرية قوية ، بالرغم من أن الجنرال فون رينتيلين ، ملحقه العسكري في رومه كان قد خدع بنبجحاتُ الدوتشي ، واعتقد بأنها أقوى من حقيقتها . ولكن هتلر كان في حاجة إلى تأييدها السياسي ، وكان يأمل في أن يؤدي إعلان الحلف بين أَلَمَانِيا وإيطاليا إلى منع الديمقراطيات الغربية من الوفاء بالتراماتها إلى بولندة . وأصدر أمره إلى ريبنتروب ليجدد محاولاته لحمل إيطاليا على توقيع الحلف ، واكمن تشيانو متردد ولا يريد توقيعه . فهو يخشى أن يتجاوز الألمان الحدود فى بولنده ، وأن يقوبوا بخطوات تترك آثاراً مفجعة . ولم تمض خسة أيام على محادثات جورنج مع موسوليني ، حتى كانت رومه تتلتى برقية من اتوليكو سفيرها فى برلين ، بقول فيها إن العمل الألماني في بولنده بات وشيك الوقوع . وانتاب القلق تشيانو ، الذي كان قد لاحظ أثناء زيارة جورنج ، أنه يتحدث عنها على نفس النحو الذي كانوا يتحدثون فيه ف الماضي عن النمسا وتشيكوسلوفاكيا،فهرع بحمل برقية السفير إلى قصر البندقية ، ليطلع الدوتشي عليها . لكن موسوليني لم يكن في حالة نفسية طيبة . فقد جدد النصر الذي حققه في أسبانيا وألبانيا أطماعه في التوسع وطرب عندما أبلغه تشيانو ، أن سفير هولندة في رومة زاره في قصر شيجي ، ليعبر له عن قلق بلاده من الأنباء القائلة بأن ألمانيا وإبطاليا قد اتفقتا على اقتسام أوروبا بيهما . وراح موسوليني وكأنه

يؤكد مخاوف السفير الهولندى يقول . . . ه إننى فى الواقع أدرب إيطاليا على الحرب ، ولكنه رغم هذا لمزاج الميال إلى الحرب ، كان يعيد النظر أحياناً وفى أوقات اتزانه فى موقف إيطاليا ، فيرى أنها ليست متأهبة للحرب بعد . وطلب إلى وزيره تشيانو أن يمهد لاجماع يعقده مع ريبنتروب ، ليتبين المدى الذى يعتزم الألمان الوصول إليه ، والموعد الذى حدده للشروع فى العمل ، وأن يؤكد لريبنتروب فى الوقت نفسه ، ضرورة استمرار السلام لإيطاليا ثلاث سنوات أخرى على الأقل .

وعندما اجتمع الوزيران فى ميلان فى السادس من مايو ، راح ريبنتروب بقول . . . « وليست ألمانيا أقل اقتناعاً من إيطاليا ، بضرورة استمرار السلام فترة أخرى لا تقل عن أربع سنوات أوخمس » .

وكان ريبنتروب في منهى الدمائة والكياسة في هذا الاجماع . وسرعان ما حلت بينه وبين تشيانو ، الذي كان قد وصفه قبل بضعة أشهر ، أي في شهر أكتوبر المنصرم ، بأنه ه ربجل دعى وأحمق وثرثار ومفتقر إلى الكياسة » ، والذي كان قد أرضاه ما سمعه عنه من الدوتشي ، عند ما قال بأن « نظرة واحدة إلى رأس هذا الرجل كافية للحكم على صغر ما فيه من عقل » . وراح تشيانو يهتف إلى الدوتشي بعد مأدبة العشاء التي أقامها لضيفه في فندق الكونتينتال ، مبلغاً إياه ، أنه بالرغم من تصميم هتلر الواضح على وجوب استعادة دانزيج ، فإن الألمان يؤكدون ضرورة الحفاظ على السلام لعدة سنوات مقبلة . وارتاح موسوليني إلى هذا التأكيد المطمئن ، وثار للأنباء التي وصلته عن عدم استقبال شعب ميلان لريبنتروب استقبالا ودياً ، فراح يأمر تشيانو ، بأن يعلن إلى العالم ، أن الحلف العسكري الألماني — الإيطالي قد أصبح حقيقة وقعة .

ووصل تشيانو إلى برلين فى الواحد والعشرين من مايو لتوقيع معاهدة الحلف الى أراد موسوليني أن يطلق عليها فى البداية اسم «ميثاقى الدم» ، ثم ما لبثت أن حملت اسم «ميثاق الصلب» الذى اشهرت به فى العالم . وقدم تشيانو فى احتمال جرى ذلك المسدء فى دار السفارة الإيطالية فى برلين إلى ريبنروب وسام « انونزياتا » الرفيع الشأن . وكان جورنج ، الذى شهد المأدبة ، قد مضى إلى قاعة الطعام لاستبدال بطاقته ببطاقة ريبنروب ، ليضمن اجلوس إلى يمين المضيف الإيطالى .

وعندما عاد إلى قاعة الاحتفال ، رأى وزير الخارجية الألماني وقد أحاط به الضيوف يعربون عن إعجابهم بقلادة الوسام التي منحها والتي تخوله الحق بأن يعتبر نفسه ابن عم لملك إيطالياً . وأحس جورنج . أن التكريم كان يجب أن يوجه إليه ، لأنه هو الذي نجح أثناء زيارته لرومة في إقناع موسوليني بتوتيع الحلف ، وراح يعرض ، والدموع في عينيه ، منظرًا مربكًا ، فقد أصر على أن تكون القلادة له ، ولم يتمكن تشيانو من إقناعه بالبقاء في الحفل إلا بعد جهيد . ولم يكن جورنيج قد أبل من الصدمة بعد في اليوم التالي ، عندما جرى حفل التوقيع عبي الحلف في دار المستشارية ، وكان يشيح بوجهه جانباً كلما رأى ريبنتروب أمامه . أما هتلر ، فقد بدا في أسعد حالاته وأكثرها مرحاً وحبوراً . فهو يكثر من الحديث إلى الحد الذي يبعث الضيق عند سامعيه ، واكتشف تشيانو أن الفوهرر ، يبدو مجهداً وقد شاخ ، نظراً لأن النوم قد فارق جفنيه فى الآونة الأخيرة . وكانت هناك أيضاً شائعات تتحدث عن ولعه الشديد بفتاة فاثقة الجمال في العشرين من عمرها ، صاحبة « جسم رائع » تدعى سيجريد فون لاباس . كانت تستأثر بأوقاته كلها . ولكن بالرغم « من الغضون العميقة التي بلت على جفنيه » ، فقد بدا . كما قال تشيانو ، « في أحسن حال ، وأهدأ بال » . وكان من حقه أن يرضي وأن يطمأن . فالميثاق الذي وقع . أكثر بكثير من ذلك الحلف الدفاعي الذي كان موسوليني قد اقترحه في الشتاء المنصرم. وقد جسدت مادته الثالثة حقيقة طبيعته إذ نصت ... ﴿ وَلُو حَدَثُ وَوَرَطُ أَحَدُ الْفُرِيقِينَ المُتَعَاقِدِينَ ، خَلَافًا لَرَغْبَاتَ الْفُرِيقِينَ المتعاقدين وآمالهما ، في حرب مع دولة أو أكثر ، فإن الفريق المتعاقد الثاني ، بسارع فورآ إلى الوقوف إلى جانبه كحليف ، ويمده بكل ما نديه من قوى عسكرية في البر والبحر والجو » . ولم يكن هناك نص في هذه المادة أو في غيرها من مواد الميثاق ، على أن لا يكون العون العسكرى شرطاً في حالة الهجوم العدواني من أحد الفريقين . وكان من الواضح لهتلر أن ميثاق القولاذ ، مقدمة فعلية للحرب .

وفى نفس يوم التوقيع ، دعا هتلر كبار قادته العسكريين إلى اجتماع سرى عقده فى مكتبه فى دار المستشارية ليقول لهم بصراحة ما نصه . . .

ه ليست دانزيج في الواقع هي هدف أعمالنا ، وإنما الهلف ترسيع مجالنا

الحيوى فى الشرق . . . وليس ثمة مجال للتفكير فى نجاة بولندا . فأمامنا قرار واحد وهو أن نهاجم بولنده ، فى أول فرصة ممكنة . وليس فى وسعنا أن نقبل تكرار ما حدث فى تشيكوسلوفاكيا . فستكون هناك حرب . . . وعلينا أن نحرق سفننا . ولم تعد القضية موضوع خطأ أو صواب » .

لكن موسوليني وقد أفزعه ما استطاع استنتاجه لا ما سمعه ، واصل الدعوة إلى الأخذ بالآناة والحيطة . وراح يسلم الجنرال كافاليرو . الذى اختير ممثلا لإيطاليا في اللجنة العسكرية لميثاق الفولاذ ، وهو في طريقه إلى ألمانيا للقيام بمهمته ، مذكرة سرية أكد فيها التحذيرات التي كانت قد صدرت عن تشيانو ، في ميلان . أثناء اجتماعه الأخير بريبنروب . وقد أوصى هتلر في مذكرته ، بأن يقضى السنتين أو السنوات الثلاث القادمة ، في إجهاد الدول الديمقراطية وإنهاكها بإثارة الخوف في نفوسها . لا بستخدام القوة الفعلية ، وراح يؤكد له ، أن إيطاليا تحتاج إلى السلام حتى نهاية عام ١٩٤٢ على الأقل ، وعلى كل حال ، واقترح موسوليني أن تكون حرب الأعصاب هي السياسة الآتية للمحور .

وكان موسوليني نفسه قد شرع في مثل هذه الحرب فعلا . فقد شجع الناس على الاعتقاد بأن ميثاق الفولاذ موجه ضد فرنسا ويريطانيا ، وراح يتحدث متوعداً عن يوجوسلافيا واليونان ، وبمنع الدبلوماتيين الأجانب من الوصول إلى تيرانا (عاصمة ألبانيا) ، وضاعف من عدد الرسائل المغفلة التي تحمل أنباء مفزعة ، والتي كان يأمر بإرسالها إلى سفارات الدول غير الصديقة في رومة ، مكثراً من الإشارة في حطبه إلى لا مفهوم الولاء والإخلاص عند الفاشية» . وروى تشيانو ، أن موسوليني كان في منتهي الغلظة ، عندما قدم إليه السير برسي لورين سفير بريطانيا الجديد وخليفة اللورد بيرث لأول مرة في السابع والعشرين من مايو . وراح يقول للسفير ان من حق الإنسان أن يتساءل ، نظراً لسياسة التطويق التي تتبعها بريطانيا بشكل واضح ضد إيطانيا ، إذا كان ثمة مجال للاعتقاد بأية جدوى في بقاء الاتفاق الإنجليزي – الإيطاني . وفوجئ لورين بهذا الهجوم المباغت ، واحمر وجهه أشد احمرار ، ونردد طويلا قبل أن يجد العبارة المناسبة للرد على الدوشي . وكتب احمرار ، ونردد طويلا قبل أن يجد العبارة المناسبة للرد على الدوشي . وكتب تشيانو عن هذه المقابلة يقول . . . و وبدا الدوشي الذي عرفت عنه الدمائة واللطف تشيانو عن هذه المقابلة يقول . . . و وبدا الدوشي الذي عرفت عنه الدمائة واللطف

متجهم الوجه ، لا يستطيع المرء أن ينفذ إلى ما يخفيه وراءه . وبدا كوجه إله من آلهة الشرق ، قد من الصخر » . وعندما قام لورين بزيارته الثانية لموسوليني ، راح هذا يقول له بمنهى الوضوح . . . « أبلغ تشميرلين ، أنه إذا كانت البجلترا على استعداد للقتال دفاعاً عن بولندة ، فإن إيطاليا ستمتشق الحسام دفاعاً عن حليفتها ألمانيا » ، وقد أعاد موسوليني على مسامعه هذه العبارة مرتين (۱) .

ولكن بالرغم من أن الدوتشي كان يحرص الآن على أن لا يترك مجالا للشك في أنه سبقف إلى جانب ألمانيا ، فإن الألمان لم يعاملوه كالحليف الموثوق الصادق ، الذي كان يود أن يكونه . وكانت المادة الثانية في ميثاق الفولاذ قد نصت على المحادثات المسبقة في جميع القضايا التي تهم الفريقين المتعاقلين ، إلا أن هتلر قال لمستشاريه في مكتبه في اليوم الذي تلا ترقيع المبثاق . . . « علينا أن نخفي حقيقة هدفنا عن إيطاليا(٢) » . لكن موسوليني رفض أن يصدق رغم تحديرات اتوليكو المستمرة ، أن هتلر قد يشرع في العمل دون استشارته . وكان تشيانو نفسه بشك في أن هتلر قد يقدم فجأة على العمل بعد « هده التحديرات المتكررة عن حاجة إيطاليا إلى السلام » . وواصل ريبنتروب التأكيد له ، بعدم وقوع تبدل فيا تم الاتفاق عليه في اجتماع ميلان ، مكرراً عزم ألمانيا على أن تضمن لنفسها فترة من السلام لا تقل عن ثلاث سنوات . لكن تحذيرات اتوليكو ظلت تنهال على قصر شبحي ، كما نقل في انعشرين من يوليو أنباء « تحركات عسكرية على نطاق واسع في تشيكوسلوفاكيا » . واعترف تشيانو في يوميته التي كتبها في الثاني من أغسطس بأن « إصرار اتوليكو يدعوني إلى التساؤل . فإما أن يكون في الثاني من أو إنه يرى ويعرف أشياء ، غابت عنا تماماً » .

 <sup>(</sup>١) أبلغنى السير برسى لورين أن وصف تشيانو لموقف موسوليني ينطوى على كثير من المبالغة .
 وأضاف أن موقفه كان بارداً ، ولكنه لم يكن على هذا النحو من العنف .

<sup>(</sup>٢) يبدر أن إصراد هتلر المستمر على رفض الكشف مسبقاً عن خططه للإيطاليين ، وهو إصرار أثار غفيب موسوليني وألمه ، ثم يكن ناشئاً عن لسبرفة والفرور بقدر نشوئه عن تسوفه من عدم الاحتفاظ بسريتها ، وقد تحدث إليه جوبلز ذات يوم فقال «إن جميع الإيطاليين يثرثرون كالفجر » . وطلب هتلر من الاميرال ريدر في ينابر عام ١٩٤٣ ، أن يحرص كل الحرص من عدم تسرب المعلومات المتعلقة بالخطط البحرية الألمانية لى الإيطاليين . وكان يقول . . . « هناك احبال كبير في أن نكون الأسرة المالكة تنقل المعلومات إلى بريطانيا » .

وقرر تشيانو فى ذلك الأسبوع أن يمضى إلى ألمانيا ليتأكد بنفسه من حقيقة ما هو دائر هناك . فقد رفض ريبنتروب الفكرة التى نادى بها الدوتشى والتى أيدها اتوليكو كل التأييد بعقد مؤتمر دولى . وطلب الألمان تأجيل الاجتماع الذى اقترح الإيطاليون عقده بين هتلر وموسولينى . لكن ريبنتروب وافتى فى التاسع من أغسطس على أن يجتمع بتشيانو بعد يومين فى سالزبرج .

وليس ثمة من شك في أن جل هم موسوليني كان منصرفاً في هذه الأونة الإنقاذ إيطاليا من الحرب. فهو في حاجة إلى الوقت لتثبيت الوضع في ألبانيا وأفريقيا الشهائية والحبشة ، ولتحفيف التمركز الصناعي في حوض بهو البو عن طريق نقل بعض المصانع وأجهزتها وآلاتها إلى الجنوب ، وللوصول بالأسطول والقوة الجوية والملفعية والفرق الآلية إلى كامل قوبها ، ولإرجاع ملايين الإيطاليين الذين يعملون في فرنسا ، ولتحسين موجودات إيطاليا من النقد الأجنبي عن طريق المعرض الدولي الضخم لذي كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لإقامته في رومة في عام ١٩٤٧ تخليداً للذكرى السنوية العشرين للزحف على رومه . وكانت هذه الأسباب كلها ، وفي مقدمتها فكرة المعرض الدولي التي استبدت بموسوليني فوق كل تصور ، هي التي حملته على التلهف على الاحتفاظ بالسلام لأمد ما على الأقل ، تصور ، هي التي حملته على التلهف على الاحتفاظ بالسلام لأمد ما على الأقل ، وعلى أن يحتج عن طريق التعليات القاطعة التي أصدرها إلى تشيانو ، بأنه يريد وعلى أن يحتج عن طريق التعليات القاطعة التي أصدرها إلى تشيانو ، بأنه يريد وأن يصبح قادراً عندما تقرر ألمانيا تعبئة قواتها عند منتصف الليل ، على تعبئة قوات إيطاليا فيلها بخمس دقائق » .

وطلب الدوشى من وزيره قبل أن يمضى إلى اجتماعه مع ريبنتروب فى سالز برج ، أن « يبرهن للألمان بالأدنة المادية والخطية ، على أن اندلاع نيران الحرب فى هذه الآونة ، عمل جنونى أحمق ، وأن استعداداتنا ليست من النوع الذى يحملنا على ائتقة من أن النصر سيكون حليفنا . فانفرص الآن لا تعدو أن تكون متعادلة . . . أما بعد ثلاث سنوات فستكون بنسبة أربعة إلى واحد » . ودون تشيانو فى يوميته بتاريخ العاشر من أغسطس يقول . . . « أوصانى الدوتشى قبل سفرى ، بأن أبلغ الألمان بمنهى الصراحة أن علينا تجنب الاصطدام مع بولنده ، إذ من المتعدر حصر الحرب فى هذه الحالة كحرب محلية ، كما أن نشوب حرب

عامة ــ يكون بمثابة كارثة للجميع . ولم يسبق لى أن سمعت الدوتشي يتحدث عن الحاجة إلى السلام بمثل هذه الحرارة والصراحة ، كحديثه اليوم » .

ونقل تشيانو فى سالزبرج آراء الدوتشى بحرارة لا تقل عن حرارته ، لكن ريبتروب لم يكن ميالا إلى الإصغاء إليها قط . فقد كان - كما اكتشف تشيانو ما أرعبه وأفزعه - مصمماً على الحرب ، وعازماً على أن يكون السبب فى اندلاعها . وراح تشيانو يدون فى يومياته بعد أمد بعيد . . . « وكنا نتأهب لاحتلال مقاعدنا على مائدة العشاء عندما حدثنى ريبنتروب عن تخطيط ألمانيا لإشعال نيران الحرب فى أوروبا ، وكان وهو يلتى على مسامعى بهذه العبارة الرهيبة محتفظاً بهدوته ، وكأنه يتحدث عن إجراء إدارى عادى لا وزن له ولا نتائج » .

ويمضى تشيانو قائلا . . . « وربحت اسأله ونحن نسير معاً فى الحديقة بعد العشاء . . . حسناً يا ريبنتروب ، ما الذى تريده؟ أتريد الممر البولندى أو دانزيج ؟؟ « قرد وهو يتفرس فى بعينيه الجامدتين الباردتين . . . ( لا هذا ولا ذاك . إنما نريد الحرب » .

لكن ريبنتروب ، رفض على أى حال ، الإفضاء بشى إلى الإيطاليين ، عن الطريقة التى يريد إشعال الحرب بواسطها . وقال مزهواً ، وهو يستخدم بشىء من الهدوء الذى يستفز الأعصاب ، واحدة من تلك الاستعارات القديمة المهجورة . التى تجعل حديثه مملا . . . « إن جميع القرارات ما زالت مغلقة في صدر الفوهرر الذي لا يمكن النفاذ إليه » . ومضى تشيانو يقول . . . . « ورفض ريبنتروب أى حل قد يرضى ألمانيا ويجنبنا الحرب والصراع . وبت على ثقة من أن الألمان لو أعطوا أكثر مما يطلبون ، فإنهم سيمضون إلى الحرب على أى حال ، لأن شيطان التدمير كان قد سيطر عليهم . وتوتر جو الحديث بيننا في بعض الأحايين . ولم أكن لأتردد في التعبير عن أفكارى بمنهى الصراحة القاسية ، ولكنه لم يتأثر ، ولم أكن لأتردد في التعبير عن أفكارى بمنهى الصراحة القاسية ، ولكنه لم يتأثر ، ولم يتخول عن موففه . وتجلد الجو بيننا ، وامتدت برودته حتى إلى سكرتيرينا ومساعدينا . وجلسنا إلى العشاء ، فلم نتبادل عبارة واحدة . . . وتضحت لى حقيقة واحدة ، وهي أن الألمان ينظرون إلينا نظرة الامتهان والزراية ) .

وزاد يقين تشيانو من هذه الحقيقة في اليوم التالي ، عندما مضي إلى مقابلة

هتلر في «عش النسر » . وبالرغم من أن الفوهرر كان في منهى الود والكياسة ، إلا أنه لم يكلف نفسه عناء إخفاء الحقيقة الواقعة ، وهى أنه قد حزم أمره ، ولن يحول عنه ، مهما كان رأى الدرتشى . وكانت الحرائط منتشرة على مكتبه ، إذ كان قد شرع فى العمل فى الحطط العسكرية . وراح يعيد على مسامع تشيانو ما قاله له ريبنتروب بالأمس من أن فرنسا وانجلترا لن تخوضا الحرب ، مضيفاً ألهما حتى لو فعلنا ذلك ، فسيكون فى مكنة ألمانيا بعد احتلال بولنده الذى لن يستغرق منها وقتاً طويلاً ، أن تحشد « نحوآ من مائة فرقة على الجدار الغربي لخوض الحرب العامة » . وأضاف أنه بالنسبة إلى إيطاليا ، فلن يكون فى موقف « بحتاج فيه الى مساعلة الم بموجب الالتزامات الراهنة » .

وقد أراد هتلر أن يفهم تشيانو ، ه بأن الألمان يرون فى حلفهم مع إيطالبا وسيلة لإرغام العدو على الاحتفاظ بعدد من فرقه أمامنا . مما يخفف الوضع على الألمان فى جبهات قتالهم . . . وهكذا لم يكن يهمهم فى قليل أو كثير المصير الذى قد يحيق بنا ، .

وقد انطوت هذه الملاحظة من جانب تشيانو على شيء من التكهن الصادق حقاً .

وعندما عاد تشيانو إلى قندقه فى ذلك المساء ، أصدر أوامره إلى مرافقيه بحراسة طائرته الخاصة حراسة دقيقة ، مخافة أن يقوم أحد رجال المخابرات الألمانية بعمل شيء فيها يحطمها فى طريق العودة ، ليظهر الحادث وكأنه اتفاق عرضى . وعندما جاءه اتوليكو تلك الليلة ليباحثه فى الوضع ، مضى معه إلى الحمام ، على اعتبار أنه قد يكون المكان الوحيد الذى لا يخفى فيه الألمان مكبراتهم الصوتية لمعرفة كل ما يدور معه من أحاديث . وبدا الوضع وكأنه قد تحول إلى عدو للألمان .

وعندما كان يجرى محادثانه مع الفوهرر فى عش النسر ، تظاهر الألمان عمداً بوصول برقية إلى هتلر سلمت إليه أثناء المحادثات . وقد سمح لتشيانو بأن يعرف بأن البرقية صادرة عن موسكو ، وأنها تعلن موافقة الحكومة السوفياتية ، على أن تقوم ألمانيا بإرسال وقد إلى العاصمة السوفياتية للتفاوض فى عقد ميثاق يضمن هزيمة بولنده ، ويؤكد حياد روسيا مما يقضى على الآمال التى طالما علقتها فرنسا وانجلترا

على تعبئة العون السوفياتي للحد من توسع ألمانيا . ولم تغب عن ذهن تشبانو أهمية هذا الاتفاق ولا الأهمية التي يعلقها هتلر علبه . ولم يكلف نفسه في اليوم التالي ، حتى عناء المدخول في مناقشات على الإطلاق ، وكان كل ما سأله عن هتلر ، تحديد موعد الهجوم . وراح هذا يؤكد له بأن القضية كلها ستنهى قبل منتصف أكتوبر . وعاد تشبانو إلى رومه في الثالث عشر من أغسطس وقد «اشمأزت نفسه كل الاشمئزاز من الألمان ومن فوهروهم ، ومن طريقتهم في تصريف الأمور . » وراح يكتب في يومياته ، بشيء من العاطفة اللامألوفة فيه . . . ه انهم خانونا ، وكلاوا علينا . وها هم يجروننا الآن إلى مغامرة لا نريدها إذ قد تؤدى إلى تحطيم بلادنا وعهدفا الفاشي كله . ولا ريب في أن الشعب الإيطاني سيصاب بما يشبه الذعر ، عندما تصل إلى مسامعه أنباء العدوان على بولنده ، بل وقد يكون تواقاً إلى محاربة الألمان أنفسهم » . فلم يحب الشعب الإيطاني ميثاق الفولاذ في أي وقت من الأوقات ، ولكن هذا العمل سيستثير كراهيته المطلقة له .

لكن مخاوفه هذه وشكوكه قد انهت الآن. فلم يعد يمر بلحظات يعتقد فيها بصحة رأى الدوشي في أن من واجب إيطاليا الإصرار على البقاء إلى جانب ألمانيا حتى النهاية. وكان اتوليكو قد توسل إليه في حمام سالزبرج أن يبلغ الدوتشي أن في وسعه الآن أن يعتبر نفسه متحللا من التزامات حلف الفولاذ نظراً لقيام هتار بصلفه وغروره ، بتفسيره إباه على النحو الذي يراه . لكن تشيانو لم يكن على ثقة من أن على إيطاليا أن تمضى إلى هذا الحد . وعندما كان في طائرته عائداً إلى رومه ، صدر بلاغ رسمي أذاعته وكالة الأنباء الرسمية الألمانية يعلن أن اجتماع سالزبرج قد انتهى بأتفاق إيطاليا الكامل مع ألمانيا في آرائها وتطلعاتها . أجل اتفق هتار وريبتروب . ومثل هذا البلاغ لتشيانو الإهانة الأخيرة . فقد طلب منهما أن لا يذاع أي بلاغ رسمي في الوقت الخاضر ، وقد أقرا بوجهة نظره ، وها هما يراجمان عن اتفاقهما . ومضى إلى الدوشي ليقول به بمنهي الصراحة إن «الألمان يتراجمان عن اتفاقهما . ومضى إلى الدوشي ليقول به بمنهي الصراحة إن «الألمان خونة ومخادعون وإن عليذ أن لا نتردد في النأي عنهم » . ودون في يومياته ما يلى . . . . . . . . . . . . . . . . . . كل وسيلة ممكنة في طاقي ، فقد قلت إن مكانته قد هبطت ، وأنه يؤدى دور الشريك التابع . ثم

عرضت عليه فى النهاية وثائق تقيم الدليل على أكاذيب الألمان علينا فى القضية البولندية . وأكدت له أن حلفنا معهم يقوم على وعود ينكرونها هم الآن » .

وكان رد فعل موسوليني الفورى ، نموذجاً من الشكوك والمخاوف والمراوغات المفاجئة التي تميز بها في هذه الفترة ، والتي كادت أن تصل بوزرائه في غضون الأشهر العشرة التالية إلى حد الجنون . وكتب تشيانو فيا بعد متذكراً ما حدث يقول . . . « وقد وافقني على رأى بادئ ذي بدء ، ثم عاد يقول إن الشرف يقضى عليه بالسير إلى جانب ألمانيا ، ثم قال أخيراً ، إنه يريد حصته من الغنيمة » .

ولم يكن رد فعله الأول غريباً أو غير متوقع . فقد كان في تلك الأيام التي كان يعرب فيها عن استعداده لدعم حلفائه دون تحفظ ، قادراً على توجيه النقد إليهم بعبارات قاسية لا تقل في عنفها عن النقد الذي يوجهه إلى الإنجليز أو حتى إلى الإيطاليين أنفسهم . وقد قال عنهم ذات يوم بلهجة تنطوى على الكثير من الامتهان والزراية . . . « إن الألمان مجرد جنود وليسوا بمحاربين حقباً ، اعطهم ما يكفيهم من « السجق » والزبدة والجعة واعطهم سيارة صغيرة ، ثم انظر كيف يضربون الناس بحرابهم » . لكنه كان يفقد كل شعور بالتحفظ في حضرة الألمان ، فهو يرخى فكه الأسفل ، ويتخذ صورة الجدية المطلقة التي تظهر في وجهه الذي يبدو وكأنه قد من الصخر ، ويظل يتحدث ساعات وساعات ، حتى بعد أن يبدو وكأنه قد من الصخر ، ويظل يتحدث ساعات وساعات ، حتى بعد أن يفارقوه ، عنهم بكثير من الإعجاب «مطرياً روحهم العسكرية الرائعة » يفارقوه ، عنهم بكثير من الإعجاب «مطرياً روحهم العسكرية الرائعة » لشكوكه من جديد .

وتقيم يوميات تشيانو في هذه الأيام من شهر أغسطس عام ١٩٣٩ الدليل الصحيح على حالة موسوليني العقلية المتأرجحة والمتقلبة . فهو في الرابع عشر من الشهر يرفض الاستقلال في العمل ، واكنه يعود في اليوم التالي فيعرب عن يقينه من أن على إيطاليا أن لا « تسير مسيرة العميان مع ألمانيا » . ويشرع في السادس عشر من الشهر فيعرب « عن سخطه على ملوك ألمانيا تجاهه » واقعاً في الوقت نفسه تحت كابوس المخاوف من أن تتمكن ألمانيا من الحصول على نصر رخيص يحرم هو من نتائجه . وتلقى تشيانو في العشرين من أغسطس وكان في زيارة إلى دورازو ،

برقية عاجلة من كبير سكرتيريه فيايبو انفوسو ، تستدعيه إلى رومة لأن الدوتشي قرر فجأة « تأييد ألمانيا مهما كان الثمن في الصراع الذي بات وشيك الوقوع » . وطار تشيانو عائداً إلى رومة حيث وجد الدوتشي « مصراً على أفكاره بعناد وتصميم » وشهد اتوليكو الذي كان قد عاد إلى رومه دون استدعاء ، لشد أزر تشيانو في موقفه ، مقابلته مع الدوتشي ، ثم غادرها وقد « ثبطت عزائمه وأحس بحزن عميق » . لكن تشيانو الذي كان يعرف طبيعة زعيمه ، كان لا يزال يأمل في تحول في موقفه ، وقد أفلح في اليوم التالى بالفعل في إقناعه بتغيير رأيه من جديد . ووافق على أن يقوم تشيانو باستدعاء ريبشروب للمجئ إلى ممر برينر ليلقاه هناك ، وليؤكد له حقوق إيطاليا كشريكة في المحور .

لكن ريبنتروب كان منشغلا بقضايا أهم من لقاء تشيانو . فقد كانت موسكو ترتقب وصوله إليها في الصباح التالي لتوقيع ميثاق عدم الاعتداء بين ألمانيا والا تحاد السوفياتي . ورد بأنه لا يستطيع الحجي إلى برينر ، ولكنه يستطيع توفير ساعة واحدة أو نحوها للقاء تشيانو في اينزبروك . وعاد التردد يسيطر على موسوليتي . ورأى أن على تشيانو أن لا يمضي إلى اينزبروك ، فشاعر العداء لألمانيا عند الشعب الإيطالي آخذة في الازدياد . وبالرغم من أنه لا يستطيع أن يكتم إعجابه و بضربة المعلم ، التي حققها هتلر ، إلا أن الشعب الإيطالي لا يشاطره هذا الإعجاب . وكان سراشي على حق عندما حدره من أن الشعب الإيطالي سيتظاهر ساخطاً . لو قام العهد الفاشي بتأييد هجوم هتلر على بولنده . يضاف إلى هذا أن ضباط الجيش لا يصلحون للعمل العسكري ، وكان عتاد الجيش قديماً أن ضباط الجيش لا يصلحون للعمل العسكري ، وكان عتاد الجيش قديماً .

ولم تمض ساعات على وصول موسوليني إلى هذا القرار حتى كان يستقبل جيوسيبي باستيانيني ، سفيره السابق في بولنده الذي وصفه بأنه كان ٥ عنيفاً في ميله إلى الحرب». وكان لا يزال في هذا المزاج ، عندما جاءه تشيانو إلى قصر البندقية في ذلك الصباح . حيث بذل جهد الجبابرة لإقناعه بتأجيل التلخل إلى أن تكون إعدادات التعبئة قد استكملت . وارتاح تشيانو إلى هذه النتيجة التي توصل إليها ، وغادره عائداً إلى مقر وزارته ، عندما تلتي دعوة عاجلة أخرى من الدوتشي .

ودون تشيانو في يومياته يقول بكثير من الألم واليأس . . . « عاد فغير رأيه . إنه يخشى لوم الألمان . وهو يريد التدخل فورآ . وكان من العبث أن اختصم معه ، فأذعنت » .

وتلتى موسولينى بعد ظهر ذلك اليوم ، رسالة من هتلر ، يبغه فيها أن العمل العسكرى ضد بولنده ، سيبدأ فى وقت قريب للغاية ويؤكد له فيها أنه « لو كان فى موقف كموقفه ، فإنه ، أى هتلر ، سيقلر هذا الموقف كل التقدير ويفهمه كل الفهم » . ورأى تشياذو فى هذه الرسالة فرصة جديدة لإثارة شكوك الدوتشى فعاد إلى قصر البندقية ، حيث تمكن من إقناعه بأن يبعث برسالة إلى هتلر يبلغه فيها ، إنه ما لم تتلق إيطاليا على الفور معدات حربية وبعض المواد الأولية من يبلغه فيها ، إنه ما لم تتلق إيطاليا على الناحيتين السياسية والاقتصادية » . وأضاف ألمانيا ، فإن تأييدها لها سيقتصر على « الناحيتين السياسية والاقتصادية » . وأضاف الدوشي يقول فى رسالته وكأنه يجمع بين الاعتذار وبين التأذيب . . . « كان تصورنا فى لقاءاتنا معا أن الحرب ستنشب بعد عام ١٩٤٧ ، حيث أكون مستعداً في البر والبحر والحو ، طبقاً لحططنا المتفق عليها » .

وأفقدت هذه الرسالة هتلر زمام التحكم في أعصابه مؤقتاً ، فقد كان يعتمد على تأييد أكثر تحديداً من هذا من جانب إيطاليا . وكانت الأنباء المزعجة قد وصلته بعد ظهر ذلك اليوم عن توقيع ميثاق العون المتبادل بين بريطانيا وبولندة في لندن ، فقرر تأجيل الغزو الذي كان من المقرر أن يبدأ في الصباح التالي . وعندما اطلع على قائمة المعدات والمواد التي تطلبها إيطاليا ، اتضح له عجزه عن تأمينها . وكان ما كينزن سفير ألمانيا في رومه ، غير راغب في الحرب ، فاقترح على تشيانو أن يعجز ألمانيا بقائمة طويلة يعجز «الثور عن حملها » على حد تعبيره . فقد انطوت القائمة على سبعة ملايين طن من الزيت وستة ملايين من الفحم ومليونين من الصلب ومليون من الخشب ، وسبع عشرة ألف سيارة ومائة وخسين بطارية من المدافع المضادة للطائرات . . . وعندما قدم اتوليكو هذه القائمة إلى الألمان ، راح ريبتروب يسأله بكثير من المكر عن الموعد الذي تريد فيه إيطاليا أن يقدم لما الألمان محتوياتها . ورد اتوليكو على الفور دون أن يستشير حكومته . . . « قبل الشروع في العمليات الحربية » . كانت هذه هي الحاولة الأخيرة من جانب الشروع في العمليات الحربية » . كانت هذه هي الحاولة الأخيرة من جانب

اتوليكو للحفاظ على السلام ولكنها كانت محاولة فاشلة . فقد استعاد هتلر زمام السيطرة على أعصابه . وكان على استعداد الآن على حد تعبير جيزيفيوس الألمانى ، كما كان فى مسهل أغسطس «المقذف بأى ختزير يحاول القيام بدور الوساطة ، من أعلى السلم فى دارته ، حتى ولو اضطر إلى ركله بقلمه فى بطنه أمام المصورين ». ويقبل على الفور استحالة تحقيق المطالب الإيطالية ، وطلب من اللوتشى أن يقدم إليه عونه السياسي ليس إلا ، وأن لا يعلن قراره بالوقوف على الحياد إلا عندما تقتضى الضرورة ، وأن يواصل القيام بإعداداته العسكرية لإرهاب الفرنسيين والبريطانيين ، وأن يبعث إليه فى ألمانيا بالعمال الزراعيين والصناعيين من الإيطاليين. وراح يكتب إليه قائلا . . . د أنا أحترم أيها الدونشي الدوافع والتأثيرات التى فرضت عليك هذا القرار . وعسى أن يكون فيه الخبر ، .

وبالرغم من حالة الهدوء التي سيطرت مؤقتاً على الدوتشي بعد أن حزم أمره أخيراً على الموقف الذي رآه ، إلا أن هذا الهدوء لم يطل . فقد عذبته الفكرة التي سيطرت عليه ، وهي أنه قد خان حليفه ، وأن هيبته أصيبت في الصميم ، وراح يلنح على اجتماع آخر ، كاجتماع مونيخ ، كالوسيلة الوحيدة التي يمكن تجنب الحرب عن طريقها ، والتي تؤمن له الفرصة لاستعادة مركزه المتفوق على هتلر ، كما تحمى كذبته بوجود « الملايين المستعدة من الحراب ، من الانكشاف . لكنه لم يصر على دعوته على أي حال بكثير من التصميم ولقوة . فقد أدرك تمام الإدراك تفاهة مركز إيطاليا لألمانيا كحليفة محاربة ، وإن كان لم يدرك بعد القيمة التي يحتلها في نظر هتلر كحيف سياسي .

وراح يكتب بكثير من اللطف في السادس والعشرين من أغسطس إلى هتلر قائلاً . . . « اسمح لنفسى بالإصرار من جديد ، على احتمال الحل السياسي الذي ما زلت اعتقد بإمكان الوصول إليه . وأنا لا أفعل هذا مدفوعاً باعتبارات سلامية غريبة على طبيعتي وروحي ، وإنما باعتبارات تتعلق بمصالح شعبينا ونظامينا » .

وكان لا يزال يلحف بكثير من الحياء حتى الواحد والثلاثين من أغسطس على ضرورة الأخذ بوجهة نظره في عقد اجماع كاجماع مونيخ ومضى اتوليكو عشية

ذلك اليوم إلى دار المستشارية فى برلين يعرض وساطة موسولينى . ولكن هذه الحطوة جاءت متأخرة ، إذ كان هتلر قد مضى بعيداً .

ورد هتلر بشىء من الحدة على اتوليكو . . . ٥ أنا لست على استعداد لأسمح لبولنده بلطمى فى وجهى المرة تلو المرة ، كما لا أريد أن أضع الدوتشى فى موضع غير لائق » .

وراح اتولیکو بسأله ، إن کان هذا یعنی أن کل شیء قد انتهی ، فرد هتار بالإیجاب . لکن موسولینی عاد بعد یومین فکرر محاولته لآخر مرة ، ولکن غزو بولنده ، کان قد بدأ بالفعل .

ورد هتلر برسالة إلى الدونشي عنى وساطته الأخيرة ، متكهناً بكارثة إيطاليا المقبلة بقوله . . . ه بالرغم من أن طريقينا قد افترقا الآن ، فقد كنت على يقين دائماً من وحدة المستقبل لنظامينا . وليس لدى شك أيها الدوتشي في أنك تشاطرني نفس اليقين » .

٥

أثارت الانتصارات الرائعة التى حققها الجيوش الألمانية فى بولندة اضطراب موسولينى من جديد . وبالرغم من إعلانه فى الجلسة التى عقدها المجلس الفاشى الأعلى فى الأول من سبتمبر أن إيطاليا « لن تشترك فى الوقت الحاضر فى العمليات الحربية » ، إلا أنه حرص على أن يضيف موجها كلامه إلى أولتك اللين بدوا مرتاحين من أعضاء المجلس لقراره هذا ، يقوله . . . « اكن هذا لا يعنى بحال من الأحوال اتخاذ موقف الحياد » . وراح يعلن فيا بعد ، أن إيطاليا ؛ اتخذت موقفا لنفسها من نفسها ، تتميز فيه القرارات الواضحة ، وخطوط العمل . ولعل هذا هو السبب الذي يدعونا إلى عدم الحديث عن الحياد . فالمحايد هو الذي يكتفى بالوقوف موقف المتفرج ، لأن مصالحه لا تتعرض للخطر ، ولأن الصراع الدائر بالوقوف موقف المتفرج ، لأن مصالحه لا تتعرض للخطر ، ولأن الصراع الدائر لا يهمه فى قليل ولا فى كثير . لكن هذا الصراع يهمنا كثيراً ، على العكس ولا يمكن تصوير موقفنا الآن بأن ليس لدينا ما نقوله ، فنحن نوقب بمنهي الهدوء ، ونقول كلمتنا فى اللحظة المناسبة ، وبلغتنا ، وأسلوبنا . فنحن نوقب بمنهي الهدوء ،

سائرين بتصميمنا في طريق التصميم الكامل » .

لكن موسوليني كان أعجز من أن يظل مراقباً للأوضاع بهدوء . فقد كان في كل مرة تمثد يده إلى تقرير سرى ، أو إلى إحدى تلك البرقيات التي كانت تسرق بانتظام من ملفات السفارات الأجنبية في رومه ، ليري في التقرير أو في البرقية ، ملاحظة غير مستحبة عن حياده ، وكان في كل مرة ، يقرأ فيها تعليقاً ناقداً أو مطرياً في إحدى الصحف الأجنبية ولا سما البريطانية مما على قراره ، يسارع إلى الحديث عن عزمه على دخول الحرب . وقد كتب تشيانو في يومياته يقول ٤٠٠٠ وكان في كل مرة يقرأ فيها مقالا يقارن كاتبه فيه بين موقفه البوم وبين موقف إيطاليا في عام ١٩١٤ ، يسارع إلى الرد بعنف معلناً تأبيده لألمانيا . وقد سر كثيرًا لمقال صدر في صحيفة إنجليزية ، يؤكد فيه أن الشعب الإيطالي لابد وأن يحارب إلى جانب ألمانيا ، متأثراً بدوافع الشرف . فقد كانت هذه هي وجهة نظره أيضاً . ومن المحتمل أن تنطلق ألوف الأصوات معاكسة رأيه ، وينطلق صوت متعزل وحيد من إنسان مجهول ، بقره على موقفه ، فيسارع إلى تبني ذلك الصوت ، متجاهلا أصوات الألوف ، ومنكراً عليها آراءها » . وبالرغم من أن فوائد الحياد أو .. غير المحاربة ، كما كان يصر على تسمية موقفه ، قد اتْضحت على الفور ، في ارتفاع أسعار البورصة، وأسعار الأسهم الإيطالية في الأسواق الخارجية ، ولا سيا ف أسواق البلقان ، التي استولت عليها إيطاليا الآن لتحل محل ألمانيا ، وفي عشرات البواخر الإيطالية محملة بالصادرات . ومبحرة من كل ميناء ، إلا أن موسوليني لم يكن راضياً أو مهتماً بهذه التطورات ، وكانت أنباء الانتصارات الألمانية هي التي تسيطر على خياله وتلهبه . وراح يقول لزوجته بكثير من نفاد الصبر : ه من المحال ، أن نبقي على إيطاليا في منأى من الحرب ، بل ولعل ما هو أكثر استحالة وخطورة ، أن لا نلخلها إلى جانب ألمانيا ، فقد جعل الميثاق الألماني \_\_ السوفياتى ، من ألمانيا قوة لا تغلب لا من دولة ولا من مجموعة دول » . وكان يتمتم أحياناً مكوراً ما أكبر من ترداده منذ عام ١٩١٥ من أن « أي إنسان لا يحب المحايدين ۽ .

لكن أخطار الاشتباك فيما كان لا يزال يبدو كصراع طويل الأجل ،

كانت لا تزال تكبح جماحه . وكان يرتضى فى المحظات التى يكاد فيها صبره يفرغ ، الحقيقة التى تقول إن على إيطاليا أن تدخل الحرب ، عندما ترى أن النصر بات مؤكداً وقريباً . وعندما سقطت وارسو ، واجتمع ريبنتروب إلى ستالين فى الكرملين ليتفقا على اقتسام بولنده ، وليقرا السماح لروسيا بمطلق الحرية فى جمهوريات ايستونيا ولاتفيا وليتوانيا على بحر البلطيق ، رأى موسولينى الفرصة متاحة له ، للخلاص من هذه المعضلة التى تحبره . وقرر القيام بمحاولة جديدة لإقناع هتلر بقبول وساطته . فالتسوية التى يتم التفاوض عليها ، لا تسمح لإيطاليا بتجنب الحرب التى لم تهيأ لها بعد بما فيه الكفاية فحسب ، وإنما تنقذ المحور من الوضع الثانوي فى الأهمية الذى هبط إليه ، بعد انصراف هتلر بكل حواسه إلى التحالف النازى – السوفياتي أيضاً ، وتؤمن السبيل لهدئة الشعب الإيطالي ، الذى ثار من النازى حكومته الفاشية تقف موقف المتفرج الراضى كما يبدو عن قيام دوانين ملحدتين وسفاحتين باقتسام بولنده الكاثوليكية بمنهى الوحشية . ولذا فقد وسب موسوليني أشد الترحاب بالاقتراخ الذى جاءه من هتلر ، عارضاً أن يقوم تشيانو موسوليني أشد الترحاب بالاقتراخ الذى جاءه من هتلر ، عارضاً أن يقوم تشيانو موسوليني أشد الترحاب بالاقتراخ الذى جاءه من هنلر ، عارضاً أن يقوم تشيانو براين .

واكتشف تشيانو في زيارته أن هتلر كان في منهي الثقة بنفسه . وبالرغم من أن الصحافة الألمانية رحبت كل الترحيب بالبلاغ المشترك الذي صدر عن عادثات ريبنتروب ومولوتوف ، والذي جاء فيه . . . « إن جما يخدم المصالح الحقة لحميع الشعوب ، وقد تمت تسوية المشكلة البولندية تسوية نهائية ، الوصول بالحرب القائمة بين ألمانيا من ناحية وبين إنجلترا وفرنسا من الناحية الأخرى ، إلى نهاية سلمية ، فإن تشيانو رأى أن هتلر نفسه لا يؤمن كثيراً بالحلول السلمية ، وإنه لا يريد في الواقع مثل هذا الحل . وكان في منهي النشوة وقوة الإقناع ، عندما أبلغ تشيانو أنه يعتزم إلقاء خطاب في الرايشستاج عما قريب ، يضمنه محاولته السلامية الأخيرة مع الغرب مضيفاً إلى ذلك قوله . . . « أما إذا كانت إيطاليا راغبة في السير معي على الفور ، فسأمتنع عن إلقاء هذا الحطاب ، واستعيض بالقوة عنه ، واثقاً من أن إيطاليا وألمانيا تستطيعان تهشيم فرنسا وإنجلترا في وقت قصير وتسوية حساباتهما معهما مرة واحدة » . وراح يؤكد لتشيانو ، أن على إيطاليا أن لا تخشي كثيراً من

افتقارها إلى المدافع المضادة للطائرات. إذ أن حوف العدو البالغ من انتقام المانيا سيحول بينه وبين الإغارة على إيطاليا.

لكن موسوليني لم يتأثر بهذا القول على أى حال . ولم يعد يخني الحقيقة الواقعة وهي أن موقف هتلر بات يثير أعصابه . ولم تعد الغمزات والنصائح التي يقرؤها في الصحافة الحارجية ، تحمله على الرغبة في الاشتراك إلى جانب ألمانيا في الحرب ، بل أصبح مبالا إلى أن يبين للعالم ، أنه لم يكن الرجل الذي يتخلى عن ألمانيا بل إن ألمانيا هي التي تخلت عنه . وشرع يأمل في هزيمة ألمانيا ، كما أمر تشيانو بأن يوصل إلى سفارتي بلجيكا وهولنده في رومه . بأن الغزو الألماني لبلاديهما بات قريباً ، وموضوع توقيت ليس إلا . وسمح لتشيانو في السادس عشر من ديسمبر بإلقاء خطاب في مجلس النواب الإيطالي ، أثار دهشة العالم .

وبالرغم من أن الخطاب انطوى على حملات عنيفة على بريطانيا وفرنسا لإحباطهما عاولة الوساطة التي قام بها الدوتشي ، إلا أن الفكرة الأساسية فيه ، كانت إبراز خيانة ألمانيا لحليفتها . فقد بين تشيانو في خطابه أن ألمانيا تنكرت لسياستها المعادية للشيوعية المعولية (الكومنترن) ، ورفضت نصيحة إيطاليا بأن فرنسا وإنجلترا ستحاريان دفاعاً عن بولنده ، واندفعت إلى الحرب متجاهلة تعهدها لحليفتها بأن لا تخوضها قبل انقضاء ثلاث سنوات . وكان إعلان الدوتشي عن موقف « الدولة اللامحاربة »، أكثر مما كان يحق لهتار من الناحية القانونية أن يتوقعه ، بعد أن رفض الاسماع إلى موسوليني . وهلل الشعب الإيطالي بأسره فدا الحطاب معتبراً إياه « اللحن الجنائزي » في موكب تشييع المحور إلى مقره الأخير . وتلقت الصحف الإيطالية ، التعليمت بأن تنشر الحطاب في صفحاتها الأولى ، ولم تمض أيام ثلاثة ، حتى كانت الأوامر قد صدرت إلى هذه الصحف بنشر أنباء الحرب دون أي تحيز . ولكن موسوليني عاد فبعث في الثالث من يناير عام ١٩٤٠ برسالة إلى متلر يؤكد له فيها أن كل ما قاله تشيانو ، لا يعبر إلا عن وجهة نظره وحده أدق تعبير . وكانت هذه الرسالة من أقوى الرسائل التي كتبها الفوهرو في حياته : ﴿ ليس ثمة من يعرف أحسن مني ، وقد انقضى على أربعون عاماً من التجارب السياسية ، إن أية سياسة ولا سيا إذا كانت من الطراز الثورى ، تنطلب بعض

المتطلبات التكتيكية الحاصة بها . فقد كنت من أوائل من اعترفوا بالاتحاد السوفياتى في عام ١٩٣٤ . وقد وقعت مع السوفيات في عام ١٩٣٤ معاهدة صداقة وتجارة . ولذا فأنا أفهم ، ولا سيا بعد أن بان خطل توقعات ريبنتروب في أن بريطانيا وفرنسا لن تدخلا الحرب ، بأنك في حاجة ماسة إلى تجنب الحرب في جبهتين . لكنك دفعت المن غالباً بساحك لروسيا ، دون أن تطلق عاراً واحداً ، بأن تغدو المستغل الأكبر في بولندة و محر البلطيق .

و لكنى وأنا الثائر ، الذى لم يطرأ أى تغيير على تفكيره الثورى ، أستطيع أن أقول لك ، بأنك لن تتمكن من التضحية بصورة دائمة بمبادئ ثورتك فى سبيل المتطلبات التكتيكية ، إلا لفترة مرحلية . . . وعلى أن أضيف أيضاً ، أن أية خطوة أخرى فى علاقاتك مع موسكو ستترك آثاراً مفجعة فى إيطاليا ، حيث لا شك فى إجماع الشعب على المشاعر المعادية للبلشفية ، متميزة بالصلابة والإصرار (١١) أرجو أن أسمع منك أن هذا لن يحدث على الإطلاق .

وقد سلم اتوليكو هذا التوبيخ القاسى لهتلر ، فقرأه « باهمام شديد » . ، وعندما غادر السفير الإيطالي مكتبه ، راح يستدعى جورنج وريبنتروب ليبحث معهماوهو في ذروة غضبه في أمر هذه الرسالة . وأصر هتلر على وجهة نظره في أن إيطاليا لن تدخل الحرب إلا في حالة تحقيق « انتصارات ألمانية عظيمة ولا سها على فرنسا » ، وأن اسهامها في الحرب في مثل هذه الحالة لا يجدى ولا يفيد ، لما يفرضه من إتاوات باهظة على ما لدى ألمانيا من مواد ومخزونات .

وطال الأمد على موسولينى ، وهو ينتظر رد هتلر على رسالته ، لكن موقفه كان قد شرع فى التعرض للتبدل من جديد . وراح يلتى فى مسهل شهر فبراير ، خطاباً أفاضت الصحف فى نشره والتعليق عليه ، أعلن فيه أن الإيطاليين يكادون يتحرقون شوقا إلى القتال «الذى لابد من وقوعه» . وانتصف الشهر وهو لا يزال ينتظر رد هتلر ، وراح يقول إن ليس فى وسع إنسان أن يفترض بأن ما تعانيه إيطاليا من نقص فى المعدات الحربية ، يصلح مبرراً لتغيبها عن القتال . ودون تشياقو فى يوميته فى الواحد والعشرين من فبراير يقول . . . « يعتزم الدوتشى إرضاء

<sup>(</sup>١) تطوع ألوف الإيطاليين للحرب ضد الاتحاد السونياتي دفاعاً عن فنلندة .

الألمان ». وكان موقف الملك المعادى للألمان . ، حافزاً أيضاً لموسوليني على التلهف على الحرب إلى جانبهم . وعندما وصل إلى سمعه ذات يوم أن الملك يحمل على الحلف مع ألمانيا ويقارن بين «استقامة» البريطانيين وبين «خداع» حلفائه الطبيعين ، استشاط غضباً ، وراح يصرخ قائلا . . . «كيف بجرؤذلك القزم القمئ على أن يبين لى ما يجب أن أفعله ؟ أليس من الأفضل لتلك «السردينة» الصغيرة البليدة أن تشغل نفسها بهواينها في جمع النقود الطغيرة . هذه هي هوايته وهذا هو الشيء الوحيد اللدي يفهمه » . وراح يقول ، إنه عندما تنتهي الحرب ، فسيشير على هتلر بالقضاء على هذه «المساخر التافهة التي تحمل زي الملوك» . ومضى يقول لتشياذو . . . «يريد الملك منا أن نلخل الحرب ، عندما تغدو المهمة عبرد جمع الصحاف المهشمة . وكلى أمل أن لا تتحطم هذه الصحاف بجرد جمع الصحاف المهشمة . وكلى أمل أن لا تتحطم هذه الصحاف فوق رؤوسنا قبل أن نشترك في الحرب . حقاً من الإذلال أن يظل المرء مكتوف فوق رؤوسنا قبل أن نشترك في الحرب . حقاً من الإذلال أن يظل المرء مكتوف اليدين بينا يصنع الآخرون التاريخ . قد لا يهمني كثيراً من يربح . فخلق الشعب العظم ، يتطلب الزج به في أنون المعركة ، حتى ولو اضطر إلى ركل أفراده في أقضيتهم ليدفع بهم إليها » .

وكان البابا يتصرف في رأى موسوليني بطريقة تثير الأعصاب تماماً كالمطريقة التي يتبعها الملك . لكن البابا الجديد لم يكن في نظره ، خانياً من العقل والمنطق كذلك ه العجوز المستبد الصعب القياد » بيوس الحادي عشر ، الذي لم يوفر لحظة واحدة ، دون الهجوم في أحاديثه على القومية المتطرفة ، والمذاهب العنصرية ، عندما ه وقعنا حلف الفواد ذ » ، مما دعا موسوليني إلى التعليق بقوله إنه على استعداد التكسير بعض الهراوات على أقفية رجال الدين » . وقال موسوليني إن هذا لن يكون عسيراً عليه، فالإيطاليون ليسوا متدينين ولكنهم يؤمنون بالحرافات . وه يستقبلون يسهولة فكرة العيش بدون الفاتيكان . ولكن بالرغم من أن الكردينال باشيلي الذي خلف البابا بيوس الحادي عشر في كرسي البابوية في مستهل عام ١٩٣٩ ، لم يظهر في البداية عناداً ورغبة في التدخل فيا لا يعنيه كسلفه ، إلا أنه شرع الآن في تمثيل دور المزعج المضايق للحكومة . فقد كان قاصداً رسولياً في ألمانيا ، وكان عب دور المزعج المضايق للحكومة . فقد كان قاصداً رسولياً في ألمانيا ، وكان عب الألمان ، لكنه يرى أن واجبه يدعوه الآن للعمل بكل م في وسعه لمنع إيطاليا من

الحرب إلى جانبهم . وكان يواصل عن طريق الآب اليسوعي ببيترو ناشي ... فينتورى ، الله مثل البابا لدى قصر البندقية منذ توقيع الاتفاق بين الفاشية والكنيسة ، إذ جاء يقدم النصح لموسوليني بضرورة بقاء إيطاليا على الحياد . ومبلغاً إياه رغبته في السلام . ويشرت صيفة الفاتيكان ٥ اوبزر فاتورى رومانو ٩ ، هذه النصيحة مع بعض التعليقات السياسية التي كانت تخفي بصورة ماكرة وإن كانت سهلة على التمييز مشاعر العداء للفاشية . ونشرت في شهر مايو عام ١٩٤٠ ، رسالة العطف التي وجهها البابا إلى ملك البلجيك وملكة هولندة وجراندوقة لوكسمبورج . وارتفع توزيع الصحيفة بسرعة البرق ، رغم نشاط العصابات الفاشية التي كان أفرادها يرهبون الراغبين في شراء هذه الصحيفة عن طريق إحراق نسخها في الشوارع ، وضرب أصحاب الأكشاك التي تعرضها البيع . واضطر موسوليني في النهاية إلى إبلاغ وضرب أصحاب الأكشاك التي تعرضها البيع . واضطر موسوليني في النهاية إلى إبلاغ على أنها معادية للفاشية وإلا فسيجد نفسه مرغماً على إيقافها . وأحست الصحيفة بضرورة الخضوع .

وكان من الأخطاء الخطيرة التي أخذها عليها موسوليني ووجه من العسير عليه أن يتسامح بها ، معارضتها للسياسة الفاشية الرسمية التي أيدتها بقوة صحيفة «العهد الفاشي» التي يتولى روبرتو فاريناشي إصدارها ، وهي أن ليس في إمكان إيطاليا أن تغفر لتلك البلاد التي أيدت فرض العقوبات عليها إبان الحرب الحبشية . وكانت هذه الفكرة تستبد بذهن موسوليني باستمرار . وقد لاحظ سمرويلس (١) عند اجماعه في فبراير عام ١٩٤٠ بموسوليني أن هذه الفكرة تؤلف كابوساً مسطراً على موسوليني .

وكان الرئيس روزفلت قد أوفد سمرويلس إلى أوروبا ، ليرى إذا كان فى وسع موسوليني أن يفعل شيئاً لعقد الصلح بين بريطانيا وفرنسا من ناحية وألماذيا من الناحية الأخرى . وقد وصل ويلس إلى رومه فى الخامس والعشرين من فبراير يحمل رسالة شخصية مطولة من الرئيس الأمريكي إلى الدوتشي . وقد استقبله

<sup>(</sup>١) كان يشغل رسمياً منصب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ولكن سمستهم روزفلت كان يعتمد عليه كثيراً ، ويوفد، في مهمات رسمية بـ لغة الخطورة . « المعرب »

موسوليني في البداية استقبالاً بارداً كالثلج ، واكن هذا البرود ما لبث أن ذاب ، عندما أحيا الزائر الأمريكي الآمال الكامنة في نفسه في الوصول إلى تسوية عن طريق التفاوض ، مقترحاً أن يطير روزفلت نصف الطريق عبر المحيط الأطلسي لمقابلته ، وعقد اجتماع لابد وأن يترك آثاراً مدوية في طول العالم وعرضه . وعندما غادر ويلس رومة فى التاسع والعشرين من فبراير كانت الآمال العريضة تساوره . ولكن لم يحل العاشر من مارس ، حتى كان موسوليني قد عاد سايماً إلى المعسكر الأَلمانى . فني ذلك اليوم بالذات وصل إلى رومه ريبنتروب متوخياً معاكسة أية ا تحفظات من جانب موسوليني تجاه حلفه مع ألمانيا ، قد تكون ناشئة عن تأثير المبعوث الأمريكي على أفكار موسوليني أثناء محادثاتهما الأخيرة . ولم يكتف ريبئتروب في هذه الزيارة التي حمل فيها رد متلر الذي طال انتظاره على رسالة الدوتشي المؤرخة في الثالث من يناير المنصرم ، باستصحاب عدد كبير من سكرتيريه ونراجمته وموظني وزارته ، بل استصحب معه أيضاً حلاقه ، ومدلكه ، ومدربه في ألعاب الجمباز وطبيبه . وعندما أكد له ريبنتروب بمنهى الثقة والاطمئنان، أن ألمانيا توشك على تحقيق نصر عظيم وحاسم ، رد موسوليني ، بأن تدخل إيطاليا ف الحرب الآن أصبح يقيناً ، إذ أنها لا تستطيع البقاء حبيسة الحصار الذي تفرضه بريطانيا عليها في ما أسماه الآن وفي نص إعلانه الحرب فيها بعد ، «بحرها». وعندما قرر هتلر بعد ثلاثة أشهر احتلال الدانمارك والنروج ، وبعث كعادته المألوفة بماكنزن حاملا وسالة إلى الدوتشي يخبره فيها بأنه شرع في العمل فعلا ، لم يبد الدوتشي أي انزعاج ، وإنما قال على النقيض من ذلك إنه ﴿ يُوافِقُ عَلَى العملِ مَنْ صميم فؤاده ، وبدأ لماكنزن أن الدوتشي لم يعد قادراً على أن يصبر على عدم دخول الحرب مدة أطول ، وقد زاد نفاد صبره عندما وصلته الرسائل المطولة من الفوهرر ، متحدثة عن الانتصارات الرائعة التي حققتها الجيوش الألمانية . ولم يكن يستطيع أن يتصور كما ذكر تشيانو فكرة احتمال كسب ألمانيا للحرب وحدها . وقم يحل الواحد والعشرون من أبريل حتى كان الدوتشي قد غدا لا متلهفاً على الحرب ومؤيداً للألمان أكثر من أي يوم مضي # .

وكان البريطانيون لا يزالون يشاركون الأمريكان أملهم في إمكان الإبقاء

على إيطاليا خارج الحرب . ورغبة منهم فى إظهار أثر الحصار البريطانى على تموين إيطاليا بالفحم الألمانى ، عرضت الحكومة البريطانية على إيطاليا تزويدها بثمانية ملايين طن من فحمها لتستعيض به عن الفحم الألمانى . وخول اللورد لويد بوصفه رئيس المجلس الثقافى البريطانى ، رغبة من الحكومة فى إظهار عدم وجود خلاف جوهرى بينها وببن الفاشية ، بأن يصدر كتيباً يحمل مقدمة تعليقية من اللورد هاليفاكس ، تنضمن الملاحظات التالية . . .

« تطورت العبقرية الإيطالية في النظم الفاشية الخوذجية التي يمثلها عهد مغرق في السيطرة لكنه لا يهدد على أي حال الحرية الدينية أو الاقتصادية ، ولا يهدد أمن غيره من الدول الأوروبية الأخرى . ومن الجلير بنا أن نلاحظ هنا ، أن هناك فروقاً جوهرية بين بنيان الدولة الفاشية ومبادئها وبين بنيان الدولتين النازية والسوفياتية ومبادئهما . ويقوم النظام الإيطالي على صخرتين متبنتين ، أولاهما الفصل بين الكنيسة والدولة ، وتفوق الكنيسة لا في قضايا الإيمان وحدها . بل وفي قضايا الأخلاق أيضاً ، وثانيتهما حقوق العمالة . ويقوم الجهاز السياسي للفاشية فعلا على الحركة النقابية ، بينا يقوم الجهاز السياسي للدولة الألمانية على أنقاض الحركة العمالية الألمانية أي

وفى السادس عشر من مايو عام ١٩٤٠، أى بعد ستة أيام من تولى ونستون تشرشل دفة الحكم فى بريطانيا ، بعث رئيس الوزراء ، وكان يعرف أن عليه أن لا يفعل كل ما فى وسعه للإبقاء على إيطاليا بعيدة عن الصراع » ، برسالة إلى موسوليني الذى كان يتوقع منه كما ذكر المرئيس روزفلت فى اليوم السابق و أن يسارع لأخذ نصيبه من غنيمة الحضارة » . وراح يكتب إليه بتلك التعابير المتناهية فى البلاغة ، والعزيزة على قلبي الكاتب والمكتوب إليه ، يقول . . « ترى هل فات الوقت على وقف نهر الدم من الانسياب بين الشعبين البريطاني والإبطالي ؟ ليس ثمة من شك فى أن الواحد منا يستطيع أن ينزل بالآخر . أكثر الأضرار بعثاً للألم ، وأن يلقه بمنتي الضراوة والوحشية ، لننزل بالظلام معاً نتيجة صراعنا على البحر وأن يلقه بمنتي الضراوة والوحشية ، لننزل بالظلام معاً نتيجة صراعنا على البحر الأبيض المتوسط ، فإذا كانت مشيئتك أن يقع هذا ، فلتكن مشيئتك ، واكنى أريد أن أعلن لك ، أنني لم أكن في يوم ما معادياً معظمة إيطاليا . ولا خصها فى أريد أن أعلن لك ، أنني لم أكن في يوم ما معادياً معظمة إيطاليا . ولا خصها فى

فؤادى الشعب الإيطالى الذى منح العالم قوانينه . . . وإنى الأتوسل إليك ، أن تؤمن بأنى الا أكتب إليك ما أكتبه ، ولا أوجه إليك هذا النداء الجادى الذى سيسجله التاريخ ، نتيجة ضعف أو خوف . ولا ريب فى أن النداء بأن الا يقف الوارثون المشركون الحضارتين اللانينية والمسيحية موقف العدء وجها لوجه فى صراع قتال ، سيظل عبر القرون والأجيال ، مرتفعاً فوق كافة النداءات الأخرى . أتسمع هذا النداء! أرجوك بمنهى الإجلال ولتقدير أن تسمعه قبل أن تصدر الإشارة الحيفة . على أى حل لن نكون نحن الذين نصدرها» .

وكان رد موسوليني قاسياً ، واكمنه كان كما اعترف السير ونستون فيا بعد «متميزاً بالصراحة على الأقل».

وكتب الدوتشى يقول . . . و أبعث إليك لأرد على هذه الرسالة التى بعثت بها إلى ، لأقول لك ، بأتك تعرف ولا شك الأسباب الخطيرة ذات الطابع التاريخي والا تفاقى التى فرضت على بلادينا أن يقفا فى معسكرين متعارضين . وقد لا أجد نفسى مضطراً للعودة بذاكرتى إلى تاريخ بعيد فى القدم ، وإنما أرى أن أذكرك ، بالمبادرة التى قامت بها حكومتك فى جنيف فى عام ١٩٣٥ ، لتنظيم فرض العقوبات على إيطاليا المنشغلة فى تأمين مجال صغير لحياتها تحت الشمس الإفريقية ، دون أن تلحق أى أذى مهما ضؤل ، بمصالحكم وأراضيكم ، أو بمصالح الآخرين وأراضيهم ، وأود أن أذكرك أيضاً بوضع العبودية الفعلى والواقعى الذى تجد إيطاليا نفسها فيه فى مجرها(١١) . وإذا كانت حكومتك قد أعلنت الحرب على ألمانيا لتشريف نواحيها والحفاظ على كلمتها ، فإنك ستفهم ولا شك أن نفس الإحساس بالشرف توجه السياسة الإيطالية اليوم وغداً مهما كانت الأحداث التى ستواجهها » .

<sup>(</sup>١) ليس من الغريب أن تصدر مثل هذه الأقوال الاستمارية عن زعيم الفاشية التي تمثل ذروة اليمين الاستماري والأمبريالي . فهو لا يعرف شيئاً عن حقوق الشعب الحبشي التي أهدوها واغتصبها ودامها بأقدامه ، وهو لا يرى على البحر الأبيض المتوسط إلا صورة إيطاليا وحدها ، التي تعتبر هذا البحر بحرها ، وتعتبر الامبريالية البريطانية معتدية عليها فيه . فهو في أفريقيا لا ينظر إلا إن وجود مصالح أمبريالية لبريطانيا أو غيرها من اللول الاستمارية . أما مصالح الشعوب الأفريقية صاحبة البلاد والحقوق فلا قيمة لها عنده على الإطلاق ، وكذاك لا قيمة الشعوب المتوسطية أو حقوقها في ابحر الابيض المتوسط . و المعرب ه

وكان السير ونستون يظن 1 أن الحكمة والروية تفرض على موسوليني أن يرقب اتجاه سير الحرب ، قيل أن يلزم نفسه وبلاده باتجاه لا يستطيع التراجع عنه ٤ . ولكنه بعد أن تلقي هذا الرد ، لم يعد لديه أدنى شك في أن الدونشي قد قرز الدخول في الحرب إلى جانب ألمانيا . وتوصل الفرنسيون أيضاً في نفس الوقت إلى عين النتيجة . وقد أعرب سفيرهم في رومة ، فرانسوا بونسيه عن إيمانه بأن موسوليني يريد أن يسرق ٥ من ستالين عجد الضرب في عدو هوي على الأرض ٤ .

أما أن هذا العدو قد هوى ، فلم تعد فى ذلك ذرة من الشك الآن . فقد شجعت الانتصارات فى النروج هتلر على أن يشن هجومه على فرنسا والبلاد المنخفضة (هولندة وبلجيكا ) فى أوائل شهر مايو . ولم تحل نهاية الشهر حتى كان الحلفاء قد أرغموا على التراجع إلى دانكرك . وقامت الحكومة الفرنسية فى الثالث من يونيو بمحاولة أخيرة ومحمومة لمنع إيطاليا من مهاجمتها فى الجنوب ، فأمرت سفيرها فرانسوا – بونسيه ، بأن يحاول رشوة موسولينى بالتنازل له عن بعض الأقاليم ، وهو عرض سرعان ما رفضه موسولينى رفضاً قاطعاً . إنه لم يعد يكترث بالمفاوضات السلمية ، وهذا ما قله تشيانو بكل صراحة للسفير الفرنسى ، إذ أنه قرر خوض الحرب .

وكان قد أعلن لتشبانو رأيه قائلا . . . ه لم يعد في وسعنا أن ننظر لحظة واحدة . فالوقت يفوتنا . . . وقد سبق لى أن قلت قبل بضعة أشهر إن الحلفاء قد خسروا ، وها أنا أقول الآن إنهم خسروا الحرب والنصر معاً » . وكان يصر على أن الشعب الإيطالى الذي لتى من الإذلال والامتهان ما فيه الكفاية ، على استعداد للحرب الآن ، بل وهو متلهف على القتال ، وهو يخشي خشية شديدة من أن يضيع فرصة قد لا تلوح له ثانية . وراح يروى حديثاً هاتفيًّا دار بين صحفيين والتقطته له أجهزة مخابراته ، قل فيه أحدهما إن «الألمان يلتهمون كل شيء » . وستسقط حي فيس نفسها في أيديهم الآن . فرد عليه الآخر قائلا . . ولا تقلق ، فالموتشي يفكر في كل شيء . والموضوع الآن ليس بموضوع حرب أو قتال ، وإنما هو يفكر في كل شيء عند اقتسام الغنيمة » . لكن الشعب الإيطالى لم يكن في الواقع ، كما أدرك معظم الزعماء الفاشيين وإن لم يجرأوا على التعبير عن إدراكهم ،

مستعداً للقتال أو متلهفاً عليه . فقد تحدث بوشيني إلى أصدقائه حديثاً طافحاً بالأسى ، وإن كان هؤلاء الأصدقاء قد شكوا في أنه أعاد على مسامع الدوتشي آراءه المتشائمة ، عن الوضع الداخلي السبيُّ ، والفاقة المنتشرة في البلاد ، والهبوط ف مكانه العهد وهيبته ، وقَلق الشعب من الاشتراك في الحرب ، وهذا هو الأهم . ولم يكن ثمة شك في أن الشعب قد هلل لفصل عدد من الفاشيين الميالين إلى الحرب من مناصب الحزب القيادية في أكتوبر الماضي ، إذ أن البلاد كانت تحس بالقلق اليائس من احمال دخولها في الحرب يه وكان تهليله أشد لاستبدال ستراشي الذي كان دى بونو يلقبه « بالمهرج الشرير » في سكرنيرية الحزب العامة ، بايتوري موتى ، صديق تشيانو . والرجل المقبول والأقل دعوة إلى الحرب . وكان الشعب يأسره ، ابتداء بالملك الذي منح قلادة د افرنزياتا ، الرفيعة الشأن لتشيانو اكسبه إلى صفه في سياسته الحيادية وضهان تأييده له ضد عداء موسوليني المتزايد للملكية ، وانتهاء بالفلاحين الفقراء والعمال الصناعيين ، ضد اشتراك إيطاليا في الحرب إلى جانب ألمانيا . ولم يكن ميثاق الفولاذ قد اكتسب شعبية في البلاد في أي يوم منذ توقيعه ، فجاء غزو الألمان لبولنده ، وجعله مكروهاً إلى النفس مقيتاً . وكانت فكرة جر البلاد إلى الحرب تحزن الكاثوليك الذين كانوا بخشون اضطرارهم للقتال تأييداً لعهد كان يناوئ الكثلكة مناوءة مكشوفة وصربحة ، كما كانت تزعج ذوى الميول الحرة الذين خافوا بأن تضع الحرب نهاية لآمالهم في بعث الحرية واستعادتها . وأحزنت الفكرة أيضاً الوطنيين الإبطاليين اللين فزعوا من أن يؤدى نصر الألمان إلى نهاية استقلال إيطاليا ، كما أثارت الفاشيين الأوسع تفكيراً والأكثر إطلاعاً ، إذ أنهم كانوا يعرفون أن البلاد مفتقرة كل الافتقار إلى الاستعداد للحرب ، بالرغم من بيانات الحزب عن الإنفاق العام وإدعاءات الدوتشي بوجود ١ عدد من ملايين الحراب ، ولم يسبق لسمعة الفاشية أن هبطت إلى مثل هذا الدرك الذي هبطت إليه الآن . فقد شرعت تفقد دعم حتى ألثك الماليين الأثرياء من أمثال الكونت فولمي ، الذي عمل في الماضي كثيراً لمد يد العون إلبها في أوقات ضائقتها . وفي مثل هذاً الجو من التقرّر والانحلال المعنوي . أعلنت إيطاليا موقفها « اللامحارب» فأحست البلاد بشيء من الارتباح أزاح عن صدرها الهموم . وفي هذا يقول المؤرخ الإيطالي لويجي سالفاتوري . . . وقد لا يكون من اليسير عرض صورة واضحة عن مشاعر الرضى العامة والعميقة ، وأحاسيس الاتفراج والراحة ، التي عمت الشعب بأسره من جراء إعلان موقف اللامحازية ، بما في ذلك الفاشيون أنفسهم » .

لكن الحقيقة المحزنة تظل قائمة ، وهي أن الشعب الإيطالى ، عندما اتضح له أن هذه المرحمة في السياسة الإيطالية قد مرّت ، وأن يلاده تقرّب من الحرب ، قابل ذلك بشيء من الاستسلام المتخدر الكريه ، إذ كان هذا الشعب قد بات في منهى الكسل والترهل بعد سبعة عشر عاماً من بث العقيدة الفاشية . فقبل ثلاثة أعوام ، صدر كتاب مدرسي ، فرضت الدولة قراءته على الأطفال في المدارس الرسمية .. وتقوى إحدى العبارات السفسطائية في هذا الكتاب : «إن الطفل الذي يتساءل بالرغم من عدم رفضه الإطاعة، عن السبب ، يشبه حربة مصنوعة من الحليب . فقد قال الدوشي وهو يشرح أسباب الطاعة ، إن عليكم أن تطبعوا ، لأن الطاعة واجبة عليكم أن تطبعوا ،

حقاً لقد كان تفسيراً ، نشأ الأطفال على قبوله . وقد أدرك موسولينى قبل بضع سنوات ، أن من الواجب عرض كل ما يقوله ، وكأنه حقيقة لا تقبل النقض او الشك . فن الواجب عدم السهاح للملكات الناقدة عند الشعب بالعمل ولا ريب في أن أكثر القواعد التي يضعها الديكتاتور فاعلية ، هي أكثرها غموضاً ، بل وهي أكثرها ، وفي أحايين كثيرة خلواً من المعنى .

٦

كان هتلر قد اقترح في نهاية شهر مايو عام ١٩٤٠ ، أن تشن إيطاليا هجومها بعد التصفية المعاقل الإنجليزية والفرنسية البلجيكية ، وبعد أن يكون الألمان قد باتوا قادرين على القذف بكل ثقل قواتهم على مدينة باريس . وقد وافق موسوليني على ذلك الاقتراح وكان يدرس في تلك الآونة فكرة الشروع في التدخل في نهاية يونيو . ولكن عندما بدا الجيش البلجيكي على وشك الاستسلام ، قرر موسوليني أنه لم يعد في وسعه الانتظار مدة أطول . وقد شجعه على ذلك ما اعتبره حماساً مفاجئاً من جانب الشعب الذي يريد ه كالعواهر ، أن يكون دائماً إلى جانب الظافر المنتصر . وأحس حتى تشيانو ، بأن مزاج الشعب قد تبدل ، وقد جانب الظافر المنتصر . وأحس حتى تشيانو ، بأن مزاج الشعب قد تبدل ، وقد

دهش من آن يرى الناس يستقبلونه استقبالا حماسياً فى كل محطة مر بها القطار الذى كان يستقله عندما قام فى شهر مايو برحلة إلى الساحل الشرق حيث سمع وأصواتاً كثيرة تطالب بالحرب ، وجاءت ايدا فى نفس الشهر إلى قصر البندقية لترى والدها ، ولتنقل إليه أن البلاد بانت تريد الحرب الآن ، وإن مواصلة السير على سياسة الحياد و محطة بشرف إيطاليا » . وأيد الماريشال رودلفو جرازيانى ، الفاتح الإيطالي للممتلكات الأقريقية ، والمؤيد للألمان وجهة النظر هذه .

وعندما رصلت إلى مسامع موسوليني أنباء استسلام الجيش البلجيكي في الثامن والعشرين من مايو ، راح يستدعي ماريشال القوة الجوية ايتالو بالبو ورئيس أركان حرب القوات البرية الماريشال بيترو بادوليو ، ليبلغهما أنه قرر إعلان الحرب في الحامس من يونيو . وروى بادوليو أنه قال للدوتشي إن إعلان الحرب انتحار . ورد موسوليني بشئ من الصلافة . . . « لست أيها الماريشال في وضع كاف من الهدوء بحيث تستطيع فيه الحكم على الموقف . وفي وسعى أن أؤكد لك أن كل شيء سينتهي قبل شهر سبتمبر ، وأن كل ما احتاج إليه بضعة ألوف من الفتلي لأجلس إلى مائدة الصلح كرجل اشترك في لحرب» .

وكان وهو ينطق بهذا الحديث ، واقفاً وراء مكتبه وقد وضع يديه فى خاصرتيه ، متطلعاً بصرامة إلى الماريشالين القلقين . وكان الناس يرون أنه فى مثل هذه اللحظات يكون على استعداد للتحول فى رأيه فجأة من فاحية إلى الناحية المعاكسة ، واتخاذ القرارات المتناقضة التى يعدها بهدوء ويستوحيها بمكر ، وكانوا يقولون عن هذه اللحظات إنها لحظات الإلهام الحادع ، التى يبدى فيها براعة غريزية فى انباع أساليب مكيافلى . ولكن الشيء الثابت ، أن بادوليو كان فى اليوم التالى ، كما قال تشيانو ، يعد للحرب راضياً هادئاً .

وتقرر بناء على طلب من هتلر ، تأجيل موعد دخول إيطاليا الحرب ، عدة أيام أخرى . وأخيراً ، راح موسوليني في العاشر من يونيو بعد أن أعد العدة لتعيين نفسه قائداً أعلى للقوات الإيطالية في الميدان مثيراً ضيق الملك ، بذلك ، ولكن دون أن يستفزه هذا الضيق على الاحتجاج ، يخرج إلى شرفة قصر البندقية ، حيث أطل على الجماهير الحاشدة الى ارتفعت هتافاتها ، ولكن بشكل آلى ، وقال بصوته على الجماهير الحاشدة الى ارتفعت هتافاتها ، ولكن بشكل آلى ، وقال بصوته

الجهوری المرتفع . . .

و يا أيها المحاربون فى الأرض والبحر والجو . يا رجالنا من ذوى القمصان السوداء ومن أبطال الثورة . يا رجال الفرق المتطوعة ، يا رجال إبطاليا ونساءها، ويا رجال امبر اطوريتنا ومملكة ألبانيا ونساءهما . اسمعوا وعوا ... فقد دقت ساعة المصير فى سماء بلادنا . أنها ساعة اتخاذ القرارات التي لا رجوع عنها . فها نحن فدخل قائمة المحاربين ضد البلوتوقراطية والديمقراطية الرجعية فى الغرب . اللتين طالما أعاقنا طريق تقدمنا وتآمرتا على وجود الشعب الإيطالي نفسه . . .

لا سبق لى أن قلت فى اجهاع خالد عقدناه فى برلين إن قواعد الأخلاق الفاشية ، تقضى بأن يسبر الصديق مع صديقه حتى النهاية . وقد فعلنا هذا وسنفعله مع ألمانيا وشعبها ، وقواتها المسلحة الظافرة . . .

وها هي إيطالبا الفاشية البروليتارية تقف للمرة الثالثة على قلميها قوية متكبرة ومتحدة ، بصورة لم يسبق لها نظير في أى يوم مضى . وهناك كلمة سرية واحدة مفردة وقاطعة تربطنا جميعاً . وقد راحت هذه الكلمة تحلق في الأجواء ، وتلهب الحماس في الأفئدة من جبال الألب حتى المحيط الهندى ، داعية إلى النصر . أجل سننتصر . وسنقدم لإيطاليا أخيراً عهداً طويلا من السلام المصحوب بالعدالة ، أجل سننتصر . وطلاح ربا والعالم . يا أبناء إيطاليا . . . هيا إلى السلاح . اظهروا شجاعتكم وصلابتكم وجدارتكم بالحجد ) .

وكان موسوليني قبل بضع ساعات من هذا الخطاب قد نقل إلى السفيرين البريطانى والفرنسي ، نواياه بصورة أقل تمثيلا ومسرحية .

ويقول تشيانو إن السير برسى لورين ، تلتى ذلك ٥ دون أن يُطرف له جفن ، أو يتغير لون . واكتنى بأن يلون نص العبارات التى استخدمها ، سائلا إياى عما إذا كان سيعتبرها مجرد معلومات مسبقة أو إعلاناً رسمياً للحرب. وعندما عرف أنها تعنى إعلان الحرب ، راح ينسحب بكبرياء وكياسة . وتبادلنا عند الباب مصافحة طويلة ودية آ .

ولم تكن المفابلة مع فرانسوا بونسيه ، أقل وداً وكياسة .

وقد فاجأه تشيانو وكأنه يعتذر له بقوله . . . « أتوقع أن تكون قد فهمت السبب من استدعائي إياك . . . »

فرد فرانسوا برنسیه ، و کأنه یبتسم . . . « لا ، فأنا لست مغرقاً فی الذكاء . أما الآن ، فلعلی قد فهمت الوضع » . وكان كزمیله السیر برسی لورین ، قد أدرك منذ حین ، أن الحرب واقعة لا ریب فیها ، وأن موسولینی كان قد قرر مصیر بلاده .

وتلا تشيانو على مسامعه إعلان الحرب .

وعلق فرانسوا ــ بونسيه ، والألم محز فى نفسه . . . و إنها ضربة خنجر توجه إلى ظهر رجل هوى، لكن الشكر لكم لأنكم استعملتم قفازاً من الحرير فى حمل الحنجر » .

وأضاف قبل أن يغادر القاعة ، تحذيراً، كان على تشيانو أن يذكره . . . و ولكن الألمان سادة قساة ، ولا ريب في أنكم ستعرفون هذا » .

٧

وخيم جو من الصمت الحزين الرهيب على مدينة رومة فى تلك الليلة . ومو مراسل و التايمز و وهو فى طريقه إلى بيته لحزم أمنعته ، بطريق أومبرتو و بميدان سبانا دون أن يرى راية واحدة قد ارتفعت . وجاءه عدد من أصدقائه الإيطاليين يودعونه ، مارين بالشرطى الذى يقف حارساً على مدخل داره ، ووقفوا يتمتمون بجانبه ثم صافحوه بشىء من الحزن وكأنهم يعتذرون إليه .

وسبق لكافور(١٠) أن قال . . . هإن الهتافات فى الميدان لا يمكن أن تعتبر صورة للرأى العام .

<sup>(</sup>١) كافور – سياسي إيطالي ، كان رئيساً لوزراء مملكة سردينيا الإيطالية في النصف الثاني من القرن الناسم عشر ، لمب دوراً بارزاً في تحقيق الوحدة الإيطالية . « المعرب »

۲

## القائد الأعلى

من ١٠ يونيو ١٩٤٠ حتى ٢٣ أكتو بر ١٩٤٢

.. كانت لدى كرومويل فكرة رائعة . . . وهى السلطان المطلق فى والمولة ،عدم الحرب . .

سارت الحرب منذ البداية سيراً سيئاً بالنسبة إلى إيطاليا . فقد اتضح على الفور وبصورة مثلة ، أن البلاد غير مهيئة لخوض حرب رئيسية بالرغم من الحقيقة الواقعة ، وهي أن أكثر من نصف انفاق الدولة كان يصرف في السنوات الثمان الأخيرة على الأهداف العسكرية ليس إلا . وكانت الحرب الأسبانية الطويلة ، قد استنزفت الكثير من الموارد الاحتياطية العسكرية غير الكافية ، وهي الموارد التي كانت الحرب الحبشية قد أضعفتها ، وهبطت بها إلى مستوى خفيض للغاية . ومع ذلك فإن السياسات غير المنسقة والمتناقضة التي اتبعتها دوائر الحكومة المحتلفة قد سمحت بتصدير مخزونات قيمة للغاية إلى إنجلترا حتى بداية عام ١٩٤٠ ، وكذلك إلى فنلنده الى تضمنت الصادرات إليها أعداداً من الطائرات بعد هذا التاريخ (١). وكانت معظم معدات الجيش إما من الطراز القديم أو من الطراز المنسوخ الذى بطل استعماله . ففرق المدفعية تستخدم مدافع كانت تستعمل منذ عام ١٩١٨ ، وكانت الفرق المدرعة المزعومة ، مفتقرة إلى السيارات ، حتى أن كارمين سينيز . رئيس الشرطة ، قال إنها كانت تقرض بعض سياراته للقيام بالعروض العسكرية . وكان السلاح الجوى أيضاً سبيء الإعداد للغاية ، كما لم تكن لدى الأسطول ، حاملات طاثرات ، أو سلاح جوى . وأثبتت التعبئة العامة التي جرت أيام غزو البانيا في أبريل عام ١٩٣٩ ، أن أعدداً من الوحدات المسجلة كفرق على الورق ، لم تكن في الواقع أكثر من مجرد بضعة أفواج ، وعندما حلت

<sup>(</sup>١) هناك مثل آخر على تناقضات السياسة الفاشية وارتباكاتها ، وهو أنه عند ما تم التوقيع على ميثاق مكافحة الشيومية مع اليابان ، كانت هناك باخرة تحمل بعض التموينات إلى الصين ، ورغبة في تجنب الحرج ، صدرت الأوامر إلى قبطائها بإغراقها على مقربة من الساحل الصيني . و المؤلف م

مهاية صيف ذلك العام ، اضطر موسوليي نفسه إلى الاعتراف ، بأن عشر فرق فقط من مجموع السبعين فرقة التي كان قد زعم أن الجيش الإيطالي بملكها ، صالحة للعمل . وكان رئيس أركان حرب الجيش قد ادعى في مستهل عام ١٩٣٨ ، أن مخزونات الجيش وإنتاج المعدات والذخائر ، ستكون في نهاية الربيع المقبل ، كافية لحرب واسعة النطاق .. لكن الجنرال كاراو فافا جروسا وكيل وزارة الإنتاج الحربي ، أعلن في الواقع قبل نشوب الحرب بستة أشهر ، أنه لو استطاع تأمين جميع المعدات التي يحتاج إليها ، مما يتطلب تشغيل المصانع في نوبتين ( ورديتين )، فإن أقرب موعد ، يمكن للبلاد أن تكون متأهبة فبه للحرب ، سيكون في أكتوبر عام ١٩٤٢ . وكان الجنرال فال ، وكيل وزارة الطيران قد قال إن لدى إيطاليا أكثر من ثلاثة آلاف طئرة صالحة للعمل ، بيها كان مجموع ما لدبها ، لا يعدو في الواقع ألف طائرة . وكان الجنرال بارياني وكيل وزارة الحرب ، قد أقنع موسوليني بأن في إمكانه تعبئة ثمانية ملايين رجل في غضون بضع ساعات ، بيما لم يكن في الإمكان في الواقع تعبئة أكثر من نصف هذا العدد في غضون عدة أسابيع ، مع تحقيق ذلك على حساب الصناعة والزراعة بشكل مفجع . وحاول الأميرال كآفاناري وكيل وزارة البحرية ، أن يظهر الحالة السيئة التي تسود مختلف الدوائر والوزارات لا وزارته وحدها والتي تجعلها غير مستعدة للحرب ، ولكن الدوتشي كما روى الأميرال ، لم يتأثر على الإطلاق بأقواله ، ولم يكن يقبل النصيحة . وحاول دى بونو ذات يوم ، أن يحذر موسوليني من تصديق أقوال فال ﴿ الأحمق ﴾ وبارياني ۽ الحائن ۽ ، ولکن موسوليني لم يصغ إليه ، نما جعله يقول . . . ١ إنه لا يصدق إلا ما يريد أن يصدقه ٤ . وكان رافائيلو ريكاردى ، وزير التجارة ، دائم التحذير له من المناعب الاقتصادية التي تواجهها البلاد ، ولكنه كان يرد بمنتهى البلادة ، أن الحكومات لا تهوى بسبب المتاعب الاقتصادية ، وكان يؤثران يستمع إلى ثاۋون دى ريفيل وزير المالية ، اللىي كان يقول له إن كل شيء على مَا يرام ، وأن في مكنة إيطاليا أن تصبح ثرية من بيع رواثع الفن . وكثيراً ما تساءل الوزبر . وقد مل من موقفه . . . « ترى ما الذي يصنعه الدوتشي ؟ إنه كما يبدو غارق في شؤون التدريب ليس إلا ه.

ولكن بالرغم من أن قلوته على خداع نفسه ، كانت بلا حدود كما يبدو ، لم يكن ثمة شك في أن موسوليبي كان يعرف تمام المعرفة أن بلاده غير مستعلة للحرب . وقد اعترف بهذه الحقيقة بعد انهيار إيطاليا النهائي في حديث له مع الأميرال موجيري ، قائلاً إن إيطاليا كانت أفضل استعداداً قبل الحرب العالمية الأولى ، منها قبل الحرب العالمية الثانية . فقد اشغل وزارات القوى الحربية الثلاث منذ عام ١٩٢٥ حتى النهاية ولم يتخل عنها إلا فترة قصيرة بين عامي١٩٢٩ و١٩٣٣، وبالرغم من رغبته في أن يصدق ما بريد أن يصدقه ليس إلا ، رأن يتجاهل ما يسيثُه ، وفي أن يدفع بالعمل إلى مساعديه من غير الأكفاء ، وأن يشغل نفسه بمثية الأوزة أو بموعد تبديل الملابس الشتوية بالملابس الصيفية أكثر من انشغاله بالقضايا المهمة والملحة حقاً ، وأن يضحي بالحقيقة على مذبح الدعارة وبالواقع على مذبح الأمل ، إلا أنه كثيراً ما وجد نفسه مرغماً على أن يدرك ، بأن ما يقدم إليه من معلومات وأرقام ، لا تفنقر إلى الدقة فحسب ، بل ومضالة كل التضليل أيضاً . وكتب تشيالو فى أبريل عام ١٩٣٩ يقول . . . « وهو يعتقد أن وراء الظواهر . التي يحافظ الجميع عليها إلى حد كبير ، ليس ثمة إلا القليل » . وتلتى بعد خسة أشهر أى في الثامن عشر من سبتمبر ، تقريراً من جرازياني يبين أن هناك عشر فرق ليس إلا متأهبة للقتال ، لا تلك الأعداد الضخمة التي كثيراً ما نباهي بوجودها كقوى تصلح للخط الأول . أما الفرق الحمس والثلاثون الأخرى ، فمرقعة ، وغير كاملة ، وسيئة الإعداد » . وذكر تشيانو «أن اللوتشي اعترف بهذه الحقيقة ، وأطلق بعض العبارات التي تنطق بالمرارة عن الوضع الفعلي للجيش ، الذي كان في هذه الآونة في منتهي السوء » . وبعث الجنرال فافا جروسا في اليوم الذي سبق اعلان الحرب مباشرة إلى موسوليني بتقرير قاتم للغاية عن افتقار إيطاليا إلى الاستعدادات مؤكداً بوجه خاص على نقص وسائل الدفاع ضد الطائرات .

لكن موسوليني كان مصمماً على أي حال على المضي إلى الحرب لا ولأن الأخلاق الفاشية تتطلب ذلك ، فحسب ، بل ولأنه كان على يين من أن الصلح سيتحقق قبل أن تتكشف حقيقة الادعاءات الفاشية الزائفة . وتبينت ثقته من أن الحرب ستنهى قريباً ، من الحقيقة الواقعة ، وهي أنه لم يصدر أية أوامر برقف

عملبات البناء في مكان المعرض الذي تمتد مساحة أرضه مئات الأفلمنة ، والذي كان من المقرر أن يدهش العالم بأسره في خريف عام ١٩٤٢ ، كما أن عمليات التسريح سارت على قدم وساق في خريف عام ١٩٤٠ بعد انهيار فرنسا ، وبعد أن اتضح أن الغزو الألمانى لإنجلترا بات وشيك الوقوع . ولما كان مهتماً بالغ الاهتمام ، بأن يحقق جيشه تقدماً رمزياً على الأقل وراء جبال الألب ، قبل أن ينهي الألمان الحملة كلها ، فقد أصدر أمره بالهجوم في غضون ثلاثة أيام بالرغم من أن مستشاريه كانوا قد نصحوه بأن الجيش في حاجة إلى ثلاثة أسابيع على الأقل ، لإعداد العدة لمثل هذا الهجوم . وعندما طلبت فرنسا الهدنة بعد أقل من أسبوع واحد من إعلان الحرب ، وقبل أن يحقق أى نصر روزى ، أحس بالقلق والفزع ، وراح يسافر إلى المانيا ليجتمع إلى هتلر ، ليبحث معه فى الشروط التى يجب فرضها على فرنسا ، واعياً تمام الوعى ، وبحزن بالغ على حد تعبير تشيانو ، إلى أن رأيه لن يحمل أكثر من « الطابع الاستشارى » . ومضى تشيانو في يومياته يقول . . . و فقد كسب هنار الحملة كلها دون أي إسهام عسكري فعلى من جانب إيطاليا ، وستكون لهتلر بالطبع ، الكلمة الأخبرة في الموضوع . ولا ريب ف أن هذه الحقيقة أحزنت موسوليني وأزعجته . وكانت آراؤه في الشعب الإيطالي ، ولا سيا في القوات المسلحة في منتهى المرارة . . . ويخشى الدوتشي في الواقع ، أن تكون ساعة الصلح قد دنت ، وهو برى أن ذلك الحلم الذي عاش حياته كله دون أن يحققه ، وهو المجد في حومة الوغي أخذ يحتني من أمامه من جديد ۽ .

وازداد تذمر موسوليني من الشعب الإيطالي مرارة وشدة مع ورود الأنباء إليه عن الطريقة المفتقرة إلى الحماسة، التي كان هذا الشعب يحوض الحرب فيها . وكان تذمره من دخول الحرب أصلا ، ولا ريب في أنه سمع بهذا التذمر بالرغم من بياناته المعامة المتكررة ، قد أوصله إلى حدود الهباج الغاضب . وكان شتاء عام ١٩٣٩ \_ العامة المتديد البرودة قد أثلج صدره . وكان يرقب الثلوج وهي تتساقط في شهر ديسمبر ويقول . . . « لا ريب في أن هذه الثلوج والبرد الذي يقوق الحد ، مناسبان لنا تماماً . فبهذه الطريقة يمكن تحسين الشعب الإيطالي الذي لا يصلح مناسبان لنا تماماً . فبهذه الورقة في درجته . وكان من أهم الأسباب التي لشيء ، والذي يمثل دون الوسط في درجته . وكان من أهم الأسباب التي

دعتنى إلى الأمر بتحريج جبال الايبنين ، أننى أرغب فى أن يصبح طقس إيطاليا أكثر برداً وثلوجاً ٥ . وعندما وقعت أزمة خطيرة فى موجودات الفحم فى شهر يناير ، سر غاية السرور من جديد ، إذ أن من الخير تعريض الشعب لمحن تجعله يطرح عن نفسه كسل القرون القديمة العقلى ٥ فعلينا أن نبقى على انضباط الشعب ، وأن نجعل أفراده يرتدون البزة العسكرية ليلا ونهاراً . آه لو كان فى إمكاننا أن نضربهم ونضربهم وفضربهم ٥ .

وكان يشكو دائماً ويقول ... « إنني بحاجة إلى المادة الخام لأصنعها . فقد كان ميشيل انجيلو في حاجة إلى الرخام ليصنع تماثيله منها . ولو افتقر إلى الرخام ولم يجد إلا الصلصال بين يديه ، لما أصبح إلا مجرد صانع للخزف . فالشعب الذي قضى سنة عشر قرناً يمثل دور السندان ، لا يمكن أن يصبح مطرقة في غضون بضع سنوات ، . وكان يطلق على الإيطاليين اسم « شعب من الأغنام » . ولم تكن الثمانية عشر عاماً التي انقضت على العهد الفاشي كافية لتغيير طبيعة هذا الشعب . وظل طيلة أيام الحرب يتحدث بهذه اللغة . فكل هزيمة مني بها بل وكل نكسة ، تقع مسئوليتها في رأيه الغاضب على هذا الشعب ١ الناعم الذي لا يسوى شيئًا ١ . والذي جعل منه الفن شعباً هشًّا قابلاً للكسر ، بيها ظل كل نصر محققه الألمان ، يثير في نفسه لهفة حزينة على فرص تقليدهم ووسائله . وكان تفكيره يقبل كل إيماءة إلى نصر إيطالي ركأنها حقيقة وإقعة لا تُلبث الصحافة أن تتحدث عنها ، إلى أن غدت الخيالات حقائق ووقائع ، وباتت التقدمات الطفيفة انتصارات ضخمة ولم يكد شهر واحد بمضى على نشوب الحرب ، حتى كان يصر إصراراً أعمى على تصديق جميع الأنباء المتألقة التي تلقاها عن القوة الجوية الإيطالية ، وعلى أن الأسطول الإيطالي قد « أزال من الوجود نصف القوة البحرية البريطانية الموجودة في البحر الأبيض المتوسط ٥ . ركان يرضي عن الأنباء الطيبة التي يتلقاها من جبهات القتال ، ويثور أشد الثورة عندما يخيب أمله أو تصله أنباء مزعجة ، مما دفع الكثيرين من قادته العسكريين إلى إخفاء الأنباء التي قد تثيره عنه ، مكتفين باطلاعه على الأنباء التي ترضيه ، ومهولين فيها في معظم الحالات . ويبدو أن المسئولين في حكومته قد أحفوا عنه الحقيقة الرهببة ، وهي أن موازنة الدولة لعام ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ ، تعرضت لعجز قدره ثمانية وعشرون ألف مليون ليرة إيطالية .

ولما كان قد فشل في توجيه ضربة قاصمة ورابحة إلى فرنس . فقد ظل يتطلع بفارغ الصبر إلى هدف آخر . وراح يدرس فكرة توجيه هجوم ضخم على مصر من ليبيا حيث تعزز الجيش الإيطالي تعزيزاً كبيراً ، كما درس فكرة الهجوم على يوجوسلانيا . وكان قد ذكر للماريشال جرازياني في توجيه حربي وجهه إليه ، قبل إعلان الحرب . . . و علينا أن نجبر يوجوسلافيا على الركوع على ركبتيها -فنحن في حاجة إلى المواد الأولية ، وعلينا أن نحصل عليها من المناجم اليوجوسلافية » وقد حدره الألمان من الهجوم عليها ، مخافة إثارة عدد كبير من الكلاب، في أوربا الشرقية ، بينها نصحه جرازيانى بعدم القيام بهجوم على مصر لأنه يمثل مشروعاً خطيراً ، لم تكن الإعدادات له مهيأة على الإطلاق » . لكن موسوليني أصر على رأيه ، وأعلن في المجلسة التي عقدها مجلس الوزراء في السابع من سبتمبر ، إنه ما لم يقع الهجوم في يوم الاثنين التالي ، فإن جرازياني سيستبدلُ بقائد آخر . وبالرغم من أن جميع القادة الذين كانوا يعملون تحت إمرة جرازياني هذا ، كانوا ضد فكرة الهجوم ، كما قال قائدهم ، فقد اضطر إلى الإذعان ، وأصدر أوامره بالشروع فيه . وعلن تشيانو في يُومياته على ذلك بقوله ... « لم يسبق لأية عملية عسكرية أن وقعت ضد رغبة القادة المسئولين عنها كهذه العملية » . لكن الواقع أن جرازياني وبادوليو ، ما كانا ليجرءا على الإصرار على وجهات نظرهما فى حضور الدونشى .

وبدأ الهجوم فى الثالث عشر من سبتمبر . ولم تمض أيام أربعة ، حتى كانت ست فرق ، وتمانية أفواج من الدبابات ، قد تقدمت مسافة ستين ميلا إلى سبدى برانى ، ويقول تشيانو إن « الفرح الغامر استبد بموسولينى » . ولم يسبق أن شهد الناس الدوتشى فى مثل حالته من « الفرح الطاغى ، والمزاج المرح » ، كما شهدوه فى الرابع من أكتوبر . لكن الجيش الإيطالى توقف عند سيدى برانى ، وظل جرازيانى ثلاثة أشهر ، يرفض التقدم . بيما يصر موسولينى على القيام بهجوم خاطف على المواقع البريعالية فى مرسى مطروح .

وفي هذه الأثناء ، اختار موسوليني ضحية جديدة له ، ليظهر امتعاضه ،

كما قال أحد جبرالاته ، من قادته العسكريين ، وليعرض استقلاله عن هتلر . فمنذ بداية شهر يوليو ، كان الجرال دى فيشي ، الحاكم العام في الدوديكانيز، قد بعث ببرقية يقول فيها إن طائرات البريطانيين وسفنهم تجد الملجأ والوقود والمؤن في ا مطارات اليونان وموانتها . وأخذ يعد العدة منذ ذلك الحين لهجوم على اليونان ، وراح يعلن في الثاني عشر من أكنوبر أنه وصل إلى قراره النهائي . فقد اعترف دون أى من وخز الضمير ، بأن احتلال هتلر غير المتوقع لرومانيا هو الذي دفعه إلى قراره هذا ، وراح يحدد موعد الهجوم بنهاية الشهر . وذكرته حركة هتلر ضد رومانيا ، بتكتمه السابق في عملياته السابقة في الغرب ، وراح يقول . . . ه ما زال هتار يصر على أن يواجهني دائماً بالأمر الواقع . وسأدفع له هذه المرة دينه ، ينفس العملة الني يستخدمها . وسيقرأ في الصحف أنني احتللت اليونان . وسنعيد بذلك التوازن إلى وضعه السابق » . ولم يكن قد توصل بعد ، كما ذكر ، إلى اتفاق مع بادولبو ، ولكن او أن أحداً فكر في معارضة الهجوم ، فإن عليه أن يقدم ه استقالته من الجنسية الإيطالية » . وكتب إلى هنلر في الثاني والعشرين من أكنوبر . يطلعه على نواياه ، وكان هذا في طريقه إلى « هيندابي » ليقوم بالمحاولة الفاشلة في إقناع فرانكو باللخول في الحرب . وقد أرّخ موسوليني رسالته بتاريخ سابق هو ـ التاسع عشر من أكتوبر ، وحرص أشد الحرص ، على أن لا يتسلمها هتار إلا بعد أن يكون الوقت قد فات على إثارة أية اعتراضات.

وأيد تشيانو هذه المرة الدوتشي في فكرته لأنه اعتبر أن الهجوم الإيطالي على اليونان ، يحد من توسع النفوذ الألماني في البلقان ، لكن القادة المسكريين ، عارضوها أشد المعارضة . فقد وقف رؤساء القوات المسلحة الثلاث ضدها ، مشيرين بشيء من الإحجام إلى متاعب الحرب الجبلية وصعوباتها في مثل هذا الوقت المتأخر من العام . لكن قرار موسوليني كان فوق قرارهم . ونقلت المحابرات العسكرية معاومات مزعجة ولكنها دقيقة عن القوة المحتملة للمقاومة اليونانية ، فاعتبرها موسوليني معاومات مغرقة في تشاؤمها إلى حد السخف . وبعد أن غير موسوليني موعد الهجوم أكثر من مرة ، بل خمس مرات في ربع ساعة ، كما يقول الجنرال أرميليني ، حزم من مرة ، بل خمس مرات في ربع ساعة ، كما يقول الجنرال أرميليني ، حزم الدوتشي رأيه أخبراً ، واجتازت الجيوش الإيطالية حدود اليونان تغزوها في الثامن

والعشرين من أكتوبر ، أي في موعد الذكري السنوية للزحف على رومة . ومضت ستة أسابيم ، اضطر موسوليني إبانها ، إلى قبول استقالة بادوليو المجهد ، من رياسة أركان حرب القوات الإيطالية المسلحة ، وإلى الاعتراف في جلسة عقدها مجلس الوزراء بأن الوضع في منتهي الحطورة ، بل وبأنه قد يصبح مفجعاً . وقرر موسوليني أن هذا الوضع يقيم دليلا جديداً على أن الجيش ولا سيا كبار ضباطه ، يمثلون مصدر عار لإيطاليا . فقد فشل هذا الحيش من جديد فشلا ذريعاً . وراح يشكو بثورة وحشية . . . و إن المادة الإنسانية التي يتحتم على العمل معها لا تساوي شيئاً ٥. وعندما عاد ستراشي من جبهة القتال ، راح يؤيد نظرة موسوليبي هذه مصدراً ﴿ حكماً قاسياً على سلوك قواتنا وتصرفها ، إذ أنها لم تحارب أبداً ، وإن حاربت ، فني منتهي السوء» . وقرر الجنرال أوبالدو سودو وكيل وزارة الحربية الذى كان موسوايني قد بعث به إلى البانيا ليرى بنفسه حقيقة ما هو حادث هناك ، عند عودته في الرابع من ديسمبر ، أن الوضع العسكري يائس للغاية ، ولا يمكن إصلاحه ، وأنه يتطاب « عملا سياسياً لتعديله » . واستدعى موسوليني وزير خارجيته تشيانوإلى قصرالبندقية وواجهه فور وصوله بقوله . . . 8 لم يعد في وسعنا أن نفعل إلا شيئاً واحداً ، رغم بشاعته وسخافته . لكما حقيقة مرة ، وعلين أن نواجهها . أجل علينا أن نطاب هدنة عن طريق هتلر » . ولم يسبق لتشيانو أن رآه من قبل ، على نحو ما كان عليه فى ذلك اليوم من يأس .

وكان ثمة كل ما يبرر يأسه . فقد سبق لهتلر أن نصحه أشد النصح بعدم غزو اليونان ، لأن هذا العمل ، سبثير الاضطراب فى البلقان ، وكان قد قصد إلى إيطاليا على الفور بعد اجهاعه بالماريشال بيتان فى مونتوار وبفرانكو فى هيندايى ، ليحاول اقناع موسولينى بعدم القيام بهذا الهجوم المفجع . ولكن الأنباء وصلته ، وهو فى قطاره المتجه إلى فلورنسه للاجهاع بالدوتشى ، وقبل ساعتين من وصوله . أن الوقت قد فات ، إذ أن القوات الإيطالية قد اجتازت حدود اليونان تغزوها . وبالرغم من أن هتلر قد كبت عواطفه تمام الكبت . ومضى إلى حد وعد إيطاليا بتأييده الكامل فى الحملة اليونانية ، فقد عاد ، وسولينى إلى رومة ، مقتنعاً من أن

عمل إيطاليا قد أزعجه كل الإزعاج ، محافة التأثير على خططه المقبلة وشلها . وراح يتلتى من ألمانيا بعد ثلاثة أسابيع من هذا اللقاء ، وبعد أن بدا الفشل الحتمى والمحزى نتيجة هذه الحملة ، تأكيداً لانطباعه هذا . ولم يكتف هتلر في رسائته هذه ، بتذكير حليفه ، بأن حملة اليونان ستدعو بوجوسلافيا وبلغاريا وفيشى وتركيا إلى المزيد من التردد في إقحام نفسها في الحرب إلى جانب المحور ، كما ستؤدى إلى قلق روسيا على البلقان ، الذي قد يثير تهديداً جديداً من ناحية الشرق ، في الوقت الذي تمكنت بريطانيا فيه من الحصول على قواعد في اليونان تستخدمها في قصف رومانيا وجنوب إيطاليا من الجو . وأضاف أن نتائج المغامرة اليونانية ستؤدى إلى تأجيل العمليات المقررة في الصحراء ضد مصر ، وإلى أن تبعث ألمانيا بقوات إلى تراقيا لمحاربة البريطانيين فيها ، بالرغم من أن أي إجراء في هذا السبيل لن يتم قبل حلول العام الجديد . وعلق موسوليني على هذه الرسالة بكثير من الأسي فائلا . . . لقد ضربني الفوهرو هذه المرة على أصابعي عقاباً لي ١٤٠٠.

وها هو وكيل وزارة حربيته ، بأتبه مقترحاً عليه طلب الهدنة من اليونانيين ولكنه راح يسمح فى النهاية لتشيانو بإقناعه بأن الوضع لم يبلغ بعد هذا الحد من السوء،وإن فى الإمكان تثبيته بمساعدات المائية فورية وكبيرة . واستصحب تشيانو معه إلى قصر البندقية ، دينوالغييرى ، سفير إيطاليا فى برلين ، الذى كان يقضى فترة النقاهة من مرض أبل منه فى رومه . . . وكتب هذا يقول . . .

لا وجدت الدوتشي غارقاً في أعماق وجومه ويأسه . ولم يسبق لى أن رأيته قط في مثل هذه لحالة من انحطاط المعنويات . وكان وجهه شاحباً ونحيلا ، بيها كانت أسارير وجهه تنطق بالأسي والهموم . وزاد من مظهره البشع هذا ، أنه كان يرتدي قميصاً ذا قبة مقلوبة واسعة . وكانت ذقنه طويلة لم تحلق منذ يومين على الأقل . وراح يلاطفي بدمائة غير معهودة فيه ، مما دلل على اضطراب تفكيره ،

<sup>(</sup>١) تقول وثالق متلر – بوربان التي نشرت في عام ١٩٦١ ، إن هتلر اعتبر خطأ موسوليني أكبر على أدبر الله على الله على أدبر على أدبر أن أخريات أيامه ، أن تحالفه مع إيطاليا ، كان ألعقبة الرئيسية في طريق فجاحه . وقد حال هذا التحالف أيضاً بينه وبين التقرب إلى العرب والأفريقيين عن طريق وفع شعار مناهضة الاستعار . لأن حليفته إيطاليا كانت من الدول الاستعارية .

إذ عرف عنه أنه كان يضع على وجهه دائماً مع مرءوسيه ، قناعاً من الجمود والسابية ، وأخذ يسألني عن أحوالى الصحية ، وعما إذا كنت قد أبللت من سقاى . . وظل يخطو حول مكته الضخم ، خطوات قصيرة ، يشغل ذهنه تفكير عميق فى فكرة سيطرت عليه ، ورح يتحدث عن برقية سودو محولاً أن يسبر أغوار الأسباب التي دعت الجارال إلى اللهويل فى خطورة الوضع ، وظل بمسك بيمناه ، وبعصبية بينة ذفنه ووجهه ، متنقلا بنظره بينى وبين تشيانو ، وكأنه ينشد التأييد لنظرياته ولتبريرات آماله منا » .

لكن آماله كلها ، كانت سراباً في سراب . ولم يرغم على طلب الصلح من اليونانيين ولكنه أرغم على الاعماد على مساعدة ألمانيا ، لإنقاذه من الورطة التي وقع فيها . وكان هذا مر المذاق على كرامته وهيبته . وبينها ظلت برقية سودو تؤرق عليه مضجعه ، وتبعث في نفسه الأسي ، مما دفعه إلى التفكير في تأليف جيش المستقبل من سكان وسط إيطاليا وشهالها ، تاركاً بقية البلاد لتؤلف ، جيش الأرستقراطية المعادي ، جاءته رسالة هتلر ، تحمل الطمأنينة ، وتخلو من التأليب ، وإن لم تخل من معنى فرض الوصاية ، تقول إن الترتيبات تعد الآن ، ليتدخل الألمان في حرب ليونان . وقامت مجموعة من الضباط اليوجوسلاف ، قبل الانهاء من أمر هذه الرتيبات ، بانقلاب ضد حكومها التي كانت قد وقعت قبل أيام على ميثاق يشد يوجوسلانيا إلى المحور . وكان رد فعل هتلر في منتهي العنف . فقد أصر على وجوب سحق يوجوسلافيا ٤ دون رحمة أو إشفاق ٤ ، وعلى الشروع في عملية « ماريتا » ضد اليونان في الوقت نفسه . ولم تمض عشرة أيام على انقلاب بلجراد ، حتى كان هتار في الحامس من أبريل ، وبعد أن كان قد طلب إلى موسوليني وقف العمليات في ألبانيا لبضعة أيام ، ليتمكن من نشر قواته الإيطالية على الحدود اليوجوسلافية ، قد أبلغ حليفه ، بأن هجوم القوات الألمانية على يوجوسلافيا واليونان سيبدأ في اليوم التالى ، واقترح أن تكون جميم القوات الإيطالية ، خاضعة لأوامر القيادة الألمانية ، فأقر موسوليني هذا الطلب دون استشارة قادته العسكريين .

وبدأ الهجوم الألماني في السادس من أبريل ، وكان في منتهي الضراوة ،

فحقن نصراً كاملا في بضعة أيام. في السابع عشر من أبريل ، استسلمت يوجوسلافيا ولم تمض عشرة أيام حتى كان الألمان قد احتلوا أثينا. وقبل الألمان استسلام اليونان وخططوا حدود يوجوسلافيا دون مشاورة الإيطاليين. وبالرغم من أن هتلر حاول في الخطاب الذي ألقاه في الرايشستاج تخفيف وطأة الضربة التي وجهت إلى كبرياء موسوليني فوصف التدخل الألماني بأنه «إجراء احتياطي لمنع البريطانيين من تثبيت أقدامهم في البلقان « ونفي أنه كان ... يقصد مساعدة الإيطاليين ضد اليونان » ، إلا أن أحداً ، وفي المقدمة موسوليني نفسه ، لم يشك لحظة واحدة في الحضيض الذي هوت إليه مكانة إيطاليا في عيون ألمانيا بل والعلم كله . ووجد الفيبري نفسه في برلين مضطراً إلى الاستاع عيون ألمانيا بل والعلم كله . ووجد الفيبري نفسه في برلين مضطراً إلى الاستاع وروى الفيبري هذا فيا بعد أن «الفوهرر كان يتحدث بلهجة استفزازية عنيفة ، ولم يسألني خلافاً لعادته عن أنباء موسوليني » .

ولم تكن أحداث اليونان ويوجوسلافيا هي وحدها التي كشفت عن موقف النبعية الذي تقفه إيطاليا . فقد وصلت الأنباء في العاشر من ديسمبر إلى رومة عن الهجوم الذي وقع على مراكز الإيطاليين في سيدي براني . وقد أذهل موسوليني وزيره تشيانو ، بموقف الهدوء وعدم الاكتراث الذي وقفه مركزاً آماله على أن يتمكن الماريشال جرازياني من الصمود في وجه هجوم العدو . ولكن هذه الآمال ، سرعان ما أنهارت كغيرها من آماله في ذلك الشتاء . فني مساء نفس اليوم ، كان البريطانيون قد أسروا ما لا عد له ولا حصر ، من الجنود الإيطاليين . وروت قيادة فوج حرس جولد ستريم البريطاني في تقريرها أن «عدد الأسرى من الضباط قيادة من الأرض ومن الجنود مانتي فدان » .

وروي تشيانو في يوميانه . . . « في مكنتنا أن نقول إن أربع فرق قد دمرت عن بكرة أبيها » . واعترف موسوليني في اليوم التالى أن إيطاليا قد منيت بهزيمة شنيعة . وعند ما حل مطلع شهر يناير ، كانت «البردية» قد سقطت ، واضطر الجيش الإيطالي المترفح ، وكانت بعض وحداته قد قاتلت ببسالة تثير الإشفاق ضد قوات تفوقها قيادا وأعدادا ، إلى التقهقر إلى طبرق . واحتفظ موسوليني بهدوئه .

بل كان كما وصفه تشيانو « هادثاً بشكل يفوق طاقة البشر » وذلك في الجلسة التي عقدها مجلس الوزراء في السابع من يناير ، إذ قال ، أن لكل جواد كبوة ، ولكل مجيش هزيمة . ولكنه وجد من العسير عليه أن يخنى مشاعر الذعر من الإجراءات التي أعدها هتلر لمساعدته . فقد أدرك أن رومل ، قائد عسكرى لامع ، إلا في حالات أزماته القاسية ، ولكن كان من المؤلم له أن يقبل الحقيقة الواقعة ، وهي أن هذا الضابط الألماني وحده ، ومعه حفنة صغيرة من القوات الألمانية ، قد تمكن في غضون بضعة أسابيع قليلة من وصوله إلى أفريقيا الشهالية ، من تغيير صورة الوضع الحربي كله في المنطقة . وكان يقارن بشيء من الأسى بين رومل الذي لا يكاد يفارق دبابته المكشوفة على رأس أرتاله المهاجمة وبين جرازياني الذي ظل « يقبع في قبوه الروماني الذي بهبط إليه بسبعين درجة تحت الأرض ، ، فيرى أن الانتصارات التي تحققت في الصحراء ، انتصارات أَلَمَانِيةَ لَا إِيطَالِيةً . وَأَمْرَ بَمْثُولُ جَوَازِيَانِي أَمَامُ مُحْكَمَةُ لَلْتَحَقِّيقُ ، فقضت بلوم ذلك الرجل الذي لم يعد يحس تجاهه إلا بالازدراء على تصرفه . وأرضت النتائج الني توصلت إليها المحكمة ، بادوليو غاية الرضى ، إذ كان يكره من صميم فؤاده هذا الزميل ذا الشعبية الواسعة ، لكنه كان يعرف ، كما عرف موسوليني نفسه ، أن الذنب ليس بذنب جرازياني وحده . فقد حصلت المخابرات الإيطالية ، وهي من أتجح أجهزة الجيش الإيطالي ، على رسائل سرية أمريكية تظهر الجيش البريطاني في أفريقيا الشهالية في منتهي الضعف في العدد والعدة . وكان في مكنة أى قائد حتى واو كان أقل كفاية من جرازياني أن يوقف البريطانيين برجال دربوا تدريباً صحيحاً على القتال ، لو كانت لديهم الرغبة في القتال ، وكانوا مزودين بالمعدات اللازمة له . وراح جرازياني يتساءل في رسالة بعث بها إلى زوجته .. وولكن ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل . هل يستطيع تحطيم الدروع برؤوس الأظافر وحدها ، فبادوليو اللبي تولى رئاسة أركان الحرب منذ عام ١٩٢٦ والذي كان مستولاً عن خطط أركان الحرب والبحوث الحاصة بالتسلح ، أكثر من خسة عشر عاماً ، وموسوليني الذي أغمض عينيه عن عجز بادوليو الفاضح ، لا بد أن يشتركا أيضاً في المسؤولية عن ضعف الجيش وفشله . ولكن في الوقت الذي كان

فيه بادوليو وجرازبانى يتبادلان النهم بالمسؤولية كان موسولينى يوجه الملامة إليهما معاً.. ويعرب عن سخطه بانعكاسات غاضبة يتصور فيها انتصارات الألمان الملهلة. وعندما أصدر هتلر أمره بترقية رومل إلى رتبة الماريشال ، تذمر موسولينى من أن هذه الترقية كانتوسيلة والإضفاء الصبغة الألمانية على المعركة »، وراح يرد على ذلك بترقية الجنرال الكونت أوجوكافاليرو خليفة بادوليو فى رئاسة أركان حرب القوات المسلحة إلى رتبة المشير (الماريشال). وإن كان رأيه فيه لا يزيد على رأيه في أى من جرالاته الآخرين . ويقول دى بونو . . . « يتميز كافاليرو بالتفاؤل . ولعل هذا هو السبب الوحيد الذى جعل الدوتشى يؤثره على غيره » . وكان ولعل هذا هو السبب الوحيد الذى جعل الدوتشى يؤثره على غيره » . وكان بالإضافة إلى ذلك مفرطاً فى خضوعه على حد قول تشيانو ، وكان «فى إمكانه أن ينحى إلى المراحيض العامة خضوعاً لو أنه عرف أن ترقية تكون عن طريقها »(١).

وبالرغم من سخط موسوليني وغله ، فقد ظل هتلر ، يقف منه شخصياً موقف الود والتفهم . فهما كان رأيه في الإيطاليين عموماً ، فإن احترامه لا لدوتشبهم لا كان لا يزال على حاله من القوة والوضوح . وكان حتى في شهر نوفبر ، عندما كان الوضع على أسوأ ما يكون من الاضطراب في جبهة اليونان ، قد آثار عواطف تشيانو ، عندما بادره قائلا والدموع تترقرق في جفنيه . . . لا من هذه المدينة فيينا مدينة الوحدة مع ألمانيا (الانشلوس) ، أبعث إلى الدوتشي ببرقية أؤكد له فيها أنني ما حييت مساعدته ، وإنني لأؤكد له اليوم أنني أقف إلى جانبه بكل ما لدى من قوى لا وعند ما اجتمعا في يناير في عش النسر بعد كارثة أفريقيا الشهالية ، كان هتلر في منهي الود لموسوليني . وكان موسوليني ، خمجلا كل الحجل من فشل جيشه ، حتى أنه سافر إلى ألمانيا وهو في حالة من ثورة الأعصاب والحشية من الاجتماع . وكان قد طلب تأجيل الاجتماع مرتين ، أملاً في ورود أنباء أفضل من الجبات عن القوات الإيطالية ، كما قام بنصف عاولة لإلغاء الزيارة كلياً . من الخبات عن القوات الإيطالية ، كما قام بنصف عاولة لإلغاء الزيارة كلياً . لكنه اتخذ طابعاً ودياً إلى الحد الذي دعا تشيانو ، إلى وصف وضع موسوليني نكنه اتخذ طابعاً ودياً إلى الحد الذي دعا تشيانو ، إلى وصف وضع موسوليني لكنه اتخذ طابعاً ودياً إلى الحد الذي دعا تشيانو ، إلى وصف وضع موسوليني

<sup>(1)</sup> كان تشيانو منحيزاً في رأيه في هذه القضية كما في عيرها أيضاً. فقد كان على أحسن الملاقات مع ابنة كافاليرو، وهي زوجة فرانسيسكو جاكومونى، عحاكم أبيانيا، حتى قبل إنها عشيقته. وكان المعروف في رومة في تلك الأيام أن تشيانو، أيد الهجوم على اليونان لأنه كان يهتم اهتماماً شخصياً بتوسع ألبانيا. والمؤلف»

النفسى بعد انهائه بالانتعاش ، « كرد فعل طبيعى على لقائه بهتلر » . وعندما وصل الوفد الإيطاني إلى محطة بوتش وجد الفوهرر في انتظاره على الرصيف والثلج يتساقط على معطفه الجلدى الطويل ، وقد انسدلت قبعته على أذنيه . وتوقفت عربة دالبولان » الى يستقلها موسوليني أمام الفوهرر مباشرة ، وهبط الدوتشي منها ببطء متجها إلى مضيفه ، ليصافحه وقد أخذ الواحد منهما يتفرس في وجه الآخر . وكان موسوليني قد قال قبل لحظات من وقوف القطار . . . د لا أعتقد أن في عروقي قدراً كافياً من الدم ، بحيث يصطبغ وجهي حياء منه عندما أراه » . ونطقت أساريره بصورة جامدة قاسية على حد تعبير السفير الإيطال ، وعندما شرع في تبادل الحديث مع هتلر ، انطلقت على وجهيهما ابتسامتان مصطنعتان .

واجتمع السفير إلى موسوليني وحده للحظات قبل الشروع في الاجتماع الرسمي ، وأبلغه أن هنلر على استعداد تام لتلبية أية طلبات قد يتقدم بها للحصول على معونة ألمانيا . وقاطعه موسوليني بشيء من الخشونة قائلاً. . . « ليس لدى ما أطلبه منه » .

وحقاً لم يطلب موسوليني شيئاً ، فقد سمح طعلر بأن يحتكر معظم الحديث ، مكتفياً بالجلوس في مقعد وثير مربح ، من المقاعد التي تكتظ بها قاعات الاجتماعات الألمانية ، وبالتعليق بين آونة وأخرى ، بينما واصل الفوهور عرض معوفته الشاملة بالمشاكل العسكرية ، وتحديد خططه لحلها ، بذكاء ترك انطباعات عميقة في نفوس الفييرى وتشيانو ، والجنرال القصير البدين الفريدو جوزوني القائم بأعمال كافاليرو في رئاسة أركان الحرب ، نظراً لغياب الأخير في أفريقيا الشهالية . وكان هتلر بادي الرضى والانشراح ، إذ كان تفكيره منصرفاً إلى الهجوم المقبل على روسيا ، وهو الهجوم الذي تكتم في خططه وتفاصيله تمام التكتم مع الإيطاليين . لكن كبرياء موسوليني تأثرت بالغ التأثر ، بما تصوره من مهانة الإيطاليين . لكن كبرياء موسوليني تأثرت بالغ التأثر ، بما تصوره من مهانة عمر موسكو ، وإشاراتهم الواضحة إلى أنه بالنظر إلى عجز إيطاليا عن تأمين مع موسكو ، وإشاراتهم الواضحة إلى أنه بالنظر إلى عجز إيطاليا عن تأمين الجنود القادرين على الحرب ، فإن عليها أن تؤمن مزيداً من العمال الصناعيين المختراف للسفير الإيطالى بأن الفوهرر كان «مهذباً وودوداً ومتفهماً ، ولكنه الاعتراف للسفير الإيطالى بأن الفوهرر كان «مهذباً وودوداً ومتفهماً ، ولكنه

أفرط فى ذلك كل الإفراط. ولا ريب فى أنه مصاب بشىء من الحنون. فعندما حدثنى قائلاً بأن ليس ثمة من عاش أكثر منه معى فى آلامى ، وأحزانى ، كانت عيناه تغرورقان بالدمع. لا ريب فى أنه كان يغالى فى كل هذا ، فقد حرص أشد الحرص ، على أن يحملنى على الشعور بلطفه وكرمه ، وقوته وتفوقه ».

وكان موسوليني يبدو أثناء وجبات الطعام منكباً على طعامه ، يأكل من الصفحة التي أمامه ، وقد وضع « فوطته » إلى صدره . فكان يأكل قليلا وبسرعة بالغة . وكان يصغى إلى حديث هتلر بذلك الطراز من التركيز الذي يخفي في الواقع ، ضيقاً شديداً ، وعندما كان يحاول الاشتراك في الحديث ، كان التلعم يسيطر عليه وكأن الألمانية لغة نسى الحديث بها . وأثار منظره عند تناول الشاى في اليوم الأول الإشفاق ، عندما كان يحاول أن ينأى بمقعده عن النار الشديدة الحرارة المشتعلة في الموقد محتسياً قدحاً من الشاى ، بينها كان هتلر يلتهم كمية ضخمة من البسكويت والفطائر المحشوة بالمربى ، وكان جورنج ، مزهواً ببزته الراثعة الجديدة ، المسكويت والفطائر المحشوة بالمربى ، وكان جورنج ، مزهواً ببزته الراثعة الجديدة ، يتحدث ويتحدث ويتحدث .

وقد تكررت صورة هذا الاجتماع من جديد بعد ستة أشهر أى فى أغسطس عام ١٩٤١ ، عندما قام موسوليني بزيارة الفوهرر فى مقر قيادته فى الجبهة الشرقية ، ليقوم بجولة فى ميادين القتال . ويقول السجل الإيطالى الرسمي عن هذا الاجتماع ... « وقد وجد الدوتشي أن من المناسب السماح للفوهرر بالحديث عن اقتراحاته بمنتهى الحرية والصراحة . وقد اهتبل هتلر الفرصة ، وظل يتحدث بلا توقف ساعتين وضعف الساعة . ولم ينقد موسوليني من الاستماع إلى ثرثرته ، إلا مغادرتهما المكان متجهين إلى الجبهة » .

ولم يتلق الإيطاليون اشعاراً بالهجوم الألماني على روسيا إلا في الساعة الرابعة والنصف من صباح الثاني والعشرين من يونيو . فقد استدعى السفير الإيطالي الفييرى ، إلى دار وزارة الحارجية حيث أبلغه ريبنروب ، أن الجيوش الألمانية عبرت في الساعة الثالثة من صباح ذلك اليوم الحدود زاحفة على روسيا . وكان موسوليني لا يزال في فراشه عندما رن جرس الهاتف في دارته في ريسيوني ، فردت روسيل ، ونقلت الرسالة إلى زوجها . وذكرت راشيل فيها بعد للصحفي برونو

دابجوستينى أن زوجها استقبل النبأ بتأثر بالغ ، ثم قال لها . . . « اسمعى يا عزيزتى راشيل . . . إن هذا يعنى أننا خسرنا الحرب » . ولكن لم تحض بضع ساعات حتى كان تشيانو ينقل إلى الفيبرى عن طريق الهاتف رسالة من الدوتشي إلى الفوهرد . يقول فيها إن إيطاليا تعتبر نفسها في حالة حرب مع روسيا منذ الساعة الثالثة من ذلك الصباح ، ثم طلب من السفير أن يعمل « كل ما في وسعه لإقناع الألمان بالموافقة على اقتراح الدوتشي بإرسال حملة إيطالية للاشتراك في حرب روسيا »(١) .

وبالرغم من أن براين لم تستقبل هذا العرض بإرسال القوات الإيطالية بالترحاب ، إلا أن موسوليني كان مصرًا على أن يبعث بها ، مؤكداً في مجالسه الخاصة أن القضية لا تتعلق بكبرياته الشخصية وحدها . فعلى إيطاليا أن تسهم في تحقيق نصر سريع . وكان يرى أن روسيا إن لم تهزم في الأشهر الستة الأولى فلن نهزم أبداً . وأخيراً تم إرسال ماتي ألف جندي إيطالي كان في وسعهم أن يغيروا مجرى الحرب في أفريفيا الشالية ، بالرغم من نصبحة جميع الجنرالات الإيطاليين المستولين ، إلى الجبهة الشرقية للقتال إلى جالب الألمان . وكان ما أصابهم هنا من رعب من معاملة الألمان الفظيعة للمدنيين الروس ، وما وجدوه هم من سوء معاملة بعد انهيار متالينتجراد حيث احتكر الألمان جميع وسائل النقل كما فعلوا في شمال العسكري بين ألمانيا وإيطاليا .

وظل موسوليني يراقب تحركات قواته في روسيا باهتمام كان يشغله آناء الليل وأطراف النهار . وكانت الصحافة تنقل دقائق كل ما يقومون به من نشاط مهولة من أنباء انتصاراتهم في الوقت الذي تقلل فيه من قدر الانتصارات الألمانية . وطرب موسوليني عندما نمت إلى مسامعه أنباء المقاومة العنيدة التي واجهتها جيوش الألمان في مينسك . وكثيراً ما سمع يقول . . . « إن كل ما آمل فيه شيء واحد ، وهو أن يفقد الألمان في حربهم في الشرق ، الكثير من ريشهم » . وقد اتضح موقفه هذا

 <sup>(</sup>١) كان موسوليني قد أصر أيضاً على إشراك حملة إيطالية مع القوات الألمانية في غزو إنجلترا؛ في عام ١٩٤٠. وكانت إيطاليا قد عرضت عشر فرق وثلاثين سرباً من الطائرات « تلبية لرغبة الدوتشي الملحة »
 ١٩٤٠ وكانت إيطاليا قد عرضت عشر فرق وثلاثين سرباً من الطائرات « تلبية لرغبة الدوتشي الملحة »

أثناء طوافه بالجبهة الشرقية . وعندما استعرض فرقة تورين التي يقودها الجنرال ميسي ، انزعج آيما إزعاج ، لرؤيته الرجال نظيفي الثياب ، حليقي اللحي ، وهم يمرون به في شاحناتهم المصادرة من الروس ، والتي تسير فوق الطرق التي تغطيها الرحول . ولم يستطع إخفاء خيبة أمله ، في أن هتلر لم ير فيهم المحاربين الذين تركت المعارك آثارها في وجوههم وأجسادهم . وكان الجنود الألمان يبدون على النقيض من ذلك جفاة غلاظاً ، وعندما مضى هتلر إليهم يحدثهم ويثير ضحكهم بالنكات التي يطلقها ، والتي يصغون إليها بدافع الواجب ، كان موسوليني يظل واقفاً على مناى متحدثاً إلى الماريشال و فون رونشتادت . وكثيراً ما اشتكا فيما بعد إلى الفيرى بشيء من المرارة بقوله . . . و كان في وسع هتلر ، أن يأخذني معه وهو يتحدث بشيء من المرارة بقوله . . . و كان في وسع هتلر ، أن يأخذني معه وهو يتحدث عن روح الجندية وهو يتحدث إلى رجاله ؟

وأراد في وقت لاحق من ذلك اليوم أن يظهر لهتلر أنه يستطيع أن يفعل شيئاً لا يستطيع هتلر أن يفعله ، فمضى إلى باور قائد طائرة هتلر الخاصة ، وبعد أن تحدث إليه بعض الحديث وطرح عليه بعض الأسئلة عن الطائرة التي كان يستقلها مع الفوهرر ، أعرب عن رغبته في أن يتولى قيادتها بنفسه . وعندما مضى إلى هتلر ، يسأله إذا كان يستطيع قيادة الطائرة ، تطلع الفوهرر إلى من حوله بقلق ، فهو لا يريد أن يوفض طلب ضيفه ولكنه يود أن يجد أحد مرافقيه علراً لرفض الطلب دون أن يجرح عواطف الدوتشي . ولح باور نظرة زعيمه فأحنى علراً لرفض الطلب دون أن يجرح عواطف الدوتشي . ولح باور نظرة زعيمه فأحنى رأسه ، مشيراً إلى أنه فهم قصده وأن في وسعه أن يطمئن . ووافق هتلر آنذاك على أن يتولى الدوتشي قيادة الطائرة ، ولكن هتلر ظل بقية الرحلة معلقاً أنظاره بظهر باور ، ليطمئن ، وخيل لالفييري أن انتباه هتلر لم ينصرف لحظة واحدة عن النظر بلور ، ليطمئن ، وخيل لالفييري أن انتباه هتلر لم ينصرف لحظة واحدة عن النظر

وصدرت على إثر انتهاء الزيارة بلاغات رسمية حددت فيها دول المحور أهدافها الحربية ونظامها الجديد لأوربا ، كرد على ميثاق الأطلسي الذي كانت بريطانيا وأمريكا قد أصدرتاه مؤخراً ، وضمن موسوليني هذه البلاغات قدرته كطيار إذ قال لسفيره الفييري ، وهو يوجهه بالبيانات اللازمة لوكالة ستيفاني الإيطالية الرسمية

للأخبار ، . . . ه وفى وسعك أن تضيف حسب تقديراتى أننى قطعت ٣٣٠٠ ميل فى القطار و ١٢٥٠ ميلا فى الجو وسبعمائة ميل باسيارة . ولعلك تتبين أن فى وسعى أن أقوم من جديد بنفس الرحلة » .

ويقول الفييرى . . . وكان وجهه ينطق بالابتسام ، وهو يحدثني بهذا الحديث ، ويتفرس في بشيء من الرضي الصبياني a .

لكن هذه الزيارة لهتلر ، كانت الأخيرة في زياراته السعيدة . في مستهل يناير من العام لتالى ، وصل جورنج إلى رومة ، وقد ارتدرى كما قال تشيانو « معطفاً «رائعاً من فرو السموّر ، هو وسط بين ما كان يرنديه راكبو الدراجات النارية في عام ١٩٠٦ وبين ما ترتديه عاهرات الدرجة الأوبي في أيامنا هذه : « وقد اقتر ح أن يقوم موسوليني برحلة أخرى إلى ألمانيا . وكان هتلر يريد أن يبعث في الدوشي روحاً جديدة ، بعد أن فقد الكثير من معنوياته في تلك الأيام الحزينة من ذلك الشتاء ، فدعاه إلى شلوس كليشام . ودون تشيانو في يومياته ، وصفاً حانقاً لهذا الاجتماع فقال . . . وكان هتلر يتحدث ويتحدث ويتحدث . وكان موسوليني يعانى الكثير من ذلك ، فقد ألف هو نفسه على أن يكون المتحدث دائماً وأن يصغى الآخرون إليه ، ولكنه يجد نفسه مضطرًا الآن للإصغاء . وحل اليوم الثانى ، وكان الحديث قد نضب بينهما ، وما كادا يتناولان الغداء ، حتى انطلق هتلر من حديد يتحدث لمدة ساعة وأربعين دقيقة بلا انقطاع . ولم ينس في حديثه أي موضوع من المواضيع ، إذ تناول الحرب والسلام والدين والفلسفة والفن والتاريخ . وظل موسوليني يرقب ساعة يده ، متطلعاً إليها بين الفينة والأخرى . وكنت مشغولاً في بعض القضايا التي تهمني ، بيها كان كافالبرو وحده . وهو فريد في استخذائه وتبعيته ، يبدو مصغياً لكل كلمة يقولها هتلر بشغف ، يوبئ برأسه بعلامات الموافقة والتأييد . وكان الألمان على أي حال أشد خشية منا من هذه المحنة التي يعانونها ، فقد تحتم على هؤلاء المساكين أن يحتملوها فى كل يوم ، ولست أشك فى أنهم لم يحفظوا عن ظهر قلب كل كلمة يقولها ، وكل إيماءة تصدر عنه ، ووقفة يقفها . وظل الحرال يودل يكافح طويلا قوة احماله ، ثم أغرق في سبات عمين على مقعده . أما كايتل فقد ظل يتثاءب ولكنه أفلح في مقاومة الإغفاء ، .

وراح هتلر بعد ذلك يقارن نفسه بنابليون ، ثم أسر إلى الدوتشي بأنه يعيش ه في حمى العناية الإلهية ، وعلق موسوليني وهو في طريق العودة إلى إيطاليا على كل ذلك بقوله . . . « لا أدرى حقاً ، لم طلب منى الفوهرر أن أمضى للقائه » .

وكان في وسعه بعد ثلاثة أشهر أن بوجه مثل هذا السؤال بالنسبة إلى كافاليرو هذه المرة . وكان قد انقضى أكثر من عام عليه ، وهو ينتظر فرصة مواتية لزيارة أفريقيا الشالية ، إذ أصدر أوامره إلى الجنرال كافاليرو ، بأن يبرق إليه مستدعياً إياه بعبارة واحدة ، عندما يصبح على يقين من أن الجيش الإيطالي قد شرع في زحف سيوصله إلى قناة السويس . ووصلت البرقية في السابع والعشرين من يونيو ، عندما كان الأمل سائداً في أن هجوم رومل المضاد الذي دحر البريطانيين إلى ما وراء حدود مصر ، سيستمر في قوته والدفاعه . ولكن عاصفة جوية حالت دون رحيل موسوليني لمدة يومين ، وعندما وصل أخبراً إلى ليبيا كان البطء قد حل محل سرعة الزحف ، ليتوقف أخيراً عند العلمين (١١) واشتد سخطه على القائد العسكري الذي عرضه لهذه السخرية ، إذ استدعاه إلى الجبهة في مرحلة غير مواتية ، كما وقع عند غزو اليونان ، وقضى ثلاثة أسابيع تعيسة فى ليبيا يطوف فيها مؤخرة الجبهة ومعه عدد من الجنرالات الإيطاليين الذين هبطت معنوياتهم ، محاولا تشجيعهم بالرعود يغدقها عليهم ، في أن كل جهد ممكن سيبلل ، الوصول بالمؤن عبر البحر الأبيض المتوسط ، وأن قافلة بحرية لابد وأن تعبر البحر عما قريب . وأكد لهم أن الحطط تعد الآن لاحتلال جزيرة مالطة ، وآنداك ستظل الطرق البحرية مفتوحة على مصراعيها ، لكن سامعيه لم يستطيعوا إخفاء شكوكهم في صحة ما يقول .

وعاد موسوليني إلى رومة فى العشرين من يوليو عام ١٩٤٢ . وكان ببدو فى غاية الإجهاد والمرض . وأعلن بيان رسمي أن ما أصابه من إجهاد نتيجة الواجبات التي يؤديها قد عرضه للإصابة بالإسهال الأميبي . ونقل إلى دارته الريفية فى روكاديل كامنياني ، وسرعان ما انتشرت الشائعات ، فى رومة بأنه نقل إلى هناك نميوت فى دارته . وقال أحد وزرائه . . . « من المحتمل أن يكون فى طريق الموت ،

 <sup>(</sup>١) بين موسوليني في كتابه و قصة سنة ي الذي أعده بعد عامين ، أن الثامن والمشرين من يونيو
 عام ١٩٤٢ ، كان نقطة التحول في الحرب ، وفي تاريخ حياته .

ولكن لا بفعل الإسهال (الدوزنطاريا) ، فهذا مرض مألوف لا يقتل ، وإنما بفعل ما أصابه من إذلال » .

وكان تشخيص هذا الوزير معقولاً . فقد مضى إلى ليبيا تستثيره آمال النصر في أفريقيا الشهالية ، حتى إنه شرع في إعداد تفاصيل خطته للحكم العسكري الإيطالي ــ الألماني في مصر ، ثم وجد نفسه يواجه وضعاً لم يستطع حتى كافاليرو المغرق في تفاؤله وثقته إلا أن يصفه « بالخطورة » . ووجد نفسه مضطرًّا أيضاً إلى تقبل فكرة التخلى عن الخطط الموضوعة لاحتلال مالطه ، بعد أن أبلغه هتلر أن تنفيذها بنجاح بات مستحيلا بسبب هبوط الروح المعنوية الإيطالية هبوطاً كبيراً . وكان عليه أن يقبِل بخفض كبير في شحنات الفحم والزيت من ألمانيا ورومانيا ، إلى بلاده ، إد أن الحكومة الألمانية لم تعد ميالة إلى تسليم ٥ الزيت النمين إلى أيد سيئة » على حد تعبير أحد الملحقين في السفارة الألمانية في رومة ، بالرخم من كل ما في تعبيره من قسوة وخشونة . وتحتم عليه مع مضى أيام تلك السنة ألقاسية ، أن يقرأ وأن يسمع تفاصيل قيام الوحدات الألمانية بمصادرة وسائل النقل على الجبهة الشرقية لاستخدامها في نقل قواتها المراجعة محلفة وراءها ، الوحدات الإيطالية ، لتتراجع وسط الثلوج مشياً على الأقدام . وكان عليه أيضاً أن بواجه الحقيقة الواقعة ، وهي أن الألمان لم يشرعوا في فقد ثقتهم في عزيمة الإيطاليين على الحرب فحسب ، بل وأخذوا يقومون بالخطوات الفعلية أيضاً لحماية أنفسهم من النتائج المحتملة لأنهيار إيطاليا . وقد عين الملحق العسكري الألماني في رومه و ضابط ارتباط ، لدى القيادة العامة الإيطالية ، كما وصلت عدة وحدات ألمانية إلى إيطاليا محجة «التدريب» ، وأوفد الماريشال كيسارينج إلى إيطاليا ليصبح قائداً أعلى في الجنوب . وكانت هناك أيضاً أنباء مزعجة عن تشكيل خلايا ألمانية في المدن الإيطالية الكبيرة ، وعن خطط تعد لاحتلال البلاد عسكريًّا ، وعن إقامة حكومة تابعة من « الدى » برئاسة روبروفاريناتشي ذي الميول الموالية للألمان والعبد لإرادتهم .

وأخذت العلاقات تسوء بين ألمانيا وإيطاليا شهراً بعد شهر . وكانت هناك مواضع عدة أثارت تذمر موسوليني وشكاواه ، ومنها معاملة العال الإيطاليين

السيئة في معسكرات العمل الألمانية ، وتذمر الشعب الإيطالي من تصدير عدد كبير من الروائع الفنية الإيطالية إلى الرايخ ، ورفض الإيطاليين أن يكونوا على حد تعبير جوبلز أكثر من مجرد 1 مفرطين في التراخي ٤ ، واستياء الألمان من « معاملة الإيطاليين لليهود » ، وتردد هتار المستمر في الموافقة على اتباع سياسة أكثر تشدداً مع فرنسا ، التي كانت ممتلكاتها في البحر الأبيض المتوسط ، تؤلف مصدراً مستمرًا من مصادر الاحتكاك في العلاقات بين دولتي المحور . وكان موسوليني يكثر من القول بأن ألمانيا اتبعت سياسة بعيدة عن الذكاء تجاه فرنسا لأنها لم تقم ٥ باحتلالها كلها وقت الهدنة ، . وكانت هناك أيضاً شكاوى دائمة ومتزايدة من جانب الألمان ولا سيما من جانب جورنج ، الذي كانت أقواله تثير غضب موسوليني ، ثم ما لبث أن تبناها هتلر الذي ضمنها رسائله الحطية ، مؤكداً أنه لو لم تهاجم إيطاليا اليونان ، للخلت أسبانيا الحرب ، ولسقط جبل طارق في أيدى المحورُ . ولا ريب في أن جميع هذه الحلافات خلقت توتراً في العلاقات بين البندين ، وهي العلاقات التي لم تكن في يوم ما منسجمة ، مما يؤدي إلى اقتناع موسوليني في النهاية من أن استمرار الأمور على هذا النحو سيؤدي إلى أن تجد إيطاليا نفسها ه في حالة حرب مع الألمان تنفيذاً لإملاءات الشرف والواجب التاريخي ۽ . وأصبحت مثل هذه الاقوال مألوفة من جانب موسوليني . فقد أضحى يثور على الألمان الذين سرت إليهم عدوى ، جراثيم الأنهيار، ، لما يقومون به من « أعمال بربرية تخلو من كل منطق وعقل » ، وعلى شعبه هو لما يظهر فيه من ه رحمة مستخذية ، وأصبحت ثوراته هذه المشيرة إلى مزاجه السبئ ، شيئاً مَّالُوفَا ، تَمَاماً كالتحولات في طبيعته ومزاجه . فهو ينتقد في أحد الأيام فرانكو على نكرانه للجميل ، ليعود فيطريه في اليوم النالي على صموده في وجه الضغط الألماني . وهو يتحدث في المساء ، بكثير من التشاؤم مطلقاً نبوءاته السوداء عن سير الحرب ، ليعود في الصباح فيقبل التأكيدات التي تصدر عن مستشاريه الأكثر طمأنينة وثقة ، وليتحدث كما قال تشيانو «في شكل ينبض بالتفاؤل ، عن الانتصارات ، واحبالات الهجوم ، واستعادة الموقف في أفريقيا ١ . ولم يعد ذلك الإنسان الحائر ، في أفكاره فحسب ، بل بات ذلك الإنسان الذي يقف مواقف غير مستقرة عن وعى وتصميم . فقد هدد بالحرب ضد ألمانيا ، ولكنه عاد بعد بضعة أيام فأكد تصميمه على السير مع ألمانيا جنباً إلى جنب حتى النهاية ١ . وهو يرى فى رومل حيناً إنساناً ٤ مجنوناً » ، ولكنه لا يلبث أن يراه فى وقت آخر ، وأحد عظماء قادة العصر العسكريين » .

ولم يعد موسوليني يظهر بصورة عامة بعد صيف عام ١٩٤٢ إلا فيا ندر . وكان الناس ينظرون إليه ، إذا ما ظهر أمامهم بكثير من العطف المندهل ، وكان لا يزال يدفع فكه الأسفل إلى الأمام إذا ما وقف أمام المصورين ، ويفتح عينيه على سعهما ، لكن وجهه كان قد فقد تلك الحيوية التلقائية التي جعلت منه في يوم ما وجها بأسر المتطلع إليه . وكان سمر ويلز قد وجد فيه قبل ثلاث سنوات رجلا ويبدو أكبر من عمره الحقيقي وهو ٥٦ عاماً ، بخمسة عشر عاماً على الأقل . فهو دائم التفكير وقد تعول إلى الجمود من الحركة والحيوية . وبات متثاقل الحطي كالفيل ، وكأنه يبدل جهداً ضخماً في كل خطوة يخطوها . وكان الترهل قد صاحب بدانته ، وبدت التجاعيد في وجهه ، أما شعره القصير فقد أصبح أبيص كالثلج ٤ . وبعد شهر من زيارة ويلز ، أصيب السكرتير العام الجديد الحزب كالثلج ٤ . وبعد شهر من زيارة ويلز ، أصيب السكرتير العام الجديد الحزب الفاشي ، ايتوري موتى باللهول من صورة الإجهاد وكبر السن في وجه الدوشي . ولحق القلق بتشيانو أيضاً ، لكن هذا كان يعزى نفسه بالتصور بأن الحالة التي يعانى مها الدوتشي ، مؤقة لا تلبث أن تزول .

ولكن تشيانو كان جد مخطئ في رأيه . فني صيف عام ١٩٤٢ ، كانت سنتان من الحرب . قد ألحقتا الأنهيار بحالة موسوليني الصحية ، حتى أن أحد أطبائه ، بدأ يشك في احتمال بقائه أمداً طويلا على قبد الحياة . ورأته إحدى السيدات في دارة تورلونيا في نهاية ذلك الصيف فقالت . . . « لم يعد الدوتشي يبدو إنساناً حقيقياً على أي حال . إنه صورة كاريكاتورية لما كان ، بل جثة الكاد تكون هامدة » .

القسم الشالث سقوط العملاق

## الحرب تسير سيراً سيثاً من ٢٣ أكتربر ١٩٤٢ إلى ٢٣ يناير ١٩٤٣

و القدر . . . إن الساسة لا يتحدثون عنه إلا عند ما يخطئون . . . »

عندما حل خريف عام ١٩٤٢ ، وكان قد انقضى أكر من عامين على الحرب الكربهة ، كانت المعارضة الألمان ولعهد الفاشى ، قد انتشرت فشملت إيطالبا كلها . وتكاثرت الاعتقالات اليومية المثقفين فى رومه وميلان والعمال فى نابولى وصقلية (١) . وانتشرت الإضرابات ، وشرعت الشرطة فى إطلاق النيران فى حالات كثيرة فوق رؤوس الجماهير الغاضبة ، كالطريقة الوحيدة التى تلجأ إليها لتفريق التظاهرات . وبدأ الاشتراكيون فى جنوه والشيوعيون فى جنوه يوزعون المنشورات السرية ويمزقون المنشورات الفاشية المعلقة على الجدران ويضعون علها منشورات تطلب الحرية واسلام . وأخذت الصحف غير الفاشية تؤيد المعارضة بصورة حذرة ، وتلهب مشاعر النقمة عن طريق الإشارة إلى النقص فى التمرين وصفوف المواطنين التى تنتظر التوزيعات ، بالرغم من حظر نشر مثل هذه الأمور إلى أن قامت السلطات بإغلاق عدد منها وبينها صحيفة أوجى . وتم تقنين جميع المواد الغذائية عا فيها الخبز والخضار واللحم والأوز والبيض ، ولم تعد الشرطة تتدخل فى السوق السوداء التى اتسعت بجالاتها وتعقدت وأصبحت عسيرة على السيطرة ، إذ أن الحكومة أصدرت مرسوما يتسم بالعجز قررت فيه دون أبة إجراءات أخرى إذ أن الحكومة أصدرت مرسوما يتسم بالعجز قررت فيه دون أبة إجراءات أخرى خفض أسعار جميع السلم بنسبة عشرين فى المائة .

وبات ألوف الفلاحين في الجنوب في خطر المجاعة ، واضطر الفقراء في طول

<sup>(</sup>١) تجمع المصادر على أن الحكم الفاشى الذى ظل يقبض على ناصية السلطة فى البلاد بيد من حديد نحواً من عشرين عاماً ، بدأ يتقلص ويضعف نفوذه فى السنة الثالثة من الحرب بعد أن الهارت المعنويات الإيطالية من جراء الهزائم التى منى بها الجيش الإيطالي .

البلاد وعرضها إلى المزيد من حزم بطوبهم بعد أن جاعوا ، إلى الثقب الأخير في أحزمهم وقد أطلقوا عليه اسم و ثقب موسوليني ٥ . فقد كانت الحرب ، حربه الحاصة ، وهو الذي قادهم إليها ، وكان هؤلاء الألمان الذين يسيرون في كل مكان وكأنهم جنود قوة محتلة ، أصدقاءه لا أصدقاء الشعب الإيطالي . وهم لن يفعلوا شيئاً لإنهاء الحرب . وهذا ما كان الإيطاليون يحدثون يعضهم بعضاً به ، مكررين نكتة شعبية بلهجة ساخرة ، من أنهم سيحاولون كسيها كآخر إجراء . ولكنهم كانوا في الواقع قد توقفوا عن التفكير في النصر ، وظلو ينتظرون بكثير من الاستسلام المشفوع بالأمل ، وقوع الهزيمة ، مصغين إلى إذاعات لندن وإلى أية المارة قد تصدر عنها .

وتقبل موسوليني هذه الانهزامية وذلك البأس من جانب شعبه كدليل جديد على عدم جدارته بأن يعتبر أكثر من الشعب ثافه لا يصلح لشيء ». وإنه الا يعرف إلا الغناء وتناول المثلجات » . وكان يقول إن إيطاليبي عام ١٩١٤ كانوا أحسن منهم ، لكنه لم يكن قادراً على أن ينكر أن هذا كان نتيجة للعهد الذي أقامه . أما الجيش الخلا نفع فيه » ، وأما قادته ، فجميعهم من المشلولين » . ولم يكن أمراء البحر أحسن من قادة الجيش حالا . أما البورجوازيون فهم في الحقيقة امنحلون وأنانيون » وهم المشولين قاطبة » . وبالرغم من أنه كان يسمح لنفسه بمثل هذه الهجمات المتكررة والمتعددة التي يوجهها إلى شعبه . فإنه كان يشور أشد الثورة إذا حاول الألمان تأييد آزائه هذه .

وسلمته مخابراته ذات يوم نص حديث هاتى جرى بين أحد ضباط الأركان فى مقر القيادة العامة للقوات الألمانية فى إيطاليا ، وبين ضابط ألمانى آخر فى برلين ، وصف فيه الأول الإيطاليين بأنهم «شعب المذكرونة» كما أشار إلى وجوب احتلال إيطاليا فى وقت قريب . وانصرمت أيام طويلة ، وهو لا ينفك عن تكوار الهديدات التى دأب مؤخراً على توجيهها ، والتى لم يحس قط بالتعب من ترديدها معيداً على مسامع تشيانو ما سبق له أن قاله له ، من أنه يعد ملفاً عن جرائم الألمان وإهاناتهم ، وإنه وسيستخدمه عندما تحين اللحظة المناسبة » .

وكان في غضون ذلك ، قد قيتد نفسه بالتحدث في كثير من الحالات وفي

المناسبات العامة عن فضائل اليابانيين وانتصاراتهم ، رامياً من ذلك كما هو واضح إلى الاستهانة بألمانيا . وررح فى إحدى خطبه يعلن أنه ه أشد نصير البيابانيين فى العالم » ، ثم أنهى خطابه معلناً « أن جنود إيطاليا واليابان سيسيرون جنباً إلى جنب نحو النصر مع الجيوش الأخرى لدول الحلف الثلاثى » دون أن يذكر اسم ألمانيا . وراح فى مناسبة أخرى يتلو تقريراً تلقاه عن المعاملة السيئة التى يلقاها العمال الإيطاليون فى معسكرات العمل الألمانية ، حيث لا يعاملون كعبيد أرقاء مكروهين ، ولا يضن عليهم بأى مظهر من مظاهر الحفاوة فحسب ، بل وحيث يجلدون فى حالات كثيرة عقاباً على النمرد أو الكسل، ويوكل إلى الكلاب الشرسة بمراقبتهم ، حالات كثيرة عقاباً على النمرد أو الكسل، ويوكل إلى الكلاب الشرسة بمراقبتهم ، كرهاً دائماً فى صميم فؤادى . . . « ولا ريب فى أن مثل هذه الأمور لابد وأن تخلق كرهاً دائماً فى صميم فؤادى . . ولابد لى فى النهاية من تصفية الحساب . فقد انتظر هذه التصفية سنوات طويلة، ولكننى لن أسمح لكلاب « الهون » (١) المتعطشة للدماء ، هذه التصفية سنوات طويلة، ولكننى لن أسمح لكلاب « الهون » (١) المتعطشة للدماء ، باغتراس أبناء ذلك الشعب الذى وهب الإنسانية قيصر ودانتي (٢) وميشيل انجيلو » .

ولم يقدم احتجاجاً مباشراً إلى الألمان على هذه المعاملة على أى حال ، مؤثراً الاعتاد على عادة الألمان في الاستاع إلى المحادثات الهاتفية بين رومة وبرلين ، إذ ظل سنوات طويلة يرى في هذه الطريقة الأسلوب المقبول لنقل شكاواه إلى ألمانيا . وأصدر تعلياته إلى تشيانو بأن يثير الموضوع مع ماكنزن ، السفير الألماني ، وكأنه يقوم بذلك من نفسه ، ودون أية أوامر من الدوتشي الذي يجب ، اعتباره وكأنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع » . ولا ريب في أن هذا التردد في التدخل شخصياً كان طالع ذلك الموقف العقلي الذي وقفه من الألمان ، والذي أنزل الكوارث المفجعة بإيطاليا . فهم في رأيه « برابرة أفظاظ » ، يحاولون أن يتسلطوا على إيطاليا لتنفيذ أهدافهم ، وهم الآن كما كانوا في عام ١٩٣٦ من من إيطاليا ، ولا يتركون لها إلا العظم » ، بل هم « نصابون لا يوثق بهم » ، وعليهم من إيطاليا ، ولا يتركون لها إلا العظم » ، بل هم « نصابون لا يوثق بهم » ، وعليهم أن يذكر وا الإيطاليين وشأتهم . وكثيراً ما سمع وهو يقول . . . « عايهم أن يذكر وا

<sup>(</sup>١) قبائل الهون من قبائل الجربان البرايرة وهو اسم يطلق على الأسان .

 <sup>(</sup>٢) داني المجيري – شاعر إيطالها المشهور وصاحب الكوميديا الإلهية .

أننا فقدنًا إمبراطورية بسببهم . وهناك شوكة تحز في فؤادى، فقد أضعنا إمبراطوريتنا بيها ما زال الفرنسيون المهزومون يحتفظون بإمبراطوريتهم . وقد نكون راغبين في إعطاء الألمان قمصاننا ، ولكنهم يريدون حيى جلودنا ». وكان يعترف في مجالسه الحاصة بأن الأمل الوحيد لإيطاليا يقوم في حل وسط للحرب يقوم على التفاهم ، فينقذ استقلال إيطاليا ، عل أن تكون الحرب طويلة إلى الحد اللي يجهد الألمان ويقطع أنفاسهم . ولكن بالرغم من هذه الأحكام القاسية ، وتلك الحملات المقذعة التي كان يوجهها إليهم ، فقد ظل يحمل لهم شيئاً كثيراً من الإعجاب الطاغي . وكان يغار كل الغيرة من انتصاراتهم العسكرية ، حتى إنه كان لا يخبى سروره عندما سمع بنكسة ألمانيا على الجبهة الشرقية ، وكان يخشى من أن يعطيهم مجالا للإدلال عليه بكبريائهم ، مما منعه حتى من أن يوجه إلى هنار رسالة تنطوى على الدلة ، يطلب فيها بعض القمح الذي يعينه في إطعام الملابين من شعبه الجائع . وكان يثور لكل نبأ جديد يصله عن استبدادهم وقسوبهم ولا سيما فى منطقة (الادبج) على ساحل الادريانيك بحيث توقع «صداماً حتمياً بين إيطاليا وألمانيا» ولكنه بالرغم من ذلك كله ، ظل يدعن لما في سلطانهم وقوتهم من جاذبية طاغبة ، وكان لا يخْنَى إعجابه بكفايتهم وحزمهم ، إذا ما اجتمع بقائد أو دبلوماتى ألمانى أو كان فى حضرة زعيمهم هتلر .

ولم تمض ساعات على اجتماعه بالماريشال كيسلرنج ، القائد الألمانى العام فى ايطالبا ، حتى كان يتحدث عن جنرالاته بكثير من الامتهان والازدراء . وكان لا يحب إلا واحداً منهم ، على حد قوله ، وهو ذلك الحنرال الذى تحدث إلى جنوده فى ألبانيا بقوله . . . « نمى إلى مسامعى أنكم رجال طببون من أرباب الأسر . وهذا حسن هناك فى الوطن ، أما هنا فلا . وليس فى وسعكم هنا أن تغرقوا فى أعمال السرقة والقتل والاعتداء على الأعراض ، وراح موسولينى يعلن وهو فى دروة غضبه وهياجه . . . « وسأجأ أيضاً إلى أسلوب الرهائن ، . وقال إنه أصدر أوامره بأن يقتل إثنان من الرهائن مقابل كل إيطالى يجرحه الثوار الكرواتيون . وأن يقتل عشرون من هؤلاء للرهائن مقابل كل إيطالى يتجرحه الثوار الكرواتيون . ما قال تشيانو ، إنه عاجز عن تنفيذ هذا الوعيد . فهو يتوعد دائماً بالقتل والعقاب ، كما قال تشيانو ، إنه عاجز عن تنفيذ هذا الوعيد . فهو يتوعد دائماً بالقتل والعقاب ،

ولكنه لا يتجاوز في الواقع حدود الوعيد .

وراح في تصميمه الأكيد على أن يجعل من شعبه قساة منضبطين وأقوياء وصابرين على الألم كالألمان ، يتبع إجراءات اعتبرها الإيطاليون في منتهى السخف . وكان راضياً عن تعرض مدينة نابولي ، كما قال ، لعدد كبير من الغارات الجوية ، إذ أن هذه الغارات ستشد من أزر الجيل الجديد وتقوى عزائمه ، وتعجعل من أهل نابولي ، عنصراً ﴿ نُورِدِياً ﴾ (١) ، وراح يصدر أوامره ، بإطلاق صافرات الإنذار من الغارات الجوية في مدينة رومة أيضاً ، في كل مرة تتعرض فيها نابولي لغارة فعلية ، وأن تغتنم أجهزة الدفاع أول فرصة الإطلاق نيران المدافع المضادة للطائرات ، لتوهم أهل رومة بتعرضهم للخطر ، فتجعلهم يعيشون في جو من الإثارة والخوف والمسرحية . وسرعان ، ما راح يعلن وقد وضع هذه الغايات نصب عينيه ، عن صلاح فنات أخرى من المدنيين للتعبئة العامة ، وعن فرض عقوبات أقسى على الجرائم السياسية والأخطاء العسكرية . وصدر الأمر للصحف بأن تنشر دون اكتراث بالحقيقة أو تحر عنها ، أنباء تؤدى إلى الهاب المشاعر الوطنية والولاء للفاشية والكره للعدو . وكان يقول لتشيانو إن هتلر لجأ إلى استعارات ضخمة للتأثير على الناس كتصويره « روزفلت بالحمار » . وإذا كان الألمان يشحنون بلاغاتهم الرسمية بالأكاذيب ، فمن حقه هو أبضاً أن يفعل ذلك . وقد أقدم على الكذب دائماً . في اليوم الذي هاجم فيه الأسطول البريطاني أسطول إيطاليا المحارب في الحادي عشر من نوفير عام ١٩٤٠ في ميناء توريتو ، معطلا عن العمل نصف وحداته وبينها البارجة الجديدة و ليتوريو ، صدرت الأوامر إلى الصحف الإيطالية بالتقليل من قيمة هذه الهزيمة الساحقة ، وأن تنشر عوضاً عن ذلك تعليقات خيالية عن الغارة الحوية التي قام بها السلاح الحوي الإيطال ، بإلحاف من موسوليني في نفس اليوم على قافلة بحرية بريطانية في ٥ ميدواي ٥ ، وهي الغارة التي لم تلحق في الواقع كبير إذى بالقافلة ، وكلفت الإيطاليين ثماني طائرات من قاذفات القنابل ، وخمس طاثرات محاربة ، وكانت الغارة الأولى والأخيرة ، التي قامت بها

 <sup>(</sup>١) العنصر «النوردى» هو العنصر الشهالى فى أوربا ألذى يمت إبيه الألمان ، والذى جعله هتلر
 فى المرتبة الأولى فى فلسفت العنصرية .

الطائرات الإيطالية على بريطانيا . وعندما هبطت سرية من المظليين الإيطاليين ق إحدى جزر البحر الأيونى ، لا يزيد عدد أفرادها على مائة وخمسين رجلا ، واحتلت الجزيرة ، أمر موسوليني بأن يتضمن البلاغ الرسمى القول بأن فرقة إيطالية قد هبطت في الجزيرة .

لكن الإيطاليين لم يتأثروا على أى حال بمحاولات الدوتشي تضليلهم ، وصياغتهم في شكل الشعب الذي يريدهم أن يكونوا فيه ، وإرغامهم على الظهور بخصائص ليست لهم على الإطلاق . وبدأ موسوليني مع مرور الشهور ، واستطالة الحرب ، وتبين استحالة النصر ، يفقد بيطء ولكن باستمرار ، تأييد حتى أولئك الذين تقبلوا بحماسة في البداية إعلانه الحرب ، وغفروا له الكوارث التي حلت ببلادهم في السنتين الأوليين . وكان الناس لا يزالون يهتفون له طبعاً ، إذا ما رأوه في بعض الحالات النادرة الآن ، وكانوا لا يزالون يتحدثون عنه بشي من الإعجاب ، ويعاملونه بذلك الإجلال الذي يحمل طابع العبادة والذي بات يعتبره حقاً من حقوقه، لكن تلك التلقائية في التفاني وذلك الطغيان في الإعجاب اللذين تحكما في شعب بأسره تلك المدة الطويلة ، كانا قد ذهبا الآن إلى غير رجعة . فقد بات الهتاف بأسره تلك المدة الطويلة ، كانا قد ذهبا الآن إلى غير رجعة . فقد بات الهتاف آلياً ، وبات الإجلال إكراهياً لا طوعياً .

وكانت ثمة أسباب أخرى ، غير الحرب المقيتة والتحالف الكريه مع الألمان هي التي أدت إلى هذا التطور .

فقد بات موسوليني الآن مريضاً للغاية . ولم يعد منظره متألقاً ونابضاً بالحركة كما كان دائماً . وكان قد فقد القسم الأكبر من حيويته السابقة التي لا تعرف الكلل ، ولم يعد مزاجه الدائم التقلب ، مجرد أمر عارض بل غدا صورة للشرود والحيرة . ويقول أعداؤه إن مرض الزهرى الذي كان يعانى منه هو السبب في هذا ، إذ أنه لم يعالج منه معالجة صحيحة في شبابه ، وكان قد دخل الآن مرحلته النهائية ، عدئاً عده حالات من الهياج المحموم ، والهيوسة . ويقول جيوسيبي بوتاى ، وزير التربية الوطنبة إنه سمع في تلك الأيام من الماريشال بالبو قوله إن موسوليني وزير التربية الوطنبة إنه سمع في تلك الأيام من الماريشال بالبو قوله إن موسوليني وثمرة من ثمار مرض الزهرى ، وإنني كنت أعارضه رأيه هذا . وإني لأتساءل الآن ، عما إذا لم يكن حكمه هذا صائباً وصحيحاً ، أو قريباً من الحقيقة على

الأقل . فقد انحطت قوى الدوتشى البدنية والفكرية . ولم تعد شخصيته تستهوينى . إنه لم يعد رجلاً نشيطاً . وكل ما بنى منه ادعاؤه وطموحه ، ورغبته فى أن يعجب به الناس ويتملقوه ، ويخدعوه » .

وعندما حل شهر أكتوبر عام ١٩٤٢ ، لم يكن موسوليني يسير في طريق الانهيار فحسب ، بل وكان يشكو آلاماً مبرحة ، وكان طبيبه الدكتور بوزى ، يقم إلى جانبه باستمرار إما في دارة تورلونيا أو في روكاديل كاميناتي . فقد عادت الجراح التي أصيب بها في عام ١٩١٧ إلى التفتح من جديد . يضاف إلى هذا أن القرحة التي كان يعاني منها دون انقطاع منذ سنوات . أصبحت تؤله أشد الألم ، حتى بات من المتعذر عليه في كثير من الحالات ، وهو في مقابلاته الرسمية ، أن يجلس هادئاً ، فكان يستدير بمقعده ، ووجهه ينطق بالألم المبرح ، وكثيراً ما اضطر إلى وضع يده على فه لبخنتي صبحة مكتومة من الألم الشديد . وروى كونيتو نافارا حاجبه الشخصي في قصر البندقية أنه كثيراً ما استسلم لأله ، فراح يقذف نفسه على الأرض . متقلباً عليها ذات اليين وذات الشهال ، يئن أتيناً صارخاً . ولم يكن في وسع أحد أن ينكر عليه شجاعته الشخصية ولكنه لم يكن ذلك الشخص المدى غني ألمه ، دون شكوى ، وقد أكب الآن ويصورة متزايدة على الاعتاد على العقاقير المخدود ، والحقن المسكنة للألم ، التي دأب الدكتور بوزى على إعطائه العاها .

وكتبت إيدا تشيانو في نهاية شهر سبتمبر إلى زوجها في وزارة الخارجية تقول ... هذا تعرف أي معنى النكتة أبداً ، فهى تقول وتفعل أشياء في منتهى الغرابة . لكن هذا ليس على أي حال ، السبب في هذه الرسالة التي أبعث بها إليك ، إن والدى مريض للغاية . فهو يشكو من آلام المعدة التي لا تطاق ، ومن الهياج لأي سبب ، والانحطاط في الجسم وغير ذلك من العلل . وترسم والدتي صورة قائمة ، وأنا أعتقد أنها القرحة القديمة عادت إليه ثانية ، فحياته الخاصة في السنوات القليلة الأخيرة ، تبعث المرء على القلق من آثارها . حسن . علينا أن لا نتحدث عن هذا . وقد أخذوا له مجموعات من الصور بالأشعة ، ولكها كانت سلبية جميعها . ومع ذلك فهم لا يستدعون إخصائياً . . . أرجوك أن تفعل شيئاً . . . يضمن فحص والدى

فحصاً صحيحاً . أرجو أن تتصل بوالدتى وأن تساعدها . ولم تتعد الإجراءات التى اتخذت حتى الآن حدود الكفر والشتائم .

واستدعى الأستاذ سيزار فروجونى ، وهو من أشهر أطباء إيطاليا أخيراً لفحص اللهوتشى ، وجاءت نتيجة فحصه مماثلة لرأى ابنته ايدا ، وهى وجود قرحة فى الاثنا عشرى . وسرعان ما فرضت عليه حمية قاسية لا يتناول فيها إلا السوائل ، فأصيب بفقر اللهم (الأنيميا) . وعثر أحد الحدم ، عليه فى مايو عام ١٩٤٣ وهو يتلوى من الألم على أرض غرفته فى روكاديلا كاميناتى ، فهرع إلى غرفة زوجته راشيل صارخاً . . . « إن الدوتشى يموت » . وجاء الدكتور بوزى على الفور ، وأبلغ الزوجة بأن على الدوتشى أن يبقى فى فراشه وأن يستريح . ونصح باستدعاء خبير آخر لاستشارته بالإضافة إلى الأستاذ فروجونى والأطباء الثلاثة الآخرين الذين استدعوا لميادته . لكن راشيل كتبت فى يومياتها تقول . . . « إن فكرة استدعاء عدد كبير من الأطباء تخيفنى » . وكان الواحد منهم يناقض الآخو على أى حال كبير من الأطباء تخيفنى » . وكان الواحد منهم يناقض الآخو على أى حال وكان فروجونى الذى شخص المرض فى البداية بأنه نتيجة قرح فى الاثنى عشرى وكان فروجونى الذى شخص المرض فى البداية بأنه نتيجة قرح فى الاثنى عشرى وكان فروجونى الذى شخص المرض فى البداية بأنه نتيجة قرح فى الاثنى عشرى وكان فروجونى الذى شخص المرض فى البداية بأنه نتيجة قرح فى الاثنى عشرى المهمال الحاد » هو الذى يعقد الحالة الصحية . وعاد فأعرب عن رأيه فى أن الدوشى يعانى من حالة سرطان متقدم ، لكن الأستاذ سيزار بيانشى ، عارضه الدوشى يعانى من حالة سرطان متقدم ، لكن الأستاذ سيزار بيانشى ، عارضه على الفور فى رأيه .

لكن تشيانو وفيتوريو نجل موسوليني الأكبر كانا يعرفان السبب الحقيق في المرض ، وأنه مرض ناتج عن حالة عاطفية (١) . فبالرغم من أن الدوتشي كان ينام نوماً ثقيلاً ، فإنه كان يقضي أيامه في حالة دائمة من القلق ، والهياج . ولم يكن من المنتظر أن يهدأ له بال ، أو يقر قرار ، طالما أن الحرب تسير سيراً سيئاً لإيطاليا . وكان كلما وصلته أنباء كارثة جديدة في أفريقيا الشمالية وفي البحر

<sup>(</sup>۱) نشرت صحيفة افانتي الإيطالية في شهر مايو عام ١٩٤٥ مقالا أخت فيه ضوءًا على حقيقة مرض موسوليني ، كتبه شخص يدعى استونى ، ذكر فيه أن الطبيب الذي قام بتشريح جثة موسوليني بعد موقه ، ثم يجد إلا أثراً بسيطاً لبقايا قرحة . أما قلبه وشرايينه فكانا في حالة سليمة . ولا ريب في أن معرفة أحوال غدده تحسر النقاب كثيراً عن حالته الصحية . « المؤلف »

الأبيض المتوسط ، كان يصاب بنوبة عاطفية حادة ، وهو بحمل على الجيش الذي يحارب ﴿ بهدوء المحترفين وعدم اكتراثهم ، لا بحدة المتعصبين وإيمانهم ١ وعلى الأسطول الذي كان يتوقى إلى أن يبعث إليه برسالة كتلك الى بعث بها تشرشل إلى اميرالاته ، ، ولكنه لم يتح له الفرصة لكي يفعل هلما في غضون ثمانية عشر شهراً ، وعلى الشعب الإيطالي الذي لم بخلق للحرب كالشعب الألماني أو الياباني والذي لم يكن قد وصل درجة من النضج والاستقرار تكفيه لاحبال مثل هذه المحنة الحطيرة والحاسمة ، ، وعلى الإنجليز الذين أقسم ٥ على كرمهم إلى الأبد ، ، لأنهم أخلوا إمبراطوريته منه ولأمهم قاموا باحتلال الحبشة ، ليثأروا منه شخصياً ، وعلى روزفلت الذي كان يحتفظ له بكراهية تكاد تكون لديه حالة مرضية . وكان يقول دائمًا بحقد دفين . . . ه لم يسبق في التاريخ أن سمحت أمة لمشلول بقيادتها . وقد كان هناك ملوك من الصلع ، أو ملوك على جانب كبير من البدانة أو الجمال أو البلادة ، ولكن لم يكن ثمة قط ملك كان يتكئ على غيره من الناس وهو في طريقه إلى حمامه أو غرفة طعامه ، ، وثار في عيد الميلاد على الهدايا التي ، يستخدمها الأغنياء حجة ببر رون بها حظوظهم في عيون الفقراء ٥. وكثيراً ما ثار أيضاً على الأعياد التقليدية ، فكان يقول . . . وما أهمية عيد رأس السنة على أي حال ، سوى أنه اليوم الذي تم فيه ختان المسيح ، أي الاحتفال بطقس عبري ، جاءت الكنيسة فألغته » . ولماذا يشكو الناس كثيراً من الأمية ؟ فحتى لو وجدت الأمية ، فهل يهم هذا كثيراً ؟ فني القرن الرابع عشر ، كان جميع سكان إيطاليا من الأميين ، لكن هذا لم يحل دون ظهور دانتي الليجييري . والآن وكل من في إيطاليا يجيد القراءة والكتابة ، من لدينا من الشعراء ، إنه الشاعر جوفوني !!!

وقد علق تشيانو بكثير من السخرية فى يوميانه بقوله . . . « كان موسولينى فى الواقع يثور عمى كل شيء وعلى كل إنسان عندما تسوء الأوضاع . وكانت ثورته تصل أحياناً إلى التهجم على الله جل شأنه

وبالرغم من تزايد الميل لديه للقدح بالناس ، فقد غدا موسوليني الآن أكثر خولا ، حتى في تلك الأيام التي تبدو فيها صحته في طريق التحسن . ولم يعد حديثه يتميز بقوة الإقناع وسرعة البديهة ، كما لم تعد تعليقاته الساخرة مثيرة للإعجاب ،

بل مجرد انعكاسات لمزاج سبيُّ . وكثيراً ما ناقض نفسه بنفسه ، وثار لأقل استفزاز ، ودفع نفسه إلى دفقات من النشاط انجهد ، ليعود بعدها فيغرق في سبات طويل من شرود الذهن والتخاذل . وأصبح أكثر تصريحاً بخزازاته منه في أي يوم مضي وقد طرد رجلا ذات يوم من أفراد حاشيته لأنه كان صاحب ذفن ، كان يعتبرها « شيئًا سخيفًا » ، ويعتبرها قناعًا يختني وراءه النصابون والانتهازيون من الدرجة الثانية . ورفض أن يستخدم رجلا آخر لأنه لم يعجب بخطه وكتابته ، وذلك لأنه كان كغيره من الذين يؤمنون بالحرافات يعتقد أن خط الإنسان يدل على شخصيته ، وكان يعتز دائماً بخطه الطبيعي الثابت . وسمعه البعض يقول ذات يوم . . . و أستطيع أن أحكم على خلق إنسان وشخصيته من رؤية خطه ، تماماً كما أحكم عليه من رؤية وجُهه ٤ . وكان يقضى الساعات الطوال مشغلا نفسه بتفاصيل الحملات الدعاثية ، التي كانت في الغااب تافهة وخالية من كل معنى . فهو الذي يقطع بعض الأنباء والمقالات من الصحف الأجنبية التي بقرؤها بافتنان واضح ، وهو الذي يعيد كتابة العناوين في صحف بلاده . ويعيد كتابة المقالات السياسية الخفية العجز ، ويغير أسلوب البلاغات الحربية اليومية ومحتواها قبل إذاعتها ، ساعةً بنشر خبر ومضيفاً إلى أهمية خبر آخر ومقللاً من أهميته وهكذا كان بجهد نفسه في أعمال كان في وسع أي صفى ذي تجربة أو موظف من وزارة الإرشاد القومى أن يقوم بها . وكان كرئيس لتحرير ٥ البوبولو ديتاليا ٥ يسلى نفسه بقطغ بعض الأنباء المسلية ، والكاذبة من الصحف الأخرى و الصاقها على جدار في المكتب تحت عنوان ٥ عمود كريه ٥ ، أما اليوم وكتقليد لهذا الإجراء فقد راح يقضى وقتاً طويلاً في البحث عن الأنباء الكاذبة والغريبة في الصحف الأجنبية وقصها ، تقليداً لما ألفه في السابق - ليأمر بعد ذلك بنشرها في الصحف الإيطالية تحت عنوان « للمود سخيف » . وكان من المعروف عنه قبل الحرب ، أنه كان يصدر نحواً من ستة أوامر في اليوم إلى الصحف موعزاً لها بكيفية التصرف في الأنباء ، أما الآن فقد ارتفع هذا الرقم إلى عشرة أوامر في اليوم على أقل تقديرً .

وكان رجال الصحافة يدعون في الأيام الأولى من الحرب إلى دارة تورلونيا ، ليقدموا صورة للشعب عن الحياة المتقشفة والنابضة بالحياة التي يعيشها الدوتشي . وليرسموا صورته وهو يقفز من فراشه عندما يستيقط فى الصباح. وحمامه البارد قبل قراءة بريده ، واملاءه بسرعة آلة الطباعة « التليبرينتر » وآليتها ، ثم توقفه الفجائى يامارس رياضاته فى ركوب الحيل والسباحة ولعب كرة المضرب ، ووجباته البسيطة ، وعزوفه عن الراحة ، وإقباله المتحمس والعنيف على العمل . أما الآن فقد تغير كل شىء ، إذ باتت الوجبات البسيطة . أدوية يشربها ، وحيل بينه وبين ممارسة الرياضة بأمر الطبيب ، واقتصرت رياضته على تقطيع الحشائش وقصها فى حديقته ، وخبت الحيوية ، وهدأت السرعة . وكان الضوء يظل ميراً فى مكتبه فى حديقته ، وخبت الحيوية ، وهدأت السرعة . وكان الضوء يظل ميراً فى مكتبه على ساعة متأخرة من الليل . ولكن بقصد إيهام الذين يمرون على مقربة من نافذته التى أسدلت الستائر عليها ، بأنه ما زال يعمل بيها يكون المكتب فى الواقع خالياً . ولم يعد الدوتشي يظهر الآن فى الواقع إلا فها ندر .

وتسلط عليه كابوس من حشية الهزيمة والفشل ومن الشكوك والوساوس، وطغت عليه عليه انفجارات فجائية من الغضب التي تعقبها أيام طوياة من اليأس ، وأحس بوجنتيه الغائرتين ، ورقبته التي تحات ، وعينيه اللتين أحاطت بهما التجعدات السوداء ، فراح يعزف شيئاً فشيئاً عن الظهور أمام الناس ، وعاش كما قال يوماً بحيوسيبي بوتاى ، في قصر البندقية وحياة منعزلة ، يصطرع فيها مع مشاكله، ويقررها وحيداً بنفسه ».

ولاحظ يوتاى فيها بعد ، أنه كان من الأفضل حقاً ، لو أنه عاش حياة منعزلة هناك ، ولكن كلاريتا بيتاشى ، ظلت فى معظم الأمسيات. ، تقبع فى الجناح الحاص المقام فى الطبقة العليا من قصر البندقية ، تنتظر مجيئه ولم يكن بوتاى . على أى حال ، الإيطالى الوحيد ، الذى رأى بان الزيارات المنتظمة التى كان يجد نفسه مضطراً إلى القيام بها لحليلته ، كانت مسؤولة إلى حدما عن صحته المتدهورة . لكن هذه الزيارات ، كانت فى الواقع قد غدت أقصر أمداً ، وأقل تكرراً من الأيام الماضية ، وكانت كلارينا ، تظل الساعات الطوال ، مستلقية على الأريكة فى غرفة الجنوس ، تتطلع إلى الرسوم المنقوشة بالذهب فى سقف الغرفة الأزرق ، وتستم إلى بعض الاسطوانات تعزف الأغانى العاطفية والألحان الراقصة ، معيدة إياها المرة تاو المرة . وكثيراً ما كانت تشغل نفسها برسم و الموضات ،

للابسها الجديدة ، و رسم صور عاطفية للطيور والأزاهير ، وبقراءة بعض القصص الغرامية ، أو صباغ أظافرها ، متطلعة إلى نفسها في المرآة ، أوعبر النافذة إلى الصهريج المقام في باحة القصر . وملأت دفتراً صغيراً كانت تكتب فيه أحياناً ذكرياتها عن الأيام السعيدة الحوالي التي قضها معه ، يتزحلقان على الثلج في تيرمينيلو ، أو يسبحان في ريميني ، أو يتنزهان في المزارع الملكية في كاستيل بوزيانو ، مضمنة إياه أيضاً شكوكها المحزنة في المستقبل . فقد كان حبيبها ، يقد إليها في هذه الأيام فاقد الحيوية ، يثور لأقل شيء ، ويتفجر غاضباً من أقل إشارة . وكثيراً ما انتظرته ليالي طويلة حتى العاشرة مساء ، دون أن يأتي إليها ، وتأصلت في نفسها ، إبان وحدتها هذه ، روح النقمة على أولئك اللين يوجهون وقد انتظرته عبئاً أكثر من خمس ساعات . . « إنهم جميعاً أعداؤه . وهم يخونونه خمس عشرة مرة في اليوم الواحد » . فالفاشيون في نظرها وخونة » ، والقادة فحس عشرة مرة في اليوم الواحد » . فالفاشيون في نظرها وخونة » ، والقادة العسكريون و حمتي مخرفون متبلدون » ، ولا سيا ذاك الأحمق المهزوز دى بونو وتساءئت ذات يوم غاضبة . . . و ولماذا يدعي الفضيلة ، وهو يرتكب الإثم مع تلك الكونتيسة العجوز علي أربكة خملية سوداء ؟

وبدأت تحس بالطبع . إن الدوتشي لا يتعرض إلى خيانات الآخرين فحسب ، بل وإنه يخونها أيضاً . وتسلط عليها كابوس من التخوف من أن يكون قد عثر على عشيقة أخرى ، أو أن يكون قد عاد إلى إحدى خليلاته السابقات . وراحت تتصور أن مرجريتا سارفاتي أو انجبلا كيرتي ، تحاول استعادته منها . بالإضافة يلى وجود امرأة أخرى تدعى ايرما ، ٥ تحاول أن تجعل منه بقايا إنسان ٥ . وكثيراً ما تبرمت قائلة . . . و يظن الناس أنني أنا التي استنزف قواه . ولكنها ايرما . أجل إنها إيرما ٥ . وإذا حدث وشكت إليه من غيرتها ، وهواجسها متحدثة إليه عن عشيقاته الأخريات ، فإنه كان يسخر منها ، وكثيراً ما أهانها ، دافعاً بها إلى البكاء الذي كان يستفر غضبه أكثر من أي شيء آخر . ولذا فقد دأبت على أن تبعث إليه برسائلها وقد حشتها بتوسلاتها وأتهاماتها وخوفها من أن تفقده . وراحت تسأل ذات يوم عشيقة أخيها زيئار بتوسا ، عن الطريقة التي تستطيع التأكد فيها تسأل ذات يوم عشيقة أخيها زيئار بتوسا ، عن الطريقة التي تستطيع التأكد فيها تسأل ذات يوم عشيقة أخيها زيئار بتوسا ، عن الطريقة التي تستطيع التأكد فيها

من أنها لن تفقده . ونصحتها زيتا بأن الطريقة الوحيدة للاحتفاظ به ، هي أن لا تلبي رغباته عندما يشنهيها . وراحت تقول لصديقتها . . . « ولكنفي لو فعلت ذلك ، فلن يكترث بي ، وسيهجرني » . وقد يكون في قولها هذا الكثير من الحق . فقد يبدل في هذه الآونة جهداً حقيقياً لإنهاء هذه العلاقة التي طالت سبع سنوات ، وكانت أطول علاقة غرامية في حيانه . وذكرت الأميرة الصقلية دى جانجي ، إنه اعترف لها في هذه الأيام ، بأنه أخذ « يتقزز » من عشيقته . وجاءت كلارينا بعد ظهر أحد الأيام من ربيع عام ١٩٤٣ إلى قصر البندقية ، فأبلغها الشرطى القائم على حراسة مدخل القصر من شارع « استالى » ، وهو يتلعثم ، بأن الأوامر قد صدرت إليه ، يعدم السماح لها باللحول . وفقدت سيطرتها على زمام أعصابها ، ونحت الشرطي جانباً واندفعت إلى الداخل ، لترى الدوتشي في منتهي البرود متطلعاً إليها ، بنظرة تخلو من الحب ، ولتسمعه يقول لها بلهجة متعالية اعترفت فيها بعد ، أنها قد أرعبتها ، لأنها كانت قد سمعت منه في الماضي ، أنه كان يستخدمها في الحلاص من عشيقاته السابقات . . . وأعتقد أن الدورة قد انتهت ، . ولكنه ما لبث أن استسلم لها . وقام بعدة محاولات أخرى للخلاص منها ، ولكنه كان بستسلم في أعقاب كل محاولة . فقد كانت العبرات تنهال من مقلتبها على وجهها مختلطة بالمساحيق التي تغطيه ، وتروح ترجوه أن يعفرعها ، وأن يعبدها إلى قلبه ، فيستسلم لبكائها . ولكنه لا يلبث أن يعود فيندم على تراجعه ، ويهتف لها قائلا إن عليها أن لا تذهب ثانية إلى قصر البندقية ، منهياً حديثه الهانفي . . . بقوله . . . ٥ دعيني وشأني . فالحرب تسير سيراً سيئاً . وقد ينتقدني الناس على ضعفي ٩ . وكثيراً ما سمع وهو يقول . . . \$ هناك امرأة واحدة ، دفعتني إلى القيام بأعمال في منهى البلادة ، وأنا عازم على الخلاص منها » . ولكنه كان يعود إليها . وكان يهينها ، ويتشاجر معها ، ويسلك معها سلوكاً ينطوى على التجاهل وعدم الاكتراث وكأن امرأة أخرى ، قد انتزعت منه ، كما كان يقول ، كل شيء. وكان يتشاجر معها في موضوع أسرتها متحدثاً عن مضاربات أخيها المالية المشبوهة ، وعن تلك المذكرة السخيفة التي بعث بها إليه عن الطريقة التي يراها لكسب الحرب . وعن أمها الطويلة ذات الأنف المعقوف ، الشغوفة بالحسابات ، والتي كانت نبجحاتها الخطرة عن حمايته لها ، قد أكسبتها ازدراء رومة كلها واحتقارها وضربها ذات يوم فى شجاره معها حول أخيها ، ضربة عنيفة ، أفقدتها وعيها ، ولم تستفق إلا بعد وحقنة ، منبهة من والدها . ولكن كانت هناك أيام ينسيان فيها الخصام والمشاجرات . ويجدان الراحة فى الحب وفى ذكريات سعادتهما ، فتروح تملأ بعدها ، مفكرتها ساردة أتفه التفاصيل التى تناولاها فى حديثهما . وهست فى أذنه ذات يوم تقول . . . « لن آتى إليك فى وضح النهار بعد اليوم . بل سآنى بعد هبوط الدجى لأراك لبضع لحظات وأقبلك . فأنا لا أريد أن أسبب لك الفضائح والمتاعب » .

ولكنها كانت فضيحة حقاً ، وكانت تنزل بالدوتشي على حد تعبير ضابط كبير من ضباط الشرطة ، ﴿ أَذَى يَفُوقَ مَا تَنزَلُهُ بِهُ خَسَارَةٌ خَسَ عَشْرَةٌ مَعْرَكَةً ﴾ . وأقر تشيانو ، وهو يتحدث إلى صديقه سيرانوسونير وزير خارجية أسبانيا ، بأن هناك كثيراً من اللغط حول هذا الموضوع حقاً . فقد تكون للإنسان عشيقات كُتْر ، ولا يعترض أحد ، أما هذا التركيز على واحدة ، وعلى أسرتها ، ففضيحة خطيرة . وذكر انجيلو سيريكا وهو من كبار ضباط « الكاربنييرى ، أن « أسرة مِيناتشي تتلخل في كل شيء ، وتضني الحماية لسياسية على الناس ، وتوجه التهديدات من عل، وتحرك الدسائس من أسفل a . وتساءل تشياذو بكثير من اليأس والقنوط ﴿ وَلَكُنَ مَا عَسَى المُرْءُ أَنْ يُصِيْعُ لِتَحَدِّيرِ الدُّوتَـثْنَى ، لا سَيًّا وأن اثنين من أقرب زملائه إليه ، وهما سكرتيره الخاص دى سيزارى ، ووكيل وزارة الداخلية ، جيدو بوفاريني - جيدي ، بجنيان الأموال الطائلة من a هذه الحياة السرية » . وأصرت شقيقة موسوليني ايدفيك ، على أن أحداً يجب أن يجر وعلى التحدث إليه في هذا الموضوع . وقد يكون صحيحاً ما يقوله أخوها في معرض التبرير لاليساندرو بافوليني وزير الإرشاد الشعبي ، من أن جميع العظماء في عصر الهضة الإيطالية ، كانوا يعشقون ، وكانت لهم خليلاتهم ، وأنه لا يعطى كلارينا شيئاً سوى بعض الهدايا التافهة بين آونة وأخرى ، مع خسمائة ليرة إيطالية في بعض الأحايين ، لابتياع ثوب جديد ، ولكن الشعب الإيطالي الذي يراها وهي ترتدي أغلى الثياب ، وتفوح منها الروائح الغالية ، التي يزودها بها التجار الإيطاليرن ورجال الأعمال ،

طمعاً في وساطة أو عمل ، لا يصدق ما يقوله موسوليني ، ويتهامس أبناؤه ، بأن الضرائب الثقيلة التي تبتز منهم تنفق على ترفها وتبذيرها . ولا يمكن للإيطاليين أن يعرفوا أن الحاتم الماسي الكبير الذي تضعه في أصبعها ، هدية لها من صاحب مصرف كبير ، اعتقد أن الفضل في عقد صفقة ناجحة قام بها يعود إلى تدخلها ، وأن معطفها القرمزي ، هدية من صديق لأخيها حصل على التزام مربح من وزارة الأشغال ، وعندما يتحدث الناس ، على أى حال . وهم يتحدثون الآن جهارًا وبصورة مستمرة عن « فضيحة بيتاتشي» ، فإنهم كانوا بشيرون إلى ما تقوم به الأسرة من أعمال مشبوهة ، أكثر من إشارتهم إلى كلاريتا نفسها . وكانوا يعرفون أن والديها بنيا قبل الحرب دارة عصرية جميلة ، حماماتها من الرخام الأسود في منطقة كاميلوكيا الأرستقراطية التي ترتفع فيها أثمان الأرض ، وكانوا يؤمنون أن موسوليني هو الذي دفع تكاليف هذا البناء ، أو تكاليف غرفة نوم كلاريتا الفاخرة على الأقل ، إذ غطيت جدرانها بالمرايا ، وكان السرير الضخم الموشى بالحرير فيها مرتفعاً وكأنه عرش على منصة . لكن موسوليني لم يدفع شيئاً من هذا ، وإن كانت والدتها صاحبة السلطة عليها قد طلبت إليها أن تسأل موسوليني دفع هذه التكاليف . لكن كلاريتا رفضت حتى إثارة هذا الموضوع ، وعندما شهد الدارة لأول مرة ، وسأله أصحابها المعتزون بها عن رأيه فيها ، وهل أعجبته، رد بشيء من الخشونة . . . لا ، لم تعجبني كثيراً .

وكان أشد أفراد الأسرة مقتاً من الناس ، شقيقها مارسيلو ، الذي يعمل طبيباً في البحرية ، وكان يقال إنه جمع ثروة هائلة من تهريب الذهب في الحقائب الديلوماتية ، ومن الاتجار غير المشروع بالنقد الأجنبي ، وكان يستخدم علاقته التي يعلن هو عنها ، بالدوتشي في عقد الصفقات والاتفاقات المربحة ، وتحديد المواعيد المجزية . وبالرغم من أن الدوتشي لم يساعد مارسياو قط ، في جني الأرباح اللامشروعة ، كما لم يساعد أي إنسان آخر حتى نفسه في جمع المال ، إلا أنه كان على أي حال ، على درجة كبيرة من عدم الاكتراث والإهمال ، بحيث سمح للشكوك بأن تنتشر . وكانت الحقيقة أن الدوتشي لم يكن يهتم بالمال على الإطلاق ، ولم يكن يهتم بالمال على الإطلاق ،

من هذه الاتهامات ، على حد تعبير كلاريتا إذ أنه راح يسألها ذات يوم ، عن كيفية تمكنها من الحياة على هذا النحو الباذخ ، ثم قال ، وهو يرغب رغبة صادقة في أن يعرف شيئاً لم يكن قد خطر في باله ذات يوم . . . وهل يكسب والدك كثيراً ؟ ٥ . وكان من السخف حقاً ، بالنسبة إليه ، أن لا يتبين الحقيقة ، وهو يرى كلاريتا ، ترتدى أغلى النياب ، وأجملها ، وتتعطر بأثمن الروائح وتوزع الأموال على الفقراء . ودون تشيانو في يومياته أن مدير وزارة الصحة العامة أبلغه بأن جيدو بوفاريني – جيدى ، وكيل وزارة الداخلية ، كان يعطيها مائتي ألف ليرة في الشهر من الخصصات السرية ، وكان من الطبيعي ، أن يقول الفقراء الذين كانت توزع عليهم القسم الأكبر من هذا الجعل الشهرى بأن ما تدفعه ليس كانت توزع عليهم من عاهرة فاسدة .

وكان من السخف أيضاً من موسوليني أن يفترض أن اختياره الأصدقاء أسرة بيتاتشي ومحاسيبهم ، لإملاء الوظائف الشاغرة في الحكومة ، لن نثير موجة عارمة من السخط . وليس لنا أن نشك في صحة ما كان ينتابه من دهشة ، عندما يسمع بالثورة على اختياراته ، وإنه ظل جاهلا في الواقع لحقيقة هذا السخط . فلم يكن هناك كثيرون اعترضوا على الطلب الذي وجهه إلى صحيفة المساجيرو ، أتعيين والد كلاريتا ، مراسلا طبياً لها ، فقد كان الدكتور بيتاتشي على أي حال من أكثر الأطباء كفاية . . ولم يعترض أحد على سعيه لتأمين مستقبل ناجح في الحياة السيبائية لميريام ، شقيقة كلاريتا ، فقد كانت ممثلة لا بأس بها . لكن الناس ما كانوا ليتسامحوا ، مع الحالات الأخرى لمحسوبياته المتعددة ، ولا سيما اختياره لالدو فيد وسوفي ، الشاب الذي لم يتجاوز عمره السادسة والعشرين ربيعاً ، وصديق أمرة بيتاتشي ، لمنصب هام ، كسكرتير الحزب الفاشي ، ثما أثار موجة عارمة من الأسى . ولم يفلح تبريره ، في أنه اختار هذا الشاب لهذا المنصب ، ليفرض شيئاً من التأثير النافع على شباب البلاد المتراخي والمتردد في إقناع أحد من الناس. وقد فزع تشيانو نفسه من هذا الاختيار لرجل وصفه فيتوريو ابن موسولي بأنه صورة مجسدة « للحمق والحهل والحبث » ، وتعيينه في مثل هذا المنصب الهام . وأعرب الوزير عن فزعه هذا ، ولكنه لم يجر ؤعلى التحدث به إلى الدوتشي نفسه . وتقدم عدد من كبار الفاشيين إلى تشيانو ، وأبلغوه أن واجبه يحتم عليه بوصفه صهر موسوليني وأقرب مستشاريه إليه ، بأن ينقل إليه مشاعر أعضاء الحزب الساخطة على هذ التعيين ، بالإضافة إلى ما يعم البلاد من ثورة آخذة في التزايد على نفوذ آل بيتاتشي ، لكن تشيانو لم يجرؤ على نقل آرائهم هذه إليه . ولم يجرؤ أحد أيضاً على أن يذكر أمامه ، تلك الشائعات الخيفة التي أخذت تنتشر في رومة عن النفوذ الذي بات لمهندس سبيء السيرة إلى حدما يدعى باتر على الدونا واشيل ، وجة موسوليني ، التي كذت كما ذكرت ابنتها ايدا ، تمر في هذه الآونة في مرحلة المراهقة الثانية . ويقول بوتاى ... لا إن هناك حقيقة واقعة ، وهي أن أحداً لم يجرؤ على أن يتحدث إلى موسوليني في أي موضوع من هذا النوع » . وعندما جاء يجرؤ على أن يتحدث إلى موسوليني في أي موضوع من هذا النوع » . وعندما جاء أحد أصدقائه إلى تشيانو قائلا له إن الدوتشي يبدو معانياً لآلام مبرحة تثير الفزع على حياته ، وأن من الواجب عمل شيء في هذا الصدد ، رد تشيانو قائلا . . . ولكن ما العمل . . . ؟ أهناك من يجرؤ على التحدث إليه في قضية خاصة ؟

وهل كان هناك كما قال بوناى ، وكما أكد تشيانو أيضاً من يجرؤ على الحديث البه فى موضوع لا يسره ؟ فعندما أعدت وزارة الداخلية تقريراً مدعماً بالوثائق ، عن الوضع الداخلي المزعج فى إيطاليا وعن اشتداد الشعور المعادى للفاشية ، لم يجرؤ وكيلها بوفاريني — جيدى ، على أن يعرضه على الدوتشي . وعندما تجاوز سخط رافائيلو ريكاردى وزير التجارة حدوده فى النهاية على صفقات آل بيئاتشي اللامشروعة فى تهريب الذهب ، وحمله على التغلب على تردده وإحجامه والتحدث إلى الدوتشي فى الموضوع ، بدا موسوليني ساخطاً للغاية ، بل وأحس كما خيل لريكاردى بشيء من ه الذلة والمهانة » . لكن تشيانو ، أدرك أن مستقبل الوزير فى الحزب . لم يعد لامعاً ولا مشرقاً ، وراح يعلق بشيء من الخبث قائلا . . . « من الخطر كل الخطر ، عند موسوليني ، أن يعتقد إنسان أن فى وسعه أن يرقى على الخطر كل الخطر ، عند موسوليني ، أن يعتقد إنسان أن فى وسعه أن يرقى على مستواه » . وقد وافقه بوفاريني — جيدى على رأيه وقال إن رد فعل الدوتشي على حديث الوزير لم يكن نابعاً عن السخط ولا عن الإحساس بالذاة كما خيل إليه ، حديث الوزير لم يكن نابعاً عن السخط ولا عن الإحساس بالذاة كما خيل إليه ، ولم يعرض الكونت كافاليرو نفسه للخطر الذى تعرض له ريكاردي . فقد علمته ولم يعرض الكونت كافاليرو نفسه للخطر الذى تعرض له ريكاردى . فقد علمته ولم يعرض الكونت كافاليرو نفسه للخطر الذى تعرض له ريكاردى . فقد علمته ولم يعرض الكونت كافاليرو نفسه للخطر الذى تعرض له ريكاردى . فقد علمته

التجارب أن من الأسهل عليه ، أن يحظى برضى الدوتشى ، إذا أخنى عنه الأنباء التجارب أن من الأسهل عليه ، أن يحظى برضى الدوتشى ، إذا أخنى عنه الأنباء التي لا تسره . وعندما طلب إليه موسوليتى أن يزوده بقائمة عن المعدات الحربية التي تصنع فى إيطاليا ، راح يهوّل عامداً متعمداً فى أرقام المدافع المضادة للدبابات . وبالرغم من أن موسوليتى كان يتقبل عادة الأنباء الطيبة التي تصل إلى مسامعه دون أن يحاول التثبت من صحتها عن طريق الاستقصاء ، محافة أن تخيب الحقيقة آماله ، فإنه راح يسأل كافالير و هذه المرة عن صحة هذه الأرقام العالية التي عرضها عليه . ورد الكونت بأن هذه الأرقام تمثل احتمالات نظرية للإنتاج ، أكثر منها أرقاماً واقعية ، وراح يغيرها بقلم الرصاص الذي يحمله .

ولم يكن هذا الإخفاء المدروس للمعلومات عن الدوتشى بالتطور الجديد بالطبع في المحافل الفاشية . فقد كان الاعتقاد السائد في إيطاليا مند سنوات طويلة ، بأن المستولين عن الحكم يخفون عنه الحقائق الصحيحة . وكان مثل هذا الاعتقاد في الماضي في مصلحة موسوليني نفسه . فعندما كان يتهم أحد المستولين الفاشيين بالرشوة أو القسوة أو الشر ، أو عندما كان يبدر أحد المراسيم الفاشية قاسياً أو غير متسامح ، كان الناس يقولون لبعضهم البعض . . . « آه لو أن الدوتشي يعرف هذا ١١ » . فقد كان الدوتشي لا يزال إلها عندهم ، ولم يكن ليسأل عن أخطاء أتباعه من البشر . لكن هذا الموقف لم يعد إلا نادر الوجود الآن . فقد شرع معظم الإيطاليين في نهاية عام ١٩٤٧ ، يفترضون أن الدوتشي يتحمل شطراً من معظم الإيطاليين في نهاية عام ١٩٤٧ ، يفترضون أن الدوتشي يتحمل شطراً من المسئولية في كل ظلم وكل هزيمة ، وكل مسخبة يعانونها ، بل وكل كارثة تظهر أن النظام الفاشي الذي خلقه لم يعد قادراً على معالحة الأوضاع الطارثة التي ورط نفسه فيها . أجل طال أمر الحرب أكثر من اللزوم .

## المتآمرون . . .

## من نوفمبر ۱۹٤٢ ــ ۲۶ يوليو ۱۹٤٣

ه لم لم يلق قيصر نظرة على قائمة أسماء المتآمرين عند ما وضعت نقائمة فى يد، ؟ من المحتمل أن يكون قد سمح لهم بأن يقتلوه ، شعوراً منه بأنه قد وصل نهاية المطاف » .

١

احتلت وحدات من الجيش البريطاني في الثالث والعشرين من يناير عام ١٩٤٣ ، مدينة طرابلس . وبدا للكثيرين من الإيطاليين ، أنهم قل خسروا الحرب وأن أمل إيطاليا الوحيد ، هو في تخلصها من الحلف مع ألمانيا . لكن قلة منهم فقط ، اعتقدت بأن المحور لن ينفصم طالما أن مرسوليني قائم على الحكم . وكان الألمان أنفسهم يحملون مثل هذا الرأى أيضاً . فقد أكد جوبلز وهو يكتب بعد سقوط طرابس ، وبعد أن تبين بأن تونس لابد وأن تسقط قريباً ، هذا الاعتقاد كلمك ، إذ كتب يقول . . . 8 أكد الدوتشي للفوهر و من جديد ، بصورة قاطعة ، أنه سيواصل السير معنا في سرائنا وضرائنا ، وإنه سيظل على وفائه للمحور . ولا ريب في أنه كان صادقاً في وعده ، فني وسعنا أن نشعر بالطمأنينة ، طالما أن الدوتشي قائم على الحكم في إبطاليا ، إذ أن ولاء الفاشية مؤكد ومضمون » .

لكن جوبلز راح يتساءل عن المدة التي سيتمكن فيها موسوليني من البقاء في الحكم ، وعن مدى السلطان الفعلى اللهى ظل له في إيطاليا . فهو واثق من أن النبلاء والبلاط الملكي ، يخربن كل ما يتخذه من قرارات ، وكان القادة العسكريون الآن على خلاف دائم معه .

لكن المعارضة كانت في الواقع قد أوغلت عيقاً أكثر مما عوف جوبلز وتوقع . فنذ نوفجر عام ١٩٤٢ ، عندما صور النصر الذي حققه الجنرال مونتجومري

في العالمين ، الهزيمة النهائية للجيوش الإبطالية في أفريقية الشهالية ، بدأ التآمر على عهد موسوليني . وكان هذا التآمر محصوراً في البداية في اقتراحات وإشارات غامضة ومتقطعة ، وفي محادثات وإجهاعات سرية تعقد بين رجال البلاط الملكي وبعض ضباط هيئة أركان الحرب . لكن المؤامرات ما لبثت أن تضاعفت وانتشرت ، وأصبح الملك نفسه متورطاً إلى حد كبير فيها ، بينا كان وزير خاصة الملكية الدوق بييترو داكوارون ، والأميرة ماريا جوزيه زوجة ولده ، وولي عهده الأمير أومبرتو ، على اتصال كما هو معروف بأولئك الجنرالات الذين أوادوا أن يروا نهاية الديكتاتورية موسوليني . ولم يكن اكوارون في الواقع قد جدد انصالاته بالجنرالات الذيكتاتورية موسوليني . ولم يكن اكوارون في الواقع قد جدد انصالاته بالجنرالات ، إذ كان قبل ثلاثة أعوام ، أى في يناير عام ١٩٤٠ ، قد اتصل يتشيانو في ملعب إذ كان قبل ثلاثة أعوام ، أى في يناير عام ١٩٤٠ ، قد اتصل يتشيانو في ملعب الجولف ، وأبلغه بأن الملك يرى أن ه من الضروري إضفاء وجهة أخرى على الأمور ، وخيل إلى تشيانو أن الدوق أراد التعمق في الحديث ، ولكنه لم يجد الفرصة مواتبة لذلك على أى حال .

ودون الماريشال كافيليا ، وهو رجل عجوز ومحترم من أعداء الفاشية في يومياته في شتاء عام ١٩٤٢ يقول . . . وأسمع من مختلف المصادر ، أن القصر يتصور العثور على حل أسرع مما يفترضه أي إنسان ، وأن الملك يدرس بإمعان ما يجب عليه عمله يه .

لكن الجنرالات من زملاء كافيليا ، الدين أخلوا يدرسون أيضاً ، ما يجب عله ، لم يتفقوا جميعاً ، على أن موسوليني هو الوحيد الذي يجب أن يستبدل . فقد اعتقد الجنرال فيتوريو امبروزيو ، مثلا ، وهو رجل قلس له أن يلعب فيا بعد دوراً بارزاً في الأحداث المسرحية التي أدت إلى اعتقال موسوليني ، بأن من الواجب الإطاحة بالملك أيضاً ، إذ أنه ٥ ارتبط أشد الارتباط بالفاشية ٨ . وقد دون في يومية كتبها في فبراير عام ١٩٤٣ مليئة بالألغاز ، ولكنها تلتي الكثير من الأضواء . وما يلى . . . ٥ زوت بونومي — اقتراح بادوليو — تنازل الملك — الأمير — الهدنة — كافاليرو ٥ .

وكان ايفانو بونومى ، الذى كان اسمه أول ما ذكر فى هذه اليومية رئيساً للوزراء قبل مجى الفاشيين إلى الحكم ، ورئيساً لهم ، بعد الإطاحة بالفاشية ، وكان أحد

الاشتراكيين القلائل الذين يثق الملك فيهم . لكن ولاءه المفترض للتاج ، كان عن انتهازية ، لا عن ثبات وإيمان . وكذلك كان الوضع بالنسبة إلى بادوليو ، الذي كان اقتراحه بتنازل الملك موضوع الحديث الذي أشار إليه الجنرال المبروزيو . واعتقد الماريشال كافيليا ، أن بادوليو يطمع في وخلافة موسوليني ، ، بالرغم من إنكاره الحلم بمثل هذا المطمع الضخم ، ولكنه ما لبث أن اعترف لصديق له في أبريل عام ١٩٤٣ ، بأنه اتفق مع الجنرال المبروزيو ، على أن لا تضيع إيطاليا الوقت قبل خروجها على ألمانيا لا مع الملكية أو بدونها » ، وإن هذا ينطوى على الإطاحة بالدونشي قبل كل شيء » .

وبينما كان بادوليو وأمبروزيو ، بالاتفاق مع جنرالين آخرين هما جيوسيبي كاستيلانو وبومبيو كاربوني ، يبحثون خططهم ويقوّمون فرصهم في النجاح ، كان هناك عدد آخر من وزراء موسوليي الفاشيين يتآمرون للإطاحة بالدوتشي . وكان أكثر هؤلاء تأثيراً ، وجرأة فى الكلام جيوسيبي بوتاى ، وزير التربية . والكونت دينو جراندي ، وزير العدل . وكان الأخير ، يتميز كالماريشال بادوليو بالطموح والمكر والدهاء . وكان أيضاً غاية في الذكاء والغرور والجاذبية ، وعلى النقيض من معظم القادة الفاشيين ، كان إنساناً مثقفاً إلى حدما ، وساحر الشخصية. فابتسامته راثعة ، وسلوكه غاية في الحلط بين الانبساط والإبهام . وقد كان ولا يزال ، صاحب شخصية مغلفة ، لا يستطيع لا أصدقاؤه ولا أعداؤه معرفة خفاياها . وكان بين هؤلاء الأعداء ، جيدو بوفاريني جيدي ، وكيل وزارة الداخلية الضخم الجسيم . والعائش على غرائزه ، وهو يأمل في أن يؤدي اطلاعه الدوتشي على نشاطات جراندي التآمرية ، إلى تقربه منه . وقد تمكن من تحقيق ذلك بطريقة غاية في الانحراف . إذ لما كان المسئول عن المحصصات السرية التي كان تشيانو قد أشار إليها . فقد أصبحت كلاريتا بيتاتشي معتمدة عليه كل الاعتماد . وقد حرص أيضاً كل الحرص على التقرب من الدونا راشيل موسوايني ، وبالرغم من أنها غدت تحتقوه فيما بعد، إلا أنها كانتُ في هذه الآونة قد أخذت بما يبديه لها من تملق وود . وكانت هناك امرأة ثالثة حرص بوفاريني – جيدي . على التفرب إليها ، وهي انجيلا كورتى ، إحدى عشيقات الدوتشي السابقات ،

والمحتفظة بثقته رغم انقطاع علاقته بها . وادعى القلق على سلامة موسوله ي ، فأقنع أنجيلا ، بأن تكتب إلى الدوتشي عن المؤامرات التي يحوكها جراندى وبوتاى . وأسر إليها أيضاً بأن الكونت تشيانو ورويرتو فاريناتشي ، أخذا يظهران علائم جدية على عدم ولائهما .

لكن موسوليني لم يقلق كثيراً ، ولم يمض يومان على تسلمه رسالة انجيلا كورتى ، حتى كان قد قرر إحداث الا تبدل جديد في حرسه » ، وهو الأمر الذي كان يطلقه على التعديلات الوزارية في العرف الفاشي . وكان كل ما حدث هو إجراء تبدل في الوظائف الهامة ، بحيث لم يستثن مها أيًّا من الوزراء ، الذين تلقي التحذير بصددهم ، ولم يبعد أيًّا مهم من مدينة رومة . وبالرغم من أن الكونت جراندي قد أقصى عن وزارة العدل إلا أنه احتفظ برئاسة مجلس النواب . وأقصى جيوسيبي بوتاي عن وزارة العدل إلا أنه احتفظ كالآخرين بعضوية المجلس الفاشي بعد أن أتى بجيوسيبي باستياني ، الذي كان سفيراً في لندن لعدة أشهر قبل الحرب بعد أن أتى بجيوسيبي باستياني ، الذي كان سفيراً في لندن لعدة أشهر قبل الحرب لبتولي وكالة الوزارة . ولكنه سمح لتشيانو بأن يختار المنصب الذي يريد ، فعين بناء على طلبه سفيراً لدى الفا تبكان . ويروي تشيانو أن موسوليني كان حائراً وهو يبلغه قراره هذا قائلا . . . « عليك أن تعتبر نفسك في فترة استراحة ، وسيأتي دورك يبلغه قراره هذا قائلا . . . « عليك أن تعتبر نفسك في فترة استراحة ، وسيأتي دورك من جديد ثذية » . وأضاف تشيانو أن ساعة التسليم والوداع كانت ودية « و إنى السعيد لذلك ، إذ أني أحب موسوليبي غاية الحب ، وكل ما آسف له ، هو أني ساعة لتسلي الذلك ، إذ أني أحب موسوليبي غاية الحب ، وكل ما آسف له ، هو أني ساعة لتسليم والوداع كانت ودية » هو أني

وبدا أن الغاية من التعديل الوزارى ، إقناع الألمان بأن شركاءهم فى المحور ، عازمون كل العزم على متابعة الحرب بمزيد من الحيوية والنشاط . وكان موسوليني قبل ستة أيام من إجراء تعديله الوزارى ، أى فى الواحد والثلاثين من يناير ، قد أقال الكونت أوجو كافاليرو ، من رئاسة أركان الجيش ، على إثر الهزائم العسكرية فى أفريقيا الشمالية ، وكان من الطبيعى أن يعقب ذلك تعديل وزارى .

وكان اختيار موسوليني لخليفة الجنرال كافالبرو ، المؤيد المخلص للحلف مع ألمانيا ، عملا ينطوى على الغباء ، تماماً كرفضه أن بحمل الأنباء التي وصلته عن تآمر وزراته عليه على محمل الجد. فقد اختار الجنرال أمبروزيو رئيساً لأركان الحرب، وهو أحد الرجال المتورطين فى المؤامرات للإطاحة به ، والقائد الذى يكرهه ويحتقره الماريشال كيسلرنج القائد الألمانى العام فى إيطاليا ، كما يزدريه هتلر الذى يرى فيه أنه سيسر ، بالع السرور لو أن إيطاليا أصبحت اليوم مستعمرة بريطانية ، .

وتوسعت المؤامرات مع مجئ الربيع وتشعبت . نقد كانت هناك مؤامرات ضد الملكية ، وأخرى ضد الفاشية . وثالثة ضد الألمان . ووجد فيليبو انفوسو الذى أم رومة فى هذه الأيام قادماً من سفارته فى بودابست ، الكونت تشيانو ، وهو يعمل فى منصبه الجديد ، غارقاً إلى أم رأسه فى هذه المؤامرات ، كما وجد أن هناك كثيرين آخرين إلى جانبه لا يقلون عنه تورطاً . وقد ذكر انفوسو أنه كان من العسير اكتشاف ه من يتآمر ، وفى أية مؤامرة يشترك ، وأكن الشيء الثابت أن كل واحد من المتآمرين ، كان يسعى لأسباب تختلف عن أسباب زميله إلى الإطاحة بالدوتشى » .

لكن موسوليني ظل على أى حال ، يتجاهل التقارير التي كانت تصله عنهم . فقد أوصلت إليه راشيل التحديرات التي كانت قد تلقنها ، ولكنه طلب إليها أن لا تكترث . وقامت أخته ايدفيج بنفس المهمة ، ولكنه أبلغها بأنها تكسب الوضع صفة دراماتية ، مهولة فيها . ومضت انجيلا كورتي إليه في شهر أبريل وقد استبد بها القلق ، تبلغه أن الملك ، لا بتلقي الزيارات المستمرة من الجنرالات المتمردين فحسب ، بل ومن الساسة من أعداء الفاشية أيضاً ، فرد موسوليني وهو الوائق من أن البلاط الملكي مبتوت الصلة بالأوساط الليبرالية ، بأنه لا يشك لحظة وإحدة في إخلاص الملك له ، وجاءه سكرتير الحزب بعد بضعة أسابيع يحمل تحديراً مائلا ويقول إن ابن بادوليو ، صرح في مراكش بأن والده سيخلف موسوليني عسا قريب ، وأن هناك أنباء من جميع أرجاء إيطاليا ، تقول إن الفاشيين أنفسهم يعدون العدة لتحطيمه ، ولكنه لم يحمل كل هذه التحذيرات على محمل الجلد . ويقال إن البابا نفسه ، عرض عن طريق وسيط له ، أن يستقبله سراً وأن الحد يروده ببعض المعلومات التي يثق الفائيكان من أن الدوتشي على جهل بها ، ولكن موسوليني رفض العرض أبضاً . وقد قال إنه اجتمع إلى الملك مؤخراً ، وأن جلالته موسوليني رفض العرض أبضاً . وقد قال إنه اجتمع إلى الملك مؤخراً ، وأن جلالته موسوليني رفض العرض أبضاً . وقد قال إنه اجتمع إلى الملك مؤخراً ، وأن جلالته موسوليني رفض العرض أبضاً . وقد قال إنه اجتمع إلى الملك مؤخراً ، وأن جلالته موسوليني رفض العرض أبضاً . وقد قال إنه اجتمع إلى الملك مؤخراً ، وأن جلالته

قد أكد له صداقته رإخلاصه .

وأُخْنِي في منهي الحرص ما أحس به من قلق تجاه هذه التحذيرات المتكررة التي توالت عليه ، وتجاهل الأنباء المزعجة للغاية التي حملها إليه وزير تجارته ، ووصم الإضرابات الضخمة التي وقعت في مناطق الشمال الصناعية بأنها من حيل البورجوازية ودسائسها ، وظل على تجاهله لحصومه ، كل التجاهل . وكانت الحرب هي كل ما يشغله ، وكان يؤكد أن أحداثها تصرفه عن الاهتمام بكل ما عداها . وكان على ثقة من أن الوضع السياسي . . « يعتمد كل الاعتماد على الوضع العسكرى ، وأن نصراً يتحقق في الميدان يسكت كل معارضة وكان لا يزال يصر على أن النصر العسكري أمر محتمل ، إذا استطاع الجيش لم شعثه وتوحيد صفوفه . ولا ريب في أن تراجع روميل سيطيل أمد الحرب ، ولكنه لا يشك في نتيجتها النهائية . وقد يكون الوضع في تونس حرجاً وفي منتهي الخطورة ، ولكن في الإمكان إصلاحه . وكان يرى أن الضرورة الفورية تقضى بعقد صلح عن طريق التفاوض مع روسيا ، لتتمكن ألمانيا من صرف جهودها إلى الخطر الماثل في البحر الأبيض المتوسط . وكتب في السادس والعشرين من مارس إلى هتلر مهنئاً إياه على تمكنه من إعادة تثبيت الوضع في الجبهة الشرقية بعد معركة ستالينجراد ، واقترح عليه بعد أن تم اضعاف روسيا إلى الحد الذي لا تستطيع فيه ولمدة طويلة ، أن تأمل في أن تشكل خطراً خطيراً أن ينهي « القصة الروسية » . ولكن هتلر لم يكن ميالا إلى هذه الحطوة ، فقد أعمته رغبة جنونية متعصبة ، على حد تعبير دينوالفييرى سفير إيطاليا في برلين ﴿ في أن يهزم روسيا ﴾ . وأحس الفوهرر بالقلق من موقف الدوتشي ومن الأنباء التي تصله عن تزايد المشاعر المعادية للألمان في إيطالباً ، ومن استبدال الجنرال كافاليرو ، « بجنرال سياسي غير موثوق ، كامبروزبو ومن الأنباء المتواترة عن أن تشيانو قد ذهب إلى الفاتيكان كسفير ليفاوض على عقد صلح منفرد ، فراح يستدعي الدوتشي للمجئ إلى ألمانيا لبحث الوضع بكامله . وتم الاتفاق أخيراً على عقد اجماع بينهما في السابع من أبريل في قصر كليشام على مقربة من سالزبرج .

ولم يكن موسوليني راغباً في اللهاب ، فلم يكن قد أبل بعد تمام الإبلال من

نوبة المرض العنيفة التي أصابته ، وكان يخشي أن يحتقره الألمان إذا ما استصحب معه طبيبه ليتولى مراقبته وإعطاءه الحقن ، وطباخه لإعداد طعامه الخاص . وكان قد قرر أنه « قد مل من استدعائه بالهاتف وسمٌ » ، وإنه كان قد قبل الذهاب في المرة الأخيرة إلى ألمانيا شريطة أن يسمح له بتناول طعامه وحيداً، رافضاً أن يسمح ه للألمان المرحين ، بأن يشهدوا بأنه مرغم على أن يعيش على حمية من الأرز والحليب . وعاوده المرض في طريقه هذه المرة عدة مرات ووصل وقد بدا كما قال جوبلز «عجوزاً محطماً» . وقد نسى الآن إصراره السابق على ضرورة الصلخ مع روسيا ، ومطالبته بعودة القوات الإيطالية من الجبهات الأخرى للدفاع عن الوطن ، وإبلاغ الألمان بأن من واجبهم تزويد ألمانيا بالمزيد من المساعدات الاقتصادية والعسكرية ، ولم يذكر إبان زيارته هذه ، مرة واحدة ، الحاجة إلى نوع جديد من الميثاق الأوربي بالنسبة إلى الصلح في الغرب ، والذي سبق له أن تحدث مطولًا عنه في رومة . وكانت أحاديثه هذه المرة مفتقرة إلى الحماسة ، وسرعان ما تخلى عن محاولاته القيام بالحديث مسلماً ، أمره إلى الله ، في الإصغاء ساعات طویلة للفوهرر وهو یعرض فی حدیث لا ینتهی تصویره الوضع . وکان یفکر کما اعتقد الفييرى فيما يعنيه تصميم هتلر على شن هجوم عام جديد فى روسيا لمصير الجيش الإيطالي في تونس . ورأى نفسه مضطراً في اليوم الثاني من الزيارة إلى مغادرة قاعة الاجماع بسبب تعرضه لنوبة عنيفة من ٥ المغصره في معدته وبيمًا كان يتعاطى في غرفة ثانية العلاج الذي أعده له طبيبه لتخفيف الألم ، قال وقد بان الأسى على وجهه . . . « يريد الفوهرر أن يقوم طبيبه بفحصى . لكنني رفضت . فقد شخصت مرضى حتى الآن . إنه هذه ( القوافل البحرية» . وبدأ عليه اليأس والقلق حتى أن هتلر لم يخف قلقه ، كما قال الممرة الأولى ، لدونيتز عندما انتهت الزيارة من أن لا يكون الدوتشي ما زال مصراً على المضي في الحرب حتى النهاية ، .

ولكنه بدأ يشعر وهو فى طريق العودة إلى إيطاليا ، بتحسن فى معنوياته ، وراح يتصرف فى الأيام الأولى التى انقضت على عودته ، كما كان يتصرف دائماً فور عودته من كل زيارة لألمانيا كما يتوقع من الديكتاتور أن يتصرف . فقد هدد

بمزيد من الاعتقالات المختلفة ، وأصدر أوامره بإعداد معتقل جديد لمناهضى الفاشية . وراح يفصل كارمين سينيز من منصبه كرئيس الشرطة ، لأنه لم يعالج الإضرابات التي وقعت في تورين وميلان بقسوة ، كما لم يحسن التصرف في موضوع الصحف السرية أو السوق السوداء المنتشرة ، واختار عوضاً عنه ريينزو شييريكي المعروف بغلظته . وقام أيضاً بفصل الدوفيدوسوفي من سكرتارية الحزب واستعاض عنه بكارلو سكورزا ، وهو من أكثر شباب الحزب إخلاصاً ، وكان قد أتهم في حادث قتل العصابات الفاشية في عام ١٩٢٥ بحيوفاني اميندولا . وراح يدرس الحطط الموضوعة لإعداد مهرجانات إقليمية لشباب الحزب يتحدث فيها القادة إلى الشعب ، ويشجعونه على القتال حتى الموت . وراح يقول لبوتاي في لهجة تنطوي على العاطفة والنهديد الحني ... « إنهم ينشرون الشافعات أنني سأموت ، وأنني أذبل، بل وأنتهي ... . حسناً سيروا بأعيهم ... »

وخرج فى الذكرى السنوية لسقوط مدينة أديس أبابا فى شرفة قصر البندقية ليتحدث إلى الجماهير المحتشدة فى الميدان . . . فقال . . . وقد علا صوته معيداً ذكريات أيام شبابه . . . و إنى أحس فى أصواتكم خفق الإيمان الذى لا يتطرق إليه شك . . . لا تخشوا شيئاً فالنصر النهائى لنا . وليس ثمة من ريب لدى فى أن تضحياتكم ستجازى . وأنا لا أشك فى هذا كما لا أشك فى أن الله عادل وإن إطاليا خالدة » .

وعاد إلى داخل القصر وهتافات الجماهير تبعث في نفسه الحيوية والشجاعة . وأغلق الباب وراءه ، وكانت المرة الأخيرة التي يفتح فيها هذا الباب له ، وإن كان أحدً لم يقدر في رومة في تلك الآيام ، أن موسوليتي يخطب الجماهير فيها لآخر مرة في حياته .

ولم يمض بومان حتى كانت حماسنه المؤقتة قد خبت . وبعد زهاء أسبوعين كانت جميع قوات المحوز في أفريقيا قد استسلمت ، وأصبح النزول في الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط ، متوقعاً في كل لحظة . واعتقد هتلر أن هجوم الحلفاء سيستهدف جزيرة سردينيا ، أما موسوليني فقد اعتقد أن صقلية هي الهدف ، وزاح يقول لجنرالاته في اجتماع عقده معهم في دارة تورلونيا ، بأن عليهم

أن يقاوموا مثل هذا الهجوم مقاومة عنيفة ، إذ ليس ثمة احتمال لتسوية سياسية أو صلح منفرد . وبدأ الهجوم فى العاشر من يوليو بعد قصف مدفعى عنيف للساحل . ولم تمض أيام حتى كانت جيوش الحلفاء تندفق عبر سهل كاتانيا ، وكان موسوليني قد صرم أسبوعه الأخيرة متردداً بين فترات من الهدوء المدروس وأخرى من الغضب الصريح على القوات الإيطالية المتراجعة .

وكان الملك في هذه الآونة قد حزم أمره على أنه لم يعد في وسعه أن يصبر ، وذلك بعد فترات طويلة من التردد والإحجام دعت المتآمرين إلى الشك في أنه سيقف في يوم ما موقفاً صلباً صامداً . وقرر بصورة مستقلة عن الفاشيين اللين كان على انصال بهم ، وبناء على نصيحة الحرال كاستيلانو والدوق داكويرون اعتقال موسوليني في أحد أيام الإثنين أو الحميس التي كان يذهب فيها إلى قصر الكيرينالي أو فيلاسافويا ، للمقابلة الملكية العادية . وسأل الماريشال بادوايو إذا كان على استعداد لأن يخلف الدوتشي كرئيس للحكومة ، وأبلغه هذا موافقته ، مقرحاً تأليف حكومة من غير الفاشيين تضم أشخاصاً من أمثال الاشتراكي مقرحاً تأليف حكومة من غير الفاشيين تضم أشخاصاً من أمثال الاشتراكي ايفانو بونوي وفيتوريو ايمانيولي أورلاندو ، أحد رؤساء الوزارات السابقبن . وسرعان ما اجتمع كاستيلانو وداكويرون للبحث في تفاصيل الاعتقال ، والإجراءات ما اجتمع كاستيلانو وداكويرون للبحث في تفاصيل الاعتقال ، والإجراءات التي يجب أن نتخل لضهان عدم قيام معارضة يستعصي أمرها من جانب أعوان موسوليني ولا سها من الحرال جاليباتي ، الذي أصبح الآن ، وبتوصية من أسرة بيتانشي ، قائداً للحرس الفاشي .

وكان المتآمرون الفاشيون قد قرروا في غضون ذلك أن ليس في وسعهم الانتظار مدة أطول . وبالرغم مما كان بينهم من خلافات صادرة عن الشكوك والحزازات المتبادلة والغيرة ، وعن مطاعهم المتضاربة ، فقد كانوا على اتفاق ، أنه بالنسبة إلى الحالة الطارئة التي فرضها عليهم غزو جزيرة صقلية ، فإن من الواجب دعوة المجلس الفاشي الأعلى ، وهو أعلى سلطة دستورية في الدولة ، إلى الاجتماع ، إذ أنه لم يجتمع بالرغم من أن موسوليني هو الذي ألقه منذ نشوب الحرب . واجتمع نفر من كبار قادة الحزب في السادس عشر من يوليو في مدينة رومة ، إذ كان من المقرر أن يتحدثوا في مهرجانات الحزب الإقليمية التي كانت قد صممت قبل غزو

صقلية ، وأصروا على ضرورة اجماع المجلس الأعلى ليستمع إلى تقرير من موسوليني عن الأوضاع العامة ، التي أخذت تسوء يوماً بعد يوم ، إلى الحد الذي أثار الفزع . ورفض موسوليني في البداية ، الإذعان لهذا الطلب ، ولكنه اضطر أخيراً إلى الموافقة ، وحدد موعد الاجماع في الأسبوع التالى أي يوم السبت في الرابع والعشرين من يوليو .

وتلتى موسولينى يوم الاثنين من ذلك الأسبوع دعوة من هتلر للاجهاع به ثانية في مؤتمر عاجل يعقدانه في إيطاليا . فقد فزع هتلر أكثر من أى يوم مضى ، من الأنباء التى وصلته عن تفاقم المشاعر المعادية لألمانيا عند الإيطاليين ، وعن استسلام وحدات الجيش الإيطالي بالجملة في صقلبة . ورفضها التعاون مع الجيش الألماني . وأمل في تقوية المقاومة الإيطالية عن طريق إقناع الدونشي بالموافقة على أن يضع الجيوش الإيطالية تحت امرة القيادة الألمانية العليا . وقاد موسوليني طائرته بنفسه من ريميني إلى تريفيزو ، حيث اجتمع بهتلر على أرض المطار ، ثم استصحبه إلى دارة عضو عبلس الشيوخ اخيل جاجيا في فيلترى ، على السفوح الجنوبية لجبال الدولولاميت . وكانت الدارة كما وصفها موسوليني و بناء عيداً كثير التعاريج لا يجد فيه بعض الناس أى فن هندسي . أجل انه أشبه بلغز الكلمات المتعاريج لا يجد فيه بعض الناس أى فن هندسي . أجل انه أشبه بلغز الكلمات المتعاريج لا يجد فيه بعض الناس أى فن هندسي . أجل انه أشبه بلغز الكلمات المتعاريج لا يجد فيه بعض الناس أى فن هندسي . أجل انه أشبه بلغز الكلمات المتعاريج المتعارية الذي انخذ صورة منزل » . وكان جو المقابلة في منهي الرسمية والتوتر .

كان هذا اللقاء هو الثالث عشر بينهما ، وقد سار على الغرار المألوف في لقاءاتهما . فقد ظل هنلر يتحدث زهاء ثلاث ساعات بين الحادية عشرة والثانية . وكان ما قاله في منتهى البساطة والصراحة . فليس أمامهما سوى شيء واحد ، وهو المضى في الفتال ، لا في إيطاليا وحدها ، بل وفي روسيا أيضاً ، حتى يتحقق النصر للمحور ، وقد لا يكون من المجدى ، الاعتقاد بأن هذا قد يتحقق بلا تضحيات . في ألمانيا يقاتل فتيان الحامسة عشرة في البطاريات المضادة للطائرات . أما في إيطاليا فيبدو الوضع جد مختلف . فلم يقاتل الجنود كما كان يتحتم عليهم أن يقاتلوا ، وبات لزاماً اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وحيوية ، إذ يجبإعدام الجبناء والحونة وبات لزاماً اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وحيوية ، إذ يجبإعدام الجبناء والحونة والمفتقرين إلى الكفاية ، وعلى الجيوش الإيطالية أن تضع نفسها تحت قيادة

الألمان . وكان موسوليني يصغى صامتاً وقد ضم ساقيه في وضع متقاطع . وهو يجلس على حافة مقعده الكبير ، وقد أرخى ذراعيه على ركبتيه . وبدا أن الألم قد عاوده ، إذ كثيراً ما استلقى على ظهره وقد ضغط بيديه على خاصرتيه ، صادراً عن أنة تنطق بالألم . وكثيراً ما فرك شفتيه بمؤخرة أصابعه ، ليروح بعدها يمسح العرق المتصبب على جبهته بمنديله . لكنه لم يتكلم الامرتين ، الأولى عندما تدخل ليصحح رقماً عن حقيقة سكان كورسيكا ، والثانية عندما جاءه سكرتيره ليسلم إليه ورقة صغيرة ، راح يعلن بعد أن قرأها بشكل مسرحي ، وبالألمانية إن ٥ العدو يقوم في هذه اللحظة بالذات ، بغارة جوبة ثقيلة على مدينة رومة » .

و بعد أن تحدث الإيطاليون حديثاً قصيراً عن الغارة الجوية ، راح هتلر يواصل خطبته العنيفة . لكن موسوليني لم يعد يصغي لما يقوله . وعندما الفض الاجتماع . لتناول الغداء قال . . . « إن ما يقلقني أشد القلق . هو أن أكون بعيداً عن رومة في مثل هذه اللحظة . ترى ما الذي سيقوله أهل رومة عني؟ »

ولم يكن الإبطاليون الثلاثة الذين يرافقونه ، وهم باستيانيي وكيل وزارة الخارجية ، والفيبرى ، سفيره في برلين ، وامبروزيو ، قائد جيشه مكترثين عما سيقوله أهل رومة عنه ، بل انصرف همهم ، إلى الإلحاف عليهم ، ليرد على الهامات الفوهرر ، وليبلغه أن إيطالبا ، وصلت نهاية المطاف . ولم يعد في وسعها أن تستمر مدة أطول ، دون مساعدات ضخمة . وكان الجنرال امبروزيو ، قد سأل الماريشال كيتل وهم في طريقهم إلى فيلتريه ، عن المساعدات التي يمكن الإيطاليا أن تتوقعها من ألمانيا قبل أن يفوت الأوان . وكان الفيبرى، يجلس في نفس السيارة إلى جانب السفير الألماني . مصغياً إلى أسئلة امبروزيو الصريحة والمباشرة بكثير من الإعجاب . وراح يقول لنفسه . . . ق وأخبراً هنا رجل ، لا يخشي أن يستعمل اللغة التي انتظرت طويلا سماعها » . لكن محاولات امبروزيو لم تجد فتيلا . يستعمل اللغة التي انتظرت طويلا سماعها » . لكن محاولات امبروزيو لم تجد فتيلا . فقد رد كايتل بشيء من البرود ، وهو يرفض أن يجر القائد الإيطالي قدمه ، فائلا . . . « سيبحث الزعيان في هذه القضايا ، كما تعرف ولا شك » .

ولم يكن امبروزيو، أكثر نجاحاً مع الدوتشي منه مع كايتل. فقد أصغى موسوليني إلى نصائحه وهو صامت ، ثم انفجر فجأة يقول . . . « أو تظن أن نفس الأفكار التي تساورك لا تعذبني ولا تؤرقني؟ فوراء هذا القناع من الجمود الذي أحمله ، روح معذبة . ولكن لو فرضنا أننا انسحبنا من جانب الألمان ، فما هي النتيجة ؟ ولو رحنا ذات يوم ، وفي ساعة معينة ، نذيع رسالة نوجهها إلى العدو ، فما الذي سيحدث؟ إن ما سيطلبه أعداؤنا ، ولهم الحق في ذلك ، استسلامنا بلا قيد أو شرط . ولكن أنستطيع على هذا النحو من السهولة ، أن نسلم بجهود عشرين عاماً ، وأن نتخلي عن تحقيق آمالنا ؟ وما الذي سيفعله هنلر كما تظن ؟ أو تظن أنه سيركنا أحراراً نفعل كما نشاء ؟ »

وكان يتحدث بصوت وصفه الفييرى بأنه كان يتهدج بتأثير العاطفة . وبدا أكثر قلفاً من أى يوم مضى ، وعندما أبدى أمبر وزيو ، أثناء النقاش ملاحظة أخرى ذكر فيها أن الحرب لا تحظى بالتأييد الشعبي فى إيطاليا ، استدار إليه موسوليني ثائراً يقول . . . و أرجو أن تتخلى عن تفاهاتك بحق الإله . أهناك حرب حظيت فى التاريخ أو تحظى فى المستقبل بالتأييد الشعبى . إن الحرب لا تنال هذا التأييد إلا عندما تنهى إلى النصر » .

وسرعان ما تبخر غضبه ، وشرع بعد توقف لحظة واحدة يتحدث بهدوء ملقياً خطاباً سياسياً وتاريخياً مطولا . كان لابد أن يكون كما قال السفير الفييرى ، « في منتهى الطرافة والأهمية لو ألقى في مكان وزمان آخرين » .

وقد قطع عليه خطابه اللامناسب هذا ، مجى سكرتيره دى سيزارى ، يبلغه أن الفوهر رفى انتظاره لتناول الغداء . ومضى موسولينى يقطع الممر الطويل إلى قاعة الطعام ، وهو يبدو كما لاحظ الفييرى فيا بعد « شارد الذهن إلى حد غريب » .

وكان أعضاء الوفد الإيطاني ، وهم في طريق العودة في القطار إلى تريفزو يتساءلون عما دار بين موسوليني وهتلر من حديث ، عندما اختليا وحيدين في قاعة الطعام ، وقال ماكنزن السفير الآلماني مؤكداً لهم . . . « أعتقد أنهما توصلا في هذا الوقت إلى بعض القرارات البالغة الأهمية » . وظل الجميع يرقبون الزعيمين ، وهما يغادران محطة تريفيزيو في السيارة ، ليستقلاها إلى المطار . وقد بدا الرجلان كما قال الفييرى فيا بعد في منهى الهدوء والرضي » ، ولعل الدوتشي قد فاتح حليفه بكل ما يريد قوله على أي حال . لكن ايركول بوراتو ، سائق السيارة التي

أقلتهما ، كان يعرف أحسن من غيره . فقد ذكر أن موسوليني « وجد صعوبة في إخفاء قلقه . وقد ظهر التوتر بينهما أثناء الطريق في ثورات مفاجئة من جانب الزعم الألماني ، وردود فعل مكبوتة من جانب حليفه الإيطالي » .

وعندما حلقت الطائرة « الكوندور » حاملة هتلر في طريق العودة إلى ألمانيا ، وقف موسوليني وحيداً في أرض المطار . وقد اتخذ شكل الاستعداد العسكرى ، ورفع يده بالتحية التقليدية . وسرعان ما استدار فجأة ليمشي في طريقه إلى طائرته . وأسرع امبروزيو والفييرى وباستيانيني الخطو وراءه للحاق به . وتظاهر بأنه لا يراهم ، ثم ارتدى معطف الطيران ، وأخذ يتحدث بكثير من الاهمام إلى الجنرال الإيطالي الذي يتولى قيادة القوات المرابطة في نريفيزيو . وخشي أن يسافر الدوتشي دون أن يفصح بشيء عما اتفق عليه مع هتلر . فتغلب على تردده ، وتقدم إليه ، يسأله تحت ستار رغبته في الحصول على تعلياته الجديدة ، قبل أن يعود إلى سفارته في برئين ، ولكن موسوليني نحاه جانباً ، وقال وسط الهدير الذي يعود إلى سفارته في برئين ، ولكن موسوليني نحاه جانباً ، وقال وسط الهدير الذي أحدثه صوت عركات الطائرة وهي تدور . . . « لم أجد ضرورة لاتحدث إلى هنلر بما اقترحته ، فقد وعد هذه المرة بمنهي الصدق ، بأن يبعث إلينا بكل ما نطلبه من مساعدات » ، وراح يضيف وهو يلتفت إلى امبروزيو . . . « ومن الضروري بالطبع ، أن تكون طلباتنا معقولة » .

كان هذا هو الصورة النهائية لخيبة الأمل. فقد عرف أمبر وزيو من الحديث القصير الذى دار بينه وبين كايتل ، أن الألمان لن يستجيبوا حتى إلى الطلبات المعقولة ، إلا إذا وافق الإيطاليون على شروطهم التى اعترف موسولينى بأنها غير مقبولة كلياً . وكان الجنرال على ثقة من أن موسولينى يرفض مواجهة مشاكله برجولة . وشك فى أن يكون قد أبلغ هتلر ، أن إيطاليا ستكون عاجزة كل العجز عما قريب عن المضى فى القتال . وعرف الآن أن موسولينى لم يبعث إلى هتلر بالرسالة التى قال إنه سيبعث بها إليه ، ليبلغه فيها اضطرار إيطاليا إلى عقد الصلح ، عما عرف أن هذه الرسالة لن ترسل أبداً . وعاد إلى رومة وهو مقتنع كل الاقتناع ، من أن الجنرالات الآخرين كانوا على حق ، وأن من المستحيل اقناع الدوتشى من أن الجنرالات الآخرين كانوا على حق ، وأن من المستحيل اقناع الدوتشى بالانتقاض على ألمانيا ، وأن إزاحته عن الحكم ، هو الأمل الوحيد المتبتى لإيطاليا .

ومضى موسولينى بعد عودته من فيلترى إلى الملك ، يقدم إليه تقريراً عن الاجتماع . وكان قبل ذهابه إلى القصر قد أبلغ عضو مجلس الشيوخ مانليومورجاجنى بوصفه رئيس مجلس إدارة وكالة استيفانى للأنباء ، بأن الألمان ما زالوا أقوياء إلى حد يكفى « لصد التيار » ، وحل الوضع بكامله فى إيطاليا » . ولكنهم يحتاجون لتحقيق ذلك ، إلى « القيادة الفعيية لا للجبهة الإيطالية وحدها ، بل وللميدان الداخلى أيضاً . ولكن هذا شرط لن يقب به الشعب ، ولن يرتضيه الملك ، ولن بكون فى وسعى الرضى به » .

ويقول موسوليني فيما كتبه فيما بعد إنه وجد الملك مقطباً وفي حالة عصبية . وكان الجو في منهي التونر. وقال الملك . . . « لا يمكن للأمورأن تستمر على هذا النحو . فها هي صقلية قد ضاعت منا . وسيقوم الألمان بخديعتنا . أما نظام الجنود وانضباطهم فقد انهارا كل الانهيار، . كان هذا هو لباب الحديث . ويبدو أن الملك عارض بمنتهى العنف شروط الألمان . فقد أبلغه امبروزيو صورة عن موقف هتلر في فيلترى ، كما أوضح له أن موسوليني بدا عاجزاً من الناحية الصحية والمعنوبة عن عرض المأساة الإيطالية في ضوتها الصحيح . وأشار الملك أثناء المقابلة إلى تزايد مشاعر الكره في إيطاليا للدوتشي ، كما تحدث إليه عن الأنباء الني وصلته عن مختلف المؤامرات التي تحاك ضده . لكنه طمأن موسوليني على وضعه ، وغادر موسوليني القصر وهو مطمئن إلى سلامته كما كان دائمًا،ولم تمض ساعات حتى كان روبرتو فاريناتشي بحذره من أن لدى الجنرال كافاليرو أدلة تثبت أن القصر والكونت جراندي يتآمران للإطاحة به ، وإن ما هو أهم من هذا بالنسبة إليه ، أن التآمر يشمل أيضاً مرضوع الانتقاض على ألمانيا . ورد موسوليني بأن هذا مستحيل ، وإنه لا يصدق هذا القول . فقد سمع الملك في ذلك الصباح . وهو يقول له . . . « لا ريب في أنها أيام مخيفة بالنسبة إليك ، ولكن في وسعك أن تثق وأن تطمئن ، إلى أنك ستجد في دائماً ، صديقاً لك . فمن السخف كل السخف أن تفترض أن جميع الناس سيتخلون عنك بعد كل ما فعلته لإيطاليا . على أى حال ، سأكون آخر من يتخلى عنك ، وعندما جاءه سكورزا يحمل تحذيراً آخر ، وإن محادثة هاتفية قد التقطت بين بادوليو والدوق داكويرون ، لم يبد اهتماماً حتى في معرفة ما دار في هذا الحديث الهاتني . وكان الحديث يدور حول « اعتقاله » ذات يوم وهو يغادر قصر الملك بعد مقابلته ، وهذا ما أصر سكورزا على إبلاغه إياه . . . فكان تعليق موسوليني الوحيد على هذا القول . . . .

ومضى فى ذلك المساء ، لتفقد ما أحدثته غارة الناسع عشر من يوليو الجوية من أضرار فى مدينة رومة . وكانت أنقاض الأبنية لا تزال عابقة بالدخان ، وتطلع إليها الدوتشى . وقد ظهرت على أساريره ، كما قال سائقه فيا بعد، علائم الأسى واليأس .

واستخدم فيلبو انفوسو تعبيراً مماثلا في وصف مشاعره ، عندما تطلع من نافذة غرفة جلوس تشيانو في شارع انجيلو سيشي ، فرأى سحب الغبار وهي تصعد ببطء متجهة إلى الشرق . وقال فيا بعد ، إن هذه القنابل ، كانت المنبع الذي استمدت منه مؤامرات رومة وحبها .

ولم يعد أحد يفكر الآن بشيء آخر ، سوى هذه المؤامرات ، فحتى ذلك الحشد من الأميرات والنبيلات ، اللاقى كن يستعرضن داخلات خارجات من بيت تشيانو ، مهامسات بالتجارب التي مرون بها أثناء الغارة ، ضاحكات من انفوسو ، ذلك الشاب الصقلى العاطفى ، وهو يؤكد ضرورة الدفاع عن جزيرته ومسقط رأسه ، مهما كان الثمن ، واللاقى كن لا يتحدثن فى العادة إلا عن أنفسهن ، وكأنهن « الجوارى اللاقى يقمن فى حريم القصور » بتن ينصتن الآن إلى كل نبأ يسمعنه عن حل نلك المشكلة التى اسمتها إحداهن و بلغز سقوط الدوتشى الوشيك الوقوع » . إذ لم يكن يعرف أحد ماذا سيقع حقاً ، كما لم يكن هناك المشاف الوقوع على ما يجب أن يقع . فقد ذكر باستيانيني أن موسوليني حطم إيطاليا ، اتفاق على ما يجب أن يقع . فقد ذكر باستيانيني أن موسوليني حطم إيطاليا ، بينا خيل لجيتانو بولفيريلي وزير الثقافة الشعبية الجديد ، بأن موسوليني هو الوحيد بينا خيل لجيتانو بولفيريلي وزير الثقافة الشعبية الجديد ، بأن موسوليني هو الوحيد الذي يستطيع إنقاذها . وقال فيتوريو سيني ، وزير المواصلات إن ه موسوليني قد

جن وإنه يجب الخلاص منه a، بينما تصور ايرمانو اميكوكي أن أولئك الذين يريدون الإطاحة به هم المجانين . ومضى يقول . . . « وأنا لاأعرف ما الذي يريدون عمله ، ولكن من السهل على أن أرى أنهم سيقودوننا إلى الخراب . » أما تشيانو الذي كان معظمهم يعتقد بأنه الحليفة الشرعي للدوتشي فقد ظل صامتاً مغلقاً ، محتفظاً بسره لنفسه . ولم يكن ثمة أدنى ربب في أن تشيانو لم يعد قريباً من موسوليني كما كان من قبل اقصائه عن وزارة الخارجية بل وقبل نشوب الحرب في الواقع. ففي يناير عام ١٩٤١ ، وكان كغيره من الوزراء ، قد صدر إليه أمر الدوتشي بأن يمضى إلى الحرب ليكون قدوة للأمة . جاء إلى قصر البندقية ، ليودع حماه ، قبل مغادرته ليتولى قيادة أحد أسراب القوة الجوية في بارى ، فوجد الدوتشي في منهي البرود والنأى عنه . وانتزعت منه أثناء غيينه ، جميع قضايا السياسة الحارجية ، ولم يعد يعرف شيئاً عن حقيقة ما يدور . وعاش في باري في فندق «أوربا»، حيث كان يقضى أوقات فراغه بين المهمات الجوية التي توكل إليه ، وتعرضت حياته هناك . بالرغم من أنها لم تكن أكثر صخباً من حياة أي ضابط في السلاح الجوي ، لموجة عارمة من النقد المؤذى ، وخيل إلى تشيانو ، وقد رفض موسوليني مساعدته في الحلاص من إحدى فضائحه ، أنه بات ضحية حقد الدوتشي وكراهيته . وكثيراً ما تحدث بذلك إلى أصدقائه ، فإذا ما جرؤ أحدهم على توجيه النقد إلى الدوتشي ، نظر إليه تشيانو نظرة ساخطة . وكثيراً ما سمع بوتاي يقول . ه كم أود أن أعرف الطريق التي سيقفز فيها ذلك القط » . ولكن تشيانو ظل مغلقاً ، ولم يُعرف أحد حقيقة نواياه ، كما اعترف أنفوسو، نفسه بشيء من خيبة الأمل (كان أنفوسو مديراً لمكتب تشيانو ) . وكل ما كان أكيداً ، هو أن الدوتشي أخذ يقترب من الكارثة ، وإن مدينة رومة ، وقد انتشرت سحب الغبار من الغارات فوقها ، واشتد الحر فيها إلى حد الاختناق ، كانت تنتظر ، كما قال موسوليني نفسه ، « تمثیل مسرحیة کبری ، علی مسرحها » .

## اجتماع المجلس الأعلى من ٢٤ إلى ٢٥ يوليو ١٩٤٣

، جنت إلى روبة لأظل في الحكم فيها أطول مدة ممكنة يه .

مضى دينو جراندې بعد ظهر الواحد والعشرين من يوليو إلى شارع فرديناندو دى سافويا ، ليزور فيديرزوني ، رئيس المجمع العلمي الإيطالي في تللك الأيام . فقد كان فيدبرزوني ، مواطناً من أبناء بولونا الني ينتمي إليها جراندي ، وكان في وسع هذا أن يثق به ، ويطمين إليه . وعرض عليه جراندى ، مسودة مشروع القرار الذي كان يعتزم تقديمه إلى اجمّاع المجلس الأعلى . وكان المشروع يبدو فى ظاهره ، وللوهلة الأولى ، فى منتهى البراءة . لكن حقيقة الغاية منه ، كانت تبدو في عباراته الأخيرة القليلة . فبعد المقدمة الطويلة . البليغة العبارات ، والناقلة ا لعدد من الحقائق الثابتة المقررة ، والآمال البراقة ، يعلن المشروع ، ضرورة عودة الدولة فوراً إلى أعمالها السابقة ، عل أن يستعيد الملك والمجلس الأعلى والحكومة . والبرلمان والاتحادات المهنية ، جميع واجباتها ومسئولياتها ، المقررة لها بموجب الدسنور والقوانين الأساسية ، . وأعلن المشروع أيضاً أن من الضرورى دعوة « رئيس الحكومة إلى أن يطلب من جلالة الملك ، الذي تنجه إليه قلوب أفراد الأمة جميعاً بالثقة والإيمان ، أن يتولى إذا شاء حفاظاً على كرامة الأمة ورغبة في إنقاذها ، بالإضافة إلى القيادة الفعلية للقوات المسلحة . الحق الأعلى في اتخاذ القرارات ، وهو الحق الذي تضفيه عليه نظمنا ، وكان طيلة تاريخنا القومي . التراث المجيد لأسرة سافوى العظيمة ، . وبعبارة أخرى كان على موسوليني بموجب هذا المشروع أن يتخلى عن جميع سلطاته .

وقرأ فبديرزيونى هذه الورقة بصمت وعناية . وعندما كان يقرأ المشروع بمثل هذا الإمعان ، كان جراندى يراقبه ، وخيل إليه أنه قد أخطأ في اطلاعه عليه .

ولكن سرعان ما هدأت خواطره ، واطمأنت نفسه . فقد قال رئيس المجمع العلمى وهو يعيد إليه ورقته . . . « علينا أن نجوب كل شيء ، وكل وسيلة ، حتى المستحيل منها ، لإنقاذ الأمة من الدمار الكامل ، ولو قدر لنا أن نفشل في محاولتنا فإن تضحيتنا ستكون الشعلة التي تلهب الثورة ، وتوقظ الشعب من حالة الحمود التي يعيشها » .

وعندما لتى جراندي هذا التشجيع من فيديرزيونى راح يعرض مشروعه على جيوسيي بوتاى ، وجيوسيي باستيانينى وأومبرتو البينى ، وهم من الأعضاء المهميين في المجلس الفاشى الأعلى . وقد وافقوا جميعاً على تأييد مشروعه في الاجماع .

وكان بوتاى أرفع الثلاثة منزلة وأكثرهم تجلة . فقد كان من أقدم أنصار الفاشية ، وكان من القادة القلائل اللين يتميزون بالثقافة العالية . أسجل كان كاتباً فذاً ، ومفاوضاً من الدرجة الأولى ، وإدارياً قديراً . وكان عند توكيه وزارة الاتحادات المهنية مسئولا عن ميثاق العمل الفاشي ، كما كان عند نوليه وزارة التربية مسؤولا عن قانون المعارف وهو القانون الذي استعيض به عن قانون ه جنتيل » لعام ١٩٢٣ ، الذي اعتبر مغرقاً في الليبرالية والعداء للكنيسة ، وكان القصد منه أن يفرض الإشراف الفاشي على النظام التعليمي في إيطاليا . ومن المعروف عنه أنه كان من الأذكياء ، والماكرين والصريحين في آرائهم . فلم يخف قط أن إخلاصه الصادق السابق لموسوليني قد تحول إلى خيبة أمل ، كما لم يخف أيضاً كراهيته للحرب . وكان قد أبلغ تشيانو في ملعب الجولف ، وقبل إعلان موسوليني الحرب بأسبوع على فرنسا وبريطانيا ، بأن الواجب يقضى بإنشاء حزب ينافس الحزب الفاشي . على أن يطلق على نفسه اسم ؛ حزب المتدخلين في الحرب لمقاصد سيئة » . وازداد عنف نقده بعد عامين . فقد ذكر أن الطريقة الوحيدة للنجاح في إيطاليا اليوم ، باتت التعرف على أسرة بيتاتشي ، وإنه لهذا قور أن يعين لنفسه سفيراً لَّدى بلاط هذه الأسرة . وقام في صيف عام ١٩٤٢ بزيارة تشيانو . ودون هذا في يومياته عن هذه الزيارة فيها بعد قوله . . . ٥ لم يكن لديه ما يقوله لى سوى أن عداءه لموسوليني قد زاد اليوم عن أي يوم مضى . وإذا كان يعترف بمثل هذا لي أنا ، فني وسع المرء أن يتصور ما يقوله إلى أصدقاته في مجالسه الخاصة ». وقام بزيارة تشيانو ثانية في الشهر التالى ، وراح يتحدث إليه من جديد عن « النهم التي لا نفع فيها » . فقد تحدث عن موسوليني بغضب ممنزج بالسخط . وقال إن الحرب غير مشروعة ، لأن المجلس الأعلى لم يستشر في أمرها . ولم يكن المدوشي في نظره إلا « رجلا علم نفسه ، وكان معلمه من أسوأ المعلمين ، وكان تلميذه أسوأ الطلاب طراً » .

وأحس جراندى أن فى إمكانه أن يعتمد على رجال من أمثال بوتاى ، فى العون لضخم الذى يحتاج إليه لمواجهة موسوليني نفسه فى المجلس الفاشي الأعلى . أما بالنسبة إلى باستيانيني والبيني ، قلم يكن على ثقة من صمودهما أمام الدوتشي .

ولم يكن باستيانيني لذى اختاره موسوليني نفسه خليفة لتشيانو في وزارة الحارجية في قصر شبجي ، يشترك مع بوتاى في مشاعر الكره العميق للدوتشي ، ولكنه كان يعرف تمام المعرفة ، أن الحرب تقود إيطاليا إلى كارثها ، وأن إخراج موسوليني من رئاسة الحكومة . قد يساعد على عقد صلح منفرد مع الحلفاء . وكان ، وقد وضع هذا المدف نصب عينه ، قد شرع في بجس نبض الحلفاء عن طريق بعض السفارات المحايدة . ولما كان رجلا يتصف بالحدر والدقة والسير في خط معين ، بطبيعته ، فلم يكن من الطراز الذي يوجه النقد العنيف إلى الدوشي عند اجتماع المجلس ، ولكن لم يكن ثمة شك في أنه سيقترع إلى جانب مشروع جرائدي إذا تبين له أنه سيفوز في نتيجة الاقتراع .

وكان البيبى قد خلف بوفاريبى – جيدى ، فى وكالة وزارة الداخلية أثناء التعديل الوزارى الأخير ، وكان يعرف معرفة صحيحة ومن مصادرها الأولية مدى الوضع المفجع والواقعى الذى وصات إليه الجبهة الداخاية . ولد آمن كباستيانينى بوجوب استبدال موسولينى ، ولكنه كزميله ، لم يكن من المتوقع منه أن يتخذ نفس الموقف الذى كان سيقفه بوتاى .

وقد اتخذ عدد آخر من أعضاء المجلس الأعلى الذين اتصل بهم جراندى وفيديرزيوني وبويّاى نفس الموقف الحدر والمردد الذي اتخده باستيانيني والبيني . وكان دى بوزو ودى فيشي العضوين الوحيدين الباقيين بعد مصرع بالبو في حادث الطائرة من مجلس الأربعة الذي قاد الزحف على رومة في عام ١٩٢٢ ، وقد وافقا

مع آنيو بيجناردى رئيس الاتحاد الفاشى القوى للعمال الزواعيبن والكونت جياكومو سواردو ، رئيس مجلس الشيوخ ، وجيانيني وزير الاتحادات العمالية ودى ستيفاني الوزير السابق للمالية على تأييد مشروع جراندى ، ولكن أيًّا منهم لم يعرب عن استعداده لتحمل مسئولية إظهار موقفه أثناء الاجتماع ، إلا إذا تبين له أن النقاش يسير سيراً مواتياً للمشروع نفسه .

ودهش جرافدى كل الدهشة من أن كارلو سكورزا ، السكرتير العام للحزب ، أبدى استعداده لتأييد المشروع عندما عرضه عليه بوم الأربعاء فى الواحد والعشرين من يوليو فى مقر قيادة الحزب . لكنه احتاط لنفسه ، قبل أن يتعهد بشىء ، فأخذ صورة عن المشروع إلى موسولينى اللى مضى لمقابلته ظهر ذلك اليوم ليعرض عليه تقريره . وقرأ موسولينى المسودة بسرعة ، ولم يبد عليه أى ذعر . وأعادها إلى صاحبها مكتفياً بقول مقتضب بأنها «غير مقبولة ، وتثير الاشمئزاز» . وذكر موسولينى فيا بعد ، أن سكورزا «طوي الورقة وأعادها إلى محفظته ولم يعد إلى إثارة الموضوع فيا بعد ، أن سكورزا يعد بعد أن غادر قصر البندقية مسودة المشروع الذى اعتزم تقديمه إلى المجلس الأعلى ، كبدبل عن مشروع جراندى .

۲

وبعد أن تأكد جراندى من أنه قد حصل على تأييد فيديرزوني وبوتاى وباستيانيي والبيني ، وكذلك سكورزا ، كما أمل ، راح يطلب مقابلة الدوتشي . وقد ذكر هو أنه لم يكن راغباً في أن ويظهر بصورة المتآمر ، وكان لا يزال يأمل في أن يتمكن من إقناع الدوتشي بالقيام تلقائياً بإيماءة تجعل الاجتماع أمراً لا ضرورة له . وفي الساعة الحامسة من بعد ظهر الثاني والعشرين من يوليو ، استقبل موسوليني جراندي في صالة « الكرة الأرضية » في قصر البندقية . وكان الدوتشي يقف وراء مكتبه الضخم ، يرقب زائره بنظرة باردة جامدة وهو يتقدم الدوتشي يقف وراء مكتبه الضخم ، يرقب زائره بنظرة باردة جامدة وهو يتقدم الدوتشي مشفعاً إياه بخطبة قصيرة أيده فيها ، ولم يقاطعه موسوليني ، وإنما ظل مسامع الدوتشي مشفعاً إياه بخطبة قصيرة أيده فيها ، ولم يقاطعه موسوليني ، وإنما ظل

يرقبه بنظره فيها كل معانى الازدراء المرقع ، وعندما انتهى هذا من خطابه ، واح موسوليني يقول . . . و فارقني الآن ، وسنلتني ثانية في المجلس الأعلى ، .

وعندما خرج جراندي . ماراً بقاعة الاجتماع ، كان خدم القصر ، يعدون المقاعد للاجتماع . وكان الماريشال كيسلونج يجلس على أحد هذه المقاعد منتظراً مقابلة الدوتشي . وذكر جراندي فيا يعد ، أن هذا الحادث لم يكن و دليل خير » . وكانت أعصابه قد شد ت باعترافه ، إذ أن جمود الدوتشي وثقته المتعالية لم يكونا من النوع المقلق فحسب بل وكانا مثيرين للفزع أيضاً . وقرر أن يطلب إلى البيني أن يعد العدة لإخفاء ماثنين من ربجال الشرطة في أماكن متفرقة من القصر . وقرر أيضاً الإذعان لبوتاي لذي اقترح ضم الكونت تشيانو إلى المؤامرة . وبالرغم من أن جراندي ، ما كان لبثق بتشيانو على الإطلاق ، فقد وجد نفسه مضطراً إلى موافقة بوتاي على رأيه ، في أنه إذا تمكن من إقناع تشيانو بتأييد الثورة ، فإن عدداً من الأصوات المرددة لابد وأن ينحاز إلى المشروع (١٠) .

ودعا بوتاى بعد ظهر اليوم الذى سبق الاجتماع كلا من جراندى وتشيانو إلى الاجتماع فى منزله . ولم ينسجم ضيفاه مع بعضهما ولم يستطيعا الاتفاق على سياسة مشتركة . وبدا أن تشيانو كان يشك فى أن جراندى يريد الإطاحة بموسولينى ليكتسب هو وفيديرزوفى مزيداً من السلطان والنفوذ . وأحس جراندى ، أن تشيانو بالرغم من أية وعود قد يعطيها فى البداية ، قد يلنى فى المحطة الأخيرة وبكل ثقله ونفوذه إلى جانب حميه . وكان بوناى يعتقد أن السلطة السياسية التى ستنتزع من موسولينى بجب أن تعطى إلى الملك مع القيادة العليا للقوات المسلحة ، ولكن الرجاين الآخرين لم يوافقاه على رأيه ، على اعتبار أنه رأى غير عملى . وطال الحديث بين الرجال الثلاثة وتشعب ، وعندما غادر تشيانو المكان ، لم يكن جراندى وبوتاي على ثقة مما إذا كان سيؤيدهما أو سيعارضهما .

<sup>(1)</sup> لا تختلف رواية الكونت جراندى عن هذا الاجتماع اختلافاً كبيراً عن رواية موسوليني . لكن الماريشال كيسلرنج وهو يحدد تاريخ المقابلة في الرابع والعشرين من يوليو لا في الثاني والعشرين . يؤكد أن موسوليني كان في منهى الانشراح عند ما دخل إلى القاعة بعد أن كان جرائدى قد غادرها . وقد بادره موسوليني قائلا . . . « فارقي جرائدى قبل لحظات . وكان بيننا حديث صريح من القلب إلى القلب . وآوؤنا مهائلة . فهو مخلص لى كل الإخلاص » .

ولكنه كان قد حزم أمره في صبيحة اليوم التالى كما يبدو. في ظهر ذلك اليوم وصل إلى وزارة الحارجية دينوالفيرى ، الذى استدعى من سفارنه في برلين لحضور اجتهاع المجلس الذى سيعقد في ساعة متأخرة من ذلك اليوم ، ووجد باستيانيي ، و صامتاً ودائم التفكير ». ولم يكن قد انقضى على وجوده هناك بضع دقائق حتى جاء الكونت تشيانو ، ليرتفع ذلك الوجوم الذى كان مخيماً على الاجتماع . ودون الفيرى فيا بعد . . . « وكان تشيانو في منتهى الود والدمائة ، ولكن بدا ثائر الأعصاب . ولست أشك في أنه سر بمراى » .

وراح يقول . . . و سرني مجيئك . وقد اتفقنا جميعاً على أن من واجبنا أن نخطو إلى أبعد نقطة ممكنة لإنقاذ إيطاليا . فهو ، صاحب رأس الخنزير ، يرفض فهم الموقف وعندما يجتمع المجلس الأعلى اليوم ، سنتحدث كما قررنا عما نراه بوضوح ، وسنحمله على أن يفهم » .

وأبلغ تشيانو الفيرى ، إنه فى طريقه إلى جرائدى ليعده بتأييده ، وطلب من السفير مرافقته . وقد وجدا جرائدى برتدى قميصاً رياضياً فى مكتبه فى مجلس النواب . وقد وحب بهما كل الترحاب ، وأطلعهما على مسودة المشروع ، فقرأها الفيرى بسرعة ، ثم قال ، إنه بالرغم من سلامتها كما تبدو له ، لابد من أن يستوضح عن نقطة واحدة أو نقطتين فيها .

ورد تشيانو ، مقاطعاً إياه بفروغ صبر . . . « لا حاجة إلى الشكوك والريب . فالمشروع مجرد مذكرة . ولا ريب في اننا اثناء المناقشة سنوالى معاملة الدوتشي بمنتهى الاحترام والتوقير .

وهكدا استسلم الفييرى بعد لأى وتردد ودون جرندى اسمه بقلم أزرق ، في ذيل قائمة أنصاره .

وإذا ما استثنبنا فيديرزونى ، لم يكن فى وسع جراندى على أى حال أكن يتأكد من أن فى وسعه أن يثق بأى من أصحاب هذه الأسماء المدونة فى قائمته تمام الثقة حتى بوتاى نفسه .

وراح يقول في بعد . . . « وكان فيديرزوني هو الوحيد الذي كان في وسعى . ومن صميم فؤادى ، أن أثن فيه كل الثقة » . وبدأ يفكر أنه كان من

الأفضل له لو فكر فى القيام بانقلاب مفاجئ . أما وقد عرف موسولينى الآن المدى الذى الذى مضى إليه فى محاولاته تحطيم سلطته ، فقد خشى الآن أن يعتقل ، وأصبح على ثقة ، من أنه إذا اعتقل ، فإن معظم أنصاره ، سيتخلون عنه وينضمون إلى تلك المجموعة القوية من الأنصار المخلصين فى المجلس الأعلى الذين لابد وأن يقفوا إلى جانب الدونشي مهما حدث .

وعندما ارتدي ذلك القميص الخاص المعروف باسم «ساهارنيانا» ، والذى كان موسوليني قد أمر جميع أعضاء المجلس الأعلى بارتدائه ، وإح يضع مسدسه فى جيبه ، ويحشو حقيبة يده بالقنابل اليدوية . وغادر منزله فى الساعة الرابعة والنصف متجها إلى قصر البندقية حيث وجد مجموعات عدة من الحرس الفاشى فى باحة القصر الداخلية وكان فى القصر أيضاً عدد من رجال الحرس . ووجه بوتاى حديثه إليه غاضباً . . . « أحسنت صنعاً بتحدثك إليه . فقد حانت ساعتنا جميعاً » . وخيل إلى جراندى أن نهايتهم قد دنت حقاً . وشرع يفكر بأنه لن يخرج من القصر حقاً .

وكان موسوليني قد دخل مكتبه. فقد تناول غداءه في دارة تورلونيا ، حيث سار 1 كل شيء حسب لمعتاد ، كما دونت راشيل في يوميانها في ذلك المساء . وبدا غير متأثر بالأنباء التي وصلته عن هذه المؤامرات التي تحاك ضده . وقبل أربعة أيام من هذا التاريخ ، وكان خادمه ، يثبت له ياقة قصيصه قبل مضيه إلى حفلة عشاء رسمية . بادرته راشيل بقولها إن البعض قدم إليها قائمة بأسماء الأشخاص الذين زودهم باستيانيي بجوازات السفر . وإن و الموقف قد حان القيام بإجراء ضد تشيانو وجراندي وبادوليو وشركائهم » . لكنه لم ينتصح ولم يقبل التحدير . وقال لها إن الدبابات الأمريكية هي التي تشغله لا دسائس قلة من الإيطاليين . وعندما مضي الآن إلى اجهاع المجلس الأعلى زودته راشيل بنصائحها قائلة . . . « اقبض عليهم جميعاً قبل بداية لاجهاع » . فقبلها في مدخل الدارة دون أن يرد على نصيحها ، ومضي إلى السيارة التي تنتظوه ، وقد حمل حقيبة منتفخة تحت إبطه . وراحت زوجته تدون في يوميانها بعد أن فارقها قائلة . . . « إنه يؤمن إيماناً صادقاً بأن كل شيء سيسير على ما يرام » .

وخطا إلى قاعة الاجتماع بثقته المألوفة بنفسه ، دون أن ينظر إلى أحد الأعضاء الله بن هبوا وقوفاً عند دخوله ، رداً على أمر سكورزا الذى ألقاه بأعلى صوته . . . وحيوا الدوتشى ٥ . لبر دوا بصوت واحد . . . و إننا نحييه ٥ . ولم تبد عليه علائم السرور ٥ وهم يحيونه التحية التقليدية لزعيم الفاشية ، وراح يجلس إلى منضدته عملقاً فيهم . وسرعان ما انتابته نوبة من الألم ، بعد أن اقتعد مقعده . إذ كانت آلام القرحة قد عاودته منذ الليلة الماضية عندما هتفت له كلارينا بيتانشي تقول . . . وماذا سيحدث لو أنك أحسست بالألم في هذا اليوم الكبر الأهمية والحطورة ؟ ٥ وماذا سيحدث لو أنك أحسست بالألم في هذا اليوم الكبر الأهمية والحطورة ؟ ٥

ورد عليها بذلك التصميم المتعالى الذي عرف عنه، والذي لم تؤثر عليه الأحداث، يقول . . . د سأكون قوينًا ، وسأسيطر على الوضع بطريقتي المألونة » .

وعندما جلس إلى مقعده ، مصغياً إلى سكورزا وهو يتلو أسماء الحاضرين ، غرباً بعض الأوراق من محفظته الى كان نافارا رئيس فراشيه ، قد وضعها أمامه على منضدته ، مقطباً جبينه ، وقد دفع ذقنه إلى الأمام ، وبدا ، كما وصفته إحدى عشيقاته ذات يوم مضى ، وكأن وجهه بكامله قد اندفع إلى الأمام بعيداً عن أذنيه ، قادراً على السيطرة على الاجماع . وكان يرتدى البزة الخضراء الفاتحة الى يرتديها الحرس الفاشى ، خلافاً للآخرين الذين كاقوا فى قمصانهم السوداء ، مدللا بذلك على ترفعه عهم ، بوصفه الدونشي المتفوق والمسيطر . وكانت المنضدة الى جلس إليها ، ترتفع على منصة فتظهر أعلى من أماكن الآخرين ، مما أضبى عليه تفوقاً معنوياً وروحياً عليهم . وكانت هناك بالإضافة إلى كل ذلك ، عادات ومواقف وذكريات ومخاوف عاشت عمر النظام الفاشى ، الذى انبثق قبل حقبتين من الزمن . ولم يستطع بوتاى نفسه كبح جماح أفكاره ، بأن هذا الرجل الذى يطل عليهم من عل ، وبمثل هذه القسوة ، إنما يجسد العقيدة الفاشية كلها .

فقد كان عند الكليرين منهم ، بل عند معظمهم على الغالب ، ورغم كل شيء ، أعظم من أنجبته إيطاليا من أبناء . ولم يكن هناك بينهم حتى ولا قلة ، من لم يعترف بهله الحقيقة ذات يوم ، كما لم يكن بينهم حتى فى تلك اللحظة عدد مهما قل ، لبس على استعداد للاعتراف بها لو أتيحت له الفرصة . وكان جراندى نفسه ، قد اعترف بها ، قبل مدة قصيرة وبحماسة ، ما كانت لتصدر حتى

عن أكثر أنصار موسوليني تعصباً ، إذ قال له قبل نحو من شهرين ليس إلا . . . « إن حياتي ، وإيماني ، وروحي ، ملك يديك » .

ويبدو أن موسوليني بات كأتباعه المخلصين أيضاً متأثراً بعادات الماضي . فهو لا يقبل الطاعة والعبادة والثقة التي لا تتزعزع منذ سنوات طويلة ، كالاستجابات المفرحة من شعب راض ومستجيب فحسب ، وإنما يريدها ، نوعاً من الإجلال الذي تستحقه عبقريته . ولم يكن شعار «موسوليني على حق دائماً ، يظهر على جدران إيطاليــا ، كإطراء لفائد عظيم يحس شعبه نحوه بإعجاب واعتراف بالحميل عميقين ، وإنما كان تعبيراً عن حقيقة لا يمكن إنكارها . وليس ثمة من شك في أن هذه الثقة المطلقة في عظمته الداتية ، وعصمته من الخطأ ، وتفوقه الذي لا يتحدي على الإيطاليين طراً ، قد جعلت من العسير عليه أن يتبين ما في أولئك الذين ما كانوا ليضنون عليه بالمساعدة ، من مزايا ، ولا ما في ذلك العدد المتزايد من الناقدين والناقمين الذين آمنوا بخروجه على كل عقل ومنطق من خطر . ولا ريب أيضاً في أن هذه الثقة العمياء هي التي حملته على استبعاد كل فكرة في مؤامرة ناجحة ضده ، ووصفها بالحيال ، وعلى رفض أى اقتراح بوجوب الحرص في معالجة هذا الاجتماع الذي لم يكن يتوقع فيه أكثر من مجود « مناقشة حامية » . ولم يكن كللك قد احتمل عناء إعداد خطابه اللي جرت العادة على أن تستهل به ، مثل هذه الاجتماعات ، إذ كان واثقاً من أن في وسعه ، أن يسكت كل معارضة ، بمجرد ارتفاع صوته .

وبدأ موسوليني حديثه بالطريقة المهذبة المألوفة التي يشرع فيها مرّب كبير في إلقاء محاضرته العادبة ، قائلا . . . و دخلت الحرب في الواقع مرحلة في منهى الخطورة . فقد تحقق ما كان يبدو مستحيلا . بل حتى مجرد فرض سخيف ، بالرخم من دخول الولايات المتحدة الحرب في البحر الأبيض المتوسط . وفي وسع المرء أن يقول ، إن الحرب الحقيقية بدأت بسقوط بانتيلاريا . وكان القصد من الحرب الهامشية على الساحل الإفريقي ، تجنب مثل هذا الاحتمال أو إحباطه . وفي مثل هذه الأوضاع ، كان من الطبيعي أن تتحد جميع التيارات الفكرية من رسمية وغير رسمية ، في عدائها لنا ولعهدنا سراً أو علانية » .

كانت هذه هي البداية لحطاب طويل وهادر . تميز بكثير من الغموض المدهل . وهكذا تحدث مستسلماً . وخالياً من الإبداع حيناً ، ومغروراً وفي منهي الصلافة التي تبلغ حدود الانهام حيناً آخر ، مبرراً أخطاءه إلى حد التضليل ، وبطريقة رئيبة تخلو من الإيمان حتى ومن اعتبار الحقيقة واحترامها ، ضاغطاً براحة بده أحياناً على معدته ، وكأنه يخفف من ألم القرحة التي يشكو منها .

وراح يعلن فى تدوينه ذكرياته عن هذا الحطاب الذى رأى فيه سامعوه افتقاراً إلى التصميم والدقة . . . « وليكن معلوماً ، الآن ودائماً . أنبى لم أكن فى يوماً ما راغباً فى نسلم القيادة العليا للقوات العاملة فى الميدان ، وهى المهمة الملقاة على عاتبى ، بإيعاز من الماريشال بادوليو . . . فعندما مرضت فى أكتوبر عام ١٩٤٧ ، فكرت فى التمخلى عن القيادة العسكرية ، ولكننى تراجعت عن ذلك ، لأننى تصورت أن من الحطأ التمخلى عن السفينة وهى تأنهة وسط العاصفة . وقررت تأجيل ذلك انتظاراً لظهور الشمس من جديد ، وهو ما لم يقع حتى يومنا هذا . وأظن أن لبس عقد لدى ما أضيفه على موضوع القيادة » .

وبعد أن تخلص من المسئولية بمثل هذه الفتوى الغريبة والإيضاحات غير المقبولة ، راح يشير بأصابع الاتهام إلى المدنيين الحقيقيين ، فوجدهم فى كل مكان . إنهم فى أعلى مراتب القبادة العامة للجيش ، حيث يفتقرون إلى الثقة من ناحية وإلى المعلومات من الناحية الأخرى ، وهم فى أقل هذه المراتب فى القوات البرية إشأنا إذ يستسلمون فى صقلية فى قطعان ضخمة ، تماماً كما فعلوا فى أفريقيا . وقد تحدث عنهم وكأنهم جنوده فى جيش هزم منذ أمد بعيد فى حرب أصبحت بجزءاً من التاريخ الذى انقضى . ووجد المبررات ، وألقى اللوم ذات الهين وذات الشيال ، وعبر على أسباب الهزيمة ، ولكنه لم يقترح أى علاج . وأقر بأن عواطف الشعب ليست مع الحرب ، ولكنه لم يأت بعلاج لهذا الوضع ثم قال . . . ١ إن عواطف عواطف الشعب بعيدة دائماً عن الحرب . فالحرب هى حرب الحزب ، لأن الحزب هو الذى أرادها . إنها دائماً حرب رجل واحد ، ولو قبل اليوم إن الحرب التي نخوضها هى حرب موسوليني . فقد كانت تسمى فى عام ١٨٥٩ بحرب كافور أيضاً . ومضى بعد ذلك يقول . . . ٥ وفى العشرين من أكتوبر ، كنت أتوقع أن

يهاجمنا البريطانيون في العلمين ». وقطع حديثه فجأة ليطلع بعد فترة صمت قصيرة بملاحظة غريبة شاذة ، جعلت بوتاى يتساءل ، عما إذا كان يعتز م الحروج بنكتة مغرقة في سخريتها . فقال إنه توقع يوم الهجوم ، لأنه عرف أن الإنجليز يريدون أن يعكروا صفونا ونحن نحتفل بالذكرى السنوية العشرين للثورة الفاشية في الأسبوع التالى .

وتحول بعد ذلك إلى الألمان فقال . . . « علينا أن نعترف بمنهى الإخلاص للحقيقة ، بأن الألمان عاملونا بمنهى الكرم والاحترام » . وراح يسرد تفاصيل التموينات الألمانية من المواد الأولية والأسلحة والقوات ، ولكنه لم يذكر الثمن الذى دفعته إيطاليا مقابل هذه المساعدات . ولم يشر في قليل أو في كثير إلى المساعدات الجديدة التي تحتاج إليها إيطاليا في محتها الحقيقية الراهنة . وحرص على تجنب الإشارة بشيء إلى اجتماع فيلتريه الذي كان قد عاد منه قبل آونة قصيرة .

وراح يقول بشيء من الإسهاب . . . « إن المعضلة الكبيرة التي تواجهنا الآن هي التقرير بين الحرب والصلح أو بين الاستسلام والمقاومة حتى النهاية » . وبدلا من أن يود على هذا السؤال الجوهري ، بإحدى حملاته الحماسية الشعرية والمسرحية المؤثرة التي كانت كافية حتى في ذلث الحين ، لحمل المجلس على الوقوف إلى جانبه ، راح ينزلق إلى هوة الجدل اليائس الممل ، ويقول في النهاية . . . « على أي حال ، تتطلع بريطانيا مائة سنة إلى الأمام لتضمن خمس وجبات في اليوم لشعبها .

وكان هذا الأداء مفجعاً . وتطلع أعضاء المجلس إلى الدوتشي بشيء من الصمت المشوب بالفزع . ودون الفييري فيا بعد ذكرياته ، فأعرب عن شعور الخيبة المرعب الذي سيطر على جميع الأعضاء . كان الخطاب من أضعف الخطب التي سمعوه يلقيها في حياته ، وأكثرها حسماً من ناحية أخرى . وعندما انتهى الدوتشي من خطابه ، كانت زعامته قد انتهت ، وهوى هو إلى الخضيض . وانقضت لحظات قليلة ، دون أن يجر وأحدهم على الكلام . وسرعان ما انتهى هذا الصمت المطبق ، بأصوات أقدام تتحرك ، وهمس يعلو ، ومحافظ تغلق . وأخيراً تهض الماريشال دى بونو . ولم يكن خطابه القصير ، إلا هجوماً مقنعاً على

الساسة الدين يلقون بالمستولية على قادة الجيش ، بينا هم الملومون الأنهم هم الذين اختاروهم . وكانت هذه وجهة نظر ، سرعان ما هب زميله الملكى العجوز دى فيشى لمسائلتها . ولكنه وجه في حديثه بعض الملاحظات الناقدة إلى حلفاء إيطاليا مما أثار روبرتو فاريناتشي الميال للألمان ، فسارع إلى الاعتراض عليها . وراح هذا يناقض ما قاله دى فيشى ، وينهال بالإطراء المتعصب على الألمان مقرظاً قوتهم وعصستهم من الهزيمة . وتألم دى فيشى من ملاحظاته هذه ، فراح يتهمه بالتهرب من الحدمة العسكرية في الحرب العالمية الأولى . وبالزيف في ادعاء البطولة في الحرب الحبشية ، بعد إصابته في حادث أثناء اصطياده السمك .

وأدرك بوتاى ، أن الحطر يهدد الاجتماع بالفض من جراء هذه المهاترات الوضيعة التافهة ، فقاطع دى فيشى ، ليلقى أول خطاب قوى فى ذلك المساء . وأصغى الأعضاء لكلماته ، وأدركوا أن النقد يوجه لأول مرة بصورة علنية إلى موسوليني وبحضوره . واستمد الأعضاء الآخرون الشجاعة من الشرارة التى أطلقها بوتاى فى خطابه ، فأعربوا عن رغبتهم فى الكلام . ولكن جراندى ، كان هو الذى هب واقفاً ليتكلم ، وعاد الآخرون إلى مقاعدهم ليصغوا إلى كلماته .

وشرع جراندى يتحدث بصوت خفيض يحمل طابع الجد. مما فرض الاحترام فوراً على الأعضاء الحاضرين وقال: «أود أن أكر رهنا أمام المجلس الأعلى ، ما كنت قد قلته للدوتشى بوم أمس الأول ، وإنى لأقترح أن يكون الأمر اليوى التالى »:

وراح يتلو مشروع اقراحه بهدوء ووضوح . ولم يكد ينهى منه ، حتى تبدلت لهجة حديثه ، وراح يلتى خطاباً فى منهى البلاغة والحماسة ، مضمناً إياه الاتهامات القاسية . وتحدث بشىء من المرارة «عن الشكل الأحمق والمقيد للحرب الفاشية » وعن «الإصرار المفرط التزمت فى مراعاة الشكليات التافهة » وعن «الاستمرار فى وضع الأنظمة الجديدة والكبح المتلاج للحريات الشخصية » . ثم قال بصوت مهدج تغلبه العاطفة «إنك فرضت ديكاتوريتك على إيطاليا ، وهي ديكتاتورية لا أخلاقية من الناحية التاريخية . وقد احتفظت لسنوات طويلة بين يديك بمقاليد الأمور فى الوزارات الثلاث المتعلقة بالقوات المسلحة . ولكن ما الذي حققته ؟ إنك حطمت روح قواتنا المسلحة . وقد خنقت سنوات طويلة شخصياتنا فى هذه

الملابس السوداء التي يلبسونها حداداً . وانقضت سنوات طويلة ، وأنت تختار للمناصب الهامة ، أسوأ المرشحين لها من بين عدد كبير من المرشحين الصالحين ٤ .

وظل جراندي يتحدث أكثر من ساعة . وظل موسوليني يصغي صامتاً إلى هذه الحطبة التي أسماها في بعد «بالخطبة الفليبية (۱) العنيفة ، خطبة الرجل الذي وجد أخيراً الفرصة للتعبير عن حقده العميق المدفين » . وكان يتكئ بجسمه على المنضدة في وضع المتألم الذي يشكو من المغص الشديد ، راسماً بين الحين والحين ، على ورقة أمامه بعض الأشكال والرموز ، مغطياً عينيه بيده ، ليمنع عنهما الغموه الشديد الصادر عن « الثريا » الكهربية المعلقة في سقف القاعة ، وقد اعترف فيا بعد لمارينيتي « بأن هذا الضوء الساطع الخيف ، أتعب عيني إلى حد مرعب . فيا بعد لمارينيتي « بأن هذا الضوء الساطع الخيف ، أتعب عيني إلى حد مرعب . وقد وجدت نفسي مضطراً إلى أن أحجبه طيلة الوقت بيدي عن عيني المجملة بن د . . . وكنت قد تعرضت قبل ساعتين من الاجهاع إلى نوبة قاسية من الألم الذي أعانيه منذ أمد بعيد . وكنت لا أزال أشكو من الألم في القاعة ، ولكن عقلي كان صافياً . وكنت أصغي إلى خطاب جراندي الذي مثل الاتهام العام بوضوح ، ولكن حيويتي قد فارقتي . وهذا أثر من آثار المرض ، إنه زوال الحيوية مع وضوح الفكر واستشفافه » .

ورأى بوتاى أن الدوتشى قد هزم ، وأنه يبدو يائساً وفى منهى القنوط . وروى فيا بعد أنه «لم يعد رجلا وإنما ظل رجل ، باتت أقدامه على عتبة الآخرة ». ووصفه بوفارينى – جيدى ، بأنه كان أشبه بالإنسان الشارد الفكر « وكأنه يعيش فى عالم آخر . وبدا يحجب رأسه بيده ، كما فعل قيصر عندما أراد أن يحجب بعباءته ، جسده عن ضربات بروتس والمتآمرين الآخرين » .

وعندما انتهى جراندى من خطابه ، عدل جلسته وألتى بجسده إلى الوراء فى مقعده بعد أن أرخى ياقته ، وبدا العرق يتصبب على وجهه الشاحب .

وقرر تشيانو فى هذه اللحظة أن يتكلم . وشرع فى حديثه أمام نظرة حميه اليائسة ، بلهجة ناعمة لطيفة . وحصر كلامه فى سرد تاريخى للتحالف الإيطالى الألمان ، الذى مثل فى وجهة نظر فاريناتشى الساخطة ، حملة تنكر على الألمان

<sup>(</sup>١) أطلق على خطب ديمو ستنبس الحطيب اليوناني المغور المثمور اسم الفليبيات. والمعرب ي

آى فضل . ولكن تشيانو لم يترك مجالا للشك على الإطلاق ، فى أنه سيؤيد مشروع جراندى . وعند ما انهى من كلامه ، انبرى فارينا ثانية للرد على جل ما قاله ، وللدفاع بقوة عن الألمان . وعرض على المجلس مشروعاً بديلا عن مشروع جراندى ، يعلن تضامن إيطاليا الفاشية مع ألمانيا الاشتراكية الوصنية ، ويدعو رئيس الحكومة إلى أن يطلب من الملك تولى قيادة القوات المسلحة كلها و ليظهر للعالم بأسره أن الشعب الإيطالي يقاتل بأسره منحداً تحت قيادته ، لإنقاذ إيطاليا ودفاعاً عن كرامتها » . وكانت أهداف فاريناتشى من الاستعاضة عن الدونشى بالملك فى قيادة القوات المسلحة ، هى غير أهداف جراندى ، إذ كان يتوقع أن يكون الملك أكثر استعداداً للاقتناع من موسولينى بالتخلى عن صلاحياته للماريشال كيسلرنج . لكن الرجلين اتفقا على وجوب ذهاب موسولينى .

وتبين بعد انقضاء هزيع من الليل، أن غالبية أعضاء المجلس ترى هذا الرأى ، وإن كان أولئك لأعضاء اللبين ما كانوا ليترددوا فى الاقتراع إلى جانب مشروع بسيط بتوجيه اللوم ، قد أصبحوا الآن على استعداد لتأبيد أى مشروع أقل عنفا من ذلك ، وأخف ضرراً . وراح عدد من الأعضاء يشكون فى حقيقة دوافع جراندى . وتكلم جيئانو بولفيريللى ، وزير الثقافة الشعبية ، وأنطونيو ترينجالى — كازانوفا ، رئيس المحكمة الفاشية الحاصة ، وكارلو البرتو بيجيتى وزير التربية ، واپنزو جالبياتى ، رئيس أركان الحرس الفاشي ضد مشروعه . ولكن دون إيمان ، ودون تأثير . فكان معظم هؤلاء متأثرين بالمنازعات الشخصية أكثر من تأثرهم ودون تأثير . فكان معظم هؤلاء متأثرين بالمنازعات الشخصية أكثر من تأثرهم بالحجج المنطقية ، فجاءت خطبهم تضيف إلى متاعب موسوليني بدلا من إسهامها في إنقاذه .

وكان الليل قد انتصف وكان قد مضى على بداية الاجتماع زهاء سبع ساعات ، وانطلق صوت موسوليني الذي وصفه بوتاي بأنه كان الخفيضا ، ومتواضعا ، ومستدرًا للإشفاق " يتساءل " ولكن ما جدوي هذا اللوم ، وقد غدونا الآن وحدنا وجها لوجه أمام ثلاث إمبراطوريات عظيمة ؟ ١ . واقترح على سكورزا تأجيل الاجتماع حتى اليوم التالى ، ذاكرا أنه مريض وأن عليه ألا يجهد نفسه .

ونطلق صوت جراندي بثبات مجدداً حملته . . . و كثيراً ما أبقيتنا هنا في

الماضى حتى الحامسة صباحاً لمناقشة بعض القضايا التافهة . ولن تغادر هذه القاعة حتى نفرغ من مناقشة مشروع قرارى والاقتراع عليه » . وأضاف أنه يوافق على التأجيل لمدة عشر دقائق ليس إلا .

ووافق موسوليني . ولاحظ بوتاى بشيء من السرور «انتهى صلف الديكتاتور لبحل محله خنوع المنهم» . وخرج من القاعة إلى مكتبه ، وحيداً تخلى عنه الجميع . وعندما مر بسفيره إلى ألمانيا قال له . . . « تعال معى يا الفييرى » .

وروى الفييرى فيا بعد . . . « كانت الغرفة الفسيحة شبه مظلمة . لا ينبرها الا ضوء شاحب ينبعث من مصباح صغير يستخدم للقراءة . ومضى الدوتشى بهدوء وببطء إلى منضدته ، ثم أشعل " الثريا " الكبيرة الموجودة في وسط المكتب وراح يلتي نظره بشيء من شرود الفكر على بعض البرقيات التي وجدها أمامه . وظل على صمته بضع دقائق ، ثم راح يسألني ، وكأنه أحس بوجودي لأول مرة . . ماذا هناك في ألمانيا؟ » .

وأعاد الفييرى على مسامعه ما سبق له أن تحدث إليه به فى فيلترى . وفى تقاريره ، عن وجود إشارات واضحة تبين ما أصاب الشعب الألمانى من إجهاد ، وعن شدة انضباطه بالرغم من ذلك ، وتعصبه الأعمى ، وخوفه من الجستابو ، وإيمانه بدعاية جوبلز ، ثم أضاف قائلا . . . « ويتابع الناس هناك فى برلين نتيجة التطورات العسكرية الأخيرة » .

وانطلق صوت موسولبني يسأله . . . « ولكن من قال ناك ذلك؟ » . وكانت لهجته تنم عن الانزعاج الشديد ، وكأنه بالرغم مما حدث ، ومما اضطر إلى سماعه في غضون الساعات القبيلة الماضية ، لا يكاد يصدق أن الوضع الداخلي في منتهى الحرج والخطورة .

ورد الفييري قائلا . . . ؛ إنه الرأى اللهي يسود برلين ، وقد أيد لى ذلك مدراء الشرطة الذين تحدثت إليهم ، في طريق قدومي إلى هنا » .

لكن موسوليني يرفض أن يصدق . إنه يرفض تصديق الحقائق التي تقبلها الآخرون منذ أمد بعيد . وعندما أخذ يحسى قدحاً من الحليب الحلو وضعه الآذن أمامه ، راح يقول لإلفييري إن معلومات الألمان خاطئة ، مضيفاً أن قصف الحلفاء لمدينة رومة وغيرها من المدن الكبيرة ، لابد أن يترك أثراً نافعاً لدى الشعب الإيطالي

يوحي له بشيء « من البطولة الصوفية التي تنجعل الناس لا يكترثون بالخطر ، وتمكنهم من احتمال الآلم ، وفقد من يحبون ، ودمار بيوتهم » .

وأضاف يقول ... وصدقني ، إن ما وصلك من أنباء يفتقر إلى الصحة . فالوضع على أى حال ، لم يصل إلى تلك الدرجة من الحرج التي تصورتها . وما زال عامل الزمن إلى جانبنا ، وراح يحمل بملعقته بقايا السكر المذاب في قدمه المم مسح شفتيه بمنديله ، وهب واقفا ، وقد استعاد شيئاً من ثقته ، في هذه الدقائق القلبلة التي خلص فيها من ذلك الجو المعادى الذي أحاط به في القاعة المجاورة ، بعد أن احتسى قدح الحليب ، وأنيحت له فرصة احديث على انفراد . واستمرت هذه الحيوية المنبعثة ، بعض الوقت بعد استئناف الاجتماع . وعندما ألتي جاليباتي ، خطاباً يتقد بالحماسة دفاعاً عنه ، منهياً إياه بصيحة عالية بأن الإيطاليين متحدون جميعاً في التفافهم حول الدوشي ، قرر موسوليني أن يلقي خطبة ثانية .

وانطلق صوته يتهدج مشحوناً بالغضب المفاجئ . . . « ينسى الناس فى غمرة هذه الاتهامات التى توجه إلى العهد ، النهمة الشائعة على شفاه الكثيرين من أبناء الشعب ، وأعنى بها الثروات الحيالية التى جمعها الكثيرون منكم » . وأضاف وهو يضرب بيده على حقيبته ويشير إلى تشيانو . . . « ولدى هنا من الوثائق ما يكفى الإرسالكم جميعاً إلى المقصلة ، وأنت فى مقدمتهم ه (١١).

ووجد سكورزا الشجاعة فى انتعاش موسولينى ، فهب يقول فى خطاب طويل يفتقر إلى التلاحم والانسجام ، إن الخطيئة الوحيدة فى الدوتشى أنه لم بتصرف كديكتاتور صحيح ، وإن عليه ليجد الوقت الكافى لتصريف واجباته الكثيرة ، أن يتخلى لجرازيانى عن بيادة القوات المسلحة . وبالرغم من مقاطعات باستيانينى المستمرة له ، فقد حاول التقدم باقتراحه ، وهو أن تطبق ديكتاتورية الحزب الفاشى بصورة أكثر صرامة وشدة .

وكان الاجتماع قد فقد عند هذا الحد ، كل مظهر من مظاهر النظام . ويكيلون الشتائم والإهانات ويقول بوتاى إن « الحميع كانوا يتكلمون في وقت واحد . ويكيلون الشتائم والإهانات

<sup>(</sup>١) لم يبد موسوليني على أي حال في سنوات حكم اهتماماً بالعمليات المالية المفتقرة إلى النزاهة التي يقوم بها قادة الحزب الفاشي كما لم يبد أي اهتمام بتلاعب الآخرين . وعند ما تورط اخيل ستراشي في فضيحة مالية من هذا الطراز ، لم يبد أي اهتمام ، مشيراً إلى أن خطيئة الرجل الكبرى هي حمله وساماً من أوسمة الحدمة العسكرية المعتازة بدون ترخيص .

لبعضهم البعض ، . وقال موسوليني إنه يحمل في بده مفتاح الوضع الحربي ، ولكنه لن يفضي إليهم بشيء عنه . وراح بقول . . . ه وإذا تخلصتم مني . فلن أبوح بالسلاح السرى الذي يستطيع إنهاء الحرب . وستفقدون في وقت واحد ، الحرب وموسوليني ورؤوسكم ، وبيها كان فاريناتشي يتطلع إليه بشيء من الدهشة الذاهلة ، تمم جراندي قائلا . . . « إنه الهديد . إنها البلطجة » .

ووقف الكونت جياكومو سواردو ، رئيس مجلس الشيوخ ، الذي كان قد المحتسى قلمحاً كبيراً من «الكونياك» أثناء الاستراحة القصيرة ، ليثير دهشة الحاضرين جميعاً ، عندما أعلن أنه قرر سحب تأييده لمشروع جراندى ، معرباً عن أمله في أن ينضم إليه الآخرون في تأييد مشروع سكورزا . وثبي توليو شيائبني وزير الاتحادات العمالية بأن مثل هذه الحطوة ، هي الفضلي والمثلى . وشرع تشياتو في التردد والضعف أيضاً ، إذ اقترح تعيين لجنة تتولى درس اقتراحي جراندي وسكورزا ، وتعد مشروعاً ثالثاً بجمع بين المشروعين . وعارض بوتاى هذا الاقتراح ، وتحدث من جديد عن ضرورة العمل السريع الفوري . لكن كلمانه هذه المرة كانت أقل حزماً من كلمانه السابقة ، وكان الأعضاء يستمعون إليه بكثير من ففاد الصبر الواضح . وهب بولفيريللي ، ليقاطعه قبل أن ينهي كلامه ، وليقول بصوت ففاد الصبر الواضح . وهب بولفيريللي ، ليقاطعه قبل أن ينهي كلامه ، وليقول بصوت يغلبه التأثر إنه كان دائماً وسيظل حتى يموت ، رجل موسوليني . وتحدث جراندي يغلبه التأثر إنه كان دائماً وسيظل حتى يموت ، رجل موسوليني . وتحدث جراندي ثالثة ليقاطعه بيجيني . وأبد كاولو باريشي وزير الزراعة جراندي ، فهاجمه لمتقراً إلى الانسجام والتماسك .

واعترف جرائدى فيا بعد ، أنه أحس فى هذه اللحظة بأنه قد خسر المعركة . فقد بدا أن مؤيدى سكورزا فى مشروعه بالحرب حتى النهاية وبالإخلاص المطلق للعهد القائم ، ومؤيدى فاريناتشى فى مشروعه باستمرار الولاء لألمانيا ، أخذوا يزدادون عدداً . وكانت الساعة قد بلغت الثانية والربع صباحاً ، عندما قاطع موسوليني النقاش فجأة قائلا بصوت صارم جاف . . «طال أمر النقاش وأصبح مجهداً مملا . فهناك ثلاثة اقتراحات ولاقتراح جرائدي الأولوية . ولذا فشأطرحه على التصويت أولا . هيا يا سكورزا اذكر الأسماء ! »

وبينما كان سكرتبر الحزب يتلو الأسماء ، اتكأ موسوليني إلى الأمام في مقعده ووضع كوعيه على المائدة ، متفرساً في كل عضو وهو يدلى بصوته وقال إلفيبرى فيا بعد . . . . وكانت عيناه النافذنان تسيطران على عقولنا جميعاً ، وكأنهما تريدان أن تمليا علينا القرار الذي سنتخذه » .

كان عدد الحاضرين ثمانية وعشرين من أعضاء المجلس الأعلى . وكان الكونت سواردو هو الوحيد الذى امتنع عن التصويت . واقترع سكورزا ضد مشروع جرندى ، وكذلك فعل بولفيريللى وبوفارينى - جيدى وجاليباتى ، مع تأييد ثلاثة آخرين ، بينا أيد المشروع تسعة عشر عضواً .

وجمع موسوليني أوراقه بسرعة ، وبهض من مكانه . وعندما أصبح واقفاً . صرخ سكورزا بصوته العالى «حيوا الدوتشي » . ودارت همهمة ، دلت على حيرة الحاضرين فقطع موسوليني هذا التردد بصوت غاضب . . . « أنا أعفيكم من أداء التحية » .

وعندما وصل إلى مدخل القاعة ، استدار إليهم ، وقال بصوت هادئ لا يخلو من مراوة . . . « لقد أثرتم أزمة العهد » .

ومضى إلى قاعة والكرة الأرضية ، حيث انضم إليه فيها بعد لحظات بولفيريالى وجاليباتى وبوفاريني — جيدى وسكورزا . واقترح جاليباتى اعتقال المتآمرين الخونة على الفور ، ولكن موسوليني بدا وكأن الهزيمة قد أذهلته ، فلم ينبس ببنت شفة . وعندما شرع الآخرون في التحدث إلى بعضهم البعض ، قاطعهم والتفت إلى سكورزا قائلا . . . « بدا هؤلاء السادة هناك ، تواقين إلى الحديث عن الصلح . ولكن الشيء الذي لا يدركونه أن تشرشل وروزفلت لا يريدان مجرد الإطاحة بي ، بل يريدان القضاء على إيطاليا كدولة في البحر الأبيض المتوسط ، . . . وراح يضيف ، يومضة فجائية من ومضات الغرور « وبدوني لن يكون هناك صلح ، بل هزيمة وعبودية » .

وقور فى الخامسة صباحاً أن يعود إلى بيته ، وقال لسكورزا . . . « تعال معى إلى البيت ، فأنا جد منهك » .

وكتب فيما بعد يقول . . . ٥ وكانت الشوارع خالية . ولكن تباشير الفجر

كانت قد لاحت فى الأفق . وكان ثمة إحساس بالحتمية ، وعندما مضى فى شارع نومتيانا ، وسكورزا إلى جانبه ، راح يتمتم قائلا : « حتى البينى وباستيانينى . وحتى تشيانو الطفل ذى الأربعين عاماً » .

وفهمت راشيل من أسارير وجهه العابسة عندما وصل إلى دارة تورلونيا ، أن مخاوفها السابقة كان لها كل ما يبررها . وكانت لا تزال تنتظره ، وعندما هتف لها أحدهم من قصر البندقية يقول إنه غادر القصر في طريقه إلى البيت ، مضت إلى الحديقة للقائه .

وقالت له بشيء من الغضب الذي لا يخلو من الحنان . . . ه حسن ، أظنك قد أصدرت الأمر باعتقالهم جميعاً . . . . ه فرد بصوت يغلبه الجهد والضعف . . . . لا . ولكنبي سأعتقلهم » .

لكن هذا القول لم يكن أأكثر من مجرد احتجاج تقليدى . وبدا وكأن عزمه على المقاومة قد انهار . . ومضى إلى الداخل ، وتطلع إلى زوجته صامتاً ثم قال . . . ه لم يعد فى وسعى أن أعمل شيئاً . فقد حزموا أمرهم على تحطيمنا . ولم تعد الأوامرى أية قيمة » .

وخلع ثيابه ، ثم مضى إلى فراشه ، ولكن النوم لم يطرق جفنيه . وعندما جاءه الدكتور بوزى فى الثامنة صباحاً ، ليعطيه حقنة المخدر التى تعود على أخذها كل صباح ، رفض الحقنة وهو يقول . . . « لا أريد حقنة اليوم . فالدم يسرى فى عروق بسرعة هائلة » .

## ٣

ودهش باستيانينى ، عندما رآه بعد ساعة يجلس إلى مكتبه فى قصر البندقية ، وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق . ولم يبد عليه أى دليل على القلق أو الإجهاد وطلب أن يوصلوه بجراندى ليتحدث إليه هاتفيًّا ، وعندما قيل له إنهم لم يستطيعوا العثور عليه . وأن من المحتمل أن يكون قد مضى إلى دارته الريفية ، اقترح على موظفيه أن يحاولوا الاتصال به هناك فى وقت لاحق .

وحمل إليه ألبيني في التاسعة والنصف صباحاً كالعادة بريده الصباحي ،

فقرأه بعناية ، مظهراً الاهتمام كله بالأنباء التي وردت عن الغارة العنيفة التي قام بها العدو على مدينة بولونا . وعندما انتهى من قراءة هذه التقارير ، قال لألبيني بلهجة عادية هادئة . . . « لم اقترعت إلى جانب اقتراح جراندى ليلة أمس؟ لقد كنت زائراً في المجلس ليس إلا ، فأنت لست من أعضائه » .

واحمر وجه ألبيني خمجلا ، وتمتم معتذراً . ولم يبد محرجاً فحسب ، وإنما بدا آسفاً على اقتراعه في اللية الماضية . وقال للدوتشي . . . « قد أكون أخطأت ، ولكن ليس ثمة من يستطيع الشك في مدى إخلاصي لك ، لا الآن فحسب بل دائماً » . وأصيب آخرون بالذعر مما فعلوه . وهتف سكورزا إليه يقول . . . « يبدو أن الليل قد أعاد الصواب إلى الرؤوس ، ويبدو أن نوبات تبكيت الضمير قد بدأت » .

فعلق موسوليني بنوع من ذلك المهديد المغلق الذي أصبح الآن جزءاً آلياً من حديثه . . . « فات الوقت » . وبدا في غاية الانشراح ، وطلب إلى سكورزا أن يوافيه إلى قصر البندقية حيث وجده سكرتير الحزب ، في حالة من الثقة المطلقة . وأصغى بثنيء من عدم الاكتراث الواضح إلى اقتراحات سكورزا القلقة بأن يعمل بسرعة ضد أعدائه . فرد عليه بأن ليس ثمة ما يدعو إلى الفزع والذعر . فسيصدر تعلياته بعد أن يقابل الملك . وعندما تلقي رسالة من شيانيني يقول فيها إنه يسحب اقتراعه ، ويعرض استقالته من منصبه كوزير للاتحادات العمالية ، قرأ الرسالة دون أيه دهشة ظاهرة أو سرور ، وكأنه كان يتوقعها ، بل كأن الثاثرين الآخرين سيحدون حدوه عما قريب .

ووصل باستيانيى قبيل الغداء مستصحباً سفير اليابان الجديد . وكان موسولينى كما قال باستيانيني « فى منهى الود والصداقة » ، عارضاً وجهات نظره فى السياسات الحارجية والأوضاع العسكرية بكثير من التفصيل . وكان يتحدث عن علم ، وبكثير من التزلف عن اليابان وشعبها ، بينها كان السفير يحنى رأسه مبتسماً ، وقد بانت عليه علائم السرور الطاغي .

وظل باستيانيني مع موسوليني بعد مغادرة السفير الياباني هيداكا ، لبحث القضايا الرونينية العادية ، والترتيبات اللازمة لزيارة ماريشال الرايخ جورنج

المقبلة . ولم يتناول الحديث موضوع اجتماع المجلس بالأمس . وبدا موسوليني وكأنه قد نسى هذا الموضوع تماماً . وعندما أبلغه سكرتيره دى سيزارى ، أنه حصل على موعد له لمقابلة الملك في الساعة الحامسة مساء في قصر سافويا في ذلك اليوم ، أشار إشارة غامضة إلى ذلك الموقف بقوله . . . « في الساعة الحامسة ، إنه رقم مشئوم ، ولكنه كان قد عاد إلى طبيعته ، وزايله قلقه ، عندما راح يغادر مكتبه قاصداً دارته لتناول الغداء . واصطحب معه الجنرال جاليباتي ، ومضيا عن طريق حى تيبورتينو الذي كان قد أصيب بأضرار فادحة إبان الغارة الأخيرة التي وقعت في التاسع عشر من يوليو . وعندما هبط من سيارته ليمشي بين الأنقاض ، هتفت له جماهير غفيرة من الناس . فرفع ذراعه يحييهم ، وقد طغى عليه شعور من الفرح لحبهم له ، طالباً إلى جاليباتي أن يوزع عليهم كل ما يحمله من مال ، إذ أن جيوبه هو ، كانت خالية كعادتها من كل مال . وعندما عاد إلى السيارة ، كرر عليه رفيقه نصيحة سكورزا ، بأن يعتقل الأعضاء التسعة عشر المنشقين على الفور . ولكنه رفيق الاستجابة من جديد لهذه النصيحة .

وتناول غداءه فى وقت متأخر فى دارة :ورلونيا . وكان مؤلفاً من طبق من الحساء ليس إلا ، ثم ارتدى بدلة داكنة ، ليقابل بها الملك . وكان سكرتيره قد أبلغه بأن رجال القصر الملكى ، اشترطوا أن تكون المقابلة بالملابس المدنية ، وكان هذا الاشتراط كافياً لإثارة مخاوف زوجته راشيل التي استبد بها القلق . . .

وقالت تتوبس إليه . . . و لا تذهب يا بنيتو . فليس في وسعك أن تطمأن إليه » .

وكانت كلاريتا قد رجته مثل هذا الرجاء وهو فى مكتبه فى الصباح ، فقد ذكرت لنافارا أنها توسلت إليه ألا يدهب ، ولكنه ألى أن يستمع إليها .

ولم يصغ لتوسل زوجته أيضاً . فلم يكن يحس بأى خطر . وقد يأخذ الملك منه صلاحياته كفائد عام للقوات المسلحة ، ولكن شيئاً أسواً من هذا لن يحدث على الإطلاق ولم يخطر فى باله أن يقترح على الجنرال جاليبتى تحرك بعض الوحدات الملاعة من ذوى القمصان السوداء إلى رومة إلا فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، ولكن الوقت كان قد فات عندما دار فى رأسه هذا الخاطر . وكان الجنرال كاستيلانو

قد أصدر أمره قبل بضع ساعات بتحرك فرقة من الجيش من «رماة القنابل» إلى العاصمة ، كما التقط أمر جاليباتي بتحرك ذوى القمصان السوداء وأوقفه.

وعندما غادر جاليباني دارة تورلونيا في الساعة الثالثة والنصف كان موسوليني لا يزال في منتهى الثقة . وكان آخر ما قاله للجنرال ، إنه سيحمل الملك على الموافقة على تعيين ثلاثة من الوزراء الجدد . وهنف في الساعة الرابعة والربع إلى سكورزا ، الذي كان قد هنف إلى دارة موسوليني من قبل ، مبلغآ رسالة بأن الماريشال جرازياني وعد بمواصلة تأييده لموسوليني . وقال هذا لسكرتير حزبه . . . وأبلغ جرازياني أنى سأراه بعد مقابلتي للملك » . ووصل دى سيزاري إلى الدارة في اللحظة التي كان لا يزال يتحدث فيها هاتفياً إلى سكورزا . فالوصول إلى مكان الموعد لا يستغرق أكثر من ربع ساعة ، ولذا فقد قرر موسوليني أن يتحرك من بيته في الساعة الرابعة والدقيقة الحامسة والأربعين . فحركة المرور في الشوارع خفيفة حتى في أيام الأسبوع ، نظراً لأزمة الوقود ، أما في أيام الآحاد ، فالحركة تكاد تكون متوقفة .

والتقط موسوليني في الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين تماماً قبعته السوداء ، وخرج مع سيزاري إلى السيارة التي تنتظره . ولم يحمل معه هذه المرة حقيبة ملأي بالأوراق ، كما تعود أن يفعل ، عندما كان يذهب لمقابلة الملك ، وإنما حمل وثيقة واحدة تحدد القانون الأساسي للمجلس الأعلى وصلاحياته ونسخة من مشروع جراندي ، ورسالة شيانيني التي استقال فيها من الوزارة .

Š

وبينًا كان موسوليني يستعد للمقابلة الملكية في قصر سافويا ، كان الملك بدوره يأخذ أهبته لاستقباله في القصر .

وكان جراندى قد نقل فى ساعة مبكرة من ذلك الصباح إلى الدوق داكوارون نتائج اجتماع المجلس الأعلى ، واقترح على الملك أن يعين الماريشال كافيليا الجندى المتاز والمعروف بعدائه للفاشية ، رئيساً للحكومة ، وأن يبعث ببعض الممثلين الدبلوماتيين على الفور إلى مدريد للشروع فى مفاوضات الصبح مع الحلفاء . وأحس جراندى بالاستياء عندما أبلغه داكوارون أن الملك قرر تعيين الماريشال بادوليو رئيساً للحكومة . ولم ينبس الرجل ببنت شفة وإنما غادر الغرفة ، ليختني إلى الأبد من الحياة العامة (۱). وأيقظ داكوارون الملك فى الساعة السادسة صباحاً ، لينقل إليه تقرير جراندى عن جلسة المجلس الأعلى . وراح بعد ساعة يزور الجنرال امبروزيو ، ثم مضيا معا إلى بادوليو ، ليبلغاه ما قرر الملك أن يفعله . وبالرغم من أن بادوليو فقد فيا بعد كثيراً من ثقته بنفسه ، إلا أنه اتقد تلك يفعله . وبالرغم من أن بادوليو فقد فيا بعد كثيراً من ثقته بنفسه ، إلا أنه اتقد تلك برجاجة من الشمبانيا . وراح يمزح بعد قليل مع أسرته قائلا إنه قرر على ضوء الصلاحيات التي ستمنح له عما قريب اعتقالهم جميعاً .

أما امبروزيو وقد عهد إليه بواجب الاعتقال ، فلم يشترك مع بادوليو فى معنوياته العالية . وكان الحرال كاستيلانو قد زاره فى ذلك الصباح ، وأبلغه أن الملك لم يصدر بعد أوامر محددة باعتقال موسولينى . وقال امبروزيو . . ، وإذا قبل موسولينى إقالته دون اعتراض ، فسندعه وشأنه . أما إذا اعترض فسنجد أنفسنا مرغمين على اعتقاله » .

واعترض كاستيلانو قائلا ٢٠.٠ ه ولكن هذا مستحيل . فالملك لا يريد أن يكون أحد حاضراً معه حديثه إلى موسوليني . ولن يكون في وسعنا أن نعرف حقيقة موقفه ١٠ ولو سمحنا له بالحروج من قصر سافويا ، فلن يكون في إمكاننا اعتقاله ثانية ١٠ .

<sup>(</sup>۱) قضى جراندى جزءاً من صباح اليوم فى مكتبه فى مونتيسيتوريو ، حيث زاره تشيافو مستصحباً معه فيليبو انفرسو . وتقيم رواية انفوسو عن أحداث ذلك الصباح الدليل على أن أياً من المتامرين لم يكن يعوف شيئاً عن خطعه القصر ، وأن الثقة كانت مفقودة بين الحانيين . ويقول انفوسو إن جراندى وتشيانو انتحبا جانباً من الغرفة و راحا يتحدثان فيها يشبه الهمس . وسرعان ما علا جدالهها . وواقضح أن جراندى كان يخلى الكثير عن تشيانو أن معرفته بنوايا القصر مضطربة كعرفة جراندى . وقال فى طريقهما إلى بيت الأخير ، أظهر تشيانو أن معرفته بنوايا القصر مضطربة كعرفة جراندى . وقال بشىء من الهمس « لقد ترتب كل شيء . وسرى ذلك بنفسك . فقد تم تشكيل الوزارة . وسيكون بيريلل وزيراً للخارجية . أما فيتيني فسيكون كه أعتقد وكيلا للوزارة . وسيتولى الجنرال كاربوني وزارة بيريلل وزيراً للخارجية . أما فيتيني فسيكون كه أعتقد وكيلا للوزارة . وسيتولى الجنرال كاربوني وزارة الدعاية . وسأطل بعيداً فى الوقت الحاضر . ولكن سنرى فيها بعد . أما بالنسبة إليك فلا أريد الحديث كثيراً عنك . فأنت معروف بمبك إلى الوكان . ولكني سأرى فيها بعد . أما بالنسبة إليك فلا أريد الحديث كثيراً معنك . فأنت معروف بمبك إلى الألان . ولكني سأرى فيها بعد . أما بالنسبة إليك فلا أريد الحديث كثيراً معنك . فأنت معروف بمبك إلى الألمان . ولكني سأرى فيها بعد . أما بالنسبة إليك فلا أريد الحديث كثيراً هنك . فأنت معروف بمبك إلى الألف »

فرد امبروزیو بقوله . . . « حسن . . إذن فعلینا أن نعتقده علی أی حال » . وبرح کاستیلانو مکتب امبروزیو فی انساعة الحادیة عشرة ، ماضیاً إلی مکتب قائد شرطة « الکاربنیبری » . وکان علیه قبل أسبوع أن یتصارع مع الجنرال هازون قائد الشرطة ، إذ بالرغم من تأبیده للمؤامرة ، لم یکن موافقاً علی القراح امبروزیو . لکن هازون قتل إبان غارة التاسع عشر من بولیو ، وخلفه فی القیادة مساعده الجنرال بیشی ، وهو فاشی مخلص ، تخطوه فی الترقیة نتیجة جهود الجنرال أنطونیو سوریس وکیل وزارة الدولة فی وزارة الحربیة الذی أقنع کلاریتا البناتشی بتأیید ترشیح الجنرال سیریکا للمنصب . وقد وافق سیریکا هذا علی آن بیتاتشی بتأیید ترشیح الجنرال سیریکا للمنصب . وقد وافق سیریکا هذا علی آن بیتاتشی بتأیید ترشیح الجنرال سیریکا للمنصب . وقد وافق سیریکا هذا علی آن بیتاتشی بتأیید ترشیح الجنرال سیریکا للمنصب . وصل الی قصر سافوی برافقه ضابط برتبة عقید ، وخسون من ضباط ۱ الکاربنیبری » وجنودها ، قبل نصف ساعة من موعد صول موسولینی .

ووجه إكوارون حديثه إليه عندما وصل . . . « أتريد الأمر من الملك شخصياً ؟ a . . . «

- ﴿ لا بأس ، إذا كنت تصدر الأمر باسم الملك . ولكنني أريده أمرآ خطياً ﴾ .

ومضى إكوارون إلى الملك الذى كان يسير فى حديقة القصر مع مرافقه الجنرال بوتونى وقال له . . . لا يريد الجنرال سيريكا قائد الكاربنييرى ، من جلالتك ، أن تؤكد عن طريقي الأمر باعتقال الشيفالييه بنيتو موسوليني » .

وكان صوت الملك فى منهى الهدوء والنعومة ، بحيث لم يستطع الرجلان أن يسمعاه وهو يقول . . . « حسن ، . . . وعندما مضى ليواصل سيره مع الجنرال بوتونى ، كان وجهه شاحباً للغاية .

وتلتى الجنوال سيريكا بعد ظهر ذلك اليوم أمراً خطياً وقعه امبروزيو واكوارون. وطوى سيريكا الأمر بعنابة ، ووضعه فى جيبه. وقال : إنه ظل حى نلك اللحظة يشك فى أن الفرصة ستتاح له لتنفيذ الأمر.

## الاعتقال فى قصر سافوى ٢٥ يوليو ١٩٤٣

ليس في وسع المرء أن يحكم هذه المدة الطويلة وأن يتطلب من الشعب تضحيات بالغة دون أن يستفز لديه شيئاً من السخط a

سارت سيارة موسوليني عبر شارع سالاريا الحالى من الحركة بعد ظهر ذاك اليوم القائظ من أيام الآحاد الهادئة ، لتدخل عبر الباب الحديدي إلى ساحات قصر سافوي . ووقفت السيارة أمام رواق القصر . ولاحظ السائق ايركولى بوراتو ، وهو مندهش ، أن الملك ، مصحوباً بمرافقه ، كان يقف في أعلى السلم ، وقد ارتدى بزة ماريشال إيطاليا . وهبط الملك سلم القصر ليستقبل زائره مبتسماً وعارضاً يده ، وهو أمر لم يسبق للسائق أن رآه من قبل . ومضى الملك وموسوليني إلى داخل القصر معاً ، وخلفهما المرافق ودى سيزارى ، بينها مضى السائق بالسيارة إلى زاوية السلم كعادته . وشهد الرجال الأربعة وهم يدخلون القصر ، ثم جلس في مكانه ينتظر . وكان الحر لا يطاق في السيارة ، ولكن هذه المقابلات لم تكن تطول في العادة أكثر من ربع ساعة ، وراح يسلى نفسه بالتفكير في أنه سيعود إلى منزله عما قريب . ولم يكن قد طال انتظاره ، عندما جاءه ضابط من ضباط الشرطة ، لم يكن وجهه غريباً عليه ، ليمد رأسه عبر النافذة قائلا . . . ة أنهم يريدونك على الهاتف غريباً عليه ، ليمد رأسه عبر النافذة قائلا . . . ة أنهم يريدونك على الهاتف يا ايركولى ، فهيا أسرع ، وسأمضى معك ، إذ أنني أريد التحدث في الهاتف أيضاً » .

ودلف بوراتو من السيارة ، ومضى مع الضابط ، وهو مستغرب من هذا الطلب غير المترقع . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يستدعى فيها الهاتف في قصر سافوى ، ولكنه أحس هذه المرة بشيء من القلق الغامض . ورأى في القصر وساحاته عدداً من رجال و الكاربنيرى » يفوق ما ألف أن يراه في المرات السابقة .

وكانت علائم التجهم والحيطة تبدو على وجوه الجميع باستثناء الدوتشي . فقد بدا موسوليني وكأنه لايأبه بشيء ، إذ ظل هادئاً غاية الهدوء طيلة المدة التي قضاها في السيارة .

وكان لا يزال على هدوئه حتى تلك اللحظة . وبالرغم من أنه لم يرد على تحية الملك مكتفياً بهز رأسه وكأنه يقول . . . « لا أنا لست بخير . أشكرك » ، إلا أن أحد الخدم سمعه يقول ، وهو يدخل مع الملك إلى غرفة الاستقبال ، مجيباً بلهجة فيها الكثير من الرقة والكياسة . . . على سؤال الملك ، عما إذا كان الطقس حاراً ، وأجل إنه حار » . وراح يروى على مسامع الملك عندما وصلا غرفة الاستقبال ، بهدوء ودون أى إفراط فى التأكيد ، ما وقع فى المجلس الفاشى الأعلى فى الليلة السابقة . وأضاف أن هذه الحوادث ليست مهمة على أى حال ، ولا سيا أن فى وسعه أن يقيم الدليل استناداً على عدد من القوانين والنظم ، أن الاقتراع ضده لم يكن قانونياً . وكان على ثقة مطلقة من عدالة قضيته .

وقاطعه الملك قائلا كما روى فيا بعد . . . « وسرعان ما حملته على الفهم بأننى لا أشاطره الرأى ، مشيراً إلى أن المجلس الأعلى جهاز من أجهزة الدولة ، كان هو خالقه ، وقد نال موافقة مجلسي البرلمان على إيجاده . وفدا فكل قرار يتخذه المجلس الأعلى لابد أن يحتل مكانة عالية من الأهمية » .

و واصل الملك حديثه قائلا . . . « على أى حال ، لم تعد هناك جدوى با عزيزى الدوتشى . قالاً وضاع فى منهى السوء والخطورة . وقد أصبحت إيطاليا أرضاً خربة . وانحلت معنويات الجيش انحلالا كاملا . ولم تعد للجنود رغبة فى مواصلة الحرب . وتنشد الكتائب الألبية نشيداً مضمونه أن رجالها لن يواصلوا القتال من أجل موسوليني » . ثم تلا باللهجة البيدمونتية ، ، مقطعاً من الاغنية ينتهى بالعبارة التالية « ليسقط موسوليني قاتل الجنود الألبيين » .

وظل موسوليني يصغى صامتاً . . . بينا واصل الملك حديثه بقوله . . . واقتراع

المجلس الأعلى شيء مرعب نحيف . فهناك تسعة عشر صوتاً إلى جانب مشروع جراندى وببن أصابها أربعة بحملون وسام « انونزياتا » . وعليك أن لا تشك لحظة واحدة في حقيقة مشاعر إبطاليا تجاهك . فأنت في هذه اللحظة أكثر رجل تكرهه إيطاليا . وأنا وحدى صديقك الذي ما زلت على صداقتك . وللما فأنا أقول لك ، إيطاليا . أن لا تخشى شيئاً على سلامتك . وسأضمن لك الحماية » .

ولم يرد موسوليني حتى هذه اللحظة بحرف واحد ، وعندما أنهى الملك حديثه قائلا إن الماريشال بادوليو سيخلفه في الحكم ، جلس موسوليني فجأة دون أن يقول شيئاً . وكأنه يحس بالإغماء ، بعد أن شحب وجهه إلى حد غيف . وبدا وكأنه لم يعد يسمع شيئاً ، وعندما قال الملك إن بادوليو يتمتع بثقة الجيش الكاملة ، وبثقة الشرطة أيضاً » وكأنه وبثقة الشرطة أيضاً » وكأنه قد سمع العبارة دون أن يفهم معناها .

وتمتم كما روى الملك فيها بعد قائلا : « إذن فقد انهى كل شيء » . وكرر العبارة ثلاث موات .

ثم نهض أخيراً واقفاً على قدميه . وقال بصوت أقوى . . . ه إذا كنت جلالتك على حق فيها قلته ، فسأقدم استقالتي a .

ه أَجَل ، وأنا أقول لك إنني أقبل استقالتك من رئاسة الحكومة دون قيد أو شرط» .

نقال موسوليني: «إنك تتخد قراراً مشحوناً بالنتائج. فالأزمة في هذه اللحظة ستحمل الشعب على الاعتقاد بأن الصلح بات وشيك الوقوع ، لأن الرجل الذي أعلن الحرب ، قد أزيح من منصبه . وستكون الصدمة التي ستلحق بمعنويات الجيش مرعبة ومفجعة . . . وستعتبر الأزمة نصراً لحلف تشرشل وستالين ، ولا سيا للأخير الذي سيرى فيها . انسحاب عدو حاربه بضراوة مدة عشرين عاماً . وقد تبينت كراهية الشعب . ولم يكن من الصعب على أن أتبينها ليلة أمس أثناء اجتماع المجلس الأعلى . فليس في وسع المرء أن يحكم هذه المدة الطويلة ، وأن يتطلب من الشعب تضحيات بالغة ، دون أن يستفز لديه شيئاً من السخط . وإني لأرجو حظاً سعيداً للرجل الذي سيتسلم مقاليد الحكم في هذه المرحلة » .

وانتهت المقابلة . ومضى الرجلان إلى الباب . . وروى موسولينى فيها بعد أن وجه الملك كان «شاحباً ، وبدا الملك أقصر من حقيقته ، بل بدا وكأن ظهره قد النحنى مرتبن » . . . وكان قد قاد الحديث « بشىء من الهياج غير العادى ، بل في شيء من المتمة المؤلة المهزوزة » ، قاضماً أظفره بأسنانه ، وصادراً بأقوال تفتقر إلى التماسك أحياناً . لكن المرافق الذى رأى الملك وهو يغادر الغرفة ، التي جرت فيها المقابلة ، لم يستطع أن يتبين تبدلا في مظهره أو في تصرفاته ، كما أن بادوليو الذى اجتمع إليه بعد لحظات ، وصفه بأنه كان في منتهى الهدوء .

وبالرغم من أن الملك قد رأى فى موسولينى ما رآه هذا فيه ، وقال إن رئيس حكومته بدا أصغر مما كان عليه . وكأنه قد انكمش ، فإن موسولينى ظل فى الواقع فى منهى الهدوء . وعندما أصبحا خارج غرفة الاستقبال ، مد يده إلى الملك مصافحاً فتناولها هذا بين يديه ، وهزها بحرارة . وعادا إلى الحديث ثانية عن الحر الذى لا يطاق . وطلب الملك أن يتعرف إلى دى سيزارى الذى كان ينتظر فى الغرفة الحارجية مع العقبد توريلا دى رومانو ، من أركان حرب الملك الشخصيين . وقدم موسولينى سكرتيره بمنهى الهدوء ، فقد قبل تنحيته عن الحكم بنفس الهدوء الذى كان قد رقض فيه تقبل التحذير عن نوايا الملك .

ولم يبد على موسوليني أى فزع على الإطلاق ، رغم كل ما كان قد تلقاه من تحدير . فالهزة العنيفة الفورية التي أصيب بها بعد اجتماع المجلس الأعلى ، مضت لتحل محلها حالة من الثقة العمياء . وروت الكونتيسة تشيانو تقول . . . « وكان سلوك والدى فى تلك الأيام من النوع الذى لا يمكن فهمه على الإطلاق . فقد كان يعرف أن انقلاباً يحاك ضده ، منذ أكثر من خمسة عشر يوماً قبل وقوعه . ولكنه لم يعالج الموضوع معالجة جدية على الإطلاق . وكان يظن أن الأمر لا يتطلب أكثر من استبدال عدد من الوزراء . وعندما حدرته زوجته ، ثار عليها ، وقال إنها هي صانعة الأذى الذي سيصيبه . وعندما أندرته كلاريتا ، تجاهل إنذارها ولم يأبه به . وعندما حدره سكورزا وجاليباتي ، تجاهل تحذيرهما ، دون أن يطلب منهما المزيد من التفاصيل . وعندما وصل في هذه اللحظة إلى سلم قصر يطلب منهما المزيد من التفاصيل . وعندما وصل في هذه اللحظة إلى سلم قصر سافويا خارجاً منه ، لم يكن قد أحس بالخطر بعد . وزأى أن سيارته لا تقف في

مكانها المعهود عند زاوية السلم ، وإنما تقف فى مكان بعيد ، فى الطرف الآخر من الطريق ، ونضابق ، وبدت على ملامحه علائم الضيق ، ، ثم مضى ماشياً يقصد السيارة . وتقدم منه النقيب فيجنبرى من ضباط « الكاربنييرى » وأدى التحية العسكرية برشاقة وقال . . . « سمعنا أنك فى خطر ياسيدى الدوتشى . وقد تلقيت الأوامر بحمايتك » .

ورد موسولینی بشیء من الدهشة أو الغضب . . . « لا حاجة بی إلی ذلك . فلدی حراسی » .

وقال النقيب . . . و ولكن الأوامر أن أتولى حراستك » .

وكان موسوليني قد وصل نهاية السلم في هذه اللحظة ومضى يعبر الطريق باتجاه سيارته . . . ثم قال « حسن . إذا كانت هذه أوامرك . والأفضل أن تأتى معى في سيارتي « .

فرد النقيب . . . « لا يا دونشي . عليك أن تأتي معي ، .

ــ ولكن هذا شيء مضحك ، لم بسبق لى أن سمعت بمثله .

-- إنه أمر يا دونشي .

وأشار النقيب فيجنيرى إلى سيارة إسعاف . ولم يحاول موسولينى الاحتجاج أو المقاومة وإنما مضى إليها . وكان بابها الحلني مفتوحاً . وعندما وصل إليه ، تردد لحظة واحدة ، فقد رأى في داخلها عدداً من الجنود المسلحين . وأمسك النقيب بذراعه بلطف . وتقبل موسوليني الإيماءة على أنها مساعدة لا إرغام ، وصعد إلى السيارة . وجلس موسوليني وقد أسدل قبعته على عينيه ، وصعد دى سيزارى وراءه إليها . واستقلها بعد ذلك ضابط آخر وثلاثة جنود من الكارنبييرى وضابطان من رجال الشرطة بملابسهم الواضحة ، يحملان مسدسين رشاشين . وأغلقت أبواب السيارة بعنف . ولم يدر في خاطره حتى هذه اللحظة أنه قد اعتقل .

## السجين

## من ٢٥ يوليو ١٩٤٣ حتى ٢٨ أغسطس ١٩٤٣

« التاريخ خير الأساتلة ، ولكن طلابه من أسوأ التلاميل » .

خيم الصمت على سيارة الإسعاف . وظل موسوليني جالساً في هدوء نصف ساعة ، والسيارة تقطع الشوارع ، وهو مصدق لما قاله النقيب الالكاربنيري، من أنهم يتولون حمايته من خطر الدهماء . وعندما توقفت السيارة في الساعة السادسة في باحة ثكنات الكارببيري، في السارع كونيتينو سيلا، نزل من السيارة وكأنه قد جاء إلى معسكر بودجورا في جولة استكشافية متطلعاً حوله ، وقد اللفع فكه الأسفل . وانفرجت قدماه بعض الشيء الم ملقياً بجذعه إلى الأمام، وواضعاً يديه على خاصرتيه ، في نفس الوقفة التي اشهر بها وأصبحت معروفة عند الناس كمحمد تماماً

ومضوا به إلى مطعم الضباط الذى لاحظ أن الجنود يحيطون به مشرعى الحراب . ثم خلفوه وحيداً هناك .

وكان أحد الضباط بجلس في الغرفة المجاورة ، وهو يرقبه من شق الباب نصف المفتوح ، دون أن يحدثه . وانقضت ثلاثة أرباع الساعة ، وعادوا بعدها بموسوليني إلى سيارة الإسعاف ، التي سارت بسرعة هائلة حتى إن دى سيزارى احتج بأن اهتزازها المخيف ، سيضايق معدة الدوتشي المصابة . لكن موسوليني ظل هادئا ، وعندما وصلت السيارة إلى تكنات مرشحي ضباط « الكاربنيبرى » في شارع ليجنانو ، خرج من السيارة ثانية دون أي احتجاج . وهمس دى سيزارى في أذنه بأن هذا العدد الضخم من الجنود المسلحين ، في الباحة ، لم يكن إلا بقصد حمايته ليس إلا ، ولكنه رفض أن يصدقه . وعندما نحوا عنه دى سيزارى ، ووضعوه في ليس إلا ، ولكنه رفض أن يصدقه . وعندما نحوا عنه دى سيزارى ، ووضعوه في

غرفة أخرى . تاركيه وحده فى مكتب القائد ، كان لا يزال يؤمن بأن هذه الصفوف الطويلة من الجنود المدججين بالسلاح ، فى أروقة البناء، إنما وضعت هناك لحمايته . لكن اللهشة مالبثت أن استبدت به ، عندما رافقه أحد الضباط وعدد من الجنود ، إلى دورة المياه ، حيث تولوا حراسة الباب ، ثم عادوا يتبعونه إلى مكتب القائد .

وقدموا إليه وجبة من الطعام ، فرفضها ، وكأنه يكاد يتقيأ من مجرد رؤيتها . وبالرغم من أنه لم يشك من شيء ، إلا أنه بدا مريضاً للغاية ، حتى إن القائد ، رأى أن من الحير استدعاء الطبيب للعناية به . ووصل الدكتور سانتيلو على الفور ووجده « في منهى الشحوب الذى يشبه صفرة الموت ، وقد انخفض نبضه إلى حد كبير ، وطلب حلاقاً ، فجاءوا به . وبعد إن حلق له ذقنه ، اعتذر بكثير من الحيرة غير المتوقعة ، بأنه لا يحمل مالا معه ليدفع له أجره ، ولكنه سيذكره ، وسيجزيه ذات يوم على ما فعله .

وأطفأ النور فى الحادية عشرة ، وحاول أن ينام على السرير العسكرى الذى أمّنوه له . لكن النور المنبعث من الغرفة الحجاورة ضايقه . فقد كان ثمة ضابط يتولى مراقبته بدقة ، دون أن يزعج نفسه حتى بالرد على الهاتف الذى ظل جرسه يرن بإصرار جنونى .

۲

وتجمهر الناس في شوارع رومة منذ الغسق في جماعات صغيرة ، يتناقلون آخر الشائعات . وامتلأت الشوارع والساحات العامة في الساعة الحامسة بالجنود المسلحين بالمدافع الرشاشة والمدفعية الحفيفة ، ولم يصدق الناس التفسير شبه الرسمي بأن هؤلاء الجنود يستعدون لمقاومة عملية نزول لقوات الحلفاء من الجو ، قد تقع في أي لحظة ويقوم بها المظليون في ضواحي العاصمة . ولم تكن أية أنباء عما دار في اجتماع المجلس الأعلى قد وصلت إلى الجماهير ولا إلى الصحافة ، وكان كل ما عرفه الناس أن الدجماع قد طال حتى الساعات المبكرة من الصباح . وأن قراراً في منتهى الأهمية قد اتخذ . وتوسعت الشائعات عندما جن الليل ، وقد تركزت كلها حول

الدوتشي . وقال بعض الناس إنه قد مات . وقال آخرون إنه طار إلى ألمانيا ، بيما قال بعض ثالث إنه استقال ، ومضى إلى مسقط رأسه في رومانا . وعندما حلت الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً ، وهو الموعد العادى لنشرة الأخبار ، ووقفت الألوف من الناس حول أجهزة الراديو بصغون إلى البيانات المنتظرة ، ظلت الإذاعة صامتة . وظل الناس ينتظرون بكثير من اللهفة . وكانت العادة أن تعزف الإذاعة بعض الاسطوانات في حالة تأخر نشرة الأخبار عن موحدها ، أما اليوم ، فلا شيء الا صرير الأجهزة نفسها ، وأخيراً ، سمعوا ، بكثير من الإثارة ، صوت المذيع الذي يعرفونه وهو يقول . . .

٤ قبل جلالة الملك الإمبراطور ، استقالة ، فخامة الشيفالييه بنيتو موسوليى من رئاسة الحكومة ، ومن السكرتيرية العامة للدولة ، واختار جلالته خلفاً له في هذين المنصبين ماريشال إيطاليا ، الشيفالييه بيترو بادوليو . . . »

وكان هذا البيان كافياً لكثيرين من المستمعين ، ولم يعودوا تواقين إلى سماع المزيد . وانطلقت الجماهير في الشوارع تهتف وترقص وتغني . فقد سقط موسوليني ، وأصبحت الحرب على وشك النهاية . وتبادل الناس القبلات ، وتشابكت أيديهم ، وهم ينرعون الشوارع جيئة وذهاباً ، واكفين وهاتفين بالوجوه التي تطل عليهم من النوافذ . . . بأن الفاشية قد انتهت . وانطلقت اللعنات تنصب على موسوليني ، وكأن الناس قد تحولوا إلى أطفال يغلبهم الحماس ، بعد أن سمح لهم بالزعيق بعد صمت طويل فرض عليهم . وهرع الكثيرون إلى قصر الكرينالي ، يحيون الملك ، يبيا مضت حسود أخرى إلى شارع « ٢٠ سبتمبر » تحيي بادوليو . واقتحمت الجماهير التي ألهبها الحماس مكاتب صحيفة « المساجير و » ، فقلب أفرادها ما فيها ، الجماهير التي ألهبها الحماس مكاتب صحيفة « المساجير و » ، فقلب أفرادها ما فيها ، ومور موسوليني من النوافذ . وراح الناس ينزعون الشارات الفاشية عن الأبنية التي يصلون إليها ، ويمزقون شعاراتها عن صدور الحمقي اللدين كانوا لا يزالون يحملونها . لكن بعضاً منهم ظل يحمل هذه الشعارات . وإنطلق الأشرار يبحثون عن ضحايا لهم ، فلا يجدون أحداً . وبدا أن الناس قد تحولوا حميهاً وبسرعة عن ضحايا لهم ، فلا يجدون أحداً . وبدا أن الناس قد تحولوا حميهاً وبسرعة البرق ، إلى أعداء للفاشية . وكان سكورزا لا يزال ينتظر عيثاً رسالة من موسوليني ،

لكن هذه الرسالة لم تصله ، فضى يائساً إلى مقر قيادة الحزب فى شارع كولونا . حيث أصدر الأمر بتعبئة جميع الفاشيين فى رومه . وراح يقول لسكرتيره المساعد : «هناك شيء يحدث . وأنا لا أعرفه بالضبط ، ولكن يساورني إحساس داخلي بأن ما يحدث فى منهى الحطورة » . ولكنه خاب فى مساعيه ، كما خاب جاليباتى فى تعبئة الحرس الفاشى ، إذ لم بلب النداء إلى أداء الواجب إلا خسون فاشياً ، لم يجدوا شيئاً يعملونه .

وحطمت الجماهير منازل عدد من الفاشيين المعروفين ، ولكنها لم تجد أحداً فيها . وأشعلت النيران في عدد من مكاتب المنظمات الفاشية ، ولكنها سرعان ما أخدت . واندفعت زمرة من المتظاهرين إلى قصر البندقية ، يصرخون مطالبين بالرجل الذي ظل كابوساً متسلطاً عليهم عشرين عاماً ، ولكنهم لم يحاولوا تحطيم أقفال « قاعة الكرة الأرضية المغلقة » واكتفوا برفع عمم أحمر .

لكن حوادث العنف ظلت محدودة ، ولم يقتل فرد واحد فيها ، فقد كانت الحالة النفسية ناطقة بالفرح لا بالرغبة فى الانتقام . ورقصت الجماهير وكأنها فى عيد فى شارع ديل تريتونى وميدان كولونا وشارع ناسيونالى وميدان « الشعب » ، وكان الناس يتبادلون النهانى قائلين . . . « لقد ماتت الفاشية » . وكان قولم صادقاً ، فلم يضح إنسان واحد فى رومة فى تلك الليلة بروحه دفاعاً عنها .

لكن معظم الناس ، ظلو قابعين فى بيوبهم ، وقد خيم عليهم وجوم حزين من خيبة الأمل . فبعد إذاعة نبأ استقالة موسوليى ، جاء بيان بادوليو بعلن بأن الحرب ستستمر ، وأن إيطاليا ستظل مخلصة إلى جانب حلفائها . لقد تعلقت الحرب من هذا . وكان الألمان لا يزالون فى رومه . فقد تكون الحرب حرب موسولينى . ولكن لم يكن فى الإمكان إنهاؤها بعد . فالجيش الألمانى ما زال مسيطراً على معظم أرجاء إيطاليا ، وكانت الأوامر قد صدرت عن القيادة الألمانية بتشديد هذاه السيطرة وهكذا لم يعد هناك أمل بعد فى الصلح .

وكان هناك أيضاً كثيرون لا يزالون يذكرون أن غالبية هؤلاء الناس الذين يرقصون ويهزجون في الشوارع محتفلين بسقوط موسوليني بمثل هذا الفرح الطاغي ، كانوا يملأون الأجواء ، من قبل بهتافاتهم المجنونة « درتشي ، دوتشي ، دوتشي ، دوتشي » ، وكانوا يهتفون معلنين ولاءهم له حتى الموت . وبدا أن هناك شخصاً واحداً فقط من جميع أولئك اللهين كانو يتظاهرون لموسوليني بالولاء والإخلاص ، يريد أن يظهر صدق ولاثه وثباته على مبدئه .

ه لقد استقال الدونشي ، . . . هذا ما كتبه مانيليو مورجاجي عضو مجلس الشيوخ في ورقة صغيرة خلفها على مكتبه . . . « وقد انتهت حياتي . عاش الدونشي » ثم أطلق النار على رأسه منتحراً ٥

٣

وكان الملك يذرع ممرات حدائق قصره ، جيئه وذهاباً ، متحدثاً بكثير من المرح إلى أحد ضباط أركانه عن اجماع المجلس الأعلى وعن اعتقال موسوليني . لكن الملكة لم تكن راضية ، وكانت تقول مندمرة . . . ه كان في وسعهم أن يعتقلوه متى شاءوا وأنى أرادوا ، ولكن كان عليهم ألا يفعلوا ذلك هنا ، فقد كان ضيفنا . إن قوانين الضيافة تعرضت لأبشع انتهاك . وهذا شيء مخجل ومعيب ه(١) . وكانت الملكة قد رأت في موسوليني عندما التقت به أول مرة إنساناً سوقياً ومتبذلا ، ولكنها سرعان ما بدأت تعجب به ، ولذا فقد أحست في صميم فؤادها بالأسي والأسف على سقوطه الفجائي العنيف .

٤

دخل المقدم شيريكو فى الساعة الواحدة صباحاً مكتب قائد معسكر فيكتور عمانوثيل الثانى ، وبادر موسولينى قائلا . . . ه وصل الجنرال فيرونى ، يحمل إليك رسالة من الماريشال بادوليون .

<sup>(</sup>١) أعرب الأمير أومبرتو ولى العهد أيضاً عن استيائه من الطريقة التي اتبعها السكريون من الحنوالات الذين تطرف بمضهم فيها بعد فاقترح إعدام الدونشي فوراً ، وادعى الأمير أنه عارض هذا الاقتراح بمنهى الشدة والإصرار . « المؤلف ه

وبهض موسوليني من السرير العسكرى ، ومضى إلى الغرفة المجاورة ، حيث وجد الجنرال فيروني يضع على وجهه كما وصفه « تناعاً أنيقاً غريباً » . وسلم إليه الجنرال وهو ضابط ركن في وزارة الحربية رسالة من الماريشال بادوليو . وتطلع موسوليني إلى زائره قبل أن يقرأ الرسالة وقال . . . « أظن أننا التقينا من قبل يا جنرال ، أليس كذلك ؟ »

وكان فيرونى قد قاد بالفعل فرقة فى ألبانيا ، حيث قدّم إلى موسولينى ذات يوم . لكن المقابلة كانت عاجلة . وبدا اللوتشى ، اللى ظن الجنرال أنه نسى هذه المقابلة ، . . .

ورد فير في قائلًا ببرود . . . أجل ، تقابلنا في ألبانيا .

وقال موسوليني ، وقد فتح عينيه متظاهراً بالدهشة من أن يكون فيروني قد تذكر المقابلة ، موحياً له ، كما كان نابوليون يود أن يفعل دائماً ، بأن ذاكرته قوية في مثل هذه الأمور . . . « صدقت يا جرال ، صدقت . ولا تنس أنى كنت دائماً أقدرك كل التقدير » .

وعاد بأنظاره إلى الرسالة فقرأ فيها . . .

لا إلى فخامة الشيفائييه بنيتو موسوليني . يود رئيس الحكومة الموقع على هذه الرسالة أن يؤكد لفخامتك ، أن ما اتخذ من إجراءات إنما كان بقصد ضهان سلامتك ليس إلا ، بعد توارد المعلومات الموثوقة من جهات عدة ، بأن هناك مؤامرات خطيرة تدبر على حياتك . وهو يود أن يؤكد لك ، أنه سيصدر أوامره ، بأن تصحبك حراسة كافية وأمينة ، مع فاثق الاحترام ، إلى المكان اللي تريد .

التوقيع . رئيس الحكومة ــ الماريشال بيترو بادوليو » .

ورفع موسوليني عينيه إلى فيروني ، الذي سأله عن المكان الذي يود أن يقصده .

ورد موسولینی بشیء من الازدراء المتکبر ، أن لیس من شأنه أن یختار . فلیس له بیت بملکه ، وسیکون ضیفاً فی کل مکان یلهب إلیه .

واقترح فيرونى عليه أن يذهب إلى روكاديل كاميناتى ، وبدا أن هذا الاقتراح قد أفرح موسولينى . وقال إنه لم يقترح المكان بنفسه لأنه لم يكن يعتبر هذا القصر الربنى ملكاً شخصياً له ، بل ملكاً لرئيس الحكومة . وطلب إلى فيرونى

أن ينقل رغبته هذه إلى الماريشال بادوليو في رسالة أملاها عليه ببطء ، هذا نصها . . .

77 يوليو 77 يوليو 1927. الساعة الواحدة صباحاً . (وبدأ بلهجة فيها الكثير من الوقار المدروس ، أراد منها أن يضني على ملاحظاته العادية إحساساً من الإلهام السياوي والمصير ) . أولا ? . . أشكر للماريشال بادوليو اهمامه بسلامتي الشخصية . ثانياً . . . إن المسكن الوحيد الموجود تحت تصرفي هو روكاديل كاميناتي ، وإني لعلى استعداد للذهاب إليه في أي وقت . ثالثاً . . . أود أن أؤكد للماريشال بادوليو ، متذكراً عملنا معاً في الأيام الماضية ، أنه لن يجد متاعب من ناحيتي ، إذ سأتعاون معه في كل صورة من الصور . رابعاً . . . إني سعيد بالقرار الذي اتخذتموه بمواصلة الحرب مع حلفائنا . لأن شرف البلاد ومصلحتها يتطلبان ذلك . وإني لأرجو من صميم القلب ، أن يكلل الله بالنجاح العمل الخطير الذي تحمل الماريشال بادوليو أعباءه ، باسم صاحب الحلالة الملك ، وبأمره ، وهو من كنت خادمه الأمين طيلة عشرين عاماً ، وسأظل كذلك ما بقي من حياتي » .

وانتهى من إملاء هذا الكتاب الذليل ، ثم طلب أن يقرأه . وراح يوقع فى ذيل الصفحة بقلم أزرق . . . « عاشت إيطانيا . موسوليني (١) » .

وغادر الحرال فيرونى المكان ، وعاد موسولينى إلى سريره فى الغرفة الصغيرة العارية . وظل النوم بعيداً عن جفنيه مدة طويلة ، ولكنه أغنى إغفاءة عميقة قبيل الفجر .

وانقضى اليوم التالى بطوله تقريباً وهو فى هذه الغرفة مستلقياً معظم الوقت على السرير ، مع فترات يقف فيها إلى النافذة ، ليتطلع إلى السيارات وهى تدخل وتخرج إلى ساحة الثكنة تحته ، وإلى مرشحى الضباط وهم يسيرون أمام السور الذى كتبت عليه بحروف بيضاء كبيرة العبارات التى كانت تؤلف الشعار الرمزى لعهده وهى . . . ه الإيمان والطاعة والنضال » .

وكان في منتهي الدمائة مع «سجانيه» ، «راغباً» كما تصور أحذهم ،

 <sup>(</sup>١) هند ما نشرت الرسالة قال هندر إنها مزورة ، و إن تزويرها يبدر من صيفتها الضميفة .
 ونكن موسوليني أدرجها في كتابه «قصة سنة»

في «تحبيب نفسه إليهم عن طريق إطاعة كل طلب يوجه إليه . وقد أقل من الأكل ، ولم يدخن أبداً » . وعندما جاءه الدكتور سانييلو ثانية ليسأله إذا كان في حاجة إلى أي شيء ، رد عليه بمنهي الإجلال قائلا . . . « بعض معجون الأسنان . ونعلا أرتاح إليه » . وقال الضابط اللي أوكلت إليه حراسته إنه كان «مستسلماً وهادئاً » . وقد اعترف فيا بعد لراشيل ، أنه أدرك أخيراً أنه سجين ، وأنه بعد واحد وعشرين عاماً من السلطان ، فقد كل شيء في يوم واحد . وراح يقول للدكتور سانييلو . . . « إن الديكتاتورين لا بهبطون بمحض اختيارهم . بل عليهم أن يسقطوا مرة واحدة . لكن سقوطهم لا يسعد أحداً » .

وسمح له فى اليوم التانى بزيارة دى سيزارى فى غرفة مجاورة . وجلس الرجلان على السرير يتحدثان ، ويحتسيان أقداحاً متتابعة من الشاى الذى حملته إليهما زوجة القائد . وفى الساعة السابعة ، كان موسولينى يتطلع من النافذة ، فرأى فصيبتين إحداهما من جنود «الكاربنييرى» والأخرى من شرطة المدينة، يدخلان ساحة الثكنة ، ويقفان إلى جانب مجموعة من السيارات الشاحنة . ولم تمض ساعة ، حتى كانت سيارات أخرى تفد إلى الساحة ، وفيها عدد من الضباط . وأثارت هذه الحركة اللاعادية فضول الضباط المرشحين فراحوا يطلون من النوافل ، ومن الشرفات . وقد استبدت بهم الإثارة .

وهتف أحد الضباط صارخاً ... ١ إلى الداخل جميعاً . . . إلى الداخل ! وأغلقوا نوافذكم » .

ولم يمض طويل وقت حتى جاءه الضابط يقول ... «صدر الأمر بالحركة » . ومضى معه يهبطان الدرج إلى سيارة واقفة فى الانتظار . ودخل موسولينى إلى المقعد الحلنى يتبعه رجل قدم نفسه باسم العميد (البريجادير) ، بوليتو ، ويسل الشرطة العسكرية . وخرجت السيارة مسرعة من الثكنة تسبقها دراجة نارية يستقلها أحد الجنود ، لإعطاء الأمر لجنود «الكارنبييرى » اللين يتولون حراسة منافذ الطرق ، للسهاح للسيارة بالمرور دون توقف . وكانت ستاتر السيارة مسدلة ، ولكن موسوليني رأى من شقوقها مستشفى «الروح المقدسة » ، فأدرك أنهم لا يمضون به موسوليني رأى من شقوقها مستشفى «الروح المقدسة » ، فأدرك أنهم لا يمضون به في الطريق إلى روكاديل كامنيتى ، عبر شارع فلامينيا ، وإنما يتجهون به في الطريق إلى روكاديل كامنيتى ، عبر شارع فلامينيا ، وإنما يتجهون به

جنوباً نحو شارع آبيا . وعندما وصلت السيارة ، البانو ، تحققت مخاوفه . وراح يسأل مرافقه . . . « إلى أين نحن ذاهبون ؟

- ــجنوباً .
- \_إذن نحن لا نقصد روكاديل كامنياتي .
  - ــ جاءنا أمر آخر .
- ـ ومن أنت ؟ كنت أعرف مفتشاً في البوليس يدعى بوليتو .
  - \_ إنه أنا .
  - وكيف أصبحت جنرالا؟
  - \_ أعطوني رتبة عسكرية تماثلة .

وكان سافيريو بولينو على حد قول موسوليني «قد قام بعمليات رائعة في سنوات حكمه ». وراح يتحدث عنها الآن ، وعن إلقائه القبض على سيزارى روسى الرئيس السابق للدائرة الصحفية الفاشية اللى اعتقل بعد مصرع ماتيوتى . وعن قضائه على عصابة بنيتور في سردينيا . وظل بوليتو ، والسيارة تنهب الأرض في الطريق « الابيبي » عبر فيليترى وسيستيرنا ونيراسينا ، يدخن باستمرار ، ويسلى موسوليني بحديث حماسي ، عن تفاصيل مغامراته ، وعن أسماء المجرمين الذين عرفهم . وبعد انتصاف الليل بقليل ، خففت السيارة من سرعها ، وفتح المحترال بوليتو الحاجز الزججي الذي يفصلهما عن السائق وقال . . «أين وصلنا؟ »

ــعلى مقربة من جايبتا .

وأحس موسوليني لدى سماعه بالاسم باعتزاز مؤلم . فقد بدأت الصورة تبدو أمامه ، وكأنه شخصية «تراجيدية» من شخصيات التاريخ . وأصبحت هذه الصورة التي ابتدعها ليعوض بها لنفسه عن سقوطه من عليائه ، كابوسا يتسلط عليه ، وبات يرى في مصيره ، انعكاساً لمصائر أولئك العظماء اللين انهوا كنهايته . ورأى في بهاية يوليوس قيصر ونابوليون بل في نهاية السيد المسيح ما يشبه نهايته هو . وسرعان ما رأى صورة تلك القلعة الضخمة التي تشرف على ميناء جابيتا ، فعزى نفسه بأن البابا لويس التاسع كان قد باغ إلى هذه القلعة في عام ١٨٤٨ ، وقال لصحفي سويسرى قابله في

العام التالى . . . « وخيل إلى ، أن نفس المصير ينتظرنى . وقد اقتنعت بهذه الفكرة ، حتى إنى رحت أسأل حارسى المفتش بولينو ، عما إذا كنت. سأحظى بشرف النزول فى نفس الزنزانة التى ضمت بطل بعثنا العظيم مازينى » .

فرد بوليتو باقتضاب : « لا . لم نقرر بعد » .

وتوقفت السيارة ، واقترب مها ضابط بحرى يلوح بمصباح فى يده . وقد بددت التعليات التي أصدرها أمل موسوليني فى أن يشترك مع مازيني فى مسرح استشهاده . فقد أشار الضابط إلى الأرصفة ، معلناً بمنهى السخرية المقر الفظيع الذى سيقيم فيه السجين وهو «رصيف تشيانو» .

٥

كان أمرال المؤخرة فرنكو موجيرى ، رئيس المخابوات البحرية ، قد تلقى في الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم رسالة عاجلة من مدير مكتب وزير البحرية ، يأمره فيها بأن يكون على استعداد للقيام « بواجب صغير من واجبات الحراسة » . فقد كان عليه أن يمضى بسيارته إلى جاييتا حيث تقف السفينة الحربية الصغيرة « بير سيفوني » منتظرة على رصيف كونستانزو تشيانو . ولم تمض ساعتان حي كان يتلى لأمر التفصيلي من الجرال سيريكا . فسيغادر موسوليني مصحوبا بالجرال بوليتو والعقيد بيلاجي وبعض الحرس مدينة رومة في تلك الليلة إلى جايبتا . وكان الأمر الذي تلقاه موجيري أن يقابله هناك ، وأن يحمله على ظهر السفينة وبير سيفوني » ثم يصدر أوامره إلى قبطانها تازاري بالإبحار إلى فينتوتيني ، الجزيرة التي تقع على بعد ثلاثين ميلا إلى الجنوب . وعلى الأميرال أن يحرص كل الحرص على ألا يعرف أحد هوية السجين حتى تكون السفينة قد أصبحت في عرض البحر . وكان عليه أن يذكر لتازاري وضباطه في مقر قيادة جايبنا البحرية أنه و شخصية مهمة ، مهم في قضية خطيرة من قضابا الجاسوسية » .

ووصل موجيرى إلى جاييتا في الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً ، وظل أكثر من ثلاث ساعات ينتظر وصول السجين من رومة ، من غرفة القبطان في السفينة أولا. ثم على الرصيف حيث ظل يسبر جيئة وذهاباً ، يدخن السيجارة تلو السيجارة ، متحدثاً إلى الضباط البحريين الآخرين الذين اعتقد أحدهم أن الأمبرال على موعد في البحر لمتحدث إلى المبعوثين الإنجليز والأمريكيين في احتمال إعلان الهدنة . وبعد الساعة الثانية من الصباح بقليل ، شاهد موجيرو أضواء ثلاث سيارات بمبط الطريق مسرعة من فورميا .

وقد وصف موجبری فی کتابه ۵ موسولیی قال لی ۵ ، کیف آن السیارة الأمامیة اقربت منه لتقف علی بعد بضع یاردات من السلم المؤدی إلی السفینة الحربیة . وخرج المقدم بیلاجی من رجال ۵ الکارنبیبری ۵ من السیارة ، ثم مشی عبر الرصیف ، متقدماً من الأمیرال . ونزل الجنرال بولیتو من السیارة الثانیة ثم هبط موسولیی أیضاً علی الرصیف . وأدی موجیری التحیة ، والتقت عیناه بعیبی موسولیی الکیبرنین وهما تدنوان منه ۵ وتبرقان فی هذه الظلمة المدلممة ۵ .

وقاد الأميرال موجيرى الموكب نحو السفينة ، يتبعه بوليتو فالمقدم بيلاجى . ثم ضابط من الكاربنييرى ، أوصل موسولينى حتى باب جناح القبطان تازارى . وعندما توقف موسولينى أمام مرسمة الضغط يقرؤها ، عاد موجيرى إلى الرصيف ، حيث وجد الضابط البحرى المساعد فى السفينة يصدر تعلياته إلى حراس موسولينى وهم ستة من جنود « الكاربنييرى ، المدججين بالأسلحة الرشاشة .

ورفعت السفينة مراسبها وأقلعت مخلفة جايبتا وراءها . وكان هناك عطل فى محرك الحانب الأيمن من السفينة ، ولكنه دار على أى حال ، قاذفاً بسحابة كبيرة من الدخان استمرت طيلة الرحلة .

وكانت الرؤية سيئة ، وكان ثمة ربيح خمسينية ضعيفة . وكان الجو حاراً للغاية والرطوبة شديدة . والسحب خفيضة . وقد سر موجيرى من العودة إلى البحر ثانية ، ولكنه تذكر أنه فكر آنداك ، في أنه لو تعرضت السفينة لهجوم من الطائرات أو الغواصات ، فإن القضية لن تكون سهلة أو مزاحاً .

وخفف القبطان تازارى من سرعة السفينة قبل وصولها إلى فينتوتيني ، وعكس اتجاهها انتظاراً لطلوع الفجر ، وعندما بلغت الساعة الخامسة والربع ، ألقى بمراسبها على بعد بضع مثات من الياردات من الساحل .

وظل البحارة في مراكزهم ، بينها نزل الجرال بوليتو إلى الساحل ، ليكتشف إذا كانت الجزيرة صالحة لإقامة موسوليني في منفاه . وراقبه الأميرال موجيرى وهو يصعد إلى الزورق البخارى التابع للسفينة ، ثم نزل ثانية ، ليتأكد من ه أن كل شيء على ما يرام » .

ويمضى موجيرى قائلا « ودفعنى أيضاً إحساس من الفضول ، فدخلت القمرة ، ورفع موسولينى عينيه الكبيرتين ينطلع إلى عينى وأنا أقول ، يا صاحب الفخامة — وهل يمكن للمرء أن يدعوه بلقب آخر — أتريد شيئاً ، مشروباً ساخناً ، أو قدحاً من القهوة » .

ورفض موسوليني القهوة ، وقال إن كل ما يبغيه هو بعض المعلومات . إنه يريد أن يعرف مساحة فينتوتيني .

وأبلغه الأميرال كل ما تعيه ذاكرته ، ثم طلب كتاب الخرائط . . . وقال موسوليني مبتسماً . . . آه ، إنها جزيرة صغيرة .

وأدرك موجيرى أنه يفكر بإلبا وسنت هيلانه . وعادت أفكار الأميرال نفسه إلى نابوليون . وتطلع إلى موسوليني بشيء من الإشفاق ثم لاحظ وكأنه براه لأول مرة . . . « إنه ببدو كجثة . فقد نحل كثيراً » .

وقطع عليه موسوليني حبل أفكاره يقول . . . وأهذه السفينة " فرقيطة " ، ؟ . وشرعا يتحدثان عن الحرب في البحر ، وعن التفوق التقني للأسطول البريطاني ، والمعارك التي شهدها موجيري . وسار الحديث بينهما سهلا رضيًا على حد تعبير الأميرال . فقد تحدثا عن الأمريكان والفرنسيين واليابانيين وأساطيلهم البحرية ، وعن طريقة الحياة في كل من أمريكا واليابان .

وقال موسولیی إنه رأی مؤخراً شریطاً سیهائیاً عن مدرسة طیران بابانیة . وقد لاحظ أن الیابانیین أطول بکثیر نما یعتقده الناس ، وراح یسأل موجیری عما إذا كان یعرف السبب .

وقال الأميرال إنه يظن أن هذا ناشئ عن ولعهم بالرياضة وعن تزاوجهم مع الروس والكوريين.

وعلق موسولیمی قائلا . . . أطفالهم فی منتهی الحمال ، فقد أبلغته هذا ابنته الّی زارت الیابان .

وعاد الحديث إلى أمريكا و إلى قدرتها على استيعاب هذا العدد الضخم من الأجناس البشرية وامتصاصها . وعادت الحياة إلى وجه موسوليني وهو يتحدث ، وعاد الألق إلى محياه ، بحيث بدا في غاية المرح عندما عاد بوليتو .

وقال بوليتو إن فيننوتيني لا تصلح مكاناً لاعتقال موسوليني ، إذ أن قائد الشرطة في الجزيرة عزوف عن التعاون ، كما أن في الجزيرة حامية ألمانية . وأصدر الأميرال موجيري على الفور أوامره بأن تقلع السفينة بيرسيفوني إلى بونزا التي تبعد خسة وعشرين ميلا إلى الشهال الغربي ، حيث رست إلى مرفثها بعد الظهر .

وكتب موسوليني ، خالطاً كعادته بين الفضول الطبيعي عند سكان الجزيرة وهم يرون سفينة حربية تصل إلى جزيرتهم وبين إحساسهم المبالغ فيه بتمييز أهمية الشخصية التي تحملها السفينة يقول . . . « وبحافز لا يمكن إيضاحه ، امتلأت النوافذ والشرفات فجأة برجال ونساء مسلحين بالمناظير يرقبون السفينة وهي تدنو من الشاطئ . وعرفت الجزيرة كلها بوصولي في سرعة البرق الحاطف» .

وكان بيترو نيني أحد الرجال الذين كانوا يطلون على السفينة الحربية وهي تدخل الميناء . وقد عاد نيني بذاكرته إلى ثلاثين عاماً مضت عندما كان مع موسوليني سجيناً في فورلي . كانا صديقين في تلك الآيام ، عندما تذكر نيني ذلك أحس فجأة بموجة من العطف تساوره . وقد وقف إلى جانبه رجل آخر من أعداء الفاشية هو زانيبوني ، وقد اشترك مع رفيقه في إشفاقه على المنني الجديد .

وقال زانيبوني وهو يرى وجه موسوليني الشاحب في القارب . . . د لن أمضي بعد اليوم في نزهني المعتادة سائراً على أقدامي ، فأنا لا أريد أن أجازف بالتشاجر مع رجل محطم » .

وأحس موسوليني بالرهبة وهو يرى عشرات الناس في الميناء وعلى الرصيف يتطلعون إلى الزورق البخارى الذي سيستقله وهو يدنو من الشاطئ. وأحس كما ذكر فيا بعد بشيء من القلق والفزع مخافة أن يروه يهبط الشاطئ كسجين فطلب مقابلة الأميرال موجيري.

وكان الأميرال يدخن سيجارته على ظهر السفينة ، فنزل تلبية لطلب موسوليني و وجده « هائجاً للغاية » ، وإن كان يبذل جهده للتظاهر بالهدوء .

وقال موسوليني . . . « لا أريد النزول في وضح النهار . . . أجل لا أريد أن يراني الناس . . . لم كل هذا الإزعاج الذي لا داعي له أيها الأميرال ؟ ؟ فمنذ يوم الأحد الماضي وهو معزول عن الناس تماماً . إنه لم يتلق أنباء عن أسرته . ولم تكن لديه إلا الملابس التي يرتدبها . وأشار إلى الرسالة التي بعث بها إليه بادوليو والتي تحدثت عن مؤامرة خطيرة تحاك ضده .

وذكر موجيرى أن الأوامر قد صدرت إليه بمرافقته لأن البحرية اعتبرت أن من الواجب أن يكون مصحوباً بضابط ذى رتبة عالية فى رحلته . ولكنه لا بملك صلاحيات للرد على ما يشكو منه .

وأصر موسوليني بصوت أكثر هدوءاً بل يحمل طابع التوسل على أن المعاملة كانت على أى حال غير كريمة . وقد تترك آثاراً في منهى الحطورة . بل لعمها تسبب آثاراً سنة ، إذ أن هتلر وفي الأصدقائه .

وواصل حديثه على هذه الصورة بعض الوقت. وكلما طال حديثه هدأت حديثه وأصل حديثه العديث بينهما إلى الحرب وإلى ما خلفه سقوطه من انطباعات في ألمانيا وإنجلترا . . .

وأراد موسوليني أن يعرف إذا كان تشرشل قد قسا عليه ، وأعرب عن رأيه في أن المشاعر ضده شخصياً في إنجلرا في منهي العنف .

ولم يرد موجيرى على السؤال مباشرة ، وإنما تحدث بصورة عامة عن « التعليقات الألمانية الحالية من العاطفة » وعن « اتجاهات الدعاية الإنجليزية » التى كانت تنصح الإيطاليين بطرد الألمان من يلادهم إذا أرادوا صلحاً شريفاً . واقترح أخيراً أن يصعد إلى ظهر السفينة ، عندما يحين وقت نزوله إلى الشاطئ . وكان بوليتو قد عاد إلى السفينة بعد جولة استطلاعية قام بها فى الجزيرة حيث أصدر أوامره بإعداد منزل فى قرية « سانتا ماريا » لإقامة « شخصية عظيمة » .

ومضى موسولينى إلى سور السفينة ، وقد أسدل قبعته كعادته فى هذه الأيام على عينيه . وتطلع بأنظاره إلى الجزيرة ، وسأل عن البيت الذى سيحل فيه . ودلوه على بيت منعزل أصفر اللون ، قاتم الهيئة يتألف من ثلاث طبقات . ودرفات

نوافذه خضراء يطل على خليج صغير يقوم بين صفرتين كبيرتين . وقد اصطفت أمام المنزل عدة قوارب شراعية . وعند ما شرع أحدهم ، فى وصف المنزل له ، قاطعه بشيء من الغضب قائلا . . . و فهمت . إنه ذلك البيت الصغير أمام القوارب الشراعية وذو النوافذ الخضراء » .

ولم يذكر له أحد ، أن هذا البيت كان السجن الذى أقام فيه الرأس إبمرو الزعم الوطني الحبشي .

وغلبه البأس ، لكنه أختى وجهه وراء قبعته ، قبل أن يرتنى سلم الحبال ليهبط عليه إلى الزورق . وانفجر فجأة محتجًا بصورة بدا فيها كالطفل الغاضب . وقد استدار ليمسك بسور السفينة . . . و لا أريد الذهاب ، لا أريد أن يعرف الجميع ماذا حدث » . ولكن غضبه سرعان ما زال كما جاء ، وراح يودع الأميرال موجيرى بهدوء وهو يقول له بصوت عال ، لا ضرورة له ، مما حمل البحار الواقف على مقربة على الظن بأن هذه الكلمات موجهة إليه . . . « أرجو أن تنقل إليهم ما قلته لك » .

ولاحظ موجيرى ، أنه ابتسم ابتسامة حزينة ، وهو يحيى الجميع بالتحية الرومانية . واقتعد مكانه فى الزورق وإلى جانبه حراسه من الكارنبييرى . وابتعد الزورق به عن السفينة بيها ظل البحارة واجمين فى أماكهم .

وكانت الساعة العاشرة عندما نزل موسوليني إلى ساحل سانتا ماريا في جزيرة بونزا . وقبل أن يصعد الطريق إلى البيت استدار إلى لبحر ، وظل يتطلع إلى الأفق بضع لحظات .

وقال فجأة . . . أنا مهك القوى ، وأريد سريراً أستريح عليه .

وكانت غرفة النوم حديثة عهد بالطراشة ، وقد بدت بجدوانها الغريبة الشكل ، والمغسلة « العادية » فى داخلها توجى بالا نطباع الحتمى بأنها زنزانة فى سجن . وكان الأثاث الوحيد سريراً من الحديد ، ومنضدة خشبية قلرة ، خلشها المدى ، ومقعداً مهلهلا خرجت حشيته من قاعدته . وعاوده الغضب الناشي عن اليأس الذى أحس به وهو عى ظهر السفينة الحربية عندما رأى هده الغرفة المهجورة الخالية من كل وسائل الراحة ، وقال وهو يضم قبضته ، مستديراً إلى النافذة ليحمل

المقعد الموجود في وسط الغرفة . . . « شبعت من كل هذا » . وجلس إلى المقعد، ثم أغرق وجهه في راحتيه .

وقال الرقيب : لم نكن نعرف يا صاحب الفخامة أنك قادم إلى بونزا ، إذ لم يبلغوني ذلك إلا قبل نصف ساعة .

- كم كنت أرغب في أن أراك في الماضي ، لأحدثك عن أشياء كثيرة .
  - ــ والآن وقد قابلتني ، فلم يعد بهمك هذا كثيراً .

ومضى الرقيب من الغرقة ليبحث عن الفراش وبعض الأغطية ، وعندما عاد كانت ترافقه زوجة أحد رجاله ، وقد حملت وعاء من الحساء ، وبيضة وبعض البازلاء . وكان موسوليني مستلفياً على حديد السرير ، وقد وضع جاكيتته كوسادة تحترأسه . وبدا مجهداً تعباً . ولكنه أحس بشيء من التحسن بعد أن تناول الطعام، واستطاع بعد ذلك أن يتحدث بشيء من الحيوية المعروفة عنه إلى بعض الصيادين الذين جاءوا لزيارته وقد حملوا إليه هدية من السرطان البحرى (أبو جلمبو) .

وكان اليوم التالى ، التاسع والعشرون من يوليو ، عيد ميلاده . وكان يجلس ، مرتدياً بدلته الزرقاء التي فقدت هندامها ، إلى النافذة ، عندما دخل عليه الرقيب ماريني حاملا أربع خوخات .

وقال موسولینی . . . إنك فی منهی اللطف یا رقیب ، و إنی لآمل ، أن لا يعنى هذا أن الناس سیفتقرون إلی الفاكهة .

- . Y. Y\_
- ــ إذن فسآكلها اليوم وغداً .

وجاءه فى الصباح ، عدد من الصيادين وبعض جنود الكارنبيبرى يتمنون له عيداً سعيداً ، وحمل إليه أحد الضباط بعد الظهر برقية هذا نصها . . .

ا أيها الدوتشي . .

أبعث إليك أنا وزوجتي بأحر تمنياتنا وأصدقها في عيد ميلادك . وبالرغم من أن الظروف قد حالت بيني وبين الجيء إلى رومة ، كما كان مقرراً لأقدم إليك تمثالا لفريدريك الكبير ، وأحر تهانئي ، فإن المشاعر التي أعرب لك عنها اليوم ، مؤكداً صداقتن الأخوية وتضامننا هي في منتهى الصدق والود، أما عملك كرجل دولة ، فسيعيش في تاريخ أمتينا ، وقد شاء لهما القدر أن تسيرا جنباً إلى جنب نحو مصير مشترك . وأود أن أقول لك ، إن أفكارنا معك دائماً ، كما أود أن أشكرك على حسن وفادتك وكريم ضيافتك لى في الماضي ، وأعود فأقول وأنا أنهي برقيتي إليك ، بإيمان صادق بأنني المخلص الك .

جررنج ۽ .

وكانت هذه هي الرسالة الوحيدة التي تلقاها من البر الإيطالي .

وروى ماكنزن لالفييرى أن هنلر كان «يغلى من الغضب على الملك وعلى بادوليو ، لأنه لم يستطع أن يعرف المكان الذي يوجد فيه موسوليني ، وحاول أن يكتشف مكانه ، فأوعز إليه كسفير له ، أن يطلب مقابلة الملك وأن يطلب إذنا بزيارة موسوليني . ولكن يادوليو رد متأسفا بأنه « لا يستطيع أن ينفذ له هذه الرغبة لمصلحة موسوليني نف ،سه وأن يسمح له بزيارته » وأضاف أنه على أى حال « مستعد لأن ينقل إليه الرسائل التي يريد سعادة السفير إرساله إليه ، وأن يحمل إليه ، ردوده عليها » . وقرر هتلر على الأثر أن يبعث إلى موسوليني بطبعة رائعة جميلة وجلدة من مؤلفات نيتشه (۱) .

<sup>(</sup>١) فريدريك ويلهلم نبتشه (١٨٤٤ – ١٩٠٠) – فيسوف ألمان، بمت إلى أسرة بولونية. عريقة ، أصبح أساذاً في جامعة بال وهو في الرابعة والعشرين . أصبب بالحنون في أخريات أيامه . تقوم فلسفته على اعتبار الإنسانية مؤلفة من طرازين يختلف أحدهم عن الآخر ، هما طراز الأقوياء والضعفاء ، أو السادة والعبيد أو النبلاء والدهماء . ويقوم الصراع بينهما على أساس الأخلاق التي يؤيد قوتها ، إذ حمل على المسيحية لأنها تدعو – كما قال – لأخلاق العبيد .

ولكن الكتب لم تصل إلى موسوليني وهو في بونزا ، ولذا فقد قضى وقته في الجزيرة يترجم الأغنية البرابرة الكاردوشي Cardacci إلى الألمانية وفي قراءة كتاب جيوسيني ريكيوني Giuseppe Ricciotti عن حياة السيد المسيح ، وهو الكتاب الذي أعطاه فيها بعد إلى كاهن الجزيرة بعد أن وشاه بتعليقاته التي تشير إلى الراحة التي أحس بها من وجه التشابه المدهش بين مصيره ومصير السيد المسيح . وكان قد شرع في التعليق على الكتاب قبل اعتقاله ، ويتضح من تعليقاته التي كتبها في بونزا بقلم مختلف ، أن هذه الصفحات التي تصف ما لقيه المسيح من خيانة أدت إلى اعتقاله ، أصبحت مهمة للغاية في نظره . وقد رآه ماريني بقرأ في الكتاب ذات يوم ، فأشار إلى أوجه الشبه بين خيانة الآخرين لمؤسس المسيحية وبين خيانهم لمؤسس الفاشية .

وقال موسوليني بشيء من الرضي الذي لم يستطع إخفاءه . . . « ولكن يجب أن لا تقرنبي بالسيد المسيح » .

وكان يعزى نفسه كثيراً ، بالتفكير بأن بونزا ، كانت موطناً للمبعدين الآخرين . وقد كتب فيا بعد يقول . . . وكانت بونزا منذ أقدم العصور المنقى الذى يبعد إليه المشاهير ، من أمثال أجريبينا والدة الإمبراطور ببرون وجوليا ابنة الإمبراطور أغسطس ، ومن ثم القديسة فلافيا دوميتيلا ، وكذلك البابا القديس سيلفيستر الشهيد ، في عام ٥٣٨ بعد الميلاد . لكن هذه القدرة على أن يقيس نفسه برجال التاريخ لم تكن إلا تعزية تفتقر إلى الحرارة . في تلك الرتابة من الحياة التي كان يعيش فها .

وكان يستيقظ كل صباح فى السابعة والنصف فيتناول إفطاره المؤلف من قدح من الحليب وبيضة واحدة . ويتناول عند الغداء بيضة أخرى ، وبعض « الطماطم » وقطعة من الحبز وبعض الفاكهة . وكان يشرب قدحاً آخر من الحليب قبل مضيه إلى النوم بعد حلول الظلام فوراً . وكان يجلس الساعات الطوال يقرأ ويكتب

<sup>(</sup>۱) جبوسوی کاردوشی – (۱۸۳۹ – ۱۹۰۷) شاعر إیطانی مشهور . نال جائزة نوبل فی الادب لعام ۱۹۰۹ .

 <sup>(</sup>۲) باتیستا ریکیوق (۱۰۹۸ – ۱۹۷۱) – فیلسوف إیطانی من فیرارا ، کان من الیسومیین .
 وحاضر فی جامعة بولوؤا .

أو يتطلع من النافذة عبر الحليج ، مفكراً كما اعترف فيها بعد ، بنلك « المؤامرة الحقيرة التي تخلصت مني والتي ستؤدى إلى الاستسلام وإلى تسليمي إلى العدو » . ولم يكن يسمح له بأية صحف ، ولا باستقبال أي زوار ، كما لم يسمح له كما قال لراشيل ، بحضور الحناز الذي طلب من راعي أبرشية بونزا أن يقيمه في الذكري السنوية لمصرع ولده برونو . وكان رفاقه الوحيدون من جنود « الكاربنيبري » الذين كانوا يستمعون إلى أحاديثه بالمدهشة والارتباك ، إذ لم يكن مسموحاً لهم بالرد على أسئلته ، وكذلك الرقيب ماريني وراعي لأبرشية لريجي ماريا دابيز الذي ذكر أسئلة أن حياته في المنبي قد حوات « هذا الرجل العظيم إلى مسيحي صادق » .

ولم يكن يغادر المنزل إلا لماماً . وعندما وصل ضابطان جدايدن هما المقدم ميولى والملازم ايليو دى لورينزو إلى الجزيرة ومعهما الرقيب انيتشى ، لتعزيز حراسته ، سمح له بالدهاب إلى البحر للسباحة ، ومضى ذات يوم بحراسة ثلاثة من رجال الكاربنييرى ، لمشاهدة الآثار لرومانية القديمة فى الجزيرة ، والكهوف التى كان الكهنة يربون فيها بعض أسماك « المورينة » . لكنه كان عزوفاً عن أن يراه القرويون ولذا فقد آثر البقاء فى المنزل معظم الوقت .

ووصل فى الأول من أغسطس من البر الإيطالي أحد صيادى السرطان البحرى ، فى زورقه البخارى و ماريا بيسى » يحمل له صندوقاً من الفاكهة وحقيبتين ، كانت السلطات قد سمحت لأسرته بإرسالهما إليه . وووقف الرقيب موريني يشهده وهو يفتح الحقيبتين . وكانت فيهما ثلاث رسائل ، تضم أولاهما رسالة من راشيل وصورة لبرونو ، وتضم الثانية عشرة آلاف ليرة إيطالية . ييما تضم الثالثة رسالة من ابنته إيدا قرأها بسرعة ، ثم قذف بها تحت حشية سريره . وسأله ماريني . . . و أتر يد الرد على هذه الرسائل ؟ » فقال . . . و لا ، فأنا لست في عجلة من أمرى » .

وفرح بعض الوقت بوصول الملابس ، وسرعان ما استبدل بملابسه السابقة قميصاً أبيض نظيفاً . ولم تمض لحظات حتى شوهد وهو يخلع القميص ويسير إلى النافذة عارى الصدر ، وقد وضع قبعة من التي يرتديها سائقو اليخوت على رؤوسهم ، ولكنه ما لبث أن خلعها فجأة ، وعاد فارتدى قميصه الأبيض من جديد .

كان الملل قد أخد منه كل مأخذ ، وكان يحس بوطأته . وكانت حنفية الحوض في غرفته غير صالحة . وكان هذا وحده كافياً لأن يدفعه إلى اليأس . وفي ذات يوم راح يقول لماريني بشيء من النكد القاسي . . . « قل لى أيها الرقيب . . . لم لا أجد الماء في هذه الحنفية ؟ أنفقت كثيراً من المال ، لإصلاح الأنابيب في بونزا . هذا ما أعرفه ي .

فرد الرقيب . . . حقاً أنفقت الكثير من المال على مد الأثابيب في الجزيرة ولكن الماء ما زال يجرى في الينبوع إلى البحر .

- ــ أتقول الحقيقة با رجل ؟
- أجل يا صاحب الفخامة .
- آه من هؤلاء الموظفين الإداريين . آه منهم ؟
   و بدأ الرجلان في حديث طويل .

ولم يمض أسبوع من هذه الحياة الحزينة التي تتلف الروح، حتى سقط مريضاً ، وجاءه الدكتور سيلفيريو مارتينيللي ، طبيب الجزيرة يعوده .

وقال مارتينيللي دون أن يفحصه . . . « أنا أعرف مرضك . وقد جثتك ببعض الدواء » . وعندما سلم إليه الدواء ، قال إنه لا يكفيه . وطلب جرعة مضاعفة . ولم يكن حتى في تلك اللحظات يقاوم الرغبة في التحدث . وراح يلتي على مسامع الطبيب قصة مرضه الصويل . وعندما انتهى من حديثه ، قال بدون وعي . . . « وهذه هي الآلام البدنية للدوشي » .

ورأى المنوتشي بعد ستة أيام بعيد الغسق ، نوراً غريباً يضيء وينطني باستمرار على التلال الواقعة وراء الميناء . وظل يرقب النور بعض الوقت ، ولكنه ما لبث أن نام نوماً عميقاً ، ليجدهم وقد أيقظوه فجأة قبيل الفجر ، ليقولوا له إنهم سينقلونه من الجزيرة فوراً .

و دون فيا بعد يقول . . . لا وجمعت حوائبي بسرعة ، ومضيت مع حراسي أنزل إلى الساحل . وظهر أمامنا على مسافة بعيدة هيكل سفينة حربية تقف عند ملخل الرصيف لا . ونقلوه إلى ظهر لا بانتيرى لا ، وهي سفينة حربية كانت فيا مضى في الأسطول الغرنسي . وهناك رأى الأميرال موجيرى ثانية .

ورآه الأميرال في حالة تفضل تلك التي رآه فيها من قبل . « وكان يبدو أكثر صلابة، وأحسن لوناً، وأقل شحوباً ... وكان يرتدى نفس البدلة، ونفس القبعة » . وقال يسأل موجيرى بشيء من المرح . . . « وإلى أين سنمضى هذه المرة يا موجيرى ؟ »

- ـ د إلى قاعدة مادالينا » .
- ـ لعلها أقل سهولة على الوصول .

وبدت له الفكرة مفرحة له . واعترف الأميرال أنه في الحديث الطويل الذي دار بينه وبين موسوليني في قمرة القبطان ، وقع تبحت الانطباع المزعج الذي أخذ ينمو في عقله ، وهو أن موسوليني يعتبر نفسه الآن وشخصاً ثالثاً ، لا الممثل الرئيسي في المأساة الضخمة التي عاشها شعبنا ، وكان موسوليني يتحدث وبدا لموجيري أنه لا يتحدث عن نفسه ، وأن لا شأن له على الإطلاق بالأحداث التي كان يصفها .

وبالرغم من تعاليه ، ومن هذه العزلة المجيدة التي اختار تصويرها لنفسه ، إلا أنه كان متلهفاً كل اللهفة على أن يعرف ما هو واقع في ذلك العالم الذي بات معزولا عنه منذ عشرة أبام . وكان قد سمع من أحد الضباط البحريين على ظهر السفينة أن بادوليو قد حل الحزب الفاشي . وسمع الآن بشيء من الاهمام الواضح أن فاريناتشي ، ذهب إلى ألمانبا ، وتحدث من إذاعة مونيخ ، وأن تشيانو فصل من سفارته ، وعلن موسوليني على ذلك بصوت حزين ولكنه ثابت . . . ١ آه ، إذن فهناك شخص شتى ، يلعب الجولف كل يوم مع صديقاته » . وعندما أبلغه موجبري أن السلطات خشيت من أن يكون الفدائيون الألمان قد أعدوا محاولة خطفه من بونزا ، أظهر شيئاً من الاهمام الحقيق والطبيعي . وخيل إليه أن مثل هذا التطور سبكون أكبر إذلال يصببه في حياته . أويظن الناس حقاً أنه سيذهب إلى ألمانيا و يحاول تسلم الحكم ثانية بمساعدة الألمان ؟ كان هذا هو السؤال الذي وجهه والذي و حليه بالنبي القاطع طبعاً .

وأحس بالغضب البالغ من جراء الفكرة التي ساورته ، وهي أنه لم يعد بعد شخصية تاريحية لا تؤثر عليها الأحداث المعاصرة ، ومن جراء إدراكه ما تعنيه

غارة يقوم بها الفدائيون الألمان . واعتقد موجيرى أن غضبه هذا كان صادقاً كل الصدق . ومن المؤكد أنه لم يكن قد فكر فى ما يعنيه إنقاذه على أيدى القوات الألمانية ، وإن كان قد بحث مع الرقيب مارينى فى بونزا احمال وقوع غارة بريطانية على الجزيرة .

وعاد الهدوء إلى موسوليني في الصباح التالى ، عندما كانت السفينة الحربية تبحر بسرعة (٢٢) عقدة في الساعة ومع ربح غربية قوية ، لتصل إلى منتصف الطريق إلى مادالينا . وقد أطلقت صافرات الإندار مرتين تلك الليلة عندما حلقت طائرة معادية على ارتفاع منخفض فوق السفينة ، لكنها لم تتعرض لأبة غارة . وراح يغط في سبات عميق استغرق بضع ساعات . وعندما جاء موجيري إليه ، كان قد استراح ، وهدأت ثائرته .

وكان البحر هائجاً ، وكانت أمواجه تلطم مقدمة الباخرة وجوانبها ، بيها تحمل الربح الغربية القوية الرذاذ حتى جسر السفينة . وكان مدى الرؤية فى منهى السويه . وأصبحت جبال كورسيكا ظاهرة للعيان وراء الضباب أمام قوس السفينة الأملى. أما سردينيا فكانت مجرد نقطة غير واضحة . ومضت السفينة إلىأن غدت فى المنطقة التى تصدها بطاريات الميناء ، وذلك ليتمكن القبطان من تحديد طريقه . ولكن لم يظهر فى الأفق شىء سوى رأس فيجارى ، ولم يكن القبطان ولا الأميرال موجيرى على يقين مطلق من ذلك . ومضت السفينة تسير ببطء نحو الجنوب بعيدة عن حدود حقول الألغام ، حتى أصبحت نافولارا على مرى النظر ، وبات فى الإمكان تمييز مدخل المصب . وإنطلق زورق بخارى أمام السفينة يرشدها بيئا سارت هى عبر القناة بسرعة أربع عقد . وعاود الهدوء الأميرال موجيرى بعد أن انتهت متاعب الملاحة ، لكن منظر موسولينى وهو يقف على ظهر السفينة مع ضباط الكاربنييرى ، ضايقه . وقد كان على المقدم ميولى أن يجتنب هذا ، هم ضباط الكاربنييرى ، ضايقه . وقد كان على المقدم ميولى أن يجتنب هذا ، اذ خشى أن يقوم بحارة السفينة الحربية بمظاهرة ممائلة . لكنهم لم يفعلوا ذلك على أى حال . فقد ظلوا ينظرون إليه بالطبع ، ولكنهم ظلوا صامتين ، ولم تتحول نظراتهم إلى تفرس .

ووصل زورق بخارى في الساعة الثانية بعد الظهر ، وعلى ظهره الأميرال

بريفونيزى ، فوقف إلى جانب السفينة الحربية ، وهبط إليه موسولينى . وكان يعرف الأميرال ولا يحبه . وكان قد أمر بمحاكمته عسكريًّا بعد معركة بحرية فقد فيها ثلاثاً من سفنه دون أن ينزل بالطردات البريطانية التى هاجمته أية خسارة . ورأى فى الحكم الذى أصدرته المحكمة عقوبة غير كافية واعتبر تعيينه اللاحق كقائد لقاعدة مادالينا البحرية ، أمراً غزياً . وكان موسولينى يعلق بشيء من الكراهية الواضحة بأن الرجل متزوج من إنجليزية .

وعندما أصبح موسوليني في مادالينا استفرت مشاعره أكثر فأكثر عن طريق تذكيره بالإنجليز . فقد نقل إلى منزل تحيط به حديقة كبيرة ملأى بأشجار الصنوبر ، وهو يطل على البحر ، وكان البيت حسن الأثاث . وكان يستخدم حتى الليلة الماضية مطعماً لضباط زوارق الطوربيد . وقيل لموسوليني إن صاحب البيت إنجليزي يدعى ويبر . اكتشف موسوليني وراء رغبته في العزلة في هذا البيت النائي حافزاً شريراً . وراح يتساءل . . . نرى لم اختار ويبر هذا المكان من العالم الملى ء بالأماكن الجميلة لإقامته في و مثل هذه الجزيرة المنعزلة القاتمة التي تعتبر أكثر الجزر الواقعة إلى الشال من سردينيا وحشة ؟ لابد أن هناك سبباً ؟ لعله التجسس ؟ ربما ا »

وكانت مادالينا أشد وحشة فى هذه الأيام ، فقد أخليت من جميع سكانها المدنيين بعد غارة جوية عنيفة تعرضت لها ، تصور موسولينى بشىء من الإصرار الجنوني أنها لابد أن تكون ثمرة الحيانة والحديعة ، نظراً « لغموضها » . إذ أن العدو « كان يعرف بالدقة جميع الأهداف التي أغار عليها » . ولم يبق على ظهر الجزيرة إلا عدد من البحارة وبعض الصيادين وقوة من رجال الكارنبييرى ، ضوعف عددهم مؤخراً فزاد على المائة رجل .

وتركت وحشة الجزيرة أثراً فورياً في معنويات موسوليني وخرج إلى شرفة المنزل فرأى منها عبر الضباب المستبد الذي ينتشر في الأسسيت هياكل البواخر الكبيرة الغارقة في الميناء ووراءها ، جبال جالورا المظلمة السوداء . ووجد الجو الذي يحيط به ١ معادياً ومندراً بالحطر » ، فدخل المنزل ، ولحظ موجيري ما بدا عليه من تجهم وأحنى رأسه للأميرال مودعاً ، ثم مضى إلى غرفته مغلقاً الباب وراءه .

وظل موسوليني في الجزيرة ثلاثة أسابيع كانت من أشتى أيام حياته . وكان قلا شكا من أيامه في بونزا بأنها كانت طويلة ، تسودها الوحدة ، أما هنا فالأيام أطول . والوحدة أشد قسوة وصرامة . وكان شهر أغسطس من ذلك العام شديد الحرارة بوجه خاص ، وتميز البحر بالهدوء والحلو من الريح . وكتب موسوليني فيا بعد بقول . . . « وكان كل شيء يبدو وقد سمرته الشمس في مكانه » . ولم يكن يبدى رغبة في مغادرة الدارة الباردة نوعاً ما ، فلا بغادرها إلا لماماً في جولة في غابة الصنوبر مصحوباً بعريف من الكاربنيري . وانقطع مرة ثانية عن العالم الخارجي ولم بتلق شيئاً سوى هدية هتلر . وهي أربعة وعشرون مجلداً من مؤلفات نيتشه ، التي شرع في قراءتها بعناية من أولها ، مكتشفاً أن قصائد الفيلسوف الأولى كانت « في منهي الحمال » . وبدأ يدون يومياته ، حاشياً إياها « بملاحظات يومية ذات طابع منهي وسياسي وأدبي » . لكن أحداً لم ير هذه اليوميات سواه ، ولم يعثر عليها قط فيا بعد (۱) . وكان يقضي معظم أوقاته متطلعاً بشيء من الكابة ، إلى البحر البعيد فيا بعد في ظلال شرفته .

وجاء الحنرال بوليتو ذات يوم إلى الجزيرة ، وسأله موسوليني عما حدث بوعد بادوليو بأن يسمح له بالذهاب إلى دارته في روكاديل كاميناتي . فرد بوليتو بأن القرار اتخذ بأن ذهابه إلى هناك في منهى الخطورة ، لا سيا أن محافظ فورلى أعرب عن شكه في قدرته على ضهان سلامته هناك .

ورد موسوليني متجهماً . . . يا له من سخف !

فرد بوليتو : لا إنه ليس بالسخف . إذ يبدو أن الفاشيين قد اختفوا .

<sup>(</sup>١) نشرت ترجمة ألمانية لمقال لموسوليني بعنوان «أفكارى في مدالينا وبونؤا في محيفة سالز برجر ناخرنحتين الألمانية ، ويعتقد أنه كان تلك اليوميات التي كتبها . وذكرت العسميفة أن ضابعاً من الحرس النازي سلمها دفتراً صغيراً تفسن ذلك المقال قبل بضعة أيام من استسلام ألمانيا . وحدثني العقيد سكورزيني أنه عند مازار موسوليني بدعوة منه في صيف عام ١٩٤٤ ، طلب إليه موسوليني أن يأتيه من ألمانيا بيوميات كان الألمان قد أخلوها منه بعد إنقاذه من معتقل « لصحرة الكبيرة » (جران ساسو) . وقد تمكن سكورزيني من إقناع مكتب الخابرات الألمانية بأن يسمحوا له بحمل اليوميات بعد أن يأخذوا صوراً فرتوجرافية لها . وهو يعتقد أن إحدى هذه الصور قد انتزعت من المنفات وبيعت إلى الصحيفة المذكورة .

وهناك دلائل على وجود رد فعل عنيف ضدهم وضدك فى كل مكان . وقد هاجمت الحماهير صحيفة ١٥ البوبولو ديتاليا ١ فى ميلان . وقد رأيت بنفسى تمثالا نصفيًّا لك على أرض أحد المراحيض العامة فى أنكونا .

\_ وماذا حل بالحرب ؟

- كل إنسان يتمنى أن تنتهى. وقد أصبحت الآن عبئاً على السكان المدنيين بقدر ما هى عبء على لذين يحاربون ولا سيا من الشيوخ والنساء والأطفال. ولعل هذا هو السبب في عنف المشاعر المعادية لك.

ولكن بالرغم من أن الإيطاليين كانوا يتلهفون حقًّا على انتهاء الحرب ، إلا أن بادوليو وجد نفسه مضطراً إلى السير في طريق الهدنة بمنهى الحذر . لكن سياسته لم تكن نلجحة . فقد أعلن ، وما زال يصر على أن يعلن بأن الحكومة الحديدة ستظل مخلصة لحلفاء إيطاليا . ولكن الألمان كانوا يشكون صراحة في صدق قوله ، وظلوا يتدفقون بقواتهم عبر ممر برنر ، بينا غضب الحلفاء على إعلانه أنه سيواصل القتال فشددوا من تصميمهم على هزم إيطالبا وإخراجها من الحرب . وتقابل امبروزيو ووزير خارجية إيطاليا الجديد رافائيل جواريجيليا في السادس من آب عند محطة تافيسيو الواقعة على الحدود ، مع ريبنتروب وكايتل ، وقدما إليهما احتجاجاً رسميًّا على ما أصبح الآن فى الواقع احتلالا عسكريًّا لإيطاليا . وقال امبروزيو لكايتل ٥ من حقنا أن تعطوبًا مقدماً يعض المعلومات عن تحركات القوات الألمانية » . لكن هذا الاعتراض لم يتعد الناحية الشكلية . فقد كان مندوبو الجانبين يدركون أن المحور قد انتهى . وكان كيسلرنج أحد الألمان القلائل ، بل لعله الألماني الوحيد الذي ظل يعتقد بأن بادوليو سيظل ثابتاً على وعوده . ولم يخف ريبنتروب في هذا الاجتماع ــ وكان محاطاً بجماعة مرعبة من رجال الحرس النازي ــ عدم ثقته بحلفائه ، وراح يسأل جوار يجيليا ، عن المدة التي انصرمت منذ شرعت الحكومة الجديدة في مفاوضة الحلفاء لعقد صلح منفرد . وتطلع جوار يجيليا الذي تميز بالمكر والدهاء ، إلى ريبنتروب بشيء من البراءة التي أحست بالإساءة وقال بلهجة أهل نابولى القوية . . . « ولكننا حلفاء كم المخلصون » .

وبعد أقل من أسبوع كان الجنرال كاستيلانو فى طريقه إلى لشبونه ليبلغ

السفير البريطاني فيها أن الحكومة الإيطالية على استعداد للاستسلام . وكان الجوي في رومة مكهرباً منذ أيام طويلة . وكان الدبلوماتيون ينظرون إلى بعضهم نظرات العداء ، وكان الاضطراب في قصر شيجي ( مقر وزارة الخارجية ) باعثاً على الرعب ، إذ كان الموظفون والأذنة يهرعون من مكتب إلى آخر ، محاولين أن يعرفوا ما هو دائر هناك . وقال الفيبرى . . . و وكانت البرقيات تتوالى من سفاراتنا ملحفة يطلب التعليات العاجلة . وكانت أجراس الهاتف تقرع باستمرار وإلحاح في جميع المكاتب » . ينها ظل الرعب ماثلا من أن يقوم الألمان برد فعل وحشى ومفاجئ . قد يصل إلى حد إعلان الحرب . وسمع الحنرال كاستيلانو الموظفين ، يتحدثون المرة تلو المرة عن « ليلة جديدة كليلة عيد القديس بارثاوميو (١) » .

وفى الثالث من سبتمبر وبعد ثلاثة أسابيع من المفاوضات السرية المختلسة ف خيمة عسكرية فى كاسيبيل القريبة من سراقوسة فى صقلية ، تم التوقيع على اتفاق الاستسلام . وكان بادوليو قد أكد فى نفس اليوم للسفير الألمانى فى رومة ، أن إيطاليا ستواصل القتال إلى جانب « حليفتها ألمانيا حتى النهاية » . ولم يعلن عن توقيع الهدنة للألمان وللعالم إلا فى الساعة الثامنة من مساء الثامن من سبتمبر ، أى عندما هبطت قوات الحلفاء على البر الإيطالى عند ساليرنو .

ولم يعرف موسوليني بالطبع شيئاً عن المفاوضات التي أدت إلى إنهاء حلف الفولاذ . وظل طيلة أيام شهر أغسطس الحارة ، يتطلع عبر البحر الهادئ ، المنبسط كالكف أمامه ، مما أعاد إلى ذاكرته صور البحيرة الألبية ، مرتقباً بكثير من الأسي ، ورود الأنباء من إبطاليا . وكان يجلس على شرفة دارة ويبر كعادته مساء السادس والعشرين من أغسطس عندما حلقت طائرة ألمانية على ارتفاع منخفض فوق رأسه ، حتى إنه رأى وجه الطيار تماماً . وجاءه أحد ضباط الكاربنيري في اليوم التالى ، ليبلغه أنه سينقل من الجزيرة في الصباح التالى . وكان الجنرال باسو ، القائد العسكري في سردينيا ، قد نصح الحكومة بأن جزيرة مادالينا لم تعد مكاناً أميناً للشخصية الرفيعة «المبعدة إليها» . فقد كانت الغواصات الألمانية

<sup>(</sup>١) إشارة إلى مذبحة لينة عيد القديس بارتلوبيو في فرنسا في عام ١٥٧٣ : عند ما قام الكاثوليك بأمر من الملكة كاترين دى مديثى أم الملك شارل لتاسع بذبح البروتستانت (الهوجونوت) عن بكرة أبهم بعد مكيدة مدبرة .

تبحر دائماً على مقربة من الحزيرة ، ولا بد أن محاولة إنقاذه باتت وشيكة الوقوع .

ونقل موسولینی فی الساعات المبکرة من صباح الثامن والعشرین من أغسطس من دارة ویبر إلی المیناء ، حیث کانت تقف طائرة بحریة من طائرات الصلیب الأحمر منذ بضع ساعات . واستقل موسولینی الطائرة ومعه الملازم فایولا والرقیب أنتیشی ، ثم طارت بهم مدة ساعة ونصف الساعة لتهبط علی سطح بحیرة براسیانو . وعند فینا دی فالی ، قابله أحد مفتشی البولیس ویدعی جویلی ، إذ کان قد عین کبیراً لسجانیه خلفاً لبولیتو الذی کان قد أصیب فی حادث سیارة ، ومعه ضابط من الكارنبییری برتبة ه وائده . ونقل هناك إلی سیارة إسعاف ، واحت تلوع من الكرش به باتجاه رومة .

على الصخرة العظيمة . . .

من ٢٨ أغسطس عام ١٩٤٣ حتى ١٢ سبتمبر ١٩٤٣ «١». إذ أعن سمن في العالم»

١

عندما وصلت السيارة إلى مدخل رومه ، اتجهت شالا باتجاه شارع فلامينيا ، حيث عبرت الجسر الحديدى فوق نهر التيبر ، ثم اتجهت نحو طريق سابين . وتستدير الطريق بانحناءة قاسية عند ريتي إلى اليمين عبر الوادى الذى يفصل جبال سابين عن جبال ابروز ، وأدرك موسوليني بشيء من الارتياح عند ما رأى سيارة الإسعاف تصعد طريق اكويلا نحو الصخرة العظيمة «جران ساسوديتاليا» ، التي تعتبر أعلى قمة في تلك المنطقة ، أنهم يأخذونه إلى الحزء الذي يحبه من إيطاليا

وقد كتب في « قصة عام » يقول . . .

« ولا يستطيع الإنسان أن ينسى بسهولة صورة ذلك الجبل الوعر المغبر المرتفع نحوا من عشرة آلاف قدم فى وسط إيطاليا . وهناك صورة لا يمكن للإنسان . وصفها تحيط بسكان جبال الابروز وجو بلادهم ، وتستأثر بفؤاد الإنسان . وفي بداية شهر سبتمبر ، تأخذ قطعان الأغنام التي جاءت في الربيع من السهول ، لترعى في المضبة المرتفعة ، تستعد للعودة ، هابطة من الأراضي المرتفعة بصورة بطيئة . وكثيراً ما يظهر الرعاة على صهوات جيادهم ، ثم يختفون وراء تعاريج الجبل ، ليعودوا فيظهروا في الأفق البعيد وكأنهم شخصيات جاءت من عصر الحبل ، ليعودوا فيظهروا في الأفق البعيد وكأنهم شخصيات جاءت من عصر

وعلى بعد خسة عشر ميلا من اكويلا صعوداً مع الطريق الملتوية المؤدية إلى الصخرة العظيمة (جران ساسو)، تنتهى هذه الطريق عند مرتفع عمودي، يعلو

مسافة ثلاثة آلاف قدم أخرى ليصل إلى الهضبة التي يطلق عليها اسم «المعسكر الإمبراطوري». وتمتد هذه الهضبة التي ترتفع مسافة ( ٢٥٠٠) قدم فوق سطح البحر ، مسافة عشرة أميال تحت قمة جبل كورنو ، أعلى قمة في جبال الأبنين . وهكذا تقرر أن ينقل موسوليني إلى فندق منعزل يقع على هذه الهضبة العالية .

وقبل وصوله بأيام ، كانت الأنباء قد انتشرت بأن « شخصية مهمة للغاية ستزور الهندق عما قريب ، ، وهو فندق البيرجو – ريفوجيو ، وعندما وصل إليه فى الثامن والعشرين من أغسطس ، الجندى فرانسيسكو جريفيتو . الذى عرف بأنه كان فى خدمة موسولينى قبل اعتقاله . لم يترك وصوله أثراً للشك فى هوية ذلك الزائر المنتظر . ولما كان الفندق لا يزال حاشداً بالنزلاء ، فقد أعد نزل فيليتا الواقع فى أسفل المرتفع لاستقبال موسولينى إلى أن يكون الفندف قد أخلى من نزلائه .

وكانت فلافيا ايوراتو ، مديرة الفندق ، والتي استدعيت إلى النزل الأسفل للإشراف على الإعدادات لاستقبال موسوليني ، موجودة في ساحة القرية ، عندما وصلت إليها سيارة الإسعاف التابعة للصليب الأحمر . وقد ذكرت فيا يعد أن رجلا بديناً » خرج من السيارة ، وكان يرتدى بدلة داكنة ومعطفاً ، وقبعة سوداء ، هو موسوليني . ولم يعد فيه ما يشبه الديكتاتور الواثق من نفسه ، الذي تبدو عليه دلائل الرفاه والغذاء الجيد . وكان يتطلع بقلق إلى كل ما حوله . وكأنه يخشى الوقوع في « مصيدة » ، يدور بعينيه البارزتين من محجريهما في كل مكان ، يخشى الوقوع في « مصيدة » ، يدور بعينيه البارزتين من محجريهما في كل مكان ،

وكانت صافرات الإندار بالغارة الجوية قد أطلقت فى الطريق الصاعد من سينادوكالى . وكتب موسولينى فيا بعد بشىء من الازدراء الواضح . . . « وكنا ذرى جماعات الجنود ، يفرون بقمصانهم ( التحتانية ) فى كل اتجاه ، يصرخون فزعين . فيحلو المدنيون حدوهم ، وهذا ما فعله الضباط أيضاً » . لكن أحد الضباط لاحظ أيضاً بأن موسولينى لم يكن يقل لهفة عن الجميع فى الرغبة فى الوصول إلى حفرة يختى فيها .

وكانت أيام الوحدة التي صرمها في بونزا ومادالينا ، وصحته المتدهورة ، قد امتصت كل ما لديه من روح ومعنوية ، واستنفذت من بدنه كل قوة . وبدا الآن لكل من رآه رجلا مهزوماً ومريضاً فى وقت واحد . ولم تكن شجاعته موضع الشك فى يوم ما فيما مضى ، ولم تكن فيما تلا من أيام ، لكنه فى بلك اللحظات بدا خائفاً وجلاً .

وجلس موسوليني في غرفته التي تقع في الطبقة الثانية من المنزل. ساكناً هادئاً ، وعيناه تنطلعان إلى على ، تجوب الجبال السامقة الشاهقة . وسمح له الآن لأول مرة بالاسماع إلى الإذاعة ، ولكنه كما يبدو لم يرحب بهذا الامتياز الجليد . وقد بدا في منهى البأس ، في عيون سجانيه فيولا وجويلى ، حتى إلهما كانا يسارعان بعد كل وجبة إلى رفع السكين والأشواك من أمامه مخافة استخدامها في إلحاق الأذى ينفسه .

ونقل في مستهل سبتمبر إلى محطة « المرتفع » استعداداً للمرحلة الأخيرة من رحلته . واحتج على نقله من جديد ، واكن احتجاجه ذهب أدراج الرياح .

وراح يسأل ناظر المحطة وقد بدا عصبي المزاج . . . ترى هل القطار الكهربائي مأمون الجانب ؟ ، وسرعان ما أضاف وكأنه يصحح نفسه ، وقد عاد إليه شيء من كبريائه . . . . الا بالنسبة إلى ، فلعلك تعرف أن حياتي قد انتهت ، بل بالنسبة إلى مرافقي » .

وأخذ بعزى نفسه بالفكرة ، بأن هذا المصعد ، قد أقيم كما أقيم الفندق نفسه ، « في عهد الفاشية الذي استطال عشرين عاماً » .

وسأل عن ارتفاع الفندق فرد أحدهم بأنه ٢١١٢ متراً عن المكان اللدى كانوا فيه وكان تعليقه متوقعاً ، ومؤثراً ، بما فيه من بساطة الطفولة . . . ١ آه ، إنه أعلى سنجن في العالم » .

۲

إذا تطلع الإنسان إلى فندق البرجو – ريفوجيو ، من سطح محطة المرتفع . بدأ أشبه ما يكون بالسجن حقاً . فقد كانت جلوانه المتعرجة الملتوية ، ونوافذه الصغيرة ، أشبه ما تكون بجدران السجون ونوافذها . ولكن حارسه جويلي تصور أن موسوليني قد سر بمرأى الفندق ، وكأنه قد رأى في منظره المهيب القاتم ، نهاية صالحة لمأساة إبعاده . لكن هذا السرور ما لبث أن زايله عندما أصبح في داخل الفندق . وقادوه إلى جناح في الطبقة الأرضية كان فاخر الأثاث ، وفيه غرفة حتى لخادمه جريفيتو . وسرعان ما ركع على أرض غرفة الجلوس ، وأخذ يطوى ما فيها من سجاد وهو يقول لمجموعة من جنود الكاربنييرى ، وموظى الفندق ، الذين أرادوا أن يعاملوه باحترام يتعارض مع هذا المنظر الذي وضع نفسه فيه . . . « إذا كنت مسجوناً ، فيجب أن تعاملوني كسجين . أما إذا لم أكن ، فعليكم أن تأخذرني للى منزل في روكاديل كاميناتي ٤ .

لكنه كان يعامل كنزيل لا كسجين . وتقول مديرة الفندق إن « أيامه أصبحت كأى أيام يقضيها مواطن وديع ، يقضى عطلته فى المكان . . . وكان يتناول وجبات طعامه ، تلبية الطلبه فى غرفة جلوسه . وكان يعبش على حصة قاسية بسبب مرضه ، فلا يتناول إلا الأرز والبيض والبصل المسلوق وبعض اللحم والحليب وكثيراً من الفاكهة . وكان يحب العنب كثيراً إذ كان يأكل سبعة أرطال منها فى اليوم (أى حوالى ثلاثة كيلوات ) . وكان يمضى فى كل يوم بعد الظهيرة ، فى اليوم (أى حوالى ثلاثة كيلوات ) . وكان يمضى فى كل يوم بعد الظهيرة ، فى مسيرة يرافقه فيها الرقيب انتيشى ، فإذا ما عاد ، مضى إليه جويلى فى غرفة جلوسه ، ليحدثه . وقد ذكر جويلى « أن أحاديثه مع رجل يحمل مثل هذا العقل الكبير ، كانت أسعد ساعات حياته » .

وكان يتناول عشاءه فى السابعة مساء ، ثم يهبط إلى صالة طعام الفندق ، حيث يلعب الورق مع النيشى وجويلى وجالولا . وكان يسمح له بالجلوس إلى «الراديو ، قبل المضى إلى فراشه . وكان يستمع إلى نشرات الأخبار الإيطالية والألمانية والإنجليزية ، وعندما كان المذيع يذكر اسمه ، مطرياً إياه حيناً وبمثهناً إياه أحياقاً أخرى ، كان الحاضرون بتطلعون إليه ، ليروا رد فعله ، ولكن كان من العسير نبين علائم الرضى أو الألم وراء هذا القناع الصارم من الجمود الذي كان يضعه على أساريره .

وكان يصغى دون أى تأثر واضح إلى أنباء ما يسميه « بالحرب الصورية » ، وهى حرب تزداد الخطورة والفجيعة فيها يوماً بعد آخر . واستمع إلى أنباء الغارات

الجوية المتزايدة والمفزعة على المدن الإيطائية ، وما يقع فيها من عديد الضحايا ، وإلى أنباء الجيوش المتراجعة ، وسرعة احتلال صقلية ، ووجود مثات الألوف من اللاجثين الذين يتضورون جوعاً ولا يجدون مأوى ، وتدمير المحاصيل ، ونقص الحنطة ، وتوقف شحن الفحم فجأة من ألمانيا ، وإلى أنباء الجيرش الإيطائية الحائرة فى كروانيا واليونان وفرنسا . وهي تلتى بسلاحها وتسلمه إلى الألمان ، وأنباء الاستسلام والهدنة ، وتدفق القوات الألمانية من الشهال ، وفرار الملك وحكومة بادوليو من رومة إلى بسكارا ومنها إلى برنديزى . أجل كان يصغى إلى كل هذه الأنباء ، ينفس التعبير من الجمود الحال من كل تأثر وعاطفة . وبدا وكأن سير التاريخ كله قد تقرر في عينيه ، أو كأنه لا يكترث بالأحداث المعاصرة ، إذ لا معنى لها ، إذا لم يكن هو الموجه لها .

وراحيسال جويلى ذات يوم ... و ترى ما الحكم الذى سيصدره التاريخ على؟ » أجل كان هذا هو السؤال الوحيد الذى يهمه . وبدا وكأنه لا يكترث بأى شيء سوى ذلك . وكانت هذه السلبية فى موقفه من الأحداث قد باتت عادة مألوفة لديه . ولم يظهر اكتراثا بزيادة تدابير الأمن المتخذة فى المكان ولا بالحرس المسلح الذى بات الآن يقف على باب جناحه ، ولا بالجنود يحملون الأساحة الرشاشة وقد انتشروا على الشرفة . وذكرت مديرة الفندق . . . أنه لم يبد «شعوراً بالحزن أو بالذلة ، . . . ولكنه كان أحياناً ببدو وهو يراهم يواقبونه أشد مراقبة ، ساهم النظرات شارد الفكر . . . ولم يعد يقضى وقته فى القراءة أو الكتابة . . . وكثيراً ما شوهد ، وهو يقف إلى النافذة ، متطلعاً إلى منظر ه الصخره العظيمة » الرائع ، منظاره المقرب ، أو جالساً إلى سور خفيض فى ساحة الفندق ، يتفرس بشىء من شرود الذهن ، فى المسافات البعيدة أمامه ، ممثلا صورة نابوليرن التقليدية المعروفة فى جزيرة سانت هيلانة .

وكثيراً ما خرج على طوره ، فجفا اللطف والدماثة ، واكن سلوكه كان يحمل دائماً شيئاً من حنان الأبوة ، مع الشعور بالحاجة إلى مقارئة النكبة التي يعيشها بنكبات غيره . فعندما شكت الوصيفة ليزا ميسكوردى ، التي كانت تتولى غسيل ثيابه أيضاً من ألم في معصمها ، راح يبحث لها على الفور عن بعض ه الدهون ،

وراح يقول لها بمنهى الحنان . . . « كرنى شجاعة يا طفلتى ، واذكرى أننى ما زلت أعانى الآلام منذ ثمانية عشر ربيعاً » .

وسمع ذات يوم أحد الجنود يحاور راعياً جاء إلى الفندق يطاب شراء زجاجة من النبيذ. وكان الجندى يقول ، إنه لا يسمح لأحد من المدنيين بدخول الفندق ، ولكن الراعى يرفض الانصراف قبل أن يحصل على بغيته . وطلب موسوليني من الجندى أن يسمح الراعى بالدخول ، وأخذه إلى إحدى الموائد حيث جلس ، دون أن يكترث لحظة واحدة ، بأنه يجد نفسه فجأة في رفقة زعيمه السابق .

وراح موسوليني يسأله عن الإصلاحات التي حفقتها الفاشية في رعاية الماشية .

ولم يستطع الراعى تذكر أى إصلاح ، وقال رأيه بصراحة، وفجأة مال الراعى إلى الأمام ، ووضع يده ، بود على كتف موسوليني مخاطباً إياه ، بطريقة تخلو من جميع الشكليات . . . « إنك كنت على خطأ ، فقد فرضت علينا ضرائب ثقيلة ، وكنت تسمح لهم بأن يبتزوا منا الكثير من الصوف والجبن ، لمؤسسات الدولة » .

وراح موسوليني يغير الموضوع فسأله عن الحرب ، وما رأيه فيها وقد انتهت الآن هذه النهاية السيئة .

ورد الراعى ، بشىء من التعالم الواعى الذى يتميز به أمثاله . . . « انتشر اللصوص فى كل مكان . وكان على الحبز أن يسمن الكثيرين قبل أن يصل إلى أفواه الجنود المساكين » .

وأخيراً انتهى الراعى من احتساء نبيذه ، فهب من مكانه وريت على كتف موسولينى وصافحه وهو يقول . . . وكأنه يعرفه منذ أمد طويل ، دون أية كلفة . . . « اعنن بنفسك يا موسولينى . وشكراً لك على النبيذ ، .

وخشى المتفرجون أن يغضب موسولينى من معاملة الراعى . ولكن هذه المقابلة الغريبة أدخلت فى نفسه الكثير من المرح . وعندما انتهى من عشائه فى تلك الليلة ونزل إلى القاعة ليلعب الورق كعادته ، راح يسأل بحماس عن موعد هبوط الثلج . فرد عليه بعضهم بأن الثلج يهبط أحياناً فى مستمل شهر أكتوبر . وقال وهو يبدو مرحاً . . . اعسى أن ينزل الثلج هذا العام مبكراً . فكم أود التزحلق من جديد » . لكن هذا المزاح المرح لم يعمر طويلا . وبعد نحو من الساعة ، نقلت الإذاعة

والرباط ليربط لها معصمها .

شروط الهدنة التي وقعها بادوليو مع الحلفاء . وكان المديع من محطة برلين ، ينقل إذاعته عن نبأ أذاعته محطة الجزائر .

وسمع موسوليني المذيع يقول . . . « أذيع رسمينًا ، أن أحد شروط الهدنة ، ينص على تسلم موسوليني إلى الحلفاء » .

وفى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى ، سلم خادمه جريفيتو إلى الملازم فيولا ، رسالة طلب إليه موسوليني نقلها إليه ، وهذا نصها . . .

لا وجدت فيك في غضون الأيام القليلة الى عشناها معاً ، صديقاً حقاً ، ولا ريب في أنك كجندى تدرك تمام الإدراك ، ما يعنيه وقوعى في يد العدو . ولقد فهمت من إذاعة برلين ، أن أحد شروط الهدنة يتحدث عن تسليمي حياً إلى الإنجليز . وبالطبع لن أرضى على الإطلاق بهذا الإذلال ، ولذا أرجو أن تسلمني مسدسك ٥ .

وقفز فبولا من فراشه مسرعاً إلى غرفة موسوليني ، حيث وجد أسيره ، جالساً إلى سريره ، يمسك بشفرة جيليت حادة ، وكأنه يريدأن يقطع بها شرايين يده » .

وروى موسوليني فيا بعد أن فيولا بعد أن رفع من الغرفة كل ما فيها من أدوات معدنية وآلات حادة ، بما فيها شفرات الحلاقة ، عاد يكرر على مسامعه ما سبق له أن وعده به . . . « أخذت أسيراً في طبرق ، عندما كنت مصاباً بجراح بالغة . وقد شهدت فظاعة البريطانيين في معاملة الإيطاليين . وثق أنى لن أسلم إيطالياً إلى الإنجليز » وسرعان ما تفجر الدمع من عينيه . لكن ما أبكاه ، لم يكن كما اعترف لموسوليني فيا بعد ، خوفه من أن يصدر الأمر إليه بتسليم موسوليني إلى الإنجليز ، وإنما الذي أبكاه هو الخوف الملح من أن لا يمكنه الألمان من أن يفعل ذلك ، إذ أن التعليات التي لديه في مثل هذه الحالة قاطعة وهي أن « لا يسمح للألمان بأخذ موسوليني وهو على قيد الحياة » .

## الإنقاذ من الصخرة العظيمة

۱۲ سبتمبر ۱۹۶۳

« كنت أعرف أن صديق أدولف هتلر لن يشخل عني » .

١

كان أويو سكورزيني النقبب الشاب في وحدة ۵ فريدنيتال » الخاصة من وحدات الحوس النازى ، يجلس بعد ظهر السادس والعشرين من يوليو ، في فندق إيدن في يرلين يحتسى القهوة مع صديق قديم له من فيينا . وكان يحس في قرارة نفسه ، بشعور خني وغامض من القلق دون أن يدرى لهذا الشعور سبباً.

وقرر أن يتصل هاتفياً بمكتبه ، وكم كانت سعادته ، عندما نفذ نعلا قراره . فقد كان سكرتيره يبحث عنه منذ نحو من ساعتين ، إذ أنهم يريدونه على عجل في مقر قيادة الفوهرر ، وستكون طائرة في انتظاره في مطار تمبلهوف في الساعة الخامسة مساء .

وقال سكورزيني . . . ليمض وادل فوراً إلى غرفتي ، وليحزم بدلة عسكرية من ملابسي وبعض الملابس الداخلية في حقيبة ، ثم ليمض فوراً إلى المطار .

وكان مساعده كارل وادل في الانتظار هناك عندما وصل سكورزيني فسأله عن القضية واكن وادل لم يكن يعرف شيئاً أيضاً .

وبريما كانا يسيران على أرض المطار هبطت طائرة من طراز يونكرز (٥٢) على المدرج ، ولم تمض دقائق معدودات ، حتى كان سكورزيني يطير فوق برلين وقد حمل قدحاً من « البراندي ، فيده . وبعد ثلاث ساعات هبطت الطائرة في مطار يقوم على طرف بحيرة قرب لونزين في بروسيا الشرقية . وكانت سيارة «مرسيدس ، في الانتظار ، وسرعان ما حملته عبر غابة قطعها عندما جن الدجي .

وخففت السيارة من سيرها عند حاجز عسكرى ، وفحص المراقبون أوراق سكورزيبى . وارتفع الحاجز ، وسمح للسيارة بالمرور عبر أجمة من أشجار التامول ، حتى وصلت إلى حاجز آخر ، حيث فحصت أوراقه من جديد . ودخلت السيارة الآن معسكراً تحيط به الاسلاك الشائكة ، وتقوم على طرف طرقاته أكواخ وأعشاش مغطاة بالأعشاب وشبكات التعمية .

ومضوا به إلى بناية من الخشب . ثم دخلوا به إلى غرفة خارجية حسنة الأثاث . وقد غطيت أرضها بالسجاد . وكان هناك خسة من الضباط الآخرين، فقدمه نقيب من الحرس النازى إلى كل واحد منهم . وكان سكورزيني متوتر الأعصاب فلم يسمع أسماءهم جيداً ، فلما مضى النقيب راح يشعل سيجارته . ولم تمض بضع لحظات ، حنى عاد النقيب يقول . . . و سأمضى يكم إلى الفوهرر يا سادة ، وسأقدمكم إليه ، على أن يتحدث كل واحد منكم عن تاريخ حياته فى الجيش . وقد يوجه الفوهر و إليكم بعض الأسئلة . . . أرجو أن تلحقوا بى من هذا الطريق ،

وأطفأ سكورزيني سيجارته ، ثم بدأ يرتجف ، وهو يسير خلف الآخرين ، عبر غرفة خارجية أخرى أكبر من الأولى ، إلى أن دخلوا غرفة كانت فيها منضدة كبيرة انتشرت فوقها الخرائط . وبالرغم من ارتباكه فقد التقطت عبناه بعض التفاصيل الواضحة إذ رأى صورة من رسم « دورر» داخل إطار من الفضة ، وستائر فاتحة اللون على النوافذ ، وصفاً من أقلام الرصاص الملونة ، تقف منوازية على مائدة تستعمل الكتابة

وفتح باب دلف منه الفوهرر ... وأدى الضباط التحية العسكرية ، فرد الفوهرر عليهم بالتحية النازية ، ثم تقدم ببطء منهم . كان يرتدى قميصاً أبيض ورابطة عنق سوداء ، ووسام الصليب الحديدى من الطبقة الأولى ، يتلمل على سترة بزة الميدان العسكرية التي يرتديها . وقدم إليه الضباط واحداً بعد آخر . فراح يوجه إلى كل منهم سؤالا ينتقل منه إلى الضابط الذى يليه وبعد أن تحدث إلى سكورزيى ، الذى وقف فى آخر الحمط يوصفه أدناهم رتبة ، عاد الفوهرد خطوة إلى الوراء ، ثم قال بصورة مفاجئة . . . « ومن منكم يعرف إيطاليا ؟ ) وكان سكورزيني الوحيد الذى أجاب ، فقد ذكر أنه كان فى نابولى مرتبن.

وما رأيكم في إيطاليا ؟

وتردد الضباط ، قبل أن يردوا الردود التقليدية التي قد يثيرها مثل هذا السؤال . وارتفع صوت سكورزيني ببن الهمهمة من الأصوات المرتجفة التي تتحدث عن المحور والفاشية ، يقول ، بلهجة قاطعة محدودة . . . وفيها بعض المسرحية . . . وفيها بعض المسرحية . . . وفيها بعض المسرحية . . .

وتطلع هتلر إليه ، بينما صمتت الأصوات الأخرى . ثم قال بعد فترة طويلة . . . فى وسع السادة الآخرين أن يذهبوا . أما أنت يا نقيب سكورزيني ، فأريدك أن تبقى .

وعندما أصبحا وحيدين ، بدأ الفوهرر يتحدث بتلك الحيوية المنزايدة التي تصل حدود الحماسة ، نتيجة استماعه إلى صوته .

وشرع الفوهرر يتحدث . . . د لدى مهمة خطيرة لك . فقد تعرض موسولينى ، صديقى وزميلنا المخلص فى السلاح إلى خيانة الملك بالأمس ، واعتقله مواطنوه . ولن أتدخلى عن أعظم من أنجبته إيطاليا من أبنائها فى ساعة محنته . فالدوتشى يمثل لى عظمة رومة العريقة مجسدة . وستتخلى عنا إيطاليا فى ظل حكومتها الجديدة ، ولكننى سأحافظ على عهدى لحليفنا القديم وصديقنا العزيز . والما يجب إنقاذه على القور ه .

وذكر سكورزيني فيا بعد ، أن لهجة هتلر ، كانت تنبض بالحرارة والعطف الصادق ، مما أثار عواطفه وأهاجها . وعندما شرع الفوهرر يصدر توجيهاته إليه ، وجد في الرجل صدقاً في عباراته وطريقته في الحديث ، بحيث لم يشك لحظة واحدة في أنه سينجح في مهمته .

وقال سکورزینی بمنهی الجدیة والحماسة کجدیة هنلر وحماسته . . . لقد فهمت تماماً یا فوهرری . وساعمل کل ما فی وسعی .

ولم تنتقل عينا الفوهرر لحظة واحدة عن وجهه طيلة المقابلة . وعندما أوشك أن يغادر الغرفة ، استدار عند الباب ليؤدى التحبة ، وكان هتلر لا يزال ينظر إليه . وأحس سكورزيى بالدوار . وانقضى وقت طويل قبل أن يجمع شتات أفكاره من جديد .

ولم يكن قد أفاق من تأثير هتلر المغناطيسي ، عندما استدعى إلى مكتب آخر ليبحث في التفاصيل مع الجنرال ستودينت وهملر. وكان الأخير ثائر الأعصاب إلى درجة قصوى . فقد كان على ثقة من أن خيانة حكومة بادوليو ستظهر عما قريب فالممثلون الإيطاليون وصلوا إلى البرتغال ، يحاولون التفاوض على عقد صلح منفرد . وسرعان ما مرد أسماء عدد من الإيطاليين أيدوا وجهة نظره . وعندما تناول سكورزيني قلمه ليدون هذه الأسماء التي لم يكن قد سمع بمعظمها من قبل ، استدار إليه هملر وقال غاضباً ... ولا ريب في أنك جننت حتى إنك تدون الأسماء على الورق. هذه أمور في منهى السرية . وعليك أن تعى الأسماء في ذاكرتك » . فلا يعرف بخطط الفوهرد حتى الماريشال كيسلرنج القائد العام في إيطاليا وحتى السفير الألماني فيها .

وعاد هملر فاستدار إليه غاضباً عندما رآه يشعل سيجارته ، وقال وهو يكاد ينفذ بناظريه عبر عدستى نظارته الكثيفتين . . . « هذه الحشائش الملعونة . آلا تستطيع أن تفعل شيئاً دون أن تدخن ؟ في وسعى أن أرى أنك لست طراز الرجل الذي نحتاج إليه في هذه المهمة » .

أما الجنرال ستودينت فكان أكثر وداً . وعندما مضى هملر ، راحا يعدان معاً الحطة . وتقرر أن يطير سكورزيني إلى رومة ، كمرافق لستودينت في الساعة الثانية من صباح اليوم التالى . وكان على نحو من خسين رجلا من وحدة سكورزيني أن يسيروا في الوقت نفسه من براين إلى جنوب فرنسا ، ومن هناك إلى رومة لينضموا إلى فرقة المظليين الأولى التي تقرر إرسالها إلى إيطاليا أيضاً .

وكانت الساعة قد بلغت منتصف الليل . وقضى سكورزينى الساعات القليلة الباقية يعد قوائم المعدات والمتفجرات والأسلحة ، وأجهزة الإرسال ، والمواد الطبية ، وملابس التنكر المدنية وبينها قلنسوات الكهنة والشعر الأسود المصبوغ ، ويحتار الضباط الذين سيرافقونه ، متحدثاً بالهاتف إلى برلين . وموجها الرسائل إلى الآلة الطابعة اللاسلكية . (تليبرينتر) . وحاول بعد ذلك أن ينام ، فلم يغمض له جفن . وراح في الساعة السادسة صباحاً يعد وصيته .

وفى مساء ذلك اليوم ، كان يرتدى بزة ضابط فى فيلق المظليين ويتناول العشاء فى دارة الماريشال كيسلرنج فى فراسكاتى . واقتصر الحديث على اعتقال الدوتشى . ورد كيسلرنج بسرعة ، وقد أزعجه هذا المساس بشرف ضباط عترفين كانوا زملاءه وحلفاءه . . . ه لا ، أنا أصدقه تماماً . وليس لدى ما يدعونى إلى الشك فى كلمة شرف تصدر عن ضابط إيطالى ، وقد يكون من الحير ، يا نقيب أن تحمل نفس الشعور» .

وقال كيسلرنج إنه سأل ولى العهد الأمير أومبرتو عن مكان موسوليني فرد الأمير بأنه لا يعرف . وكل ما يعرفه أن الدوتشي قد اختني .

وسرعان ما اكتشف سكورزيني أن هناك شائعات كثيرة بالطبع. وكان الشهال تحت حراسة قوية . وقبل عنه أيضاً إنه انتحر ، وهناك من قال إنه فر ليقاتل مع ذوى القمصان السوداء فى الجبهة . ووجد هناك من يقول ، إنه نقل بالطائرة إلى إسبانيا . وكانت كل شائعة تناقض سابقها ، وظل سكورزيني أياماً لا يعرف الحقيقة ، إلى أن بدأ يشك فى قلرته على اكتشاف وجوده . واستشير المنجمون فى برلين عن مكان وجود الدوتشي ، كما صدرت التعليات إلى عملاء المخابرات الألمانية فى رومة ، للبحث عنه ، بكل طريقة ممكنة . وبزغ بصيص من الأمل ، عندما تلتى الملحق البوليسي فى السفارة الألمانية تقريراً من ضابط فى الكاربنيري ، يقول إن موسوليني نقل من قصر سافوى فى عربة إسعاف وإنه فى الكاربنيري ، ولكن أياماً كثيرة كانت قد انقضت على ذلك التاريخ ، وكان الوقت الآن فى شهر أغسطس ، كثيرة كانت قد انقضت على ذلك التاريخ ، وكان الوقت الآن فى شهر أغسطس ،

وتلق سكورزيني أخيراً ، وفي مطعم في رومة ، أول دليل حقيقي يرشده إلى ضالته . فقد أبلغه أحد زبائن المطعم ، وهو تاجر يبردد كثيراً على تيراسينا الواقعة على خليج جايبتا ، قصة طريفة . فلقد كان لخادمة ريل يعرفه هناك ، حبيب يعمل في الكاربنيري ، في جزيرة بونزا . وكان هذا الحبيب يكتب أحياناً لعشيقته

إذا طال غيابه عنها في الجزيرة . وقد ذكر في إحدى رسائله إليها ، أن هناك هناك مناك مناك مناك المخصية مهمة سجينة ، في الجزيرة .

وسرعان ما أيد ضابط بحرى إيطالى أن السجين هو موسوايي . ولكن موسوليي كان قد نقل في هذا الوقت من الجزيرة . ومع ذلك فلم تمض بضعة أيام حتى كان سكورزيني قد اكتشف الخبأ الجديد . فقد روى ضابط ارتباط ألمانى مع الأسطول الإيطالى في سردينيا ، في أحد تقاريره ، نبأ عن وجود سجين غامض في جزيرة مادالينا . وقرر سكورزيني أن يمضى إلى الجزيرة على الفور مستصحباً معه أحد ضباطه وهو الملازم وارجر الذي يتحدث الإيطالية بطلاقة . وصدر الأمر الى وارجر ، بأن يرتاد حانات الساحل ، متنكراً في زى بحار ألمانى مفرط في السكر ، فإذا ما ذكر اسم الدوتشي أمامه . فعليه أن يقول إن الدوتشي قد مات ، وإذا ما خالفه أحدهم الرأى ، فإن عليه أن يواهنه .

وذكر بستانى يبيع منتجاته من الحضار والفاكهة ذات مساء ، اسم موسولينى ، ثم قبل الرهان ، ثم آخذ وارجر معه ليقيم الدليل على أنه كسب الرهان إلى منزل ملاصق لدارة ويبر ، وأشار بشيء من الرضى إلى صورة إنسان وحيد يجلس على الشرفة . لكن القيادة الألمانية لم تقتنع بأن الرجل الذى رآه وارجر ، ليس الا موسولينى ، إلا بعد أن قام سكورزينى بزيارة أخرى إلى مقر قيادة الفوهرد . وكان الأميرال كاناريس قد أبلغ القيادة أن الدوتشى سجين فى جزيرة صغيرة قريبة من جزيرة إلبا ، وكانت الأوامر قد صدرت إلى المظليين بالهجوم على الجزيرة ، عندما جاء سكورزينى يقنع هتلر بأن السجين موجود فى جزيرة تبعد نحواً من مائة ميل إلى الجنوب .

وقال هنلر ، وقد وقف فجأة ليصافح سكورزيني عندما انهى من حديثه . . . « أنا أصدقك يا نقيب سكورزيني . . فأنت على حق ، وسأسحب أمرى بالهجوم على الجزيرة . ألديك خطة بعملية مماثلة على مادالينا ؟ إذا كانت لديك خطة ، فأرجو أن تبلغنا إباها » .

وأعد سكورزيني حطة ، سرعان ما قبات على الفور . وقال هتلر وهو يصرفه من حضرته . . , « ستنجح با سكورزيني » . وأحس هذا من جديد بما في ثقة الفوهرر من قوة مغناطيسية .

ولم يمض أسبوع حتى كانت خطة العملية بكل دقائقها وتفاصيلها قد وضعت، وبينها استخدام عمارة من زوارق الطوربيد وعدد من القطع البحرية الصغيرة الأخرى ، وسرية من المتطوعين من لواء الحرس النازى فى كورسيكا ، ووحدة سكورزيبي الحاصة . وتقرر أن تبدأ العملية فجر اليوم السابع والعشرين من أغسطس . ولكن في صبيحة اليوم الذي سبق الموعد المقرر ، وبينا كانت القوات الألمانية تستعد للإبحار فعلا ، نقل موسوليني بالطائرة إلى البر الإبطالي ، وبدأت عملية البحث من جديد . لكن البحث هذه المرة عن الخبأ الجديد ، كان أقل صعوبة من المرتين السابقتين . فقد شوهدت طائرة الصليب الأحمر البحرية وهي شبط عند بحيرة براسيانو ، كما تلقي سكورزيني بعد بضعة أبام ، رسالة ملتقطة بالرموز ، كانت مرسلة إلى وزارة الداخلية وهذا نصها . . ٥ تمت إجراءات الأمن بالرموز ، كانت مرسلة إلى وزارة الداخلية وهذا نصها . . ٥ تمت إجراءات الأمن حول الصخرة العظيمة (جران ساسو) » . وقد حملت الرسالة ترقيع جويلي .

وبدأ الإعداد لعملية الإنقاذ من جديد . وأخذت صور من الجو المكان ، وأراد سكورزيني أن بتأكد من تقرير المخابرات الذي تلقاه عن أوضاع الفندق هناك ، فتمكن من إيفاد طبيب ألماني عسكري كبير ، لمعاينة الفندق ، والاستعلام عن صلاحه ليكون مستشفي لأمراض الملاريا . ومضى الطبيب وهو لا يعرف الهدف الفعلي من زيارته ، فوصل إلى اكويلا دون أية صعوبة ، ولكنه وجد الطريق مغلقا تحت البيرجور ريفو جيو ، كما وجد حراسة قوية على محطة القطار الكهربائي يقوم بها فصيل من الكارنبيري . وأقنعهم بأن يسمحوا له بالاتصال بالفندق هاتفياً ، فرد عليه ضابط أبلغه بأن المعسكر الإمبراطوري منطقة تدريب عسكرية ، ومحظورة على جميع الزائرين ، وأن الفندق نفسه قد أخلى من نزلائه وأعد ليكون مسكناً للتين من الجنود .

ولاحظ الطبيب وجود سيارة لاسلكى فى الوادى ، كما لاحظ نشاطاً فوق العادة على سكة الحديد الكهربية . وأبلغه بعض الإيطاليين الذين تحدث إليهم في بعد ، أنهم يعتقدون أن سبب هذا النشاط ، هو أن موسولينى سجين فى الفندق . وأصر الطبيب على أن هذا القول ، لا يعدو مجرد شائعة ، وأنه لا يعتقد

أن هذه الشائعة صحيحة على الإطلاق .

وخيل إلى سكورزينى أنه إذا لم يسرع إلى تنفيذ خطته ، فإن وجود موسولينى هناك سيصبح حقًا من الشائعات . ولم يكن الحطر ناشئًا الآن عن احتمال نقل الدوتشى ثانية فحسب ، بل كان هناك خطر أكبر من هذا ، ولا سيا بعد توقيع الهدنة ، وهو أن يسلم إلى الحلفاء فيفقده الألمان إلى الأبد .

وكانت هماك ثلاثة سبل أمام سكورزيني . فإما القيام بهجوم من الأرض ، أو بإنزال المظليين، أو بإنزال طائرة بلا محرك، وقد استبعد فكرة الهجوم من الأرض . بالنفر إلى الحاجة إلى عدد كبير من الجنود . واستبعد أيضاً « فكرة الهجوم بالمظليين ٤ بسبب ما يتعرض له الهابطون من خطر في مثل هذه المرتفعات الأرضية العالية ، نظراً لقصر مدى الهبوط ، وصعوبة إنزالهم على أرض الهضبة بأعداد متماسكة وقادرة على الهجوم والمناورة . وبدا له أن النزول عن طريق طائرة بلا محرك ، هو السبيل العملي الأمثل . لكن هذا السبيل لم يكن يخلو من الخطورة ا أيضاً ، إذ أن المكان الوحيد الصالح للهبوط ، هو قطعة أرض صغيرة مثلثة الشكل تقع خلف الفندق . وتصور رئيس أركان حرب فيلق المظلمين في الواقع ومعه عدد كَبير من ضباط أركانه أن النزول على مثل هذه الأرض الصغيرة وغير المعدة ، سيؤدى إلى ضياع أكثر من ثلاثة أرباع القوة الهابطة ، وأن ما يتبقى منها من رجال لن يكونوا كافين لإتمام العملية . وعندما طلب إليهم على أى حال ، أن يقترحوا خطة بديلة ، لم يستطيعوا ، مما أجبرهم فى النهاية على الموافقة على استعمال الطائرات بلا محركات . وقرر الجنرال ستودينت استدعاء اثنى عشرة طائرة من هذا الطراز من جنوب فرنسا إلى رومة ، وأنه فى الوقت الذى تهبط فيه قوة سكورزيني بواسطتها ، يقوم فوج من المظليين باحتلال قاعدة المرتفع . وتقرر أن تجرى العملية إ فجر السادس من سبتمبر .

وعندما كان يناقش تفاصيل العملية مع سكورزيني تقدم مساعده كارل رادل ، باقتراح كان يأمل في أن يؤدي إلى مضاعفة أثر المباغتة التي تعتبر عنصراً لا بد منه في نجاح الحطة . فقد اقترح أن يحملوا معهم ضابطاً إيطالياً يؤدي وجوده إلى تضليل الكاربنيبري ، ويحول بينهم وبين تنفيذ أية أوامر قد تكون صادرة إليهم

بقتل موسوليني بدلا من وقوعه في أيدى الألمان . ووقع الاختيار على الجنرال سوليتي ، الذى أبلغه الجنرال ستودينت أن هتلر يطلب شخصياً اشتراكه في العملية ليحول دون وقوع سفك لا ضرورة له في الدماء . وقد قبل الجنرال سوليتي الدعوة على الفور ، إذ رأى فيها كما قال سكورزيني ، ما يرضي غروره إلى حد كبير .

وكان لابد من تأجيل الموعد نظراً لتأخر وصول الطائرات إلى إيطاليا . وتقرر أخيراً أن تم العملية في الساعة الثانية بعد ظهر الأحد في الثاني عشر من سبتمبر . وبدأت الطائرات التي تحمل قوة سكورزيني في الساعة الواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم تحوم فوق مطار رايكا دى مارى ، لترتفع في الجو شيئاً فشيئاً . وكان الطقس رائعاً . وكانت هناك سحب بيضاء اللون في السهاء على ارتفاع عشرة آلاف قدم ، وعندما ارتفعت الطائرات فوقها ، سطعت عليها أشعة الشمس . وكان الجو حاراً بشكل لا يطاق داخل الطائرات . وأصيب عريف في طائرة سكورزيني بمرض طارئ ، وبدا الجدرال سوليتي الجالس إلى جانبه على اللوح الضيق الذي يقطع طارئ ، وبدا الجدرال سوليتي الجالس إلى جانبه على اللوح الضيق الذي يقطع الطائرة في وسطها المغطى بالأشرعة ، مريضاً ولكن في منهى القلق . وقبل حلول الساعة الثانية بقليل رأى سكورزيني من ثقب ، شقه في الشراع ، سحابة يطل وراءها سقف الفندق .

وهتف بأعلى صوته . . . ضعوا خوذكم ، وأنزلوا حبال الجر .

وهبطت الطائرات على الأرض في صمت فجائى . وكان الطيار وسكورزيني يشاهدان الأرض المثلثة وراء البيرجور ريفوجيو ، ولكنهما ما لبثا أن أدركا أنها لم تكن أرضاً مسطحة كما افترضا، وإنما سفح تل شديد الانحدار . وكان النزول هناك مستحيلا . وتحتم عليهما أن يهبطا بقوة على الأرض الصلبة القائمة أمام الفندق .

۲

سمع موسوليني وهو جالس على نافذته المفنوحة فى غرفة جلوسه ضامًا يديه ، دوى الطائرة ، فشخص بيصره إلى السهاء التى تملؤها السحب ، ورأى الطائرة وهي

تهبط مسرعة على الصخرة أمام الفندق مباشرة ، ووراءها عدد من الطائرات بلا عركات . وعندما هبطت الأولى فى شبه اصطدام ، مزق أشرعها ، وطير قطع الأخشاب منها ، رأى عدداً من الرجال يخرجون من هيكلها المحطم فيجمعون صفوفهم ويتجهون إليه واكضين . ولم يستطع فى البداية ، بالرغم من أنهم لم يكوفوا يبعدون عن مدخل الفندق أكثر من ثلاثين ياردة ، تمييز هويتهم ، ولكنه سرعان ما رأى أن أحدهم ضابط إيطالى ، كان يهتف بأعلى صوته إلى رجال الكارنيرى الذين أذهاتهم المفاجأة قائلا . . . « لا تطلقوا النار ، لا تطلقوا النار » .

وهتف موسوليني بدوره من النافذة المفتوحة ... « لا تطلقوا النار فهناك جنرال إيطاني . وكل شيء على ما يرام » .

وصرح الملاؤم فيولا ، وهو يصعد الدرج متقطع الأنفاس إلى غرفة موسوليني « يا صاحب الفخامة ، يا صاحب الفخامة . . . إنهم الألمان » .

واندفع إلى الغرفة ، وعندما رأى سجينه مطلا من النافذة المفتوحة ، زعق بأعلى صوته ، وكأن نوية جنونية قد انتابته وهو يقول . . . « اغلق النافذة ولا تتحرك ».

وكانت طائرة سكورزيني قد هبطت على الأرض الصلبة خارج الفندق ، والنفع من أول باب مفتوح أمامه إلى داخل الفندق ، ورأى أمامه أحد أجهزة اللاسلكي ، فحطمه على الفور ، كما قلف بالمقعد الذي كان يجلس إليه العامل على الجهاز ، وبحث عن منفذ من الغرفة التي دخلها إلى الفندق فلم ير أى باب . فعاد يركض خارجاً ليسير بحذاء الجدار حتى وصل إلى شرفة ترتفع تسع أقدام عن الأرض . . وقفز عبى ظهر أحد رجاله ، ثم صعد إلى الشرفة متطلعاً بلهفة إلى الجدار الملتوى فوقه . وقد امتدت عليه صفوف من النوافذ المربعة الصغيرة ورأى أحدى هذه النوافذ في الطبقة الأولى وجه موسوليني وهو يتطلع إليه محملقاً . . .

وصرخ سكورزيني بأعلى صوته ، وهو يركض متجهاً إلى باب قاعة الفندق .. « أبعد عن النافذة » . وذكر أحد موظني الفندق فيما بعد ، أن الاضطراب ساد المكان ولم يفكر أحد من الحراس في إصدار أمر . كان المكان يعج بجنود الكارنبييري اللين هجروا مواقع مدافعهم الرشاشة ، وهرعوا بحثاً من ملجاً بعد أن رأوا الفدائيين الألمان ، وبعد أن قذفوا بما يحملونه من بنادق وقنابل على الأرض في طريق فرارهم .

نفسه إليه .

واندفع رجال سكورزيى ، وهم يصرخون « لا تطلقوا النار» دون حاجة إلى هذا الصراخ ، إذ لم يكن هناك من يطلقها ، إلى داخل الفندق ، بينها شق سكورزينى طريقه عبر رجال الكاربنبيرى ، بمقدمة مسدسه الرشاش حتى وصل الدرج ، فارتقاه راكضاً وهو يصعد كل ثلاث درجات معاً وعندما وصل نهايته ، استدار شهالا وركض فى رواق طويل ، وفتح باب غرفة كان بأمل فى أن تكون الغرفة التى يقصدها .

ووجد أمامه موسوليني يقف في وسط الغرفة ، ومعه الملازم فيولا ، وضابط إيطالي آخر . وسرعان ما قاد أحد صغار الضباط الألمان ، الضابطين خارجاً إلى الرواق . وكانت الطائرات قد هبطت الآن واحدة إثر الأخرى . ليخرج منها المزيد من رجال الحرس النازى ، عابرين الباحة باتجاه الفندق . ولم تكن طلقة واحدة قد أطلقت حتى تلك اللحظة .

وأطل سكورزيني برأسه إلى الرواق ، وهتف طالباً الضابط المسؤول عن قيادة القوات الإيطالية في الفندق. وظهر ضابط إيطالي برتبة عقيد فدعاه سكورزيني إلى الاستسلام ، ولكنه طلب مهلة للتفكير فأمهله هذا دقيقة واحدة . ولم تكن الدقيقة قد انقضت عندما عاد العقيد يحمل كأساً من النبيد الأحمر ، قدمه وهو ينحني بمنتهي الكياسة إلى سكورزيني وهو يقول بلهجة جدية . . . « إلى المنتصر » . وفي هذا الجو من الرسمية إلى حدما، استدار سكورزيني إلى موسوليني ليقدم

وقال وهو يقف وقفة التحية الصلبة . . . « يا دوتشي . . . لقد بعثني الفوهرر إليك ، وأنت حر الآن » .

ورأى موسوليني العرق يتصبب من الضابط ، الذي بدا التأثر واضحاً ف قسماته .

وفتح الدوتشي ذراعيه وأخذ سكورزيني بينهما معانقاً إباه لحظة طويلة وهو يقول . . . ۵ كنت أعرف أن صديني أدولف هتلر لن يتخلي عني » .

كان حديثه واضحاً ، ولكن سكورزيني ذعر من مظهره . فقد كان يرتدى بدلة رثة ، سيئة الكي ، ويبدو المرض واضحاً في وجهه الذي لم يحلق ، والذي

ظهرت عليه علائم الشيخوخة وكأنه كبر عدة سنوات مذرآه سكورزيني لآخر مرة يقف منتصب القامة . على شرفة قصر البندقية . وتطلع الضابط النمسوى إلى شعره المجذوذ الآن ، وعادت به الذاكرة إليه مسبلا جميلا يعلو هامته . ولم يبق من مظاهر العظمة والسلطان فيه إلا عيناه الكبيرتان السوداوان . وذكر الجنرال سبوليني فيا بعد ، أن الدوتشي بدا مجهداً . وأن الرغبة الوحيدة التي أعرب عنها ، هي العودة إلى منزله في روكاديل كاميناتي .

وواجهت سكورزيى الآن المشكلة الأولى ، وهي كيفية الخروج بالدوتشي من هذا المكان . وكان الاتفاق قد تم على أن يطير في طائرة هينيكيل ، من مطار اكويلا ، الذي كان من المقرر أن يحتله المظليون . لكن عامل اللاسلكي لم يستطع الاتصال بمطار رومة ، أو بسلاح الجو الألماني لاستدعاء الطائرة من هناك . وكانت هناك خطة بديلة ، وهي استخدام طائرة أصغر ، تستطيع الهبوط والطيران من الوادي . وقد تمكنت هذه الطائرة من المهبوط ، ولكن مقودها تعطل أثناء الهبوط بحبث لم تعد صالحة للاستعمال . وكان الحل الأخير إذا فشل الحلان الأولان هو أن تهبط طائرة صغيرة من طراز ستورش على أرض الهضبة . وقد تمكن جيرلاخ ، الطيار الشخصي البارع للجرال ستودينت من الهبوط بطائرته سليمة على المضبة ، ولكنه كان في شك من أمر تمكنه من الصعود بها من هناك الى المحود بها من هناك الم

ولم يكن موسوليني قد عرف بمخاوف جبرلاخ ، فخرج إلى الهواء الطلق ، وقد وضع في قدميه حذاءين ثقيلين من أحذية التزلج. وبدا كعادته دائما أمام الألمان قوى العزيمة والشكيمة. وروى دومينكو انطونللي ، المدير الجديد للفندق ، إذ كان قد تسلم إدارته في اليوم السابق ، أن موسوليني استعاد في تلك اللحظات مظهره كديكتاتور ، « فقد أخذ يتحرك بمزيد من الصلاة ، ويتحدث مكثير من الثقة ويدفع فكه الأسفل إلى الأمام كعادته » .

وطلب إلى جويلى وفايولا أن يرافقاه . فوافقا فى البداية ، وأكن عندما حان موعد الرحيل ، طلب فايولا وهو متردد ، أن يسمح له بكلمة على انفراد مع الدوتشي .

وقال موسولینی بفروغ صبر . . . « هیا قل ما ترید . قل ما ترید » .

وقال فابولا بشيء من العصبية الواضحة . . . ه لدى زوجة وطفل ياسيدى الدوتشي . فإذا كنت لا تجد مانعاً ، فسأبق هنا إلى جانبهما ه .

ــ إذن , فلتبق حيث أنت .

ولاحظ أنطونيللي أن لهجته كانت في منهي الغلظة .

واصطف موظفو الفندق فى الحارج ، كما كان الحدم يصطفون فى الماضى فى أى بيت رينى ، لوداع ضيف كبير . وصافح موسولينى كل فرد ملهم ، متحدثاً إليهم ببضع كلمات بدا فيها تنازل الديكتاتور الذى لا يخرج على لطفه ودمائته . وكانوا يتوقعون منه هذا اللطف المتكبر الأنوف منذ البداية ، ولكنه لم يكن يظهره لهم أبداً .

وقال أحيراً وهو يبتعد عنهم . . . شكراً لكم جميعاً ، وتأكدوا من أنى لن أنساكم أبداً .

وقصد إلى الطائرة ، بينها وقف الجنود الألمان ورجال الكاربنييرى وقفة التأهب، تؤدون له التحية بالطريقة الفاشية ، وبهتفون بصوت عال « دوتشى ، دوتشى ، دوتشى » .

وتحدث موسوليني فيا بعد يصف هذه اللحظة السراماتية . . . و وتقدم الطيار الذي سيقود طائرتي . وكان شابًا صغيراً من أبطال الطيران الألماني يدعى جيرلاخ ، واستدرت بوجهي قبل أن أدخل الطائرة لألوح بيدى إلى حراسي السابقين ، كانوا جميعاً بصعقهم الذهول . وكان بعضهم قد اضطرب اضطراباً صادقاً متأثراً لفراقي إذ سالت العبرات من عيون الكثيرين مهم » .

أما جير لاخ فكان مضطرباً حتى إنه لم يلحظ المسرحية . وقال إنه تمكن من الهبوط بصعوبة بالغة على مثل هذه الأرض الوعرة والضيقة المدى ، وإنه يعتقد أنه لا يستطيع الإقلاع ، حاملا راكباً واحداً . وعندما ذكر سكورزيني أنه سيستقل الطائرة أيضاً ، أصيب الطيار بما يشبه الرعب ، مؤكداً استحالة ذلك . فالطائرة لا تستطيع أن تحتمل راكباً واحداً فكيف بائتين . إنها كارئة . ولو قدر لها أن ترتفع عن الأرض ، فلن تستطيع الصمود . لكن سكورزيني أصر على لها أن ترتفع عن الأرض ، فلن تستطيع الصمود . لكن سكورزيني أصر على

رأيه ، وكتب فيما بعد يقول ، معترفاً بأنه كان مهتماً بنفسه . . . و ولو حدثت هناك كارثة فكل ما سيبقى منى ، طلقة من مسدس أطلقها على نفسى . ولن يغفر لى أدولف هتلر مثل هذه النهاية لمغامرتنا . ولما كان من المستحيل العثور على طريقة أخرى ، للوصول بالدونشى سليماً إلى رومة ، فإن من الحير أن أقاسمه الحطر ، حتى ولو كان وجودى على الطائرة سيضاعف هذا الحطر . فلو لم ننجع ، فإن نفس المصير سبنتظرنا جميعاً » .

واعترف موسوليني فيا بعد بأنه شارك جيرلاخ مخاوفه ، ولكنه لم يفه ببنت شفة . وشهده أحد رجال الكاربنيري وهو ينحني ليدخل الطائرة الصغيرة . كان يبدو عجوزاً ناحلا في معطفه الشتوى الواسع عليه ، وفي قبعته السوداء الواسعة الحاشية التي ضغطها فوق رأسه لتغطي عينيه . وأحس هذا الرجل بشيء من الإشفاق الفجائي عليه ومن الإعجاب بشجاعته. ولاحظ سكورزيني بأنه تردد قليلا قبلأن يجلس عليه ومن الإعجاب بشجاعته ولاحظ سكورزيني بأنه تردد قليلا قبلأن يجلس على المقعد الحلني واحترمه كل الاحترام ، لأنه لم ينطق بكلمة احتجاج واحدة .

وهدر محرك الطائرة الصغيرة إلى أقصى قوته عندما اشترك اثنا عشر رجلا في تحريكه مرة واحدة ، وعند ما أنزل جيرلاخ يده ، مطلقاً الطائرة ، لتسير فوق صخور المضبة . عبات الطائرة السرعة اللازمة للانطلاق قبل وصولها إلى آخر الأرض الصالحة للطبران ، ولكن العجلات لم ترتفع عن الأرض . واقتربت الطائرة من حافة المضبة ، وخيل للجميع أنها ستهوى إلى منعرجات الهاوية القريبة ، عندما ارتفعت فجأة عن الأرض . لكنها ما لبثت أن هوت بعد لحظة ثانية ، وأصابت إحدى عجلاتها صخرة بارزة ، دفعت الطائرة متدحرجة إلى الشهال فوق الحافة لتهوى نحو الوادى . وبدأت الطائرة تسقط مترنحة عبر الهواء ، وزارت المربح في أذنى موسوليني بيها كان جيرلاخ يحاول أن يسحب الطائرة من انقضاضها ، ليسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني لصحفي سويسرى في العام التالي ليسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني لصحفي سويسرى في العام التالي المسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني لصحفي سويسرى في العام التالي المسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني لصحفي سويسرى في العام التالي المسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني لصحفي سويسرى في العام التالي المسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني لصحفي سويسرى في العام التالي المسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني لصحفي سويسرى في العام التالي المسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني الصحفي سويسرى في العام التالي المسير بها في طيران مستو . واعترف موسوليني أصابتني ؟ .

وهرع رجال الكاربنييرى والحرس النازى باتجاه حدود الهضبة ، ورأوا الطائرة ، وهرى بهوى بائسة باتجاه صخور الوادى الداكنة السوداء . وفجأة انطلقت الطائرة ، وكان طيارها كان قد تعمد منذ البداية هذا الإقلاع الغريب ، من انقضاضها ،

وراحت تطير باتجاه الجنوب الغربي نحو وادى افيزانو ، مرتفعة مسافة تقل عن مائة قدم عن سطح الأرض .

وانقضى بعض الوقت دون أن ينبس أى من الذبن فى الطائرة ببنت شفة . وظل موسولينى مقعياً إلى جانب سكورزينى ، دون أن يبدو عليه خوف ، بقدر ما بدا عليه من حزن وانزعاج . ووضع سكورزينى يده على كتفه وكأنه يريد أن يطمئنه ، وعندما أدار الدوتشى وجهه إليه كان أشد شحوباً من أى وقت مضى . ولم تحض لحظات على أى حال ، حتى شرع فى الحديث مشيراً إلى التضاريس الأرضية تحته ، سارداً على مسامع سكورزينى ما حدث له فى المدن والقرى التى فوقها . وعندما وصلت الطائرة إلى مطار براتيكا دى مارى ، نقل ركابها إلى طائرة لينيكل ، كان هدير عركانها مرتفعاً إلى الحد الذى لم يستطع موسولينى معه أن يسمع صوته . فاسترخى فى مقعده ، وقد أغمض عينيه ، ثم بدا وكأنه راح فى سبات عبيق .

وكان الظلام قد خرتم على الكون عندما هبطت الطائرة فى مطار اسبيرن فى فيينا ، ودلف منها موسولينى وقد بان عليه الإجهاد . وعندما وصل إلى فندق الكونتينتال حبث أعد له جناح خاص ، هتف له هتلر مهناً بالنجاة ، ولكنه لم يكن قادراً على الحديث مطولا ، فشكر للفوهرر ،همامه باقتضاب وقال ، أنا منهك للغاية ، وفي حاجة إلى الراحة » .

لكن اهمام هتلر الواضح به وبراحته ، وسروره البائغ بنجاته ، وقد ظهر فى حديثه إليه ، أعادا له قواه الضائعة ، وعندما حمل إليه سكورزيى ، ٩ بيجامة » جديدة ، كان قد أعدها له كويرمر ، قائد الحرس النازى فى فيينا ، رفضها موسوليى بمرح وهو يقول . . . لا بما يخالف قواعد الصحة أن ينام الإنسان بملابس الليل » ، وأشفع قوله هذا بابتسامة نابضة بالنزوات ، اعتبرها سكورزينى دلبلا على « تجارب الدوتشى الواسعة فى الحياة » . وسمع الدوتشى يقول له . . . « أنا لا أرتدى شيئاً فى الليل ، وإنى لا نصحك بأن تفعل ذلك أيضاً » .

وبدا موسولینی وقد استعاد قواه فی الصباح التالی . وجاء الحلاق ، فحلق له ذقنه وهندم شعره ، ثم شرع یستقبل عدداً من الزائرین . تأثر بالغ التأثر بما شهده

عند زائريه من تهائي متحمسة ، واحترام يبلغ حدود الإجلال ، وحماسة طاغية . ولم يعد يتحدث من ولم يعد يتحدث من جديد عن مستقبل الفاشية ، وعن ضرورة تحويلها إلى حزب جمهورى .

وسمعه الناس يقول . . . « اقترفت خطأ كبيراً واحداً ، وكان على أن أدفع ثمن هذا الخطأ . فلم أعرف قط أن البيت الإيطالى المالك هو عدوى ، وأنه سيظل على عدائى . وكان على أن أحول إيطاليا إلى الحكم الجمهوري فور انتهاء الحرب الحبشية » . ورأى فيه سكورزيني من جديد صورة مشرقة للأمل والتصميم .

وغادر فيينا ظهر الثالث عشر من سبتمبر إلى مونيخ حيث استقبلته راشيل والأولاد في مطار ريم . وأصيبت راشيل بالفزع من و شحوبه المخيف ، ولكنه تقدم منها و بطريقته المألوفة يسير قفزاً »، وعندما سألته عما يعتزم فعله الآن ، واح يحدثها على الفور عن خططه المقبلة ، قائلا . . . و عزمت على أن لا أتخلى عن خطتى في الحياة ، وأن أعمل جهد طاقتي لإنقاذ الشعب الإيطالي » . وكان يتحدث بسرعة بالغة ، وكأنه يخشى ، كما ظنت راشيل ، أن تقاطعه ، أو تحادله . وغادرا المطار معا متجهين بالسيارة إلى فندق «كارل بلاتز » ، حيث أعد له جناح خاص . لكن هذا الجناح كان من الترف بحيث رفض موسوليني النوم في غرفة نومه ، وآثر قضاء الليل في الغرفة الأكثر تواضعاً والتي أعدت لراشيل . ووافق بعد لأي على أن يستحم ، فقد كان ، كما قالت زوجته ، في أشد الحاجة ووافق بعد لأي على أن يستحم ، فقد كان ، كما قالت زوجته ، في أشد الحاجة إلى الاستحمام ، وكان «جورباه ملتصقين بقدميه من العرق » .

وجاءت إيدا في الصباح التالى لرؤيته . وكانت المقابلة حسيرة للغاية إذ أن زوجها جاليازو كان في مونيخ أيضاً . فقد غادر رومة خلافاً لأوامر الماريشال بادوليو وبمساعدة الألمان في الثالث والعشرين من أغسطس مستصحباً إيدا وأطفالهما . وحاول الحصول من الألمان على تأشيرة للسفر إلى أسباني أو إلى أمريكا الجنوبية ، فأعطوه إياها بعد لأي وتسويف طريلين شريطة أن يسافر عن طريق مونيخ . ولكن الألمان ولا سيا ريبنتروب ، وقد تحول عدم استلطافهم له إلى كراهية ، ولكن الألمان ولا سيا ريبنتروب ، وقد تحول عدم استلطافهم له إلى كراهية ، لم يرغبوا في أن ينجو من سلطانهم . ويبدو أن تشيانو نفسه لم يكن يعرف مدى

مشاعر العداء ضده فى ألمانيا ، إذ أنه سافر إليها دون وجل أو قلق . ووصف فيليبو انفوسو ، كبير سكرتيريه الخاصين سابقاً ، المحاولات التى بلطا لتحليوه من اللهاب إلى ألمانيا ، وانهار تشيانو وراح يبكى ويقول . . . « إن موسولينى رجل عظيم ، بل هو عبقرى حقاً » . ولم يكن الصهر ليشك فى أنه سيغفر له . ولكنه وقد وطأت قدماه أرض مونيخ ، وجد المصاعب نثار فى طريقه لتحول بينه وبين مواصلة سفره . وظل هو وإيدا تحت رقابة الحستابو الشديدة الصارمة . فلما جاءت إيدا لزيارة أبيها ، وقف رجال الجستابو فى الرواق خارج جناح موسوليني ، ينتظرون انهاء المقابلة .

وتوسلت إيدا إلى أبيها أن يقابل جاليازو ، وقالت إن لديه مبررات كاملة السلوك الذي سلكه ويود أن يبسطها على مسامع الدوتشي . لكن موسوليني متأثراً برأى راشيل ، رفض مقابلة صهره . ومع ذلك فسرعان ما ندم على موقفه ، وذكر بأنه سيتيح لحاليازو مقابلة قصيرة بعد بضعة أيام . ولكن زوجته ظلت مصرة على رأيها ، وظلت تقول ما عرف عن أهل رومانا من عناد وإصرار وتأثر بالعواطف . . . وأنا أكرهه . وكم أود لو قتلته بيدى ه .

وقبل حلول موعد المقابلة بين الرجلين ، نقل موسوليني بالطائرة من مونيخ إلى بروسيا الشرقية ليجتمع إلى الفوهرر في مقر قيادته . وقد قرر الحديث الذي دار بينهما هناك مصير تشيانو إلى الأبد .

## مقابلة في مقر قيادة الفوهرر ١٥ سبتمبر ١٩٤٣

ه جئت أتلتي تعليما**ت** a .

هبطت طائرة اليونكرز (٥٢) فى المطار الخاص بمقر قيادة الفوهرد ، فى جو مشمس رائع . وعندما خرج موسوليني من الطائرة . وتقدم منه هتلر والدموع فى مقلتيه، وتصافح الصديقان ، والواحد منهما بنظر إلى الآخر صامتاً ، وظلا واقفين على هذا النحو وقد أمسكا بيدى بعضهما ، مثل داود ويوناثان (١١) فى الصحراء . وبدا هتلر ، متأثراً من المقابلة تأثراً عميقاً .

لكن الجو ما لبث أن اختلف كل الاختلاف ، عندما اجتمع الرجلان بعد قليل وحدهما . فالمطامح التي بعثت في صدر موسوليني بعدما سمعه في فيينا ومونيخ من تقدير وإجلال ، ما لبثت أن خبت ، وانطوت ، إذ رأى فيه هتلر رجلا قلقاً ويائساً . وذكر موسوليني فيا بعد أن « المقابلة » بدأت ، بحديث من هتلر أعاده إلى واقعه تماماً كما فعل الملك في شهر يوليو .

وراح هتلر يسأل ضيفه بصرامة عما يعتزم أن يفعله الآن . وعندما اقترح موسوليني أن من الأفضل أن ينسحب من الحياة العامة ، ليجنب إيطاليا نيران الحرب الأهلية ، رد هتلر قائلا . . . « إنه سخف » . فاعتزاله الحياة العامة أمر خارج عن الموضوع إطلاقاً ، إذ أنه يظهر العالم أن الدوتشي لم يعد مؤمناً بانتصار ألمانيا . وعلى الدوتشي أن يعيد نظره في الموضوع . وما لم تقم حكومة فاشية قوية في شهال إيطاليا ، فلا يعرف أحد ما سيحل بالشعب الإيطالي . وستجد الجيوش الألمانية نفسها مضطرة إلى الحكم في ظل الحكم العرف الذي لا يرحم ولا يشفق ، كما ستضطر إلى الانسحاب إلى حوض الهو أو حتى إلى جبال الألب . مدمرة كل

<sup>(</sup>١) من قصص التوراة عن ملوك العبرانيين .

شيء قبل انسحابها . وقرر هتلر أن «الإجراءات البربرية المتوحشة هي القاهرة وحدها على إنقاذ إيطالبا ٤ . وكانت هناك اقتراحات بقيام حكومة فاشية ف إيطاليا بقيادة أحد الإيطاليين الذين فروا إلى ألمانيا من أمثال بافوليني وفاريناتشي وریناتوریکی وبریزیوسی أو حتی بزعامة فیتوریو موسولینی ( ابن موسولینی ) ، ولكن الفوهور لم يرض عن أى منهم . ولم تكن الحكومة الفاشية الوطنية التي أعلنت الإذاعة الألمانية من غابة راستنبرج قيامها في التاسع من سبتمبر ، أكثر من مرحلة انتقالية ، وهي لن تجدى شيئاً دون زعامة الدوتشي لها . وعلى الدوتشي نفسه أن بعود ، وأن يحاكم خونة الخامس والعشرين من يوليو ، وأن يعدمهم . وعليه أن يسمح لألمانيا باحتلال الأقاليم الشهالية الشرقية من إيطاليا ، كالاديج وشبه جزيرة البندقية وترنتينو ، كتأمين لألمانيا ضد هجوم قد يشن عن طريق يوجوسلافيا . وعلى العالم أن يسمع من حديد تأكيداً بتضامن المحور . وظل هتلريتحدث على هذا النحو زهاء ساعة ، وكان موسوليني أكثر ضعفاً وإجهاداً من أن يستطيع اعتراض إرادته . وعندما انتهى هتلر من خطابه ، التفت إلى السفير الألماني المعين حديثاً وهو رودولف زان الذي كان يشهد المقابلة ، وأمره بصرامة بأن يساعد في إعداد دستور الجمهورية الجديدة ، وغادر موسوليني غرفة الفوهرر وهو يكاد يكون ذاهلا . ورصفته الكونتيسة تشيانو (ابنته إيدا) ، التي رأته بعد أيام من هذه المقابلة ، بأنه كان أشبه برجل فقد إرادته . وعندما تحدث هتلر إلى جوبلز عن المقابلة ، لم يخف خيبة أمله في موسوليني هذا الذي حمله سكورزيني من إيطاليا ، مضيفاً إلى ذلك قوله إنه بدا في عينيه أصغر مما كان يراه من قبل.

وكان من رأى جوبلز، أن السبب الرئيسي فى خيبة أمل هتلر فى موسولينى ، هو افتقاره الواضح إلى التصميم ، لمعاقبة خونة الحامس والعشرين من يوليو وإعدامهم . وكتب جربلز يقول . . . لا لكن عقاب الخونة الفاشيين أمر لا بد منه لأى بعث للفاشية ، ولكن الدونشي و هو « الشديد الارتباط بأسرته » بدا عازاً عن معاقبة أى إنسان . وبدا أنه يحمل الملك وحده مستولية الكارثة إلى حلت به ، وأن مسئوليته فيها أكثر حدماً من مسئولية تشيانو ، الإنسان الذي تكرهه القيادة " العليا الألمانية أشد الكراهية . وعندما أشار موسوليني إلى الحقيقة الواقعة وهي أن

تشيانو ، زوج كريمته على أى حال ، انقض عليه هتلر قائلا . . . « وهذه الحقيقة تجعل خيانته أدهى وأمر . وهذا لا بد من من أن أكون واضحاً كل الوضوح ، فالغفران الواضح للخيانة فى إيطاليا ، سيبرك آثاراً عيقة فى كل مكان » . وهذا ما لن تسمح به ألمانيا على الإطلاق . وعلى موسوليني أن يضرب المثل للعالم كله بالعقاب الصارم الذي ينزله بالخونة .

وكان موسوليني قد وعد بمقابلة تشيانو بعد رجوعه إلى مونيخ . وعلى جوبلز على ذلك بشيء من الاحتقار قائلا . . . « وهذا يعني أن هذا الفطر السام ، سيزرع من جديد وسط الحزب الجمهوري الفاشي الجديد » . ومضى جوباز يقول . . . « ويعتزم تشيانو كتابة مذكراته . ويشك الفوهرر وهو على حق في شكه ، في أن مثل هذه الملكرات ستكتب بصورة تعط من قدرنا ، إذ لو لم يفعل ذلك ، لما استطاع تصريفها في سوق النشر الدولية . ولهذا فليست ثمة فكرة في السهاح لتشيانو بمغادرة الرايخ بل إنه سيظل تحت تصرفنا ه .

و دون جوبلز فى مكان آخر من يومياته . . . « يبدو أن الدونشى لم يستخلص من كارثة إيطاليا النتائج التى كان الفوهرر بتوقع منه أن يستخلصها . وليس ثمة من شك فى أنه فرح فرحاً زائداً بطلوعه إلى أجواء الحرية من جديد ، زمن رؤيته للفوهر . ولكن الفوهرر كان يتوقع أن يكون أول ما يفعله الدوتشى الانتقام انتقاماً صارماً من الذين خانوه ، لكنه لم يوح على أى حال بأنه سيفعل هذا ، مظهراً ضعفه الحقيقى . فهو لا يضاهى فى ثوريته الفوهرر أو ستالين . وهو مرتبط إلى شعبه الإيطالي كل الارتباط ، بحيث يفتقر إلى المزايا الضخمة التي يجب أن توجد في الإنسان الثورى على الصعيد العالمي » .

وقد طرب جوبلز لموقف الفوهر و فكتب فى يومياته يقول . . . لا وفى وسعنا أن نعتبره خائب الأمل إلى حد كبير فى شخصية موسولينى ، وإن لم يقع بين الرجلين خلاف حقيق لا . وكان جوبلز ، كما يبدو يغار من صداقة الفوهرر السابقة للدوتشى ، ولذا فإنه لم يشعر نحوه بميل قط ، وكان قد سر سروراواضحاً عندما تحدث الإيطاليون الدين فروا إلى ألمانيا من قبل ، إلى هتلر عن ضعفه وعن افتقاره إلى الشدة فى لاساميته . ورأى جوبلز فى سقوط الدوتشى ضربة قاصمة للدعاية الألمانية ، ولكنه سرعان ما عزى نفسه بقوله ، إنه لم يشارك الفوهرر قط

إعجابه الخاطئ به . وخيل إليه أن آمال هتلر خابت الآن فى الدوتشى ، فراح يجلس على مقعده فى مكتبه وهو يردد بشىء من السخرية . . . « درتشى ، دوتشى » . ومضى جوبلز . بعد ذلك يقول . . . « على أى حال ، فهو لا يعدو أن يكون إيطالياً ، وليس فى وسعه الخلاص من هذا التراث » .

واعترف موسوليني في بعد بأن إيطالينه هي التي دفعته إلى قبول شروط هتلر. فبالرغم من إيمانه بقسوتها ، فقد اعتقد بأن رفضها يعني الحكم على إيطاليا بالدهار. وها هو كيسلونج قد أعلن أن إيطاليا كلها وراء خطوط الجبهة الألمانية أصبحت منطقة حربية تخضع للأحكام العرفية ، وأن جميع الأعمال التي يقصد منها عرقلة سير الحرب ، بما فيها تنظيم الإضرابات الصناعية تعتبر جرائم كبرى عقوبتها الإعدام . وذكر موسوليني فيها بعد ، أنه رغبة منه في حماية إيطاليا من مزيد من الاستعباد للأوامر الألمانية التي هي من هذا الطراز ، ورغبة منه في التأكد من أن أولئك الإيطاليين الفاشيين المفالين في انحيازهم لألمانيا والذين هربوا إليها من إيطاليا بعد اعتقاله ، لن يرثوه في سلطانه ، ذهب إلى الفوهرر من جديد ليبلغه قراره بالحودة إلى الحياة السياسية العملية . وراح يقول الفوهرر بشيء من المرارة . . . « وقد جئت الآن لأتلتي تعلماتي » .

وتظاهر هتلر بأنه لم يسمع احتجاج الدوتشي الضمي والصامت ، فراح يصدر على الفور تعلياته إليه . فعلى الدوتشي أن يدرك بالطبع ، أنه في مقابل السياح بإعادة الفاشية ، تحتاج ألمانيا إلى لا ضهانات إقليمية للحيلولة دون وقوع أزمات جديدة » . فأمن ألمانيا يتطلب إعادة تنظيم منطقة لا الأدبيج » كلها ، على أن تسلم للرابخ مها مقاطعة بولزانو بصورة خاصة . وأن تسلم إليه بعد استفتاء يشرف عليه الألمان مقاطعتا تورنتو وبيلونو . وستؤلف هذه الأراضي جزءاً من النسا الجديدة الموسعة التي تصبح إحدى إمارات ألمانيا الكبرى المشتركة في اتحاد فيدرالي مثلها ، مثل تشيكوسلوفاكيا والمجر وبولنده . وقد تضطر إيطاليا فيا بعد إلى التخلي عن دالماتيا وتريستا واستيريا . ولما كانت ألمانيا ، تقاتل الآن وحدها فيابة عن إيطاليا ، فلا بد أيضاً من إعادة التنظيم في الحقوق الاقتصادية والصناعية أيضاً . ويجب نقل المصانع والآلات الصناعية إلى شيال الألب ، وتزويد المزارع

والمصانع الألمانية بعدد آخر من العمال الإيطاليين ، ودفع بعض التعويضات في النهاية إلى ألمانيا . ويجب فورآ إقصاء بعض العناصر الفاشية عن المناصب التي يشغلونها . كما تجب محاكمة خونة الحامس والعشرين من يوليو وإعدامهم .

وكان هتلر ، كدأبه دائماً عندما يتحدث عن مشاريعه المقبلة فى تغيير سير التاريخ ، وصورة أوربا ، قد تحمس وأخد يتحدث بهياج بجنون ، وكأنه يريد أن يبعث فى الكلمات التى تصدر عنه ، صورة تفوقه فى الأهمية على محدثه . وظل موسوليني يصغى ، إذ ألف فى الآونة الأخيرة الإصغاء ، دون أن يعلق بشيء سواء بالرضى أو الرفض . وعندما توقف هتلر عن الحديث ، كانت أسئلة موسوليني . فى منتهى الضعف إلى حدود التخاذل .

وقال متسائلا . . وأليس من الأفضل المنحول في مفاوضات مع روسيا لتحطيم جبهة الحلفاء ؟ » . وكان الرد سلبيبًا . وقال متسائلاً من جديد . . . وما مصير كورسيكا ؟ وكان رد هتلر أن محادثات قد تدور بصدد تونس . أما فيا عدا ذلك فإن إيطاليا ، بعملها ، قد تنازلت عن مطالبها من فرنسا . رتساءل أيضاً . . . أو ليس من الأفضل أن تعطى تشيكوسلوفاكيا وبولندة نفس الاستقلال ، الذي سيسمح به إلى الدول الأخرى في الكتلة الأوربية ؟ . وكان الرد بالني أيضاً . وكان التنازل الوحيد الذي استطاع موسوليني الحصول عليه ، هو أن يكون حراً في عمله في شؤون إيطاليا الداخلية ، وإن كانت هذه الحرية ستظل أيضاً تحت رقابة دقيقة .

وبدا بل كان فى الواقع رجلا مهزوماً . وكانت ثبابه مهلهلة حول جسده ، إذ انحل رباط عنقه متدلياً . وبعد أن كان لهتلر ما أراده منه ، عاد يظهر له عطفه وحبه ، وأصر على أن يقوم الأستاذ موريل بفحصه ، وهو طبيب قدر كان متخصصاً فى يوم ما فى الأمراض التناسلية . وقام موريل الذى كان يتولى إعطاء هتلر حقناً يومية وجرعات منظمة من العقاقير التى تضم أنواعاً مختلفة من المخدرات ، هلر حقناً يومية و ورعات منظمة من العهاميات ، بفحص موسولينى ، فوجده معافى باستثناء بعض الزيادة فى الضغط ، والإجهاد العصبى ، وضعف الأمعاء . باستثناء بعض الزيادة فى الضغط ، والإجهاد العصبى ، وضعف الأمراض التى نشكو

منها جميعاً . ولكن هتلر ، لم يكن يثق كل الثقة فى طب موريل ، رخم اعهاده عليه ، فأظهر عدم اقتناعه بتشخيصه ، واقترح على موسوليني أن يأخذ معه إلى إيطاليا ، الأسناذ زاخارى ، وهو طبيب ألمانى آخر .

وعاد موسوليني إلى موتيخ في السابع عشر من سبتمبر . . ودونت زوجته في يوميانها تقول . . . « يبدو أنه في حالة صحية أفضل. ولكن في عينيه تعبيراً غريباً عن الألم يفضح ما يعانيه من عذاب عقلي » وكعادته لم يبحث معها في معضلته ، مكتفياً بالقول بأنه قضى « ثلاثة أيام من العمل المستمر مع هتلر ، وحبس نفسه بعد ظهراليوم التالي في غرفته ليعد الخطاب الذي سبوجهه في ذلك المساء عن طريق إذاعة مونيخ إلى الشعب الإيطالي .

وكتبت راشيل تقول ... ، ومضيت معه إلى غرفة البث الصغيرة في الفناف وقد يكون ما أقوله غريباً . ولكنها كانت هذه المرة . هي الثانية التي يذبع فيها . فني الماضي كان يلني خطبه على الجماهير ، وإن كانت الإذاعة تتولى نقلها . ولم يكن في حالة طيبة . وقبل الشروع في إذاعة رسالته . التقت عيناه بعيني . وانقضت فترة طويلة خيل إلى أنها لن تنتهي قبل أن يشرع في الكلام » .

وبدا صوته محموماً . وكانت عباراته مدغومة ببعضها . بحيث بدت سبئة اللفظ غير مفهومة . وتحدث إلى سامعيه عن فترة سجنه ، وعن فراره المسرحي ، بطريقة وجد أحد المعجبين الجدد بالفاشية نفسه مضطرًّا إلى وصفها «بالطريقة الصحفية وراح بعد ذلك بحاول استعادة سيطرته الماضية على الكلم ، فراح يذكر شعبه بواجبه ، ويدعوه إلى السير وراءه في الطريق إلى النصر .

ولكن جوبلز وهتلر لم يتوقعا من الشعب الإيطاى أن يتبعه . فقد كتب جوباز يقول . . . « انتهت إيطاليا كشعب وكأمة » . وبالرغم من أنه ، على النقيض من الآخرين الذين استمعور إلى الحطاب ، رأى فى خطاب المدوستي « هدوءاً وواقعية وخلواً من الإقراط فى العواطف » ، إلا أنه اعترف بفشله فى تمثيل دور « العودة العظيمة » . ومضى جويلز يقول . . . « وعلى أى حال ، فقد كان هندنبورج العجوز على حق عندما قال : إن أى إنسان حتى موسوليني لا يستطيع أن يخلق من الإيطاليين إلا الإيطاليين » .

## رئيس الحمهورية في جرجنانو

## السنة الأولى

من ۲۷ سبتمبر ۱۹۶۳ إلى ۲۷ سبتمبر ۱۹۶۶

 اسلمنا أذا وحدل نفسينا إلى أحلامنا كزوج من المجانين ولم يبق أمامنا إلا أمل واحد ، وهو أن نخلق أسطورة » .

١

ظل موسوليني في ألمانيا عشرة أيام أخرى، قضى بدايتها في مونيخ ، ثم نقل بعده ، بعد أن اشتدت الغارات الجوية المعادية على المدينة إلى قصر يدعى «شلوس هيرشبرج » يقع على بعدخسين ميلا منها من سفوح جبال الألب البافارية عند بارميش . وراح بعيد هناك تنظيم حكومته الجديدة . ويقيم البناء الجديد للفاشية .

وأعلن في المدة الواقعة بين الخامس عشر والسابع عشر من سبتمبر من واستنبر ج وف ستة أوامر يومية، مولد الجمهورية الإيطالية الاشتراكية .

وقد نصبت هذه الأوامر على أن يستأنف الدوتشى « السلطة العليا فى توجيه الفاشية في إيطاليا » وأن يتولى إعادة تنظيم الحزب الفاشي تحت اسمه الجديد « الحزب الفاشي الجمهوري » وأن يقوم بإعداد تشكيل الحرس الفاشي . وإعادة التعاون مع الألمان ومعاقبة الحونة. ولم يلكر في هذه الأوامر من الأسماء إلا اسم اثنين من الفاشيين العديدين الذين فر وا من إيطاليا بعد تولى بادوليو الحكم . وهما اليساندر وبا فوليني وهو متعصب سياسي وسكرتير سابق للدوتشي وقد عين الآن سكرتيراً للحزب الجديد الذي صمم على أن يكون حزباً للأقلية البسيطة القوية والمتعصبة، وريناتوريكي ، الذي

عين قائداً للحرس الفاشي، الذي لم يستطع أن يجند فيه رغم جهوده الفائقة أكثر من عدد قليل من الرحال. أما روبرتو فاريناتشي المعروف بعنف ميوله إلى الألمان وجيوفاني بريزيوسي، المشهور بصلابته في عقيدته اللاسامية، واللذان كانا يحاولان التقرب إلى الألمان والتودد إليهم على حساب موسوليني فقد خابت آمالهما في تولى منصبين هامين في الإدارة الجديدة (۱). وكان فيتوريوموسوليني قد أبلغ والده، أن الرجلين، نقلا إلى هتلر صورتهما عن ضعف الدوتشي وفشله، وأبلغاه أنه كان كثيراً ما ينفجر حاملا على الألمان، وأنه كان يتسامح تسامحاً سخيفاً مع أعدائه السياسيين، وكان لا يتردد في الحملة على الاشتراكية الوطنية. بالإضافة إلى نظرياته اللامسئولة والضعيفة في موضوع اللاسامية، وكانا قد حدثا الألمان أيضاً عن افتقاره المتزايد إلى الحيوية وعن صحته الآخذة في التدهور.

<sup>(</sup>١) كان هذان الرجلان وأمثالها، قد أزعجوا هتلر عند ما طاروا إلى ألمانيا بعد اعتقال موسوليني يدلا من البقاء والقيام يشورة مضادة ترغم الملك على تسليم قيادة القوات المسلحة الإيطائية إلى الألمان .
وقد صرخ هشر عند ما سمع بمجيئيهم . . . « لا يمكن عمل في، مع هؤلاء الأوغاد » .

الأمراض الزهرية ، وإن كان فاريناتشي قد أبلغ ريبنتروب بأنه وصل و في مرضه هذا الدرجة الثالثة » :

ومن السهل على المرء أن يفهم السبب في هذا الحكم الذي صدر عن فاريناتشي فكثيراً ما شوهد الدوتشي يصاب بحالة قصيرة من الهياج الشديد يعقبها انهيار فيجاثى وتحول إلى فترة من اليأس القانط. وكان سفاعه بكارثة خطيرة تقع في الجبهة الإيطالية لا يؤثر عليه مطلقاً ، بينا تؤدى إثارته بمسألة تدفهة إلى تحوله إلى حالة هياج عنيف للغاية. وقد يبدر منشرح المزاج مؤقتاً وهو يتحدث عن بعث الفاشية. ثم لا تلبث رؤية جندى ألماني في بزته العسكرية ، أن تفقده كل حماسته.

فكان تأثير الألمان حتميًّا ومسيطراً عليه ، وكان يعرف في صميم فؤاده ما يعنيه بعث الفاشية حقيًّا. وعاد في السابع والعشرين من سبتمبر ، مصحوباً بالجنوال كارل وولف قائد الحرس النازي في إيطاليا إلى دارته في ركاديل كاميناتي ، حيث وفد عليه عدد من أعضاء حكومته الجديدة ، يؤدون له يمين الولاء كرئيس المجمهورية ويبدوأن الألمان أرادوا أن يؤكدوا لحؤلاء الوزراء طبيعة السلطان الذي يستمدون منه سلطتهم . فحملهم مبعوث هملر الموثوق في إيطاليا والعقيد في الحرس النازي يوجين دولمان ، إلى بيت موسوليني . و بالرغم من أن الحكومة الجديدة لم تضم المتطرفين من أمثال روبرتو فاريناتشي . الذي عاد إلى كريمونا ليضبي على صحيفته فيها ١ العهد الفاشي ﴾ ، صبغة معادية لموسوليني ، وجيوفاني بريزيوسي ، فإن أعضاءها كانوا من الرجال المستعدين لدعم الحلف مع ألمانيا وحمل لوائه . وكان جيدو بوفاريبي جيدي ، الذي عبن وزيراً للداخلية في الوزارة الجديدة ، معروفاً في الأوساط الفاشية بمكره و براعته في حبك المسائس . لكن الألمان هم الذين زكوه ، وأصروا على إدخاله في إ الوزارة ، إذ أنه حرص كل الحرص على أن يبدى دائماً إعجابه الشديد بهم . وعهد إلى رجل آخر شديد الإعجاب بالروح الألمانية ، وهو فيرناندو ميزسوما . بوزارة الثقافة الشعبية المهمة كل الأهمية . وكان هذا الشاب الضئيل الجسم ، والشاحب اللون ، والشاحب الوجه ، ذو العينين الواسعتين للغاية واللتان تخفيهما نظارتان سميكتان ، آخر الأكفياء الذين تمكنت الفاشية من تجنيدهم فى صفوفها . وكان يتحدث دائماً عن بعث الحزب ودوره الجديد كحزب ثورى يجمع بين الجماعية والتطرف الاجتماعي

والاشتراكي ، بحماسة متقدة ، كانت تتعب موسوليبي ، الذي مل أيضاً تفجرات بافوليني المسرحية ، ومطالب بوفاريني ـ جيدى المدروسة بإيقاع عقربات صارمة. بأعداء المحور . وكان هؤلاء الثلاثة ، أى بافوليني وميزاسوما وبوفاريني ــ جيدى ، هم اللدين اعتمد عليهم الألمان لضمان سير الجمهورية الاشتراكية فى الطريق الذى رسموه لهاً . وكان هناك عضو رابع في الحكومة ، لا يشك في ولائه للحلف الألماني وهو الماريشال رودولفو جرازياني. وقد تحدث إلى ضابط ألماني فقال . . . « لم أكن في ا يوم من الأيام فاشياً ، وإنما كنت دائماً جنديًّا يطبع الأوامر » . وبالرغم من أنه اعترف بخيبة أمله في عودة موسوليني إلى الحكم ، إلا أن كراهيته لبادوليو ، واحتقاره للمسائس السياسية التي كان يقوم بها ضباط القيادة العامة ، كانا كبيرين ، بحيث حملتا الألمان على تجاهل عيوبه السياسية وعدم فشيته ، ولا ريب في أن الحكومة قد اكتسبت مظهرًا محمّرمًا بتعيينه وزيرًا للدفاع .أما الوزارات|الأخرى فقد أسندت إلى رجال لم يتمبز را بالشهرة ولا بالمواهب الفائقة ، فقد أصبح ترينجالي – كازانوفا وزيرأ للعدل ودومنيكو بيليجريني وزيرأ للمالية وسيلفيوجاي وزبرآ للاقتصاد و إدوار دومور وفي و زيراً للزراعة ، وكالمو البرتو بيجيني و زيراً للتربية ، وجيوسييي بيفريل وزيراً للمواصلات . واختير فرانسيسكو ماريا باراكو سكرتيراً عامًا لرئاسة مجلس الوزراء. وحَمل موسوليني نفسه من أعباء وزارة الحارجية ما سمح له بمزاولتها، بينها عهد بوكالتها إلى الكونت سيرافينو مازوليني . وكان هذا رغم حسده الضعيف اللي أنهكه السل والسكر، يتميز بالحماسة والعنف والجنون، وكان صالحاً كل الصلاح لإجراء المسائس واللاواقعية التي صبغت الجمهورية بطابعها

وكان موسوليني طيلة حياة جمهوريته، يبذل أقصى الجهد لتجنب صحبة الوزراء الذين يؤلفون حكومته ، مؤثراً التحلث إلى رجال من الخوارج السياسيين . وكان من أبرز هؤلاء كارلو سبليفيسترى ، الصحفى الاشتراكي ونيقولو بومباكي الشيوعي السابق ونائب السكرتير العام للحزب الاشتراكي الإيطالي، وكان يعرفهما منذ عام السابق ونائب السكرتير العام للحزب الاشتراكي الإيطالي، وكان يعرفهما منذ عام السابق ونائب السكرتير العام للحزب الاشتراكي الإيطالي، وكان يعملان معه كمعلمين في مدرسة واحدة في جوالتبيري وبالرغم من أن بومباكي ، صديق شبابه ، كان قد تحول إلى عدو سياسي له ، فإن موسوليني

تطرف فى عام ١٩٣٧ فى مساعدته ومساعدة أسرته ، عندما أخرج من عمله . وكان هذا العمل فضلا لم يستطع بومباكى السريع التأثر أن ينساه أبداً . وعندما سأله أحدهم عما يعتزم أن يعمله ، إذا الهارت الجيوش الألمانية قال . . . « سأشاطره مصيره . فأنا أن أنسى م عمله لأسرتى ، عندماكانت تتضور جوعاً » .

وكان يقول إن موسوليني نفسه الآن في حاجة إلى المساعدة والعطف. ولذا فقد مضى للإقامة معه في روكاديل كامينائي. وكان يصغى بطويل صبروتفهم لشكاواه الطويلة من الألمان وتذمره وحملاته عليهم ولاسيا أن نفوذهم عليه هنا كان كبيراً كما كان في ألمانيا نفسها.

وكان جنود الحرس النازى يحرسون حدائق دارته باستمرار . ويقفون مراقبين له ، وهو يحاول استعادة قواه الضائعة ، ولياقته البدنية ، بتحطيب الأشجار في الحديقة . وعند ما تقرر بناء على نصيحة الألمان إقامة عاصمة الحكومة الجديدة في بلدة سالو على بحيرة جاردا بدلا من رومة ، التي قد ينسحب منها الألمان عما قريب أمام الحلفاء . انتقل موسوايني إلى دارة فيلترينيلي ، في بلدة جرجنانو الصغيرة والواقعة على بعد بضعة أميال إلى الشهال من سالو على شاطئ البحيرة . وراح الجنود الألمان يتولون حراسته في مقره الجديد أيضاً (۱) . وقد اختير هؤلاء الحراس من دهماء الألمان الذين لا يجيدون الألمانية بله الإيطالية ، وكان منظرهم يثير من البأس مالايطاق في نفس موسوليني . وكثيراً ما سمع يشكو غاضباً . . . « أنا لا أريد من الناس أن يظنوا أني سجين » . ولكنه كان سجيناً حقناً . فقد كتب ضابط ألماني شاب إلى أسرته يقول . . . « إن الحراسة عليه مشددة . وأنا لا أخطوفي الحديقة إلا إذا غنيت أسرته يقول . . . « إن الحراسة عليه مشددة . وأنا لا أخطوفي الحديقة إلا إذا غنيت أو صفرت . إذ أن هناك رجلا من الحرس النازي ومسلسه في يده ، وراء كل شجرة . وهناك عدد من الإيطاليين أيضاً من ذوى القمصدن السوداء لتغطية المظهر ليس إلا » .

وكان الجنود الألمان يتبعونه بسياراتهم العسكرية ، إذا ما خرج يسيارته ، كما كان الجواسيس الألمان يصغون إلى مكالماته الهاتفية التي كانت تتم عن طريق

<sup>(</sup>١) كان من أهم مظاهر الضعف في جمهورية سالو ، أنها أقيمت في ذلك المكان النائى في الشهال لضرورات عسكرية ملحة ، ولا ريب في أن الحكوبة الفاشية بتخليها عن روبة . عاصمة البلاد التاريخية ، قد فقلت كل ما كانت تطبع فيه من مكانة ضئيلة ، في الظروف التي خلقت فيها ، مما أوسى مجمليقة وضعها الغريب .

مقسم الجيش الألمانى. وكان يتلتى زيارات منتظمة من الجنرال وولف ، والسفير ران ، والدكتور زاخارى والعقيد دولمان ، فقد تلقوا شخصينًا تعليات من هملر بأن لا يغيب الدويشي عن أنظارهم. وكان كثيراً ما يتذور قائلاً . . . « إن وولف ودولمان هما سجاناى » . وعندما كان يطل برأسه من النافذة ، فيرى خوذة ألمانية . . . كان يقول « إنهم هناك كالبقع ف جلد الحرباء » .

وكان يكثر من التذمر على هذا النحو لزائريه من الإيطاليين ، ولكنه لم يشك مرة واحدة إلى هتلر . وقد كتب إليه ذات يوم شاكباً من السلوك المتعسف المستبد للمجنود الألمان ، ومن احتلالهم المتغطرس للأقسام الشهالية الشرقية من إيطاليا الذى شابه الضم تقريباً ، ومن موقف الحكومة الألمانية ، التى تعتبر موقفه موقف التابع لها . لكنه لم يتلق ردًا مرصياً . ولذا لم يعد إلى مثل هذا الاحتجاج المطلق ، مستمداً اشبئاً من العزاء من معوفته بأنه قد احتج مرة واحدة على الأقل ، ومعيداً تلاوة الصورة التى ، حتفظ بها أحد سكرتبريه في درج مكتبه بكثير من الرضى .

ولم يحتج موسوليني على عاكمة خونة الخامس والعشرين من يوليو ، وهي المحاكمة التي فرضها عليه هتلر . فقد قبل شروط هتلر ، وأصلر أوامره باعتقال هؤلاء الحونة وتقديمهم إلى المحاكمة . وكان يقول إن على العالم أن يعرف أن مؤامرة خفية قد حيكت ضده وأن الملك قد اشترك فيها ، وأن يعرف أيضاً أنه ما زال صاحب السلطان ، وأن دوتشي الفاشية أقوى من كل شي ء . ووصف سكرتيروه ، أنه عندما كانت أسماء الحونة تتلى على مسامعه ، كان وجهه يتخد تعبيراً جامداً كالرخام ، كوجه الإمبراطور كراكلاً الذي عرف بالغلظة والبعد عن الرحمة والعاطفة . وكان في وسعهم فقط أن محلسوا بما كان يفكر فبه . ترى هل كان يحتي وراء تلك الصورة من الجمود الثلجي شعوره بالحجل لضعفه وعجزه عن مقاومة مطالب هتلر؟ أو هل كان يحتجز وبهم في مونيخ وكأنهم رهائن؟ أو هل كان يأمل في استعادة شهرته بالعدالة العمارمة وعدم المحاباة ا أو هل كان يؤمن حقاً المأمل في استعادة شهرته بالعدالة العمارمة وعدم المحاباة ا أو هل كان يؤمن حقاً بما قاله ذات يوم لسيرفينو مازوليني ، من أن هذه المحاكمات ضرورية لأسباب تتعلق بالدولة ؟ وهل كان صادقاً عندما قال فها بعد الصحفي إيفانو فوماني ، تتعلق بالدولة ؟ وهل كان صادقاً عندما قال فها بعد الصحفي إيفانو فوماني ، بأنه لم يكن راغباً في المحاكمة شخصياً ، ولكن الحزب والألمان كانوا مصممين.

على إجرائها « لإعادة الإيمان بالحلف الألماني - الإيطالي ، ؟ .

ومهما كانت الدوافع التى دفعته ، فإن الذى لا شك فيه هو أنه قد أصدر في الرابع والعشرين من نوفبر عام ١٩٤٣ ، مرسوماً بإقامة المحكمة الحاصة ، وأنه لم يتردد لحظة واحدة في عزمه على الوفاء بوعوده إلى هتلر . وقد نص المرسوم على أن تستلهم المحكمة « العدالة في حكمها » ، وأن تستوحيه أبضاً « من المصالح العليا للبلاد التي تخوض غمار الحرب » ، ونص المرسوم أيضاً على أن من واجب رئيسها أن يسير في إجراءاته « دون اكتراث بأى إنسان مهما يكن » ، ولم يكن ثمة شك في هوية المعنى بهذا التعبير الغامض .

وكان الإعباء قد أخد مها كل مأخد بعد رحلة طويلة في قطار حربي بطيء. واحت وكان الإعباء قد أخد مها كل مأخد بعد رحلة طويلة في قطار حربي بطيء. واحت تتوسل إلى أبيها ، بما يشبه « الهستيريا » بأن ينقذ زوجها جليازو من قبضة الألمان . فرد عليها موسوليني بنفاد صبر . . . « لا تضطر بي إلى هذا الحد » . ونصحها بأن تمضى إلى دار لمتمريض ، فليس في استطاعته أن يعيها بشيء . فقد زوده ريبينتروب « بونائق مادية ) ، تثبت بصورة تقطع الشك « خيانة جاليازو ، ولا سيامع الإنجليز » ، وأنه لا يستطيع أن يغفر له ذلك لأن إيطاليا لا تغفر له .

وكان تشيانو قد اجتمع بموسوليني نحقيقاً لوعده في مونيخ وذلك قبل عودته إلى إيطاليا ، وكانت المقابلة قصيرة ومؤلة . وحاول « الفطر السام » كما كان جوبلز يدعوه ، أن يشرح للدونشي سلوكه في المجلس الفاشي الأعلى ، بينا ظل وجه الدرتشي جامداً كالصخر ، وخالياً من كل تعبير . وبدا وكأنه لا يستمع إلى صوت جاليازو ، وهو يتطلع إليه باشمئزاز جامد ، لا يصفح ولا يغفر . وظل واقفاً ، أمام المدفأة ، عندما فارقه تشيانو ، دون أن يسمح له بوداعه . وبدا وكأن الدوتشي قد قرر أنه لا يختلف أيضاً عن الرجل الذي بات الآن سيده ، وأن الشفقة لا تعرف طريقاً إلى قلبه ، وأن خبانة زعيم الفاشية خيانة عظمي ، وأن اعقوبتها الوحيدة هي الموت . وكان يقول قبل سنوات طويلة . . . « أشعر بشبه كبير المويدة هي الموت ، وصلابته ، فقد كان لا يغفر لأعدائه حتى بعد أن يصل بدائتي ، في وطنيته ، وصلابته ، فقد كان لا يغفر لأعدائه حتى بعد أن يصل بدائتي ، في وطنيته ، وصلابته ، فقد كان لا يغفر لأعدائه حتى بعد أن يصل بدائتي ، في وطنيته ، وصلابته ، فقد كان لا يغفر لأعدائه حتى بعد أن يصل

وحاول تشيانو بعد هذه المقابلة مرة ثانية ، الرحيل إلى أسبانيا ولكن الألمان حالوا بينه وبين تحقيق بغيته من جديد . لكنهم سمحوا له بالعودة إلى إيطاليا ، فاعتقد أنه سيستعيد حريته ، ولذا طار من مونيخ إلى فيرونا حيث اعتقلته على الفور قوة من الجنود الألمان ورجال الشرطة الإيطاليين .

ولما فشلت إيدا في تحطيم تصميم والدها المتحجر ، مضت إلى هتار تقابله ، ولكنه رفض أيضاً التدخل لإنقاذ حياة زوجها . وراحت تتوعد بأنها ستحسر النقاب عن أمور تهز العالم بأسره ، وأصيب هتلر ، كما قال موسوليني لمازوليني النقاب عن أمور تهز العالم بأسره ، وأصيب هتلر ، كما قال موسوليني لمازوليني ثم من الفزع ، ولاسيا أنها قد أعادت تهديدها في رسالة بعثت بها إليه . وليس تمة من ريب في أن هتار طلب عن طريق السفارة الألمانية تأجيل المحاكمة . لكن موسوليني تمسكاً منه بالدور الذي أخذ على عاتقه القيام به ، كان أصلب من الصخر . وأعلن أنه و لن يؤجل المحاكمة يوماً واحداً » . وعندما نصحه رجل المحانون رولاندو ريشي الذي ساعده في إعداد دسنور الجمهورية الاشتراكية الجديدة ، بالعدول عن المحاكمة ، رفض النصيحة ينفس العناد . وعندما توسلت الجديدة ، بالعدول عن المحاكمة ، رفض النصيحة ينفس العناد . وعندما توسلت الميدا توسلا عاطفياً بوصفه والدها ، وجد أطفالها . رد قائلا . . . « لم يكن أسلافنا الرومان يترددون لحظة واحدة ، إذا تطلبت مصلحة رومة العليا ، في التضحية بأبنائهم في سبيلها . وليست القضية هنا قضية والد أو جد ، بل قضية النفريق الهاشية » . . وانفجرت إيدا باكية ثم خرجت من الغرفة مهرولة .

وباتت إيدا على وشك الأبهار العصبي ، فاستمعت إلى نصيحة والدها ومضت إلى دار للتمريض والرعاية في راميولا قرب بارما ، حيث دخلته تحت اسم مستعار هو إيلزا سانتوس . ووصف جيوفاني دولفين ، أحد سكرتيري موسوليني ، زيارتها لبيت أبيها . ولم يكن هذا قد رآها من قبل ، فتأثر بالشبه الكبير بينها وبين أبيها ، وكتب في يوميانه يقول . . لا إنها تختلف كثيراً عن صورها الفوتوجرافية ، بل أنها صورة طبق الأصل عن أبيها » . وكانت لهما نفس العيون ونفس التقاطيع ، وففس الحركات ، ونفس الوضوح في الحديث . وكانا يتشابهان أيضاً في نفس العادة العصبية وهي الرجوع فجأة بالرأس إلى الوراء وسط الحديث ، ونفس التطلع بنظرات معناطيسية إلى الشخص الذي يتحدثان إليه . وبالرغم من أنها حاوات بنظرات معناطيسية إلى الشخص الذي يتحدثان إليه . وبالرغم من أنها حاوات

إخفاء هياجها ، إلا أنها كانت قريبة من الجنون . وبدت غير مهندمة وشاحبة الوجه ، ونحيلة الجسم ، وكأنها مريضة تماماً كما كان والدها قبل بضعة أسابيع . وعندما غادرت الدار بعد أن فشلت في مهمتها ، لاحظ أحد الحدم ، العبرات وهي تنساب من ماقيها على وجنتيها . ولم يمض يومان على هذه الزيارة حتى كان الضابط الألماني الذي يتولى قبادة حرس الدارة ، يستدعي إلى فيرونا ، ليوضح الأسباب التي دعته للسهاح للكونتيسة تشيانو ، ابنة موسوليني المقربة ، بدخول الدارة .

ولم يكن لقلق الألمان ما يبرره . واستمرت الإعدادات لمحاكمة تشيانو . واختار موسوليني لرئاسة المحكمة محامياً قديماً يدعي الدو فيشيني ، كان يشارك رولاندو ريشي شكوكه في صلاح الأدلة التي تقود المنهمين إلى المحاكمة ، ولكنه اضطر إلى استبعاد هذه الشكوك . أما الأعضاء المدنية الباقون فلم تكن لليهم شكوك أبداً ، وكان خسة منهم ، من أشد الناس إخلاصاً للفاشية . ولم يمثل أمام المحكمة من التسعة عشر منهما إلا ستة فقط ، أما الباقون وبينهم زعيمهم جراندي الذي فر إلى أسبانيا فور اعتقال موسوليني ، فقد تمكنوا إما من الفرار إلى الحارج ، أو الاختفاء في إيطاليا. وكان الحاضرون هم اميليو دي بونو وتوليو شيانيتي وجيوفاني مارينيللي ولوشبانو جوناردي وكارلو باريشي ونشيانو .

وبدأت المحاكمة في الساعة الناسعة من صباح السبت في الثامن من يناير عام ١٩٤٤ في قاعة كاستيلفيشيو في فيرونا . وجلس أعضاء المحكمة ، وكانوا جميعاً يرتدون القمصان السوداء ، على منضدة تقوم على منصة ترتفع وراءها ، قطعة كبيرة من القماش الأسود نقش عليها شعار الفاشية . وتلقى كل منهم في الليلة التي سبقت المحاكمة ، هدية من مجهول ، هي «كفن مصغر » .

وكان إلى الشمال مقعد يجلس عليه المسهمون الستة . وإلى يمينهم منضدة ، جلس عليه الصحفيون والمصورون السيبائيون . وأمام القضاة مقعد يجلس عليه محامو الدفاع ، ووراءهم مقاعد النظارة . وكان المطر في الخارج قد تحول إلى ثلج يتساقط . وجاء النظارة من الخارج صامتين يرتجفون من البرد .

وتلا كاتب المحكمة نص الآنهام بصوت جهورى بشع . وقد أنهم المسجونون

بأنهم 3 انتهزوا فرصة الاقتراع في المجلس الأعلى للفاشية في الخامس والعشرين من يوليو عام ١٩٤٣ في مدينة رومة ، فتآمروا مع بعضهم وحاولوا تحطيم استقلال اللولة ، وأنهم لم يحبطوا بتشجيعهم الأوهام بشروط صلح هيئة ، روح المقاومة المعنوية عند الأمة فحسب ، وإنما أحبطوا العمليات الحربية أبضاً ، وعملوا بذلك على مساعدة العدو وتخفيف الأعباء عنه » .

وكان الماريشال العجوز دى بونو البالغ من العمر ثمانية وسبعين عاماً هو أول المتهمين ، الذين دعوا للرد على هذه النهمة . ووقف أمام المحكمة ببزته العسكرية ـ وقد زينها بجميع الأوسمة التي نالها قبل الزحف على رومة وبعده. وكان قد رفض في البداية أن يعتبر نفسه مهدداً بالخطر . وقد يكون من حق الملك وبادوليو أن يرتحلا جنوباً إلى برنديزي ، ولكنه هو قد خدم موسوليني بإخلاص أكثر من عشرين عاماً ، وكان على ثقة من أنه لن يصيبه ضير. ورفض يشيء من الترفع اقتراحات أصدقائه ، بأن يختني وأن يحلق ذقنه الشهيرة المميزة . وعندما اعتقل ، خبل إليه أن موضوع براءته سيظهر في غضون أيام ، ولم يحاول انتهاز الفرصة التي أتبحت له عندما أصبب بالمهاب السحايا ، وسمح له بالعودة إلى دارته الريفية مقابل وعد بشرفه بأن لا يفر . فقد عاد إلى فيرونا في سيارته ، وأمر سائقه بأن ينتظره إذ أن غيابه لن يطول . ولكن شيئاً ما في جو المحكمة ، سرعان ما أوحى له بأنه كان على خطأ في تقديره . وكانت لديه حاسة الرجل العجوز بالموت . وبيما كان استجوابه يسير في الطريق المعتاد ، قاطع إجراءات المحكمة فجأة ، وقال بفروغ صبر . . . « كل هذا عبث . يبدو أن هناك من قرّر أنني يجب أن أموت . أنا رجل عجوز . عجوز للغاية . إذن ، فأنتم لا تسلبون منى شيئاً . ولكن أرجو أن تسرعوا ، ومضى إلى مقعده وسط همهمة من العطف ، صدرت عن جماهير النظارة ، وجلس في مكانه . وبالرغم من أن استجوابه لم يكن قد انتهى ، فإن رئيس المحكمة ، وممثل الآنهام ، لم يجر أوا على استدعائه من جديد .

وقد أخفقت جهود المحكمة في إقامة البينة على وجود « مؤامرة مسبقة » ، عندما استدعى المهم الثانى وهو كارلو باريشي لاستجوابه . وكان باريشي هذا وزيراً للزراعة ، وكانت جلسة المجلس تلك ، أول جلسة يحضرها للمجلس

الأعلى. وكان شابًا يفتقر إلى التجربة. وقد بدا كما قال أحد الصحفيين و ذاهلا من الهامه و ولكنه ود بمنهى الهدوه على أسئلة ممثل الالهام ، نافياً محاولاته إقامة الدليل على وجود مؤامرة للإطاحة بالدوشي تمهيداً للصلح مع العدو . وألهى استجوابه قائلا بشجاعة و كان جميع الإيطاليين المسئولين ضد موسوليني وضد الحرب . ولكن لم يكن هناك اتفاق بين أعضاء المجلس الأعلى كما تقول ، ولم تكن ثمة مؤامرة . وكل ما في الأمر أن الكأس كانت قد امتلأت حتى نهايتها، فجاء جراندي وصب القطة الأخيرة التي جعلتها تطفح و .

وكان جيانيي المهم الثالث الذي استدعى للاستجواب . وقد قال إنه سحب تأييده لاقتراح جراندي فور إعطائه له . وإن إيمانه بالدوتشي لم يخب لحظة واحدة . ولم يشر بقليل أو كثير إلى وجود مؤامرة مديرة . وكذلك فعل جوتاردي الرئيس السابق للاتحاد الفاشي لعمال الصناعة ، الذي قال إنه اقترع إلى جانب مشروع جراندي . لأنه كان يأمل في أن يؤدي وإلى تحرير الدوتشي من مسئوليات القيادة العسكرية الخطيرة في ذلك الوقت الذي سارت فيه الحرب سيرا سيرا سياً » . ولم يعترف مارنييللي أيضاً بوجود المؤامرة . وكان هذا الرجل الأصم الذي يلغ الخامسة والسنين من العمر ، خازناً لأموال الحزب سنوات طويلة . وقد ذكر أن صممه لم يمكنه ألا من التقاط عبارات عابرة من الحطب التي ألقيت في اجهاع المجلس ، وكان قد وقع تحت الانطباع بأن القرار لا يحتوي على شيء يسيء إلى الدوتشي أو الفاشية ، وأنه افترض أن القرار يحظي بتأييد موسوليني نفسه . وعندما استدعي تشيانو أخيراً ، لم يوي بشيء إلى وجود مؤامرة للإطاحة بالفاشية والدوتشي ، وقال . . . « لم يتقدم جراندي باقتراح من هذا النوع ، ولم أكن لاتصور لحظة واحدة ، بأن القرار ميؤي الم سقوط العهد ، وما أكن لاتصور لحظة واحدة ، بأن القرار سيؤدي إلى سقوط العهد » .

وقال ممثل الآتهام . . . « ولكنك وقعت أمر جرافدى اليومى قبل ساعات من عرضه كاقتراح على الاجتماع » .

- أجل قبل بضع ساعات. ولكنني عرفت من جرائدى أن سكور زا حمل نسخة منه إلى الدوتشى . وعندما تكون هناك مؤامرة للإطاحة بإنسان عن طريق الحيانة، فإن المتآمر ، لا يحدر عادة من يتآمر عليه ، ولا يبلغه بالوسيلة التي سيستخدمها .

ــ ولكنك لم تقم شخصيًّا بإبلاغ حميك . وكان من الطبيعي أن تفعل هذا بالنسبة إلى العلاقة الشخصية التي تربطك به .

وانقضى ذلك اليوم بطوله بين استجواب المتهمين ومناقشتهم وتلاوة إفاداتهم ، ولكن ممثل الاتهام لم يستطع ، مطلقاً الكشف عن إشارة واحدة إلى وجود مؤامرة ، وهو ما كان يفترض منه أن يقيم الدليل على صحة وجودها . ولكن عندما انعقدت المحكمة في الصباح التالي ، لتستأنف عملها ، عرضت على المحكمة وثيقة ، أظهرت إلى حد كبير ، أن الأعمال التي يتهم بها المسجونون ، لم تكن على ذلك النحو من البراءة ، التي حاولوا نصوير أنفسهم بها في اليوم السابق . وكانت الوثيقة التي تلاها رثيس المحكمة بكثير من الأناة والتأكيد ، ورقة كتبها الجنرال الكونت أرجو كافاليرو ، الرئيس السابق لأركان الحرب . وقد عثر على كافاليرو ميتاً على مقعد في حديقة عامة في الساعات المبكرة من صباح الرابع عشر من سبتمبر وبعد بضع ساعات من نناوله طعام العشاء على مائدة الماريشال كيسلرنج في مقر قيادته في فراسكاتى . وكان ثمة مسدس إلى جانبه . وبالرغم من أن ثقوب العيارات النارية في الجانب الأيسر من رأسه ، كانت في وضع غريب بالنسبة إلى رجل منتحر ، فلم يكن الآن 'ممة ما يبرر الشك في تقرير السَّفارة الألمانية بأن كافاليرو قد انتحر بإطلاق الرصاص على رأسه . وكان بادوليو قد أمر باعتقاله في نفس اليوم الذي عقد فيه اجتماع المجلس الأعلى ، وكان موسوليني قد نحاه عن منصبه من قبل ليخلفه فيه امبروزيو . وهكذا لم يكن ليثق فيه أحد الحانبين ، وكان يعرف أنه إذا عمل مع أحدهما ، فإن الجانب الآخر سيصمه بالخيانة . وكان قد اشترك إلى حدما وبصورة مترددة في بعض المؤامرات للإطاحة بموسوليني ، وقد ذكر كيسلرنج أن فكرة لقائه من جديد بالدوتشي قد تكون هي التي دفعته إلى الانتحار . وقال رئيس المحكمة إن الوثيقة التي كتبها ، وجدت في مكتب بادوليو بعد فرار الحكومة إلى برنديزي . ولا ريب في أنها بالتفصيلات الوافية التي أوردتها عن المؤامرات ضد الدوتشي ابتداء من نوفبر عام ١٩٤٢، هي عين ما كانت تطلبه

النيابة من دليل . وكان تمة شك في صحبها ، ولا سيا أن تقديمها بهذه الصورة المتأخرة إلى المحكمة يجعل الشك فيها أمراً طبيعيًّا ، وإن كانت الأحداث فيا بعد قد أقامت الدليل على صحة جميع الوقائع التي وردت فيها . وقد حسرت الوثيقة النقاب عن أن رئاسة الأركان العامة بالاتفاق مع الملك ، كانت تبحث جديثًا في الإطاحة بموسوليني قبل تسعة أشهر من انعقاد المجلس الأعلى ، وأن امبروزيو وبادوليو قد اتفقا على أن يكون المجلس الأعلى هو الأداة في تحقيق مشاريعهما ، لإكساب هذه المشاريع الصفة الدستورية .

وقبل أعضاء المحكمة بوثيقة كافاليرو كدليل مادى ، واعتبروا أن الاتهام قد أقام قضيته على أساس صحيح . وانصرمت الجاسة المسائية فى ذلك اليوم ، وجلسة اليوم التالى فى الاستماع إلى الحجج الحذرة التى تقدم بها محامو الدفاع عن المتهمين ، وإن كانت نتيجة المحاكمة قد غدت الآن واضحة كل الوضوح ، إن كان ثمة شك فيها منذ البداية . وعاد رئيس المحكمة فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر الاثنين ليعلن أن المحكمة قررت الحكم على جميع المتهمين بالإعدام باستثناء شيانيتى الذى قضت عليه بالسجن ثلاثين عاماً .

وهتف شیانیتی . . . شکراً ، شکراً . أما مارنییللی فقد أغمی علیه . وهتف دی بونو بأعلی صونه «عاشت إیطالیا » وردد باریشی وجوتاردی وتشیانو الهتاف .

وجاء الكاهن الذى استمع إلى اعترافات المحكومين فى سجن ديجيلى سكانوى، إلى السجن ثانية فى الساعة العاشرة من ذلك المساء ، ليراهم من جديد . ورفض الحراس الألمان السماح له ، فى البداية بدخول زنزانة تشيانو ، ولكنه راح يهتف إلى قيادة الجستابو مؤكداً طلبه ، فأمرت هذه رجالها هاتفياً بالسماح له بالدخول ، ليؤدى المحكوم وإجباته الدينية الأخيرة .

وقبل بضع ليال ، وجد تشيانو فى زنزانته ، رفيقاً من طراز آخر . كان هذا الرفيق فتاة رائعة الحمال ، شقراء الشعر ، دفع بها الجستابو إلى زنزانته فلعلها تستطيع إقناعه ، وهو الكثير الشكوك ، فى لحظة من لحظات العاطفة أو الشهوة ، بأن يكشف لها عن المكان الذى أخنى فيه يومياته التى كتبها . لكن هذه الحيلة القديمة خلفت نتيجة غير متوقعة ، فقد فشلت هذه السيدة ، الدونا فبليسيا ، فى

إقناع تشيانو ، بأن يدلها على شيء ، وروى العقيد دولمان ، أنها وقعت فى هواه ، وبكت بكاء مرًّا عندما حكم عليه بالإعدام ، ثم تحولت أخيراً إلى جاسوسة للحلفاء .

ووجد تشيانو بعض العزاء في ساعاته الأخيرة . فقد تلقي رسالة في السجن هربت إليه من الخارح ، تقول إن زوجته تمكنت بمساعدة عشيقها المركيز الميلبو بوشي من لفرار عبر الحدود إلى سويسرا ، تحمل بعض «الدفاتر » الصغيرة . التي تضم يومياته الأخيرة ، بعد أن أخفتها في «حزام » تمنطقت به ، مخلفة يومياته الأولى مع بعض الوثائق المهمة التي تتناول العلاقات الألمانية – الإيطالية والتي كان تشيانو قد أخذها من ملفات وزارة الخارجية ، مع أحد الأطباء في دار التحريض التي كانت تقيم فيها . وكانت إيدا قد جمعت هذه الأوراق والدفاتر من مخبئها في رومة ، وأملت ذات يوم في أن تساوم الألمان عليها ، مقابل إنقاذ زوجها من الموت . وبدأت المفاوضات بالفعل مع الجستابو في إيطاليا ، ولكن عندما نمي نبؤها إلى هملر ، راح يقنع هتلر ، بوضع نهاية لها . ولم يكن تشيانو ، على أي نبؤها إلى هملر ، راح يقنع هتلر ، بوضع نهاية لها . ولم يكن تشيانو ، على أي حال ، مؤمناً باحيال نجاحها ، وقد ذكر للكاهن الذي زاره في الليلة التي سبقت إعدامه ، بأنه واثق حتى في حالة نجاحها ، من أن الألمان سيدبرون له سبقت إعدامه ، بأنه واثق حتى في حالة نجاحها ، من أن الألمان سيدبرون له سبقت إعدامه ، بأنه واثق حتى في حالة نجاحها ، من أن الألمان سيدبرون له سبقت إعدامه ، بأنه واثق حتى في حالة نجاحها ، من أن الألمان سيدبرون له طريقة يموت فيها .

وبعد أن أدى تشانو واجباته الدينية الآخيرة ، استحصل له الكاهن على إذن بأن ينضم إلى المحكومين الآخرين بالإعدام فى زنزانة دى بونو. وكان مارينبللى قد أصيب بنوبة قلبية ، فاستلقى على الفراش بينا ظل الآخرون يتحدثون إلى الكاهن. وقد تحدث هذا فيا بعد فقال . . . لا لم نتحدث عن الحياة التى انقضت ، وإنما تحدثنا عن الحياة المقبلة ، وعن الله ، وخلود الروح . حقيًّا كانت ليلة ممتعة ، أشبه بليالى سقراط » . وراح باريشى يقرأ مقتطفات من أفلاطون ، أخذ الآخرون يناقشونه فيها . وذكر أحدهم اسم موسولينى ، وسرعان ما تحول الحديث لفترة قصيرة إلى محاكمتهم . وقال جوتاردى ، إن إعدامهم كخونة سيتم بإطلاق النار على أقفيتهم . وهنا صرخ دى بونو غاضبًا بصورة مفاجئة ، وقد تجمعت الدموع فى عينيه . . . ه هذا كثير . فقد ارتدبت بزة الجندية اثنين وستين عاماً على التوالى ، عينيه . . . ه

دون أن ألوثها بلوثة واحدة ، . `

وجاءت الأنباء عند الفجر بأن موعد التنفيذ قد تأجل. وكانوا جميعاً قد وقعوا في الليلة الفائتة طلباً بالاسترحام ، وعد بافوليني بتسليمه إلى موسوليني وكان من المتوقع أن يصدر عفوه عن دى بونو على الأقل. وساور الأمل أفئدة المسجونين بعض الوقت ، ولكن دى بونو هز رأسه قائلا . . . وإنه أمل لا جدوى منه . واذكروا أن جاليازو بيننا » . وقد حرص بافوليني في الواقع على عدم تقديم الاسترحام إلى موسوليني ، ليجنب الدوتشي كما قال «مشقة تصديق حكم الإعدام».

وجاء ضابط ألمانى فى الساعة الثامنة صباحاً إلى السجن يقول إن « المصاعب الفنية » قد ذللت ، وأن التنفيد سيتم فى غضون ساعة على بعد بضعة أميال خارج فير ونا فى قلعة بروكولو . ونقل المحكومون فى سيارة إلى هناك تحت حراسة الجنود الألمان . وفقد تشيانو فى نوبة هياج زمام السيطرة على أعصابه ، و راح يشم موسولينى ويلعنه أقذع اللعنات ، إلى أن وضع دى بونو يده على كتفه قائلا له بأن عليه أن يستقبل ربه وقد غفر المسيئين إليه .

وكان الصباح قراً شديد البرودة ، مما دعا دى بونو إلى أن يفرك يديه بعنف وهو يخطو من السيارة إلى صف من المقاعد المدرسية ، كان المحكومون سيشدون إليها وقد أعطوا ظهورهم للثلة التى ستطلق النار . وكان تشيانو قد عاوده هدوؤه من جديد فأشار إلى المقعد الأيمن وقال . . . « هذا مقعدك يا ماريشال ، فهو من حقك » .

ورد دى بونو قائلا . . . « لا أعتقد أن ثمة أهمية للأسبقية في الرحلة التي سنمضى إليها بعد لحظات . .

وطلب الرجلان من ضابط الشرطة الذى يقود ثلة إطلاق النار ، أن يواجها البنادق بصدريهما، ولكنه رفض طلبهما . وأغمى على مارينيللني من جديد، وحمل إلى مقعده حملا . وخلع باريشي معطف الفراء الذي كان يرتديه وقدمه إلى الجندي الذي كان يشد وثاقه إلى المقعد . وتمتم جوتاردي بضع كدمات لم يسمعها أحد ، ولحله كان يصلى . وكانت السماء متلبدة بالغيوم ، وشك مولر ، المصور الألماني ، وفعله كان يصلى . وكانت السماء متلبدة بالغيوم ، وشك مولر ، المصور الألماني ، فن أن الصور التي سيلتقطها ستكون واضحة . وبينا كان يضبط عدسته ، هتف

دى بونو « عاشت إيطاليا » .

ورد تشيانو هاتفاً . . . عاشت إيطاليا .

وصدر الأمر بإطلاق النار ، وأعدم الرجال الخمسة . وتمكن تشيانو في اللحظة الأخيرة من الإفلات من وثاقه ، و واجه جلاديه . ولم تكن إصابتهم له دقيقة فلم يمت ، وتقدم إليه ضابط الحرس ، فأفرغ رصاص مسدسه في رأسه . وظهر في صنورة موللر ، وجه تشيانو بمنتهى الوضوح ، وقد علاه الهدوء ورباطة الجأش .

وكان تشيانو قد قال لكاهنه . . . « لقد جرفتنا نفس العاصفة . وكل ما أرجوه أن يعرف أولادى أنني مت لا أحمل حقداً على أى إنسان ﴾ .

۲

ورأس موسوليني بعد ساعتين جلسة مجلس الوزراء ، وبادر وزراءه قائلا بتجهم . . . « أخلت العدالة مجراها » .

وكان قد قضى كعادته فى هذه الأيام ليلة قلقة لم يذق جفنيه فيها طعم الكرى . وروى سكرتيره جيوفانى دوفين ، أنه تتحدث بالهاتف فى الساعة الواحدة صباحاً ، طالباً أنباء ابنته إيدا ، والرجال المحكومين فى فبرونا . وتحدث فى الساعة السادسة بالهاتف إلى الجرال وولف . ويبدو أنه كان متلهماً على أن يظهر بمظهر الإنسان الهادئ الله يتأثر بعواطفه ، إذ ظل يتحدث إلى الجرال الألمانى ساعة كاملة بمنهى اللطف والود . وروى كل من العقيد دولان والهر مولهاوزن رئيس القسم السياسى فى السفارة الألمانية ، أنه لم يذكر طيلة الجديث شيئاً عن « الماساة الوشبكة الوقوع » . وذكر وولف لمولهاوزن ، أنه يعتقد بأن موسولينى أجرى هذا الحديث الهاتنى الطويل . . كوسيلة يقضى بها تلك الساعات الحرجة ، ونحول دون ضعفه وانهباره » .

وعندما جاءه دولفين يبلغه أن التنفيذ قد تأجل ، هز رأسه ، متمنماً بعبارة أو عبارتين ، ثم مضى يكتب على مكتبه . وأدرك السكرتير أن الدوتشى يبذل جهداً بالغاً ، للحفاظ على تظاهره بعدم الاهتمام . ونقلوا إليه بعد ساعة أن الخونة

قد أعدموا ، فاستقبل النبأ بصمت . محاولا أن لا يفضح عواطفه العميقة ، التي خيل لمدولفين أنها سيطرت عيه . وكان قد قال في الليلة السابقة وكأنه يعتذر . . . « لم أكن في يوم ما متعطشاً للدماء . أما تشيانو فقد مات بالنسبة إلى منذ أمد طويل » . وراح يعلق الآن باقتضاب وبشيء من التجهم ، على ما نقلوه إنيه عن استقبال المحكومين للموت ، فأعرب عن سعادته لأن يعرف بأن صهره والآخرين قد ماتوا كإيطاليين شجعان وكفاشيين . ولكنه عندما مضي إلى مكتبه ، دون أن يتناول من الطعام شبئاً ، كان يبكى بحرقة ، كما روت زوجته راشيل . وراح يقول بشيء من اليأس لسكرتيره دولفين ، وقد تحطم ستار الجمود الذي فرضه على يقول بشيء من اليأس لسكرتيره دولفين ، وقد تحطم ستار الجمود الذي فرضه على نفسه أخيراً . . . « سنفقد عطف الشعب الإيطالي ، ولن يفهم هذا الشعب أبداً حقيقة ما أعانيه من عداب » .

وتحولت تلك التقلبات في المزاج التي طبعت حياة موسوليني في السنوات الأخيرة ، والتي تميزت بعدم الثبات والدوام ، بعد محاكمة فيرونا ، إلى حالات أكثر ظهوراً ، وأكثر تكراراً . وراح موسوليني يقول في اليوم الذي تلا تنفيذ الإعدام ، لوكيل وزارة خارجيته . . . . أما وقد بدأنا دحرجة الرؤوس على الرغام ، فسنمضى في طريقنا هذا حتى النهاية ، وراح يصدر أوامره إلى رئيس شرطته تامهموريني باعتقال كافة الفاشيين غير الموثوقين الدين ضمن أسماءهم قائمة سلمها إليه . ولكن لم تمض أيام على هذا الأمر ، حتى كان قد غير فكره ، فراح يلغي أوامره السابقة إلى تامبموريني ، متحدثاً عن الصفح والغفران . وكان فى هذه الآونة ، كثيراً ما يبدو وقد فقد كل رغبة له فى الحكم ، حاصراً تفكيره فى ماضيه وفى مكانه فى الناريخ . وكان المصورون والصحفيون الدين يفدون لمقابلته ليقيموا الدليل للشعب على أنه ما زال حيًّا يرزق ، يحاولون أن يظهروه ، وكأنه لم يفقد شيئاً من حماسه الروحي السابق والمتقد ، ولكنهم كانوا يعترفون في أحاديثهم الخاصة ، بأنه كان يبدو قلقاً ، مغلوباً على أمره . وكان مظهره الصحى ، قد تحسن كثيراً عما كان عليه عندما أنقذ من سجنه في فندق ؛ الصخرة العظيمة ، . وكان يرد بجرأة على أسئلة الصحفيين ، وينظر بقوة وثبات إلى عدسات المصورين ، ولكن العدسات لا تكاد تختني، وأوراق الصحفيين لا تكاد تبعد عنه، حتى يعود إلى حالة التبلد التي أصبحت نرافقه في هذه الأيام . وسأل ذات يوم العقيد دولمان ، عما إذا كان صحيحاً ، ما يقال ، من أن أصبعاً واحدة لم ترتفع في رومة لنصرته بعد اعتقاله ، فلما رد عليه هذا بالإيجاب معترفاً بالحقيقة ، قال ، وقد استبد به الغضب، إنه يستطيع أن يغفر للشعب مثل هذا النكران للجميل . ومضى يقول . . . لا يفعل إنسان لرومة منذ أيام يوليوس قيصر ما فعلته لها . وإن أعود إلى قصر البندقية إلا كما يعود الفاتحون » . ولكنه نسى في اليوم التالي غضبه وزهوه ، وعاد يغوص في حالة السبات التي تنتابه في يقظته .

وكان يقضى الساعات الطوال فى قراءة الصحف ، متطلعاً بلهفة ، إلى خبر ينشر عنه ، ومقتطعاً مها المقالات التى تخصه مباشرة ، حتى تلك التى تشرتها صعف رومة فى أوقات أسره ، والتى تضمنت قصصاً مثيرة ملفقة عن حياته الخاصة ، وعن خليلاته المزعومات . وكان يضع رقماً من هذه المقالات ، ويؤشر عليها بقلمه الأزرق . وكان يكثر من اختلاق الأعذار لفشله ، وإضاعته للإمبراطورية التى أقامها . وكان يتحى بالملامة على الجميع ، لا يستثنى أحداً ، فلومه ينصب على قدم المساواة على البريطانيين والأمريكيين والألمان والإيطاليين والماسونيين والبورجوازيين واليهود ومتآمرى الحامس والعشرين من يوليو ، وإن كان اللوم فى رأيه يقع أول ما يقع على الملك . وراح ذات يوم يلتى خطاباً فى عرض المجنود الفاشيست فى جوادريا ويقول . . . « لو لم يقع الانقلاب لما كنت اليوم فى ضاحية من ضواحى بريسكيا ، بل لكنت فى أحد ميادين القاهرة » (١) .

وكتب وزيره للثقافة الشعبية فيرناندو ميزاسوما يقول ذات يوم . . . « إنه لا يفكر إلا فى التاريخ ، وفى الصورة الني سيحملها له a .

<sup>(</sup>١) حلم استعاري - عاش عليه موسوليني ولكنه لم يتحقق .

وكان من الواضح أنه سؤال بياني ، إذ أنه راح يرد على السؤال قاتلا . . . ه إنه سؤال لا يرد عليه إلا بطريقة واحدة وهي أن الفاشية هي الموسولينية . علينا ألا نخدع أنفسنا . فليس في الفاشية كعقيدة أي جديد ، وإنما هي ثمرة الأزمة الحديثة ، أزمة الإنسان الذي لا يستطيع أن يظل محصوراً ضمن القيود العادية للقوانين الراهنة . وفي وسع الإنسان أن يطلق عليها اسم اللاعقلانية ٥ . وقال فى يوم آخر ، إنه لم يُحلق الفاشية ، وإنما كل ما فعله هو أنه استغل المبول الفاشية الكامنة في نفوس الإيطاليين . ومضى بعد ذلك يقول . . . « ولو لم تكن هذه هي الحقيقة ، لما تبعني الناس عشرين عاماً . فالشعب الإيطالي شعب ضعيف قلب . وعندما أمضي عن هذه الحياة ، سيتساءل المؤرخون وعلماء النفس ، بكل تأكيد ، عن الطريقة التي تمكن فيها رجل واحد ، من قيادة مثل هذا الشعب مدة طويلة . ولو لم أفعل شيئاً سوى هذا ، فإن هذه المأثرة يجب أن تكون كافية لئلا يبتلعني النسيان في أعماقه . وقد يتمكن البعض من الانتصار بالسيف والنار . ولكنهم لا ينتصرون بموافقة شعوبهم ، كما انتصرت أنا . . . وعندما يقول البعض إننا كنا الحرس الأبيض الذي يدافع عن البورجوازية ، فإنهم يكذبون دون أن يحسوا بالخجل والعار . وقد عملت ، وأنا أقول هذا بضمير مستريح ، على النهوض بالعمال ، أكثر مما عمل أى إنسان آخر . . . وجعلت من الديكتاتورية شيئاً نبيلاً . ولكنني لم أكن في الواقع ديكتاتوراً ، لأن سلطتي لم تكن أكثر من تجسيد لإرادة الشعب الإيطالي ٥ .

ومضى على هذا النحو فى حديثه . يزداد خموضاً والتواء ، ويلف معانيه بتعابير غير واضحة ، إلى أن أصبح سامعوه ، لا يستطيعون فهم ما كان يقوله ، وكانوا يشكون فى أنه يفهم حقاً ما يقوله . وفى مرة أخرى ، وكان يتحدث عن الدفاع عن رومة ، راح يلتى خطاباً مطولا عن « انهيار فرسا عضوياً وحياتياً » . وكان فى مرات أخرى ، يعود فى أحاديثه إلى ما كان يقوله قبل سنوات طويلة كاشتراكى ، مستبعداً ما طرأ على الفاشية من تطورات أخيرة وصفها بأنها « مصيبة سياسية » . وقال ذات يوم لنيقولا بومباكى . . . « إننا خسرنا كل شيء ، دون أن يكون لدينا مجال للاستئناف . وسيحكم علينا التاريخ فى يوم ما قائلا إننا شيدنا

أبنية عدة ، وأقمنا جسوراً كثيرة عبر عدد من الأنهر ، ولكنه سيجد نفسه مضطرًا إلى الوصول في النهاية ، إلى أننا كنا من ناحية الروح « ببادق » عادية على لوحة شطرنج الأزمة الأخيرة الضمير الإنساني ، وأننا ظللنا نمثل هذا الدور حتى النهاية .

أصبح هذا هو التقويم المألوف الذي بات يردده دائماً . وقد عترف ذات يوم في إحدى هذه اللحظات التي كان يعكف فيها على التحليل والنقد الذاتيين بقوله . . . « سلمنا أنا وهتلر أنفسنا إلى اأوهامنا كزوج من المجانين . ولم يبق أمامنا إلا أمل واحد ، وهو أن تخلق الأسطورة » . لكن الآخرين لم يكونوا في حاجة إلى خلق الأسطورة ، إذ أن أعمالم خلدها التاريخ . وكثيراً ما تحدث عن هؤلاء الناس من أمثال فردريك الكبير ونابوليون وجورج واشنطن وبسارك . وعن أبناء جلدته من الإيطاليين من أمثال جاريبالدي (١) ، ومازيي . وجيوليوي (١) أبناء جلدته من الإيطاليين من أمثال جاريبالدي (١) ، ومازيي . وجيوليوي (١) عن معاصرين من أمثال بييترونيني ، الذي ظل رغم كل ما قيل وكل ما وقع عن معاصرين من أمثال بييترونيني ، الذي ظل رغم كل ما قيل وكل ما وقع إيطالياً صالحاً ، ودينوجراندي ، الذي و كان بالرغم من كل شيء خير من أنجبته الفاشية من أبنائها » ، وبريان (١) و السياسي الوحيد الذي رغب صادقاً في إقامة اتحاد ائتلافي ( فيدراني ) أور بي دون اللجوء إلى القوة المسلحة ، وأنطوني إيدن الذي كان يكرهه ، وروزفلت الذي كان يحتقره ، ولانز بوري (٥) وهو ولويد جورج من الذين كان يميل إليهم ، وستالين الذي كان يحسده وتشرشل الذي كان يعجب به كل الإعجاب . ولم يكن يستطيع على أي حال ، إخفاء غيرته من انتصارات كل الإعجاب . ولم يكن يستطيع على أي حال ، إخفاء غيرته من انتصارات

<sup>(</sup>۱) جيوبيري جاريبالدي وطني إيطالي وقائد عسكري (۱۸۰۷ – ۱۸۸۲) – تولي قيادة الحملة المشهورة باسر حملة الأنف ولعب دو راً كبيراً في وحدة إيطاليا .

 <sup>(</sup>٢) أجيوف جيوليتي (١٨٤٢ - ١٩٢٨) - شفل الوزارة عدة موات ، وكان رئيساً للوزراء .
 أدخل إصلاحات عدة لمصلحة الطبقات الدنيا يتناولت إصلاحاته النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

 <sup>(</sup>٣) فرانسيسكو كريسي (١٨١٩ - ١٨٠١) - سياس إيطانى وبن الذين لعبوأ دوراً كبيراً ف الوحدة الإيطالية ، ألف الوزارة عدة مرات ، وكان له نفوذ ضمنم في السياسات الإيطالية .

<sup>( ؛ )</sup> ارستبد بریان ( ۱۸۲۲ – ۱۹۳۲ ) – سیاسی فرنسی مشهور . آلف الوزارة عدة مرات واشتهر بمیثاق برین – کیلوچ الذی لعب دوراً بارزاً فی السیاسات الأوربیة .

<sup>(</sup>ه) جورج لالزبورى ( ۱۸۵۹ – ۱۹۹۰) – زميم حزب العال البريطاني قبل كليمنت أثلي . « المعرب ،

تشرشل فى كثير من الأحايين . وقد قال عنه ذات يوم . . . « إنه لا يفهم الروح الأوربية ، ولا يفهم شيئاً حقاً ، إلا ما يحتاج إليه هؤلاء الإنجليز . لكنه رجل الساعة ، لأنه يكره الألمان » . وكانت مزيته العظمى فى نظره بالطبع ، أنه لم يكن سياسيناً بقدر ما كان قرصاناً من قراصنة البحر . « فهو رجل عجوز عنيد ، حرون ، لا يتزحزح عن رأيه » ، وكثيراً ما قال عنه لميزاسوما بشىء من الاحترام الذى يكاد يشبه الحب . . . « إنه يشبه والدى إلى حد كبير » .

ولم يكن يتحدث دائماً بمثل هذه الصورة البعيدة عن الحزازات والمغرقة فى التسامح ، فقد كان مجرد ذكر اسم إنسان أمامه . يستفز لديه شعوراً طاغياً من الغضب . وكان اسم فاريناتشى أحد تلك الأسماء التى لم يكن يطيق مجرد ذكرها أمامه . وقال ذات يوم لدولمان غاضباً . . . « لا تذكره أبداً . إنه يريد أن يخلفنى » . وقال مرة ثانية عندما تناول الحديث رجلا فاشياً آخر لم يكن يحبه . . . « لا تذكر اسمه » . واستطرد وهو يعض بعصبية على نواجده . . . « إن سماعى باسمه ، يهيج أعصابى » . وكان يغلى ذات يوم بالغضب والهياج ، فأراد ميزاسوما أن يصرف اهتمامه إلى موضوع يستهويه ، وقال . . . « وأنت با دوتشى ؟ ميزاسوما أن يصرف اهتمامه إلى موضوع يستهويه ، وقال . . . « وأنت با دوتشى ؟ ميزاسوما أن يضلك فى نفسك ؟ »

وقال وهو يبتسم تلك الابتسامة التي كان يتعمد أن تبدو مغلقة ، والتي كان يلجأ إليها دائماً عندما يريد الإفضاء بإحدى تعبيراته الجديدة . . . « أنا ؟ أنا لست بالسياسي ، وإنجا أنا أقرب إلى الشاعر المجنون » .

وكان يود لو كان شاعراً ، كما كان هتلر يود أن يكون رساماً عظيماً ، وكما كان يبدو أن معظم الديكتاتورين يتظاهرون بالمواهب الفنية . وكان يود أن تكون لديه مواهب دانونزيو الخيالية أو مواهب بودلير (١) أو ريمبو (٢) ، وكان يتحدث

<sup>(</sup>١) شارل بيير بودلير (١٨٢١ – ١٨٦٧) – شاعر فرنسي كبير . توفى والله بعد ولادته . وتزويجت أمه من الكولونيل أو بليك الذي أمن للفي دراسة عالية في أرقى المعاهد . قضي حياة بوهيمية في باريس ، ومات متأثراً من الشلل الذي أصيب به . له عدد من دوارين الشعر ، ويعتبر زميم الفترة الأومانطيقية أن الشعر الغرنسي .

 <sup>(</sup>٣) جان أرثر ريمبو (١٨٥٤ - ١٨٩١) - شاعو فرنسى . أبرز مواهب راثعة منذ حداثة سنه .
 عاش حياة بوهيمية وزاول عنداً من المهن . يعتبر من رواد السيريالية والرمزية في الشمر الفرنسى .
 خلف عدداً من دوارين الشمر .

عن هؤلاء الرجال بكثير من الاحترام ، إن لم يكن دائماً بكثير من التمييز والإبراز . ولكنه لم يكن شاعراً ولا حتى من الطراز الذى ظن نفسه فيه . وكان يكتب الكثير الآن، كما كان يفعل دائماً . وقد أنشأ وكالة أنباء أسماها و وكالة الأنباء الجمهورية » تتولى نشر مقتطفات من كتاباته الجدلية ، كما كتب سلسلة من المقالات عن تاريخ حياته لصحيفة و كوريبرى ديلاسيرا » ، ما لبثت أن توسعت فأصبحت كتاباً ، وترجم إلى الألمانية ترجمة إيطالية لأغنية شعبية ألمانية ليقارن بين ترجمته وبين الأصل الألماني ، كما كتب بعض المقالات لمجلة مدرسية . لكن أياً من هذه الكتابات لم يكن من إنتاج شاعر مجنون كما وصف نفسه .

وكان يحس بأنه يدنو من هذا المثل الأعلى الذى أراده لنفسه . عندما كان يعزف على قيثارته . وكثيراً ما سمع يقول . . . « إن العزف يقربى من لمحات الحلود . فمندما أعزف ، أحس وكأن العالم ، قد فر منى » . وكان يعزف دون روعة ، ولكن بقوة ، وأحياناً بشى عمن الجنون المتوحش الذى يوحى بما يحس به هذا العقل العظيم المضطرب من ألم . وتقول مرجريتا سارفاتى . . . « كان ديكتاتوراً حتى فى موسيقاه . فلم يكن يحتر م الأسلوب أو الشكل . وكانت له تعابيره وطريقته ، فهو يعزف بالأسلوب الذى اختاره لنفسه » . وكثيراً ما أغلق باب غرفته على نفسه فى يعزف بالأسلوب الذى اختاره لنفسه » . وكثيراً ما أغلق باب غرفته على نفسه فى دارة فيلتر نييلى ، ليعزف المقطوعات التى يحبها لبيتروفن . وواجنر وشوبير وفيردى ، وكثيراً ما وقف وحيداً فى حديقة الدارة إلى جوار أسوارها الرخامية الزرقاء ، يعزف على قيثارته بقوة وعنف كان حراسه الألمان يعتبر وسما دليل عبقريته . وفي ذات يوم راح يعزف لبعض الضباط الألمان في أنفاض منزل دمرته غارة جوية مقتطفات يوم راح يعزف لبعض الضباط الألمان في أنفاض منزل دمرته غارة جوية مقتطفات عينيه في نشوة ظاهرة .

وكان يحس بحاجة خاصة إلى ذلك الطراز من الهروب العاطني الذي يؤمنه له العزف في الجو الخانق الذي تحيطه به أسرته . وقد كانوا جميعاً تقريباً في الدارة طيلة الوقت ابتداء من بناير عام ١٩٤٤ ، وفي مقدمتهم فيتوريو المتغطرس وغير المحبوب مع زوجته وأطفاله ، وجينا أرملة برونو وأطفالها ، ورومانو ولده

الثالث والطالب في المدرسة ، وآنا ماريا صغرى بناته (١١) . وكان الأستاذ زاخاري يعيش في المنزل أيضاً مع الملازم ديشيروف وهو ضابط في الثانية والعشرين كان يعمل كضابط ارتباط بأمر من هتلر شخصيًّا . وقد وصفت راشيل في كتابها عن تاريخ حياتها ، الجو في المنزل ، بأنه كان في منهى السعادة ، ولكن الألمان لم يكونوا يشتركون معها في هذا الرأى . فقد كان رومانو يتعلم العزف على « الأكورديون ، ، وكان يملأ البيت بأنغامه النشاز . وكانت « الكنتان » كثيراً " ما تتشاجران . وأقنع فيتوريو واللـه بأن يستخدم اثنين من أصدقائه معه ومع ابن عمه فيتو في أعمال السكرتارية ، كسكرتيرين إضافيين يفتقرون إلى الكفاية . وكان الأحفاد يصرخون ويتشاجرون ويملأون البيت صراخاً منادين لجدهم الدوتشي ، بينا كانت راشيل تقتل سخطها ومللها ، بالجلوس صامتة أحياناً ، والانفجار أحياناً في عواصف من التذمر والاحتجاج . وكانت مشكلتها أنها تلقت رسائل غفلا من التوقيع ، تقول إن كلاريتا بيناتشي التي كانت قد أمت في أن تكون قد اختفت من حياة زوجها إلى الأبد . قد عادت إليه الآن ، وأنها تعيش في دارة إ قريبة من البحيرة . ولم تكن قد سمعت عن كلاريتا ، إلا ليلة الخامس والعشرين من يوليو عندما غادرت دارة تورلونيا في رومة خوفاً من هجوم الدهماء ، ولجأت إلى كوخ بواب الدارة ، حيث تحدث إليها أحد الحدم عن خيانة زوجها القديمة العهد لها مع كلاربتا . وقد قال هذا الحادم فيما بعد . . . « كم أود لو لم أبلغها ، فقد أذهلني أنها لم نكن تعرف شبئاً عن موضوع كلاريتا ، .

وكانت كلاريتا قد خرجت مع أسرتها من رومة بعد أن سمعت باعتقال موسوليني ، ولكنها اعتقلت في الثاني عشر من أغسطس عندما كانت في منزل زوج شقيقتها ميريام ، المركيز بوجياتو ، الواقع على بحيرة ماجيوري . وسجنت مع والديها وشقيقتها ميريام في سجن قلعة فيسكونتي في نوفارا ، حيث كانت

 <sup>(</sup>١) كان فيتوريو مشغولا في السنوات الأخيرة في صناعة السيام التي لم يحقق فيها نجاحاً يذكر .
 وهو يعيش الآن في أمريكا الجنوبية . أما آنا ماريا فقد تزوجت مؤخراً في إيطاليا . ويدير رومانو فرقة لموسيقي « الجاذ» الراقصة .

تقضى وقبها تكتب يومياتها مسجلة أحزانها لفراق و بين » وحبها العظيم له . وكتبت ذات يوم فى إحدى هذه اليوميات التى تعتبر نموذجاً لما كانت تكتبه فى تلث الأيام تقول . . . و أحس كأنى عصفور ، وقع خطأ فى طريق مسدود ، فهو يضرب رأسه بالجدار أمامه فزعاً خائفاً » . ويبدو أنها لم تقنع بمثل هذه اليوميات الرومانطيقية ، إذ راحت تبعث فى كل يوم برسالة إلى قصر البندقية آملة فى أن تصل رسائلها بطريق أو بآخر إلى موسولينى . وفى إحدى هذه الرسائل . . . كتبت نفول و لا أدرى إن كانت رسالتى هذه ستصل إليك ، أو إن كانوا سيقرأونها . أجل لا أدرى ، ولا يهمنى إذا قرأوها . وقد كنت فى الماضى أخجل من أن أحدثك عن حبى ، أما اليوم ، فأنا أريد أن يسمع العالم كله ، منى بأعلى صوفى ، أنى أحبك ، بل أحبك أكثر من أى وقت مضى » .

وكانت لا تزال في سجمها تكتب بمثل هذا الهوس الذي لا يشبع من الكتابة عندما طار حبيبها عائداً إلى إيطاليا من مونيخ . وقررت أن تعود إليه . ونقلت الراهبات اللائي كن يتولين حراستها ، رسالة منها إلى أخيها مارسيلو الذي مضي بدوره إلى مقر القيادة الألمانية في نوفارا . وسرعان ما أطلق سراح أفراد الأسرة جميعاً ، وبعد أيام ، حملتها سيارة عسكرية ألمانية من الفندق الذي نزلت فيه في ميلانو للاجتماع بموسوليني . وعندما عادت إلى الفندق ، كانت تكاد تطير من السعادة والفرح . وقالت لأهلها ، إنه سمح لها بالعودة إليه ، وأنها ستجتمع الميه فى كل يوم ، بعد أن يعثروا لها على بيت مناسب على بحيرة جاردا . وسرعان ما أعد بوفاريني - جيدي، العدة لنقل أسرتها إلى دارة فيور داليزو في أراضي إقطاعية دانونزيو ، وكانت الدارة بيتاً واسعاً كثيباً ، كانت السلطات قد أحالته إلى متحف . وأعطوها غرفة جلوس في برج دارة دانونزيو نفسها المسهاة بفيتوريالي ، وخصصوا ها صابطاً ألمانيًّا يقوم على حراستها خوفاً من رجال المقاومة السرية . وبالرغم من أنها كتبت إلى أختها تعرب عن شكرها لحرص الألمان عليها ، لتعيينهم مثل هذا الحارس الشاب الحميل ، الذي مالت إليه ، ليتولى حراسها ، إلا أنَّ الرائد فرانز سبوجلر ، كان جاسوساً عليها أكثر منه حارساً . وكانت مهمته الأساسية أن يبعث إلى رثاسة الجستابو في فيينا بتقرير أسبوعي عن كلاربتا

بيتاتشي ، إذ كان يظن أن تأثيرها على الدوتشي قد لا يكون نافعاً .

ولم يكن موسوليني برى عشيقته في الواقع إلا لماماً . فقد أصبحت غضبات راشيل النابعة عن الغيرة شيئاً لا يطاق ، مما دعا إلى التقليل من زيارة كلاريتا . وكان لا يذهب إلى الفيتوريالي ، حيث تقيم إلا فادراً في الأسسيات و بعد أن يجن الليل ، حيث لا يقضى إلا وقتاً قصيراً . وكان يمضى إلى المكان في سيارة و فيات ، صغيرة ، مخلفاً سيارته الرسمية و الالفاروميو ، أمام المدخل الرئيسي لمكتبه في فيلا ديل أوسوليني . وكانت اجهاعاتهما حزينة وقصيرة على حد تعبير كلاريتا . فيلا ديل أوسوليني . وكانت اجهاعاتهما حزينة وقصيرة على حد تعبير كلاريتا . فالمكان رطب و بارد ، والغابات المحيطة به ملأى بالجنود الألمان . وهكذا ضاعت السعادة ، ولم يعودا يذوقان طعماً للعزلة . وقد أبلغها مرتبن أنه لن يعود إلى زيارتها ، ولكها كانت تبكى بين أحضانه ، متوسلة إليه أن لا يهجرها ، فكان يضعف أمامها ، ويعدها بالعودة .

وعجزت راشيل ذات يوم عن السيطرة على عواطفها وكبت غيرتها . فعزمت على أن تضاعف من شقاء كلاريتا ، وأصرت على أن يأخذها بوفاريني - جيدى ، لترى خليلة زوجها . ووصلت راشيل إلى الفيتوريالي ، وهي ترتعد من الغضب . وأطالت كلاريتا عليها الانتظار ؛ ثم هبطت إليها ترتدى ثوباً فضفاضاً ، وبرفقتها الرائد سبوجلر . وكانت تبدو شاحبة وفي منتهى الإعياء ، وجلست إلى مقعد ، تلوى منديلا بين أصابعها ، ولم ترد على راشيل وهي تطلب إليها أن تترك زوجها وشأنه . وثارت راشيل لصمتها ، فتقدمت منها وهي نكاد تجن من الغضب وأمسكت بكم ثوبها . وهنا انفجرت كلاريتا باكية تقول . . . « إن الدوتشي يحبك يا سيدتي . ولم يسمح لي قط أن أذكرك بكلمة سوء أمامه » .

وأصيبت راشيل بما يشبه اللهول ، ولكن عندما عرضت عليها كلاريتاصوراً مطبوعة من الرسائل التي كان موسوليني قد بعث بها إليها ، عاودها الغضب وقالت صارخة . . . «أنا لا أريد رسائل مطبوعة ، فلم أجئ لهذا . . . »

وقالت كلاريتا . . . ولكن لم جثت يا سيدتي ؟

وظلت راشيل صامتة لحظة طويلة . . . وروت كلاريتا فيها بعد تقول . . . « وظلت تنظر إلى ، وقد وضعت يديها في خصرها . وسرعان ما انهالت على

بالسباب والشتائم ، ووجهها يزداد حمرة لحظة بعد أخرى ٣ .

وقررت كلاريتا أن تتحدث بالهاتف إلى موسوليني . . .

وقالت له . . . ق اسمع يا بين . إن زوجتك هنا . ماذا تربدنى أن أعمل ؟ وخطفت راشيل منها السماعة ، وأجبرت زوجها على الاعتراف بأنه كان بعرف أمر زيارتها . واشتد غضبها الآن إلى درجة الجنون ، وقالت لكلاريتا ، إن الفاشيين يكرهونها أكثر من كراهية رجال المقاومة السرية ، وأغمى على كلاريتا مرتبن ، واضطر بوفاريني – جيدى ، إلى الإسراع بحثاً عن قالنشادر » لتستفيق من واضطر بوفاريني – جيدى ، إلى الإسراع بحثاً عن قالنشادر » لتستفيق من إغمائها . وعندما أفاقت ، واحت تجلس إلى مقعدها وهي تبكى بحرقة . وخيل إلى سبوجلر أن راشيل كانت تبكى أيضاً عندما غادرت المكان .

وهكذا وجد موسوليني نفسه ، وقد ضايقه الشجار بين زوجته وخليلته ، ومل من المعارك بين زوجتي ولديه ، وسم وزراءه الذين يضجرونه بتفاصيل لم تعد تهمه في قليل أو كثير ، راغبا في الوحدة متلهفا عليها . وكان لا يغادر فراشه في الأسابيع القليلة الأولى من إقامته في جرجنانو قبل الساعة العاشرة صباحاً ، ولا يترك منزله إلى مكتبه في دارة أورسوليني قبل الحادية عشرة والنصف أو الثانية عشرة . ولكن لم يحل ربيع عام ١٩٤٤ ، حي كان قد أصبح يبكر شيئاً فشبئاً في موعد استيقاظه ، وكثيراً ما وصل إلى مكتبه قبل الساعة الثامنة حيث يظل حتى الثانية ظهراً ، ليعود بعدها إلى منزله ، حيث يتناول غداء خفيفاً يفرغ منه كوجباته الأخرى بسرعة هائلة ، مغادراً قاعة الطعام قبل أن يكون الآخرون قد شرعوا في تناول طعامهم . وكان يعود ثانية إلى مكتبه أو يجلس في غرفة الاستقبال السيئة الأثاث ، والزخرفة ، حيث يستقبل زائريه ، فلا يعود إلى منزله قبل الثامنة أو التاسعة مساء .

وبالرغم من أنه كان يقضى الساعات الطوال وهو جالس إلى مكتبه ، فإن القضايا التى كانت تشغل تفكيره حقاً كانت ذات طابع فلسنى أو شخصى ، ولم تكن من القضايا العملية أبداً . ولم تكن مشاكل الحكم تشغله إلا لماماً ، فيغرق فيها مفكراً ، ولكن هذه القضايا لم تكن في الواقع من النوع الذي يستحق منه كل هذا الاهمام الفجائي .

فقد كان منصرفاً بالغ الانصراف فى اهتامه وتصميمه ، إلى الحصول على اعتراف الفاتيكان الرسمى بعهده ونظام حكمه . وقد ذكر ذات يوم إلى بعض أصدقائه بشيء من الإجهاد أنه لا يستطيع المضى فى الحكم دون هذا الاعتراف ، وإن كان يعرف أن عمل حكومته لن يحظى بمزيد من النجاح من جراء اعتراف الفاتيكان بعهده . كانت القضية موضوع كبرياء شخصية ، إذ بدأ يحس بالمهانة من جراء تردد البابا فى الاعتراف بحكومته وأصبحت القضية تؤلف لديه كابوساً ، هما حمله على أن يعلن أن صبره قد نفد ، وأنه قد يعلن إلغاء الاتفاقات السابقة مع البابوية ، ويقيم كنيسة منفصلة عن الفاتيكان . وتطرف فى اتجاهه هذا ، إلى حد الشروع فى دراسة مؤهلات بعض القسس على أسس سياسية ، لاحتلال مراكز الشروع فى دراسة مؤهلات بعض القسس على أسس سياسية ، لاحتلال مراكز المطارنة ، ولم يثنه عن عزمه المتهور هذا إلا الألمان الذين لم يكونوا راغبين فى أن تزداد علاقاتهم السيئة مع البابوية تردياً بسبب هذا الموقف .

وكانت القضية الأخرى التى تثير اهتامه فى هذه الأبام وتلهب حماسته ، هى أنه كان يرى فى نفسه رجلا لم يفقد فى قرارة فؤاده قط تلك المبادئ الاشتراكية التى آمن بها فى شبابه . وبالرغم من أن معظم وزرائه ، كانوا يستنكرون فى مجالسهم الحاصة هذا الإيمان المتجدد فى الاشتراكية الصحيحة ، ويعتبرونه اتجاها خاطئاً إلا أنهم ما كانوا ليشكوا قط فى إخلاص هذا الإيمان وصدقه . ولم يكن هذا الإيمان بالطبع مجرد نزوة طارئة يتحمس لها ، وإنما ظل حينًا معه حتى النهاية . وكان يغرم بالقول دائماً . . . « إن الاشتراكية هى حجر الزاوية فى الجمهورية » . وكانت مثل هذه الأقوال تثير الفزع عند الألمان وعند الصفوة الفاشية الجديدة وعند كل التخوف من محاولة موسولينى فى توسيعه الصورة الفاشية الجمهورية التى يرسمها عن طريق التنازل ، تقديم تنازلات خاضعة لليسار ، وهى تنازلات تصل حدود عن طريق التنازل ، تقديم تنازلات خاضعة لليسار ، وهى تنازلات تصل حدود بأسطورة الدوتشى كرجل أسمى (سوبرمان) .

وكان التركيب المذهبي للجمهورية الاشتراكية قد وضع في فيرونا في الرابع عشر من نوفمبر عندما انعقد المؤتمر الأول للحزب الجمهوري الفاشي لتحديد المبادئ التي سيحكم الحزب عن طريقها . وقد بدأت أعمال المؤتمر بتلاوة رسالة من

الدوتشى أكد فيها أهمية العودة إلى ٥ النوايا الأصلية للثورة الفاشية ». وكان ٥ بيان فيرونا » الذى صدر فى النهاية عن المؤتمر تكراراً إلى حد بعيد لتطلعات عام ١٩١٩ ، مع إضافة إشارات كثيرة أصبحت تحمل طابع الإلزام فى المحافل الفاشية إلى ٥ انحلال الملكية وانهيارها ٥ . وكانت أهم نقاط هذا البيان بالنسبة إلى موسوليني تلك التي تتعلق بالترفيه عن العمال ، وقد رفض تقبل الرأى القائل بأن هذا المنحى الاشتراكي كان اهتماماً جديداً اكتشفه في نفكيره .

وكان يقابل كل انهام ، ولا سيا تلك الانهامات التي يقرؤها أحياناً في المصحف ، من أن الفاشية ، لم تكن نهم في الماضي اهتماماً جديباً بخير الطبقة المعاملة ، وأن الراسمالية البورجوازية هي التي أبقتها في الحكم ، بغضب شديد وازدراء ، لا يضاهيه إلا الازدراء الذي يحتفظ به لكل من روزفلت والملك وأنطوني إيدن . وعندما قرأ ذات يوم ، نبأ صحفيباً عن اجتماع عقده الاتحاد العام للعمال في نابولي ، حيث ادعى أحد الحطباء أن القوانين الاشتراكية التي وضعت في السهد الفاشي لم تكن ذات نفع للعمال ، واح بدرج على الفور مقالا عاطفيباً نشرته وكالة الآنياء الحمهورية رد فيه على ادعاءات الحطيب معدداً القوانين التي أصدرها لمنفعة العمال ، وعدد المستشفيات التي أقامها لم ، والرواتب التقاعدية والمكافآت التي أمنها لهم ، ومقاييس الحد الأدنى من الأجورالتي طبقها في البلاد . و واح يقول بعد ذلك . . و ولا ريب في أن هذه الاتهامات ليست صادرة إلا عن الشيوعيين وغيرهم من أعداء البلاد الذين يستخدمون العمال (بيادق) في (لعبة الشطرنج) الشيطانية التي يلعبونها . ولكن العمال أنفسهم يعرفون زيف هذه الانهامات وكذبها » .

وقال فى مناقشة تالية حول نفس الموضوع . . . « يستحيل على المرم إفساد الطبقة لبروليتارية العاملة . فالعمال لا يعرفون الخيانات التى يعرفها البورجوازيون . فالبورجوازيون بعقلياتهم المادية وأطماعهم ، هم خراب إيطاليا . وكنت أومن بالاشتراكية فى صميم فؤادى منذ عهد بعيد » .

ومن الصحيح القول ، إنه بالرغم من أنه لم يكن يولى النواحى الأخرى من أعمال حكومته مزيداً من اهتمامه ، إلا أنه كان مصمماً على أن يظهر أن جمهوريته الاشتراكية تستحق هذا الاسم بالرغم من ضاّلة ما لديها من سلطان وموارد .

وفي الشهر الأخير من حياته ، أي بعد أن أنهار خط الدفاع « القوطي » ، وأصبح أنهيار بناء المحور المتداعي ، وحكومته بالذات أمراً مؤكداً ، كان لا يزال يولى عنايته لقضابا لم يعد لها محل بعد هذه التطورات الأخيرة ، كاحمال إدخال الزراعة الجماعية إلى إيطاليا ، وإعادة تنظيم المستشفيات لإيواء المصابين بالسل من الفقراء . ولقد تحدث « مولهاوزن » إلى « ران » بأن موسوليني كان – حتى في تلك اللحظات التي نأى فيها عن الناس ، وأخذ بنادي بأن عمله أصبح جزءاً من التاريخ – واقعاً تحت سيطرة فكرة أصيلة في أن يخلف وراءه في إيطاليا ، إطاراً يمكن من بناء دولة الرفاه في المستقبل ضمنه :

لكن عدد القضايا من هذا الطراز في إثارتها لاهتهامه ، كان ضييلا للغاية ، وكان يصرف جل أوقاته في مكتبه في القراءة والكتابة ، وكان يطلب أن لا يضايقه أحد ، فأصبح بنأى شيئاً فشيئاً عن طبيعة الديكتاتور ويدنو كل يوم من طبيعة الاستاذ الجامعي » ، الذي كان بشبهه إلى حد كبير على حد تعبير الدكتور زاخارى . وكان مكتبه غرفة صغيرة مزدحمة ، فيها مدفئة رائعة وكبيرة من الرخام ، ومكتب في زاوية الغرفة حيث كان يجلس الساعات الطوال ، وحيداً ، يقرأ ويكتب ويتطلع من النافذة إلى الحديقة . وكان إذا ما دخل أحد سكرتيريه الغرفة ، رفع رأسه ببطء إليه ، دون أن يزيح نظارته عن عينيه . وهي النظارة التي أصبح يحتاج رأسه ببطء إليه ، دون أن يزيح نظارته عن عينيه . وهي النظارة التي أصبح يحتاج وكثيراً ما تورم جفناه ، والنهبا ، وكان يعترف طائعاً بأن نظره آخد في السوء يوماً وكثيراً ما تورم جفناه ، والنهبا ، وكان يعترف طائعاً بأن نظره آخد في السوء يوماً بعد آخر .

ولم يعد يهم بالتظاهر ، وبإيحاء الانطباع للآخرين ، بأنه صاحب عقل عظم يعمل ، كما كان يفعل في قصر البندقية ، حيث كان مكتبه ، يبدو أحياناً خالياً من كل ملف أو كتاب ليوحي لزائريه ، بأنه يستوعب في عقله كل ما يريد أن يعرفه ، وأحياناً مثقلا بالملفات والأوراق والوثائق ليظهر أنه إنسان مشغول جداً . أما مكتبه هنا في دارة أو رسوليني فكان يفتقر إلى الترتيب . فالصحف لا قصاصاتها ، والأوراق والكتب ، والأقلام الملونة والصور منتشرة فوقه بلا نظام أو ترتيب ، وبلا فائدة أيضاً . وتطلع أحد الصحفيين لذات يوم إلى مجموعة الكتب المنتشرة وبلا فائدة أيضاً . وتطلع أحد الصحفيين لذات يوم إلى مجموعة الكتب المنتشرة

فوق المكتب ليعرف ما الذي يقرؤه الدوتشيي ، فوجد أنها مجموعة لا اختيار فيها ، ولا انتقاء ، إذ بينها كتب دوستويفسكي وتولستوي ، وهمنجواي وأفلاطون وسافو وكانت وكتاب شولوخوف « هادئاً ينساب الدون » وكتب نينشه وكتاب إميل لودفيج عن نابوليون،وكتاب سوريل « نظرات في العنف » وكتب جوته وشو بنهاور وبعض الكتب عن السيد المسيح وعن فريدريك الكبير وبيتموفن، وكلها تتضمن قصاصات من الورق منتشرة بين صفحاتها لتشير إلى فقرة مهمة أو خطوطاً متناثرة هنا أو هناك بالأقلام الملونة على الهوامش . وكان يبدو منهمكاً أحياناً إلى الحد الذي يدعوه ، إلى صرف زائريه أو الموظفين الذبن يقصدونه ، ولا سما إذا كانوا من الألمان بإحالتهم بشيء من نفاد الصبر إلى جرازباني أو إلى وزير الثقافة الشعبية ، أو كبير سكرتبريه الحاصين . وكتب ضابط ألماني شاب يدعى فورست أوراخ إلى يعض أصدقائه في ألمانيا يقول . . . ه يميل الدونشي إلى الانسحاب من جميع شؤون الحكم . فإذًا ما زاره أحد الجنرالات الألمان يطلب شيئًا ، رد عليه قائلا . . . « آ ه . . . راجع جرازياني » . وإذا ما زاره ليبرز أو غبره من الخبراء الاقتصاديين قال له . . . « تحدث فى الموضوع إلى وزير الاقتصاد» . وإذا ما أصرأحد الزائرين على أن القضية التي جاء من أجالها في منهى الأهنية وأنها تنطاب قراراً من الدونشي شخصيًّا ، رد موسوليني ، بأنه لا يستطيع انخاذ مثل هذا القرار ، وأن على الألمان أن يتخذوه ، إذ أنه لا يعدو أن يكون رئيس بلدية جارجنانو .

ولكن مهما كان تشنيعه على الألمان وحقده عليهم . إذ كان يسميهم أحياناً • بانجرمين بطبعهم ، ويشير إليهم أحياناً بهؤلاء « الأوغاد البرابرة ، القساة الظالمين ، الذين يتميزون بالعنف والطغيان ، . فإنه لم يكن قادراً على الإفلات من تأثير زعيمهم السحرى عليه .

وقد مضى فى الواحد والعشرين من أبريل عام ١٩٤٤ ، إلى ألمانيا لمقابلته . وتلقاه هتلر فى سالزبرج فى أحضانه ، وراح هو يؤكد الفوهرر من جديد إيمانه الذى لا يتزعزع بانتصار ألمانيا النهائى . وكان جو الاجتماع وديبًّا ومريحًا ، مما شجعه . ولا سيما أنه قد وجد إلى جانبه كلا من جرازيانى ومازولينى اللذين وافقاه فى زيارته ، وفيلببو أنفوسو ، سفيره الجديد فى برلين ، على أن يحتج لدى هتلر ،

على احتلال الألمان لمنطقة الأديج وتريستا ، وهو الاحتجاج اللك سبق له أن ضمنه رسائله إلى هتلر ، وعلى أن يلفت نظر صديقه إلى ما يلقاه العمال الإيطاليون من سوء معاملة في ألمانيا . وتجاوب هتلر معه ، ووعده بأن يعيد النظر فى الموضوع ليرى ما يستطيع أن يفعله فيه . لكن هتلر لم يفعل شيئاً ، وعندما مضى موسوليني للقائه ثانية بعد ثلاثة أشهر ، كان جو الاجماع محتلفاً كل الاختلاف ، إذ تميز بالتوثر الشديد منذ البداية ، فقد تقدم إليه هتلر على رصيف المحطة ، وهو يعرج بعض الشيء ، وبدا الشحوب على وجهه . وضم الفوهر ريده اليمني بقوة إلى صدره ، وقدم إلى موسوليني يسراه ، معتذرًا بأنه أصيب في حادث بسيط . وسار به بعد قليل إلى بقايا الكوخ الذي تفجرت فيه قنبلة العقيد جراف كلاوز فون شتوفينبرج قبل برهة قصيرة ، إذ كان الدخان لا يزال يتصاعد من الركام ، وكانت جثث الفتلي الأربعة الذين أصيبوا في الحادث قد نقلت من مكانها قبل لحظات . وكان شتوفينبرج قد حمل القنبلة إلى غرفة الاجتماع في حقيبته البدوبة الني وضعها تحت المنضدة التي انتشرت فوقها الخرائط أمام الفوهرر ، وكان أحد الضباط قد تعشر فيها تحت المنضدة ، فأزاحها بقدمه بعيداً عن هتلر . وقال الفوهرر لصديقه إن العناية الإلهية قد أنقذته ثانية ، وبينت له أن القدر شاء له أن ينتصر على أعدائه . ورد موسوليني بكثير من الكياسة . . ﴿ لا ربب في أنني ا أشاطرك الرأى تمام المشاطرة ، وإن نجاتك علامة من السهاء ٪ . وبدا الفوهور في منتهي الهدوء ، كما خيل لموسوليني ، لكن هدوءه كان أكثر من المعتاد ، إذ جلس بعد انتهاء الاجتماع مع موسوليني إلى جانب ريبنتروب وجورنج ، بتناول الشاى مع ضيفه دون أن ينبس ببنت شفة ، مواصلا التطلع إلى الجدار الماثل أمامه ، ومبتلعاً بين الفينة والفينة إحدى حبات الدواء الملونة . وانقضت ساعة كاملة ، وموسوليني وجرازياني ، يصغيان إلى القادة الألمان وهم ينناقشون في الأسباب التي أدت إلى عدم الفوز في الحرب ، وإلى جورنج وهو يحمل كايتل المسئولية حيناً ، ويشير متوعداً بعصا الماريشالية التي يحملها إلى ريبنتروب حيناً آخر. وذكر أحدهم اسم روهم(١١) ، وعملية تطهير عام ١٩٣٤ ، وهنا قفز هتلر من مكانه ، فجأة ، وبدأ يخطب ، مصرًا على أن العناية الإلهية بتدخلها لإتقاذه من

الموت ، قد أظهرت من جديد أنها اختارته ليكون «رجل القدر» ، وليكون الرجل الله ينقذ أوربا والعالم بأسره . وقال إن الواجب يدعوه إلى أن لا يستشى أحداً من انتقامه . وظل يتحدث على هذا النحو أكثر من نصف ساعة ، بيما خيم الصمت على القادة الألمان ، وظل موسوليني يتطلع إليه وقد سمرت نظراته فيه ، مذعوراً من صرحاته الحاشدة بالتهديد والوعيد المحمومين . وأخيراً جاء الحدم يحملون الشاى ، وعاد الفوهر و إلى مقعده ، وقد عاوده الصمت الذي زايله عندما ذكر اسم روهم أمامه .

وبدا مرسوليني مذعوراً من سلوك هتار ، وعندما توادعا في المطار قبل عودته إلى إيطاليا ، لم يتجاوب مع كلمات هتلر العاطفية على النحو الذي كان يفعله في الماضي . لكن هتلر لم يتأثر ببرود الدوتشي وجموده ، فأطال لحظة الوداع ، وظل يمسك بيده ، وهو بتطلع إلى عينيه ، وذكر راهن لمولهاوزن عندما عاد إلى بحيرة جاردا ، أنهما ظهرا كعشيقين ، وقال هتر ، بادى التأثر والانفعال ... وأن أعرف أن في وسعى الاعتاد عليك . وفي وسعك أن تصدق بأنك أحسن صديق ، بل لعلك الصديق الوحيد لى في هذا العالم » . ولم يكد الدوتشي يسافر ، حتى أصدر هتلر أوامره ، بإقامة ملجأ من الغارات الجوية في دارة موسوليني في فيلتر نبيللي ، لكن موسوليني لم يزر الملجأ إلا مرة واحدة ، عند ما مضي لتهنئة العمال الذين تولوا بناءه .

وهكذا لم تكن للاجتماع الذي عقده الرجلان أية فائدة . فلم يعد موسوليني إبانه إلى تكرار الشكاوي التي كان قد وجد الشجاعة في نفسه لذكرها في اجتماع أبريل الماضي ، ولذا فقد آب إلى إيطاليا هذه المرة واجمآ حزيناً . وكان الناس قد ألفوا منه أن يعود من زياراته إلى ألمانيا ، مليئاً بالثقة ، وبالمعنويات العالية ، لكنهم وجدوا أن تبدله هذه المرة كان باتجاه الأسواً . وكان أحد موظفي سفارته

فى برلين قد زوده ببعض الإحصاءات عن الإيطاليين فى ألمانيا ، وقد أفزعته هذه الإحصاءات أشد الفزع (١) .

وعاد إلى عمله الرتيب التافه وقد هبطت حيويته . وتدنّت حماسته عن ذى قبل . وكان فى مطلع ذلك الصيف كثيراً ما يلعب كرة المضرب لا التنس ، فيسمح له خصمه بأن يغلبه ، ولكنه ، سرعان ما مل هذه اللعبة أيضاً ، وأخذ يحصر تمريناته الرياضية فى ركوب الدواجة حول شاطئ البحيرة ، وفى المسير فى الغابات وحيداً وبصحبة ولده رومانو ، يتبعه حراسه الألمان . وسرعان ما توقف عن تلى الدوس الألمانية التى كان قد شرع فيها بمعدل ثلاث مرات فى الأسبوع ، فهو قادر على أن يحمل الآخرين على فهم ما يقول ، ولم يعد فى حاجة إلى الطلاقة فى هذه اللغة . ودأب فى هذه الفترة على الدهاب إلى مكتبه مبكراً ، وكثيراً ما وصل إليه قبل الثامنة ، هروباً من الضجيج فى منزله ، ولا يعود إليه إلا متأخراً ، ليقضى المساء حيثا استطاع وحيداً فى غرفته يقرأ ، أو جالساً إلى مقعد مريح وقد ضم يديه وراء رأسه ، منطلعاً إلى الأفق البعيد وراء البحيرة ، حتى تغطس الشمس فى مغيها .

وكان يكره شفق المغيب . فكان إذا ما غابت الشمس ، سارع إلى الدخول ، ليضى النور فى غرفته . وتعطل التيار الكهربائى ذات يوم وحمل إليه كونيتو نافارا ، الذى عاد إلى خدمته فى هذه الآونة ، مصباحاً عادياً . وذكر نافارا هذا ، أنه لم يستطع احتمال ضوء المصبح الخافت ٥ فمضى إلى الحديقة ، حتى عاد النور إلى المنزل ، وظل تلك الفرة بقف إلى شاطئ البحيرة ، يقذف بالحصى فى ماتها ٥ .

وكان طبيبه الإيطالى والأستاذ زاخارى يتناويان عيادته كل صباح ، ليطمئنا على أن الحمية التى فرضاها عليه ، قد تركت أثرها النافع في صحته . وكان شحوبه قد اشتد إلى حد كبير ، كما لاحظ زاخارى ، وكثيراً ما ظهرت عيناه محمومتين وهما ببر زان من محجر بهما ، في رأسه الضامر الهزيل . وكان فطوره يتألف في العادة

<sup>(</sup>١) يقول سالفاتوريلي وبيراً ، إن نحواً من سبعائة ألف إيطالي قد أرسلوا إلى ألمانيا إبان الحرب للقيام بأعمال عادية غير القتال ، وإن ثلاثين ألغاً منهم لقوا حتفهم .

من قدح من الشاى ليس إلا ، أما غداؤه وعشاؤه ، فخفيفان للغاية . ولم يعد يتناول الحليب مع أنه كان في الماضي يأخذ ستة أقداح كبيرة منه في اليوم . وأصبحت البزة العادية البسيطة لرجال الحرس الفاشي التي ألف ارتداءها في هذه الآونة ، تبدو مهلهلة عليه ، بالرغم من كبها دائماً كينا دقيقاً . واتسعت ياقات قمصانه حول عنقه الذي أصبح ضامراً ، بعد أن كان يتميز بالغلظة ، وبدت التجاعيد عليه وكأنه جلد سلحفاة كثير الغضون . وكان يحرص كل الحرص على حلق شعر رأسه ، بينها كانت تجيء إليه فتاة من جاردون مرتين في الشهر لتقليم أظافره ، وتزيينها . وكانت هذه هي البقية الباقية من المظاهر التي كانت ترضي غروره الشخصي في الماضي ، والتي كانت تستبد بتصرفاته . وذكر خادمه نظارا عن هذه الأيام ، قائلا . . . 8 ولم يكن مزاجه رينةاً في هذه الأيام إلا لماماً ، وكثيراً ما أعقبت هذه الأيام الالماماً ،

وقرر بعد شهر من زيارته لهنار فى بروسيا ، أن يقوم بزيارة للجبهة . وشجعته الهتافات الموعز بها التى تلقاها عند وصوله إليها ، على البقاء خسة أيام يطوف خطوط القتال ، مسدياً نصائحه إلى الجنرالات الذين لم يأبهوا بها ، ومقترحاً هجمات مضادة لم تكن ممكنة من الناحية العملية . وكان كيسلرنج بصغى إلى ما يقوله بمنهى الكياسة ، لكن موسوليني أحس بالانزعاج البالغ ، وهو يرى أن اقتراحاته لا تجد أذنا صاغية أو اههاماً عند القائد الألماني . وسمع موسوليني ذات يوم وهو يقول . . . وان كيسلرنج هذا ، لا يساوى قلامة ظفر » .

لكن الهتافات التي سمعها من الجنود الإيطاليين والألمان في الجبهة ، تركت في نفسه آثراً منعشاً للغاية . فقد عاد إلى جارجنانو ، وقد عاودته الثقة والأمل ، وراح يعيد على مسامع راشيل المرة تلو المرة ، كيف أن الجنود قد أظهروا له منتهى الحب والولاء . وراح يقول لها . . . « وكان الألمان جد متحمسين بصورة خاصة إلى حد الجنون ، وقد وقفوا في خنادقهم النصيقة ، وقفة التأهب لاستقبالي » لكن أمر هذه الحالة النفسية المنتعشة لم يطل . فلم يمض أسبوع واحد ، حتى كان يعود إلى يأسه السابق .

ومضى منقذه أوتو سكورزيني لزيارته في شهر يونيو، فوجده في منتهىالتشاؤم

والتبلد . ويقول العقيد سكورزيني . . . «كان موسوليني هادثاً للغاية ، وبدا لى وكأنه قد استسلم وفقد كل رغبة في المقاومة . ولم يعد ذلك الرئيس القوى الذي يوجه وزراءه ، وإنما بات يدعهم يتصرفون كما يشاءون . . . وكان في هذه الأيام أقرب إلى الفيلسوف منه ، إلى رئيس الحكومة . وراح يحدثني عن التاريخ الألماني ، اللذي كان واسع الاطلاع فيه ، وعن الأسس الفلسفية للفاشية ، وعن ضرورة تغييرها في المستقبل . وكان يحاول إخفاء تشاؤمه عن أفراد أسرته » ، واكنه لم يفلح .

وكتبت راشيل تقول . . « ومع مضى الأيام ، كان يزداد وجوماً و إمعاناً فى التفكير . وبات فى وسعى من الطريقة التى كان يتحدث إلى فيها بين الحين والآخر ، أن أحس بما يعانيه من علماب دائم ، من هذا الصراع المميت بين الإيطاليين وراء حبهة القتال . وكان يظل عى وجومه وحيرته وشرود ذهنه ، حتى وهو يتناول طعامه . وكثيراً ما أصغى إلى صامتاً ، ثم سمعته فجأة يقول . . . عم كنت تتحدثين ؟ )

ولم يكن ثمة من شك فى أن هذا الصراع الذى أشارت إليه راشيل كمصدر عذاب دائم للدوتشى ، كان قد تحول فى نهاية عام ١٩٤٤ إلى صورة حرب أهلية .

## الحرب الأهلية من نوفبر ١٩٤٤ إلى ديسمبر ١٩٤٤

α روت أن لا يظل الحزب منظمة سياسية بل يتحول إلى
 منظمة عسكرية ليس إلا α .

كانت الخطط قد أعدت لتنظيم المقاومة السرية ضد الألمان في إيطاليا ، قبل بروز الجمهورية الاشراكية إلى حيز الوجود بأمد طويل. ولم تكن نهاية عام ١٩٤٣ قد حلت ، حتى كانت بلحان التحرير الوطني السرية قد أقيمت في معظم الملدن الكبيرة في شمال إيطاليا ، وجم تأليف عصابات ، الأنصار » من رجال المقاومة السرية . وقد تألفت هذه العصابات من الجنود الذين فروا من الجيش الإيطالي ، الذي انحل تقريباً بعد توقيع الهدنة ، ومن المجرمين من الجيرفين والمغامرين ، ومن الأشخاص الذين جعلوا من أنفسهم خصوماً المفاشية المتحرفين والمغامرين ، ومن الأشخاص الذين جعلوا من أنفسهم خصوماً المفاشية على طرد الألمان من البلاد . ولذا لم تكن هذه العصابات في البداية أفضل من هي طرد الألمان من البلاد . ولذا لم تكن هذه العصابات في البداية أفضل من المبت أن تبدئت في وقت قصير . فقد انضم إليهم عدد من المخلصين في عدائهم ما لبثت أن تبدئت في وقت قصير . فقد انضم إليهم عدد من المخلصين في عدائهم المبت أن تبدئت في وقت قصير . فقد انضم إليهم عدد من المخلصين في عدائهم المشت أن تبدئت في وقت قصير . فقد انضم اليهم عدد من المخلصين في عدائهم المشت أن تبدئت في وقت قصير . فقد انضم إليهم عدد من المخلصين في عدائهم المشت أن تبدئت في وقت قصير . فقد انضم إليهم عدد من المخلصين في عدائهم المشت أن تبدئت في وقت قصير . فقد انضم إليهم عدد من المخلصين أن يكون في مستقبل بلادهم ، ومن الضباط النظاميين الذين اعتبروا أن جيش الجمهورية أكثر من تابع لألمانيا أو قوة شرطة ، الغاية مها فرض الإجراءات التعسفية الفاشية .. أكثر من تابع لألمانيا أو قوة شرطة ، الغاية مها فرض الإجراءات التعسفية الفاشية ...

<sup>(</sup>١) أعتقد أن في هذه الصورة حطاً من شأن حركات المقاومة السرية في إيطاليا وغيرها في البلاد التي استعبدها الألمان في أوربا ، يخالف الحقيقة والواقع ، وإن كان المره لا يستطيع أن ينكر أن مثل هذه الحركات السرية ، لا بد وأن تضم البعض من هذا الطراز . لكن الغالبية تظل من أولئك الذين لا هم لهم إلا تتحرير وطنهم .

والمناهضة للملكية (١). وقد أضنى هؤلاء الضباط على رجال حركة المقاومة إحساساً بالمسئولية وصورة محترمة ، وأصبح أحدهم وهو الجنرال رافائيل كادورنا فجل الماريشال الكونت لويجي كادورنا أحد القادة العاملين السابقين للجيش الإيطالي ، قائدهم . لكن هؤلاء الضباط لم يكونوا في الواقع القادة الفعليين للحركة، إذ ظلت منذ البداية تحت سيطرة أيد أقل اههاماً بموضوع التحرر .

وعقد في نوفير من عام ١٩٤٣ . اجتماع في بلدة مونشيروفي مقاطعة بيدمونت ، كان نموذجاً للاجتماعات الكثيرة التي عقدت في ذلك الشناء . وكشف عن الاتجاه الغالب على حركات المقاومة السرية . تقرر في هذا الاجتماع الذي أداره لويجي لونجو ، الذي غدا فيا بعد نائب زعيم الحزب الشيوعي الإيطالي (١٠) أن الطريقة الفعالة لتقوية منظمتهم ، وهي منظمة «فيلق متطوعي البحرية» . وزيادة نفوذها، هي استفزاز الألمان والإيطاليين للقيام بأعمال انتقامية ضد الشعب الإيطالي . وهكذا نقرر اغتيال الجنود الألمان والموظفين الفاشيين لاستفزاز عمليات الثار التي تؤدي بدورها إلى زيادة الكراهية . وتقرو لنفس الغاية نسف الجسور وخطوط السكة الحديدية وأسلاك الهاتف والكهرباء سواء أكانت ذات أهمية عسكرية أم لا .

وكان نفوذ الشيوعيين في حركة المقاومة كبيراً منذ البداية . وسرعان ما أصبحوا المسيطرين عليها . وتألفت عصابات لا تضم إلا الشيوعيين بقودها أعضاء الحزب ، ومعهم مفوضون سياسيون على غرار التنظيم السوفيائي ، ليتأكدوا من أنهم ان ينحرفوا عن الخط المرسوم لحم . وكانت هناك عصابات أخرى ، اضطرت إلى قبول المفوضين السياسيين بالرغم من أن الشيوعيين لم يكونوا يمثلون إلا قلة من أعضائها . وقد ذكر لويجي لونجو فيا بعد أن « الشيوعيين هم اللين كانوا يقترحون هؤلاء المفوضين ويختار ونهم ، وكانوا يجدون معارضة في البداية من الباقين . ولم يكن الناس يفهمونهم

<sup>(</sup>۱) زادت متاعب جرازیاتی من جراء محاولات الألمان وضع العراقیل فی طریق خس جیش ایطالی مستقل ، لا یستطیعون إقناع أنفسهم بالثقة فیه ، وتشجیعهم تشکیل وحدات عدیدة مستقلة ، لا تکون خاضعة خضوعاً مباشراً لسیطرتهم ، وإقامة قوات بولیسیة مسلحة مستقلة ، تؤدی فرضهم الممثل فی و فرق تسق » . وعند ما تقرر تشکیل أربع فرق إیطالیة ، النخلت الترتیبات لتدریبهم وتزویدهم بالمعدات فی ألمانیا ، و لم یکن هتلر بخی الحقیقة الواقعة ، وهی أن یری أن جل ما تستطیع إیطالیا الإمهام فید فی المحور ، هو تقدیم الهال ، لا الجنود .

<sup>(</sup>٢) أصبح لويجى زميم الحزب الشيوعي ، بعد وفاة زميمه السابق السنيور تولياتي .

الا على النحو الذي تصورهم فيه أكاذيب الفاشية وادعاءاتها . وكان الضباط العسكريون يرون فيهم شيئاً لا يطاق يمس بكرامهم ومكانهم ، وكان السياسيون يرون فيهم وسيلة شيوعية مبتكرة تهدف إلى ضان السيطرة على العصابات واستغلالها لأهدافهم الحزبية . . . ولكننا ناضلنا حتى النهاية للإبقاء على نظام المفوضين السياسيين . وتم تطبيق هذا النظام بصورة متدرجة في جميع التشكيلات ، حتى ولو تحت ستار أسماء أخرى كتلقيب المغوضين بممثلي لجنة التحرير الوطني ، أو بالمندوبين المدنيين ، إذ كنا نحن الذين نحدد لهم واجباتهم » . وهكذا تمكن الشيوعيون من فرض سيطرتهم حتى على تلك العصابات التي كانت تسمى نفسها بالاشتراكية ، ولا بألوبة ماتيوتي ا أو تلك التي كانت تعتبر نفسها ملكية والتي الطلقت على نفسها اسم ه اللهب الأخضر » ، وذلك عن طريق لحان التحرير الوطني التي بسبطر عليها الشيوعيون ، الذين تطرف بعضهم إلى حد الدعوة السرية الوطني التي بسبطر عليها الشيوعيون ، الذين تطرف بعضهم إلى حد الدعوة السرية وعدم استعمالها ضد الألمان ، للإبقاء عليها حتى نهابة الحرب ، واستعمالها عندما تبدأ ثورة العمال .

وشرع رجال المقاومة السرية فى شتاء عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ، فى أعمال إثارة الاضطراب . ووقعت عدة حوادث فى البداية . وجرت بعض الاغتيالات الفردية وأعمال التخريب والانتقام ، ولكن العهد الفاشى فى الأقسام التي يحتلها الألمان من إيطاليا ، لم يغد فى خطر حقيقى من أعداته السياسيين . ولكن لم يحل الثالث والعشرون من مارس ، وهو موعد الذكرى السنوية لقيام الفاشية ، حتى كانت جانة التحرير الوطنى فى رومة قد أعدت العدة للقيام بمدبحة عامة نكون بمثابة إيجاء للجان الشهال . وانفجرت بعد ظهر ذلك اليوم إحدى عربات و الزبالة ، وكانت محملة بالمتفجرات فى شارع واسيلا إلى جانب سيارة شاحنة كانت ملأى بالجنود الألمان لنقلهم إلى معسكرهم . وقتل فى هذا الحادث ثلاثة وثلاثون ألمانينا ، وعدد من عابرى السبيل من الإيطاليين . وقام الألمان كإجراء انتقاى فى اليوم التالى بإعدام ٣٣٥ من الرهائن الإيطاليين على طريق أرديا ، ودفنوا فى المغاور القريبة .

وسرعان ما انتشرت أنباء هذا الحادث الفظيع في إيطاليا كلها ، وتوسع نشاط

رجال المقاومة فى ربيع ذلك العام ومطلع صيفه فى الشهال ، بينها ازدادت حوادث الانتقام من جانب الألمان قسوة ووحشية .وأعدم الألمان نحواً من مائة من رجال المناجم فى شهر مايو فى قرية صغيرة واحدة ، ولم تمض بضعة آسابيع ، حتى كانوا يعدمون أربعمائة من المسجونين ومائة وعشرة من الفارين من الجيش . وأرغم أكثر من ألى رجل بعد فترة قصيرة على الرحيل إلى ألمانيا ، وذلك بعد نسف جسر على نهر فى مقاطعة بيدمونت . واتسع نطاق أعمال التخريب بعد انهيار خط جوستاف وسقوط كاسينو ، وعندما حان موعد تحرير رومة فى يونيو عام ١٩٤٤ . كانت هذه الحوادث تقع فى كل يوم تقريباً ، وأعلن موسولينى فى الواحد والعشرين من يونيو أن الحزب الفاشى لم يعد قادراً على البقاء كحزب سياسى ، وأن عليه أن يتحول إلى « منظمة عسكرية كاملة » . وصدر الأمر بأن يصبح جميع الأعضاء الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة عشرة والستين اعتباراً من اليوم الأول من يوليو ، والذين لا ينتدون إلى قوات الجمهورية المسلحة ، جنوداً فى وحدات ذوى القمصان والذين لا ينتدون إلى قوموا على « صيانة الأمن والحياة السلمية المواطنين ضد القتلة السوداء المسلحين ليقوموا على « صيانة الأمن والحياة السلمية المواطنين ضد القتلة وضد أولئات الذين يتعاونون مع العدو » .

وكان هذا الأمر بمثابة إعلان للحرب الأهلية . وكانت الفظائع التى تقوم بها هذه الوحدات السوداء ، وأعمال الانتقام التى تطبقها ضد رجال المقاومة ، لا تقل عنها عنها عن الأعمال التى يقوم بها الألمان وإن لم تعادلها فى الاتساع . وبالرغم من أن الحرس النازى هو الذى كان يقوم بالأعمال الانتقامية الضخمة ، وأنه هو الذى ذبح جميع سكان قرية سانتا أنا دى ستازيما فى شهر أغسطس عام ١٩٤٤ ، وقتل بين الثامن والعشرين والثلاثين من شهر سبتمبر ، نحوا من سبعمائة شخص فى مارزابوتو إلى اجنوب من بولونا ، فإن الكتائب السوداء ، كانت مسئولة عن عدد آخر من الأحداث الوحشية أيضاً ، وإن لم يذع أمرها . وكانت هذه الكتائب تضم عناصر تفوق فى سوئه أسوأ العناصر الموجودة فى وحدات المقاومة السرية ، وثودى واجباتها بكثير من الغلظة والوحشية والغطرسة . وتعدب المسجونين دون رحمة أو إشفاق ، تماماً على النحو الذى كانوا يتعرضون هم فيه لتعذيب وحدات المقاومة الشيوعية إذا ماوقعوا فى أيديها . وحتى عندما تمكن الألمان من تنجميع قواتهم إلى الشيوعية إذا ماوقعوا فى أيديها . وحتى عندما تمكن الألمان من تنجميع قواتهم إلى

الشهال من فلورنسا ، وراحوا يقضون الشتاء على طول خط الدفاع القوطى الممتد من ريميني إلى سبيزيا ، لم تخف حدة العنف وراء الحطوط الألمانية .

وكان موسوليني يرقب هذه الوحشية المتزايدة من جانب الفاشيين أو أعدائهم بكثير من القلق الحزين ، متفجراً أحياناً في ثورات غاضبة يعلن فيها أن « أيام الرحمة قد انقضت ، . ولكن بالرغم من هذه الومضات من الغضب والثورة، وبالرغم من دعوته إلى المزيد من تجنيد الكتاثبالسوداء : فإنه وجد نفسه مضطرًا ف النهاية إلى الاعتقاد بأن موقف التساميح والنوفيق ، هو الأمل الوحيد الباق للجمهورية . وقد أصدر أوامره إلى محافظ تورين بأن يجتمع إلى الجنرال أو بيرتى ، مدير التموين السابق في الجيش الإيطالي الرابع، وأحد زعماء المقاومة السرية البارزين الآن ، وأن يتفاوضا على منح عفو عام ، وقد طال أمر المفاوضات، وأخيراً وافق سبعة وخمسون من ضباط المقاومة ليس إلا ، وكان الفاشيون قد اعتقلوهم على شروط الاستسلام . وكنان بافوليني وفاريناتشي وبوفاريني ــ جيدى ، دائمي الشكوي والتلمر من اعتقاد موسوليني اللاواقعي بإمكان التفاهم بين الفاشيين وأعداثهم ، ومن رفضه، عندما حان الوقت لاتخاذ قرار حاسم ، التصديق على الإجراءات الصارمة التي اقترحوها ، والتي كان هو قد أقرها في البداية . وكان قد أصدر فى الخامس والعشرين من أبريل عام ١٩٤٤ ، مرسوماً يقضى بعقوبة الموت على كل عضو من أعضاء المقاومة السرية يعتقل بعد ذلك التاريخ، ولكنه منحهم في الوقت نفسه مهلة شهر للاستسلام مقابل العفو ، كما راح يمنح بعد ذلك ، إعفاءات، مماثلة في علم من القضايا . وقد بتخذ موقف القسوة والصرامة في يوم ما ، واكنه لا يلبث بعد أربع وعشرين ساعة ، أن يندم ، وأن يعود إلى صفحه وغفرانه . وسجل جيوفاني دولفين في يومياته حالات كثيرة ، تدخل فيها موسوليني لإنقاذ أرواح رجال حكم عليهم بالإعدام . ولم يكن يصفح عن المعروفين بشيوعيتهم ، ولا سيا أولئك الذين يعملون تحت إمرة تيتو في «فينسيا جويليا» ، وقد أعدم كثيرين منهم بنهمة الحيانة ، ولكن عندما عرضت عليه رسالة تضم أسماء قادةً الأحزاب السياسية غير الشيوعية واللامشروعة ، لم يفعل أكثر من الانطلاق بالتهديد والوعيد ، وهو ما لم يحمله أحد على محمل آلجد ، وما نسيه هو نفسه في صباح اليوم التالى . وكان بين هذه الأسماء اسم فيروشيو بارى زعيم حزب العمل اليسارى ، والذى كان وزير عدل موسولينى قد حذر منه المرة تلو المرة . ولكن موسولينى رفض إصدار الأمر باعتقال بارى ، إذ كان يعتقد أنه « رجل شريف في قرارة فؤاده » . وراح وزير العدل ، يصرخ بيأس قائلا لكارلو سيلفيسترى. . . «كم مرة عملت كل ما في وسعى من جهد لإنقاذه » . وقال فاريناتشى في مناسبة أخرى « ولكنه برفض إنقاذ نفسه . فهو لا يستطيع النجاح إلا عن طريق القسوة لا عن طريق الترضية والتفاهم » .

ولم يكن موسوليني أكثر نجاحاً في محاولته اكتساب أهل الشهال إلى صفه عن طريق تأميم الصناعة . وكان يعتقد أن القوانين التي رمى من وراثها إلى تطبيق سياسته الاشتراكية محاولا بواسطتها حل مشاكل الجمهورية الاقتصادية ، ستحظى بتأييد عمال الشهال . وعندما أصدرت لجنة التحرير الوطني في مدينة رومة في مطلع شهر مارس أمراً بالإضراب العام في جميع أنحاء الجمهورية الاشتراكية ، اعتقد أنه لن يواجه خطراً كبيراً . ولم يكن الإضراب بالطبع عاماً على النحو الذي أراده شيوعيو رومة ، وحاولوا تنفيذه ، ولكن وزارة ميزاسوما اضطرت إلى الاعتراف بأن عدداً من المصانع قد توقفت عن العمل ، وأن نحواً من ربع ملبون عامل قد خرجوا من أعمالهم ، بينها ادعى الشيوعيون أن عدد المضربين زاد على المليون . ورفض موسوليني تلبية طلب الألمان باتخاذ إجراءات صارمة ضد المضربين ، وقال إنه مل من رؤية الإيطاليين بحاربون بعضهم البعض ، وإنه المضربين ، وقال إنه مل من رؤية الإيطاليين بحاربون بعضهم البعض ، وإنه لا يريد المزيد من ذلك على الإطلاق (١) .

ولم يؤد وجود الحكومة الفاشية وتجزئة إيطاليا إلى مثول خطر واحد فى قيام حرب أهلية واسعة النطاق ليس إلا ، إذ كان هناك خطر آخر ، فى أن يجد الإيطاليون أنفسهم يقاتلون أبناء جلدتهم فى الميدان أيضاً . ويبدو أن هذا الخطر

<sup>(</sup>١) أعربت السفارة الألمانية في ثلك الأيام عن اعتقادها ، بأن الأمل الذي يساور الحلفاء دائما هو نشوب الحرب الأهلية على نطاق واسع في شيال إيطانيا . وذكر رئيس القسم السياسي في السفارة ، أن هذا الأمل كان السبب في امتناع الحلفاء عن الإغارة من أبغو على مكاتب الحكومة الإيطالية على بحيرة جاردا . وكان الأمريكيون يعرفون موقع كل مكتب وكل وزارة ، لكن الغارات لا تنجه إلا إلى البيوت التي يقيم فيها رجال السفارة الألمانية ، والجنود الألمان ، ومضى هذا الدبلوباتي الألماني يقول إن بقاء حكومة فاشية في حيز الرجود كان يضمن الحلفاء الانتفاع من اشتداد المعارضة لهذه الحكومة اللهافية المكالف »

كان مصدر قلق دائم لموسوليني . وكان بحدد على الحريطة تحركات الوحدات الإيطالية التي تقاتل إلى جانب الألمان ، بينا يطلب بإصرار المعلومات الدقيقة عن الوحدات الإيطالية التي جندها بادوليو للقتال إلى جانب الحلفاء . وكانت هناك ثلاث وحدات إيطالية لاتزال تقاتل الحلفاء في إيطاليا ، وهي فوج بارباريجو على جبهة انزيو ، وفوج من رجال القمصان السوداء يقاتل نيتو في كرواتيا ، وفوج من الرماة يقاتل رجال المقاومة السرية السلافية في كارسو . وكان هناك فوج آخر من الرماة يقاتل الألمان ، وروى مازوليني أنه سمع موسوليني يعرب ذات يوم عن سروره لأنه سمع من إذاعة بارى بلاغاً رسمياً للحلفاء يتحدث فيه عن شجاعة هذا الفوج الإيطالي . .

وصرخ مازولینی مندهشآ . . ولکنها قوات بادولیو ، وهی تحارب الألمان ! . . فرد موسولینی بهدوه . . . ولکنهم إیطالیون ، وهم یقاتلون ببسالة . وهذا هو المهم .

وروى مازوليني أن موسوليني قضى بقية ذلك اليوم ، بادى المرح وعندما جن الليل ، كان يعتقد صادقاً أن المحور سيكسب الحرب ، ولكن لم يمض يومان ، حى كان يعود إلى طبيعته ، في تلك الأيام ، حزيناً يائساً . . . .

## رئيس الجمهورية فى جرجنانو الأشهر الأخيرة

من ديسمبر ١٩٤٤ إلى أبريل ١٩٤٥

«أنا أشبه ما أكون بقبطان سفينة هاجمتها العاصفة . وقد تحطمت السفينة ، ووجدت نفسى وسط محيط متلاطم الأمواج ، على ظهر لوح من الخشب لا أستطيع توجيه ولا التحكم فيه » .

ارتفعت معنويات موسوليني في ديسمبر عام ١٩٤٤ ، إلى الذروة ، ودام هذا الوضع بضعة أبام . فقد مضى إلى مدينة ميلان مع وولف وران ، في زيارة قصيرة . وتوقفت سيارته لسبب أو لآخر ، وسرعان ما التفت حولها الجماهير تهتف له بصورة عالية مستبشرة ، وكأنه قد أعلن لها قبل لحظت أن الحرب قد انتهت . ولا ينكر أحد أن الجماهير كانت تهتف له أحياناً في جرجنانو ، ولكنها لم تستقبله قط بمثل هذه الحماسة التي قوبل بها هنا في ميلان . وأخذت الحماهير تتزايد شيئاً فشيئاً ، والسيارة تشق طريقها ببطء في الشوارع ، واضطر حتى خصوم الفاشية إلى الاعتراف بأن ما يربو على الأربعين ألف إنسان ، واضطر حتى خصوم الفاشية إلى الاعتراف بأن ما يربو على الأربعين ألف إنسان ، كانوا يهتفون بأعلى أصواتهم متحمسين . . . « دوتشى ، دوتشى . دوتشى » دوتشى من المذياع ، لما صدقت موسوليني وهو يروى لى ما حدث له عند عودته . وبتضح من هذا أن لا صحة لما يقال من أن البلاد كلها ، تعادى الفاشية ، وأن كل وبتضح من هذا أن لا صحة لما يقال من أن البلاد كلها ، تعادى الفاشية ، وأن كل إنسان يكره بنيتو » .

وراح يقول لها بشيء من الاعتزاز . . . لا لم يسبق لى طيلة العشرين عاماً الماضية من عمر الفاشية أن قوبلت بمثل هذا الترحاب . ولسبب غريب لا أعرفه ، لم يكن الجنرال مونتانا رئيس الشرطة ، قد علم بزيارتي ، إلا في اليوم السابق لها . وقد ٢٧٧

أذبعت وقائع الزيارة فى ليريكو ، بحيث فوجئت إيطاليا كلها ، بأمر وجودى هناك ، ولم أكد أنهى من خطابى حتى كانت الهتافات تملأ عنان السهاء ، وكان والحق يقال ، نصراً كاملا مطلقاً ، أما بالنسبة إلى الجماهير فكانت أشبه بأمواج البحر الصاخبة . وكان من الرائع أن أقف بين جماهير الشعب فى سيارتى ، وأن أسمع هنافاتهم تنادى بالولاء لى » .

وظل يتحدث عن استقباله هذا أكثر من أسبوع كامل ، وتظاهر الألمان بله هولهم من هذا الاستقبال . وذكر ران ، أن ليس ثمة من شك فى أن كل إنسان قد ذهل من هذه المفاجأة ، فقد كانت والحق يقال لا مظاهرة حماسية رائعة » . وكان مما يثير المزيد من الاستغراب ، أن الحطاب الذى ألقاه الدوتشى فى مسرح ليريكو ، لم يكن قوينًا على الإطلاق . فقد شرع بقرأ من ملاحظات دونها فى ورقته ، وكان من العسير عليه أن يقرأها ، دون نظارتيه ، واعدا الشعب بالمزيد من الإصلاح فى حقلى السياسة والصناعة . وقد ذكر بأنه قد لا يصبح من الضرورى عما قريب بالنسبة إلى العمال ، أن يحملوا بطاقات العضوية فى الحزب الفاشى ، وأن الأحزاب السياسية الأخرى ، ستنال الاعتراف الرسمى بها . ولم تظهر على صوته ملامع القوة السابقة التي عرفها الناس فيه ، إلا عندما أخذ يتحدث عن حتمية النصر الألماني ، مشيراً إلى وجود أسلحة سرية ذات قوة هائلة .

وكان هتلر قد حدثه بعض الشيء عن هذه الأسلحة عندما زاره في شهر يوليو ، ولم يكد ينتهي من هذه الزيارة الظافرة التي قام بها لميلان ، حتى سارع إلى ألمانيا من جديد ، ليعرف من الفوهرر المزيد عن هذه الأسلحة السرية ، فحصل على معلومات دفعته إلى أقصى درجات الحماسة والإثارة . وقد توقف به القطار الذي كان يستقله في خارج مونيخ ، وراح ينتظر في محطة جانبية وصول قطار هتلرالقادم من الشهال . وتبادل الرجلان التحية بنفس الحرارة التي عرفت عن مقابلاتهما في الأيام السعيدة الحوالي ، ثم راحا يستقلان معا سيارة ، مضت بهما لر وية الأسلحة الجديدة التي وصفها موسوليني فيا بعد بأنها ١ الات دنيقة الصنع للغاية طورتها البحوث المختبرية تطوي آ عظيماً » . وصدق دون أي نقاش كل ما قاله للغاية طورتها البحوث المختبرية تطوي آ عظيماً » . وصدق دون أي نقاش كل ما قاله

له الألمان عنها (۱). وراح يقول للرائد فورتوناتو البونيتى ، قائد حرسه الحاص . . . وستدهش هذه الأسلحة العالم وتذهله ، كما ستغير مجرى الحرب فى غضون بضعة أيام ٥ . واستمرت موجة الحماسة هذه عند موسولينى طيلة طريق العودة إلى جرجنانو ، وروى مولهاوزين ، أنه هتف بجماعة من رجال الحرس الفاشى ، مر بهم وهو يقود سيارته على الطريق المحاذى لساحل البحيرة إلى دارته فى فيلترنييلى ، بقوله . . . « اصمدوا أيها الشباب . فقد كسبنا الحرب » .

لكنها كانت المرة الاخيرة التي يظهر فيها ثقته . فمع مضي أشهر الشتاء القاسية ، ودنو الربيع ، راح يغوص شيئاً فشيئاً في أعماق بأسه ، ويعود ثانية إلى تلك الحالة من « الأنهيار المعنوي والبدني ، بعد أن زايله كل نشاط وكل حيوية » ، على حد تعبير الأستاذ زاخاري قبل زيارته الأخيرة لهتلر . ولم تعد مهام الحكم وتفاصيلها تعنيه لافى قليل ولا فى كثير ، ولم نعد المحاولات والمناقشات حول المستقبل القريب للفاشية ، تثير لديه أي اهمام . وكان يحتج في الماضي أحياناً على المطالب الألمانية ويفلح فى رفضها ، أما اليوم فلم يعد يحتج إلا نادراً . وكان فى السنة الأولى من رئاسته للجمهورية قد قاوم الضغط الألماني الشديد لاستبدال اللبرة الإيطالبة ، بالمارك الألماني كنقد للجمهورية ، كما قاوم فيما بعد ، وبنجاح،مطالب ألمانية علمة ، تتعلق بتفكيك المصانع الإيطالية ونقلها إلى ما وراء جبال الألب . أما اليوم فباتت مقاومته ، ضعيفة خائرة ، ويادرة ، ولا يمكن أن يعزى الفضل في بقاء المصانع الإيطالية بعيدة عن متناول الألمان وسيطرمهم إلا إلى الجهود المشتركة التي بذلها العمال وأصحاب المعامل أنفسهم . وظل يوفض مدة طويلة استبدال تامبوريني رئيس الشرطة الذي كان الألمان قد استاءوا منه ، ولكنه لم يستطع الاستمرار في هذا الرفض الآن ، وسمح لبوفاريني ــ جيدى ، بأن يقنعه بالتسليم للألمان بما يريدون . وعندما توفى الكونت ماز وليبي متأثرًا بتسمم الدم بعد حقنة من الأنسولين ، وحاول

<sup>(</sup>۱) لا ريب في أنه كان مصنفاً إلى حد عجيب موضوع الأسلحة السرية ، كما صدق أموراً عديدة أخرى . وهند ما قيل به إن محترعاً إيطالياً يعمل في اكتشف «أشمة الموت» التي ستحقق النصر للفاشية، مارع إلى الاقتناع بمساعدته بالمال ، في مشروعه . وكان منذ معلم فبراير عام ١٩٣٩ ، يتحدث عن سلاح سرى « يؤثر على سيرا لحرب تأثيراً كاملا ه .

بريزيوسي الحصول على تأييد السفارة الألمانية ، من وراء ظهر الدوتشي لتعيينه في المنصب الذي خلا بوفاة لكونت في وزارة الحارجية ، وعلق موسوليني بشيء من الانزعاج على هذه الدسيسة عندما وصل نبؤها إلى أسماعه بقوله . . . « ولكن ما الذي يريده بريز يوسي من هذا المنصب ؟ إنه لن بجد ما يعمله إذا توصل إليه » .

وكتب إلى هتلر في الرسالة التي بعث بها مهنتاً برأس السنة الجديدة يقول . . . « هناك شيء واحد ، أنا على ثقة منه كل الثقة ، وهو أن الديمقراطية لن تحل ف أوربا محل الفاشية أو الاشتراكية الوطنية » . لكن موسوليني لم يعد قادراً على أن يصبر على مثل هذه الادعاءات المتبجحة أو على قائليها . ووصلت إلى مسامعه أنباء النشاط اللي يقوم به المتمردون عليه من الفاشيين ، والدين يحاولون الحصول على مساعدة الألمان في الإطاحة به ، واستبداله ، بزعم فاشي جديد يكون صادم العزيمة في نظراته التي لا تخالطها الأفكار الاشتراكية . وسمع أن هناك آخرين ينادون بالسرعة في التحول إلى الديمقراطية . وقيل له إن فاريناتشي و برفاريني -جيدى يواصلان القول للألمان بأن موسوليني أصبح من النعومة بمكان بحيث لم يعد صالحاً حتى للبقاء كرأس اسمى للدولة . ولكنه ظل يستمع إلى كل هذه الأمور بهدوء يقرب من حدود التجاهل وعدم الاكتراث . وحملت صحيفة « العهد الفاشي » التي يصدرها فاريناتشي ذات يوم عنواناً كبيراً يقول . . . ه لطف الدوتشي المفرط مع زانيبوني ، ثم راحت تهاجم موسوليني لسهاحه ببقاء هذا الرجل الذي حاول اغتياله فى عام ١٩٢٥ على قيد الحياة . وتقول راشيل إنه حمل هذه الصحيفة معه من مكتبه إلى منزله ، وقدّف بها على المائدة بحركة ملول ، ما كانت لتصدر عنه في أيام سلطانه وقوته أبداً . وقال معلقاً . . . • لا يمكن للطف أن يكون مفرطاً ٣ . واضطر أخبراً تحت إلحاف واشيل التي كانت قد تحولت إلى كراهية بوفاريني - جيدى بسبب اتصاله بآل بيتاتشي ، للموافقة على إبعاده عن وزارة الداخلية ، وقد أُبلغ موسوليني أحد سكرتيريه بأنه قد أقال الرجل لإرضاء راشيل ، وإثارة الألمان ، لا لأنه يعتقد أن إبعاده سيؤدي إلى تقوية مركز الحكومة أو إلى تثبيت موقفه هو . وبدا وكأنه قد فقد كل أمل. فلم تعد الأوهام تساوره. وكان يحتفظ بهذه

الأوهام في الماضي عن طريق تصديق دعاياته القائلة بأن أسلحة الألمان السرية

وجيشهم السرى الجديد . سيقلبان موازين الحرب عما قريب ، وأن خسائر الحلفاء أكبر مما يستطيعون احمالها ، وأن الحلاف بين الروس والأمريكيين سيؤدى إلى الحرب بين الدولتين ، أو أنه سينيح له الفرصة على الأقل لعقد صلح منفرد مع إحداهما ، مؤثراً إذا لم يكن ثمة مناص من ذلك ، أن تتحول إيطاليا كما قال لوزير ماليته ولبريزيوسى ، إلى جمهورية سوفياتية على أن تكون مستعمرة أنجلو — أمريكية . ولكنه أخل الآن يستمد عزاءه من التفكير ، بأن بريطانيا إذا ربحت الحرب ، فستفقد إمبراطوريتها بعد انهائها ، تماماً كما فقد هو إمبراطوريته . وكان إذا ما حاول وزراؤه تشجيعه ، يقابل تشجيعهم هذا بالهزء والسخرية . وكان إذا ما حاول وزراؤه تشجيعه ، يقابل تشجيعهم هذا بالهزء والسخرية . موعندما حدثه جرازياني ، عن مشاجرته الأخيرة مع كيسلرينج ، واح يهز كتفيه ، مبدياً عدم اكتراثه . وعندما اقتحم ميزاسوما عليه مكتبه ذات يوم ، هاتفاً بأن هناك مبدياً عدم اكتراثه . وأن الألمان شنوا هجوماً مضاداً ناجحاً على نهر الموز ، كان تعليقه الوحيد ، يعكس عدم الاهمام ، وكأنه لم يفهم ما قاله الوزير الشاب المتحمس . . . إذ قال « هذا حسن » ثم أوماً إليه بيده ، صارفاً إياه من حضرته ، ودون أن يكلف نفسه عناء مواله عن التفاصيل .

ومضى فى الذكرى السنوية لوفاة دانونزيو إلى قصر الفيتوريالى ، حيث وقف إلى جانب قبر الشاعر ، ثم ألتى خطاباً حزيناً طافحاً باليأس ، وصفه أحد سامعيه « بالاقتضاب والغموض والكآبة ، والإحساس بالماساة » . وكان وجهه حزيناً شاحباً ، ويبدو « كالرخام » ، بينها كانت السهاء ملبدة بالغيوم ، والجو فى منتهى السوء . و واح موسوليني يقول . . . « إنك لم تمت يا صديقى ، وأن تموت ، طالما أن هناك جزيرة باقية فى البحر المتوسط تسمى إيطاليا . إنك لم تمت وأن تموت طالما أن هناك فى وسط إيطاليا مدينة لابد من أن نعود إليها ، هى مدينة رومة » .

ووصف ميزاسوما حالته في تلك الأيام بقوله . . . « إنه يعيش على أحلامه ، و بأحلامه ، و بأحلامه ، و بأحلامه ، و بأحلامه . و بأحلامه و بالشاوذ . فقد تعدى نطاق الزمن . و لم تعد لردود فعله أو مجالات حماسته أو الهياراته أية صلة بالحياة . فهي تفد إليه في أية لحظة ، ودون أي سبب محدد » .

وكان يتحدث أحياناً ويتصرف كما يتحدث ويتصرف أى شاعر مجنون فى الواقع ، وهو الوصف الذى كان قد ادعاه لنفسه قبل نحو من عام .

ووصف الصحفي إيفانو فوساني مقابلة جرت له مع موسوليني في تلك الأيام . وقد جرت هذه المقابلة في جزيرة تربميلون الواقعة في وسط بحيرة جاردا ، وفي العراء تحت سماء تسطع فيها النجوم . وكان ثمة كلب بوليسي ينبح بشدة ووحشية ، وبضي موسوليني إليه فأمسك بفكه الأسفل بإحدى يديه ، ليربت عليه باليد الأخرى . وراح موسوليني يتطلع في عيني الكلب ، فوصفهما بأنهما هادئتان ، ونوقف الكلب عن النباح بعد لحظات ، وأقمى عند قدميه أن ثم مضي في إغفاءة طويلة ، بينا شرع موسوليني في الحديث إلى الصحفي . وكان يتحدث بسرعة وبصورة تحمل طابع الإسهاب ، حي إنه عندما انهي من حديثه وعاد في زورقه البخاري إلى جرجنانو ، ظل فوساني يكتب باستمرار ثلاث ساعات زورقه البخاري إلى جرجنانو ، ظل فوساني يكتب باستمرار ثلاث ساعات متوالية ، محاولا تسجيل كل عبارة قالها . ولم يفه الصحفي طيلة المقابلة متوالية ، عاولا تسجيل كل عبارة قالها . ولم يفه الصحفي طيلة المقابلة ما كتبه قائلا . . . « وخفت منذ البداية أن يقطع سماع صوتي انسياب هذا الرجل ، الذي كان قد قرر الاعتراف النجوم » .

فقد أحس موسوليني بالحرية بعيداً عن حراسه وعن الألمان ، ونائياً عن ثورات زوجته الغاضبة ، ودموع عشيقته ، وراح ينطلق متعبداً لها ، وكأنه أصيب بالهذيان ثم قال . . . « ولو كان هذا اليوم من أيام الصيف . لنزعت معطني وأخذت أتدحرج على العشب ، وكأنني طفل شي سعيد » . وراح يحدث الصحني عن النجوم وعن القوة الحفية للروح وعن ولده الصريع وأخيه أرنالدو ، وعن تفاهة الحياة الإنسانية . وروعة حياة الروح . كان يتكلم كنبي محموم ، ينسج بأقواله بين الحقيقة والحيال اللذين لا رابط بينهما ، متنقلا من فكرة إلى أخرى بعيدة عنها كل البعد ، خافضاً فجأة في سلسلة طويلة من التناقضات والاستعارات الكثيرة والأفكار نصف الواضحة ، لينطلق بملاحظة تجمع بين الصدق والوضوح ، والأفكار نصف الواضحة ، لينطلق بملاحظة تجمع بين الصدق والوضوح ، والأفكار نصف الواضحة ، لينطلق بملاحظة تحمع بين الصدق والوضوح ، وإنه قد أخطأ كثيراً ، وإن في وسعه أن يرى الآن أخطاءه فقال إنه غير معصوم ، وإنه قد أخطأ كثيراً ، وإن في وسعه أن يرى الآن أخطاءه

ويتبينها . ولم يكن من السهل عليه أن يفعل ذلك في الماضي إذ أنه ظل سنوات طوالا محاطاً بالمنافقين من عبدة الأشخاص . . . » وراح يقول بعد ذلك في شيء من التقزز الحزين . . . « كنت أسمع تعبير العبقرى ، أكثر من مائة مرة في اليوم » . ولكن غيره اقترف أخطاء أكبر ، وكان في وسع الناس أن ينسوا أخطاءه كلها ، لو أن الحرب التي فرضتها عليه السياسة الحارجية البريطانية الشيطانية ، قد سارت من جانب الألمان بطريقة أكثر تحفظاً وأدق قيوداً . فلقد وقع الهجوم على روسيا خلافاً لنصائحه وضد رغبائه ، وهاهي ألمانيا تقف على عتبة الدمار ، وسيصبح الروس عما قريب في وضع في أوربا الوسطى ، يستحيل الدمار ، وسيصبح الروس عما قريب في وضع في أوربا الوسطى ، يستحيل إخراجهم منه . ولو اقترفت هذه الأخطاء عينها في الشرق ، لكان في إمكان الصين أيضاً أن تطبح بالعالم كله . . . « ترى كيف يمكن لإنجلترا وأمريكا التغافل عن مثل هذا الخطر الهائل ؟ »

وقادته هذه الإشارة إلى الإنجليز ، إلى موجة جديدة من الحقد الغاضب عليهم . وراح يهاجمهم ويهاجم الفرنسيين لأنهم لم ينصروه في مطالبته بتعديل معاهدة فرساى ، وإلغاء ديون الحرب وتعويضاتها ، وفي موقفه ضد ألمانيا في مسهل الثلاثينات . وحمل على الملك وعلى الحاشية الرجعية التي أحاطت به ، كما هاجم البورجوازية التي تسللت بروح كاذبة إلى عقيدة الفاشية . وهاجم القيادة العامة لأنها خانت الجنود ، كما حمل على الجماعات الصناعية والمالية الدنيئة ، لأنها وأساءت معاملة العمال الذين كان ولا يزال يحبهم باستمرار ، لأنهم طيبون وصامدون ، ولأنهم يتفوقون على جميع الأدعياء الكاذبين الذين يزعمون تمثيلهم » . وحمله التفكير فيهم إلى الإغراق في حالة نفسية كتيبة إذ قال « ما زلت سجيناً ، وحمله التفكير فيهم إلى الإغراق في حالة نفسية كتيبة إذ قال « ما زلت سجيناً ، التسليم دون قيد أو شرط . . . أما بالنسبة إلى الآخرين ، فنحن خونة ، ولم تعد لدى أوهام في موضوع مصيرى . وليست الحياة إلا مرحلة قصيرة من مواحل الخلود . وعندما تنهى الحرب ، سيبصق الناس على ، ولكنهم قد يجيئون في يوم الخلود . وعندما تنهى الحرب ، سيبصق الناس على ، ولكنهم قد يجيئون في يوم اخر ، فيمسحون عنى بصاقهم ، وآنذاك سأبتسم ، إذ أنى أكون قد تصالحت مع شعى » .

وهب من مكانه بعد كل هذا الحديث ، وودع فوسانى مصافحاً إياه . وروى الصحفى ، أنه أحس ، وقد رأى موسولينى بمضى إلى زورقه ، بالتأثر العميق لهذه الكبرياء الهادئة التى تبدو عند هذا «الرجل العظيم الشتى فى ساعة مأساته » ، وانطلق الكلب الضحم يقفز إلى صفرة قريبة ، ليصدر عن نباح طويل حزين .

ولكن إذا كان في مكنة هذا الصحفى أن يتميز العظمة في هذه الشخصية المحزنة في ساعة من ساعات الإشفاق الذاهل ، تحت السماء الصافية التي ترصعها النجوم ، فإن مثل هذا التمييز كان صعباً على الصحفيين الذين كانوا يلقونه دائماً في مكتبه الصغير المكتط في دارة أورسوليني . ورددت الصحفية ماديلين موليير ، بأنها وجدت فيه رجلا لم تستطع التعرف إليه ، إذ بدا كمجرم مدان بوجهه الشاحب ورأسه الحليق . وكان أكثر استسلاماً منه تواضعاً . وكان استسلامه هذا ، وتقبله الهادئ لمصيره ، يحمل طابع الاعتذار ، واستثارة الإشفاق .

وراح يسالها . . . ق ما الذي تريدين أن تعرفيه . إنى أذكر أنك جئتنا في رومة قبل سبع سنوات . كنت آ نذاك رجلا يهتم به الناس ويثير اهتمامك . أما الآن فأنا رجل عاجز . ولكن لم يعد يخيفيي شيء . فالموت شكر لله الذي احتمل منى الكثير . وقد صادوا صباح اليوم عصفوراً صغيراً في غرفتي . كان يطير بيأس في الغرفة يبحث عن منقل ، إلى أن أعياه الجهد فسقط على السرير . وحملته بحنان محافة أن أفزعه . ثم فتحت له النافذة وأطلقته إلى السهاء . ويبدو أنه نهل في البداية ، وراح يتطلع حوله ، قبل أن ينشر جناحيه ليطير ، مزقزقا زقزقة الفرح ، منطلقاً إلى الحربة . لن أنسى ما حييت هذه الزقزقة . ولكن هذه النافذة لن تفتح لى أنا ، إلا لتقودني إلى الموت . وهذا جزاء استحقه . فقد أخطأت كثيراً ، ومن حتى أن أكفر عن أخطأتي بحياتي ، إذا كانت توازي هذه الأخطاء ، وأود أن أقول ، إنني لم أخطئ قط عندما كنت أسير على هدى غرائزي ، وإنما أخطأت عندما أصخت السمع لنداء العقل . . .

و أجل يا سيدتى : فقد انتهيت . وقد أفل نجمى . وأنا لا أزال أعمل ، ولكنني

أعرف أن ما أعمله ليس إلا تضليلا . وأنا أنتظر نهاية المأساة . وقد نأيت عنها إلى حد غريب . وأنا مريض . وقد انقضئ على عام كامل لم أتناول فيه من الطعام إلا السوائل . وأنا لا أشرب ، ولا أدخن . . . وقد يكون القدر قد شاء لى أن أبين الطريق إلى شعبى ، ولكن هل سبق لك أن سمعت بديكتاتور متأن ، يحسب لكل شيء حسابه » .

وقال لزائرته إنه لا يعزى نفسه الآن إلا بكتبه ، وهي من خير ما ألفه كبار الفلاسفة . وهو لا يربد وهو ينتظر نهايته ، إلا أن يقرأ ، وأن يواصل القراءة . . . وعندما سألته عن تشيانو قال . . . ومت أنا منذ ذلك الصباح من بناير ، عندما لتي هو حتفه . والعذاب طويل ولا يطاق . فأنا كقبطان سفينة هاجمتها العاصفة . وقد تحطمت السفينة . ووجدت نفسي وسط محيط متلاطم الأمواج ، وعلى ظهر لوح من الحشب لا أستطيع توجيهه ولا التحكم فيه . ولم يعد هناك من يسمع صوتى . ولكن العالم بأسره ، قد يصيخ السمم لى ذات يوم » .

وكان يتحدث على هذا النحو لكل من يأتى لزيارته فى هذه الأيام. فهو دائماً يتحدث حديث الذى يحس بالمأساة ، بل حديث الصوفى الغامض أحياناً ، والشاعر فى أغلب الأحايين . وقال ذات يوم للكاتب الفرنسى الشاب بيير باسكال ، الذى ترجم إلى الفرنسية كتابه لا حديث مع برونو لا . . . لا أرأيت هذا الصباح وأنت فى طريقك إلى هنا ، ألوان البحيرة الفاقعة لا أرأيت زرقتها الشديدة لا أنا أنظر إليها عندما تكون حمواء عند المغيب أو بيضاء عند برودة الفجر ، وأراها ، وكأنى أبصرها لأول مرة . إن الجمال فى إيطاليا شيء لا يوصف لا . وفجأة راح يغير موضوعه ، دون أن ينتظر جواباً ويسأل باسكال إذا كان يؤمن بالله . وقال إلى نابوليون فإنى شارل مورا (١) ومنه إلى المصورين الإيطاليين فدانى فدانى فدانونزيو ، ببتعداً عن كل حديث عن السياسة ، إلى أن ذكر بسكال حاجة أو ربا إلى مبتعداً عن كل حديث عن السياسة ، إلى أن ذكر بسكال حاجة أو ربا إلى

<sup>(</sup>۱) شارل مورا ، (۱۸۹۸ – ۰۰۰۰) كاتب ملكى فرنسى من أهل اليمين . ترك أثراً ملحوظاً على الفاشية وكان من أهل اليمين . ترك أثراً ملحوظاً على الفاشية وكان من أشد خصوم الشيومية . وقد أدين بالسجن في عام ۱۹۱۵ مدى الحياة بتهمة التماون مع الألمان أثناء الاحتلال . ألف عدداً من الكتب منها « تقدم المقل » و « ثلاث أفكار سياسية » . « المعرب »

الرحدة للدفاع عن نفسها ضد تدخل الإنجليز . . . فقال موسوليني وكأنه يبعد كل فكرة عن الإنجليز الذين لا يحبهم والذين أسهموا كثيراً في الدمار الذي حل به . . . « هذا هو الواجب الملتي على أيناء جيلك ، والجيل الذي يليه » . ولم يكن في وضع يرغب فيه بالحديث عن السياسة ، وبعد أن أبدى باسكال بعض الملاحظات عن رجال المقاومة السرية في إيطاليا ، ورجالها في فرنسا ، أوقف موسوليني الحديث فجأة .

ووجده كاتب آخر هو بيار ريجيدورى كورتى ، عازفاً كل العزوف أيضاً ، عن التحدث عن الأحداث الراهنة . وآثر أن بتحدث عن مازينى وجاريبالدى ، وعن الفلسفة والحب الجنسى . وقال إن كل حب لابد أن يموت سريعاً ، نتيجة عجز العاشقين عن فهم بعضهما . وعندما علق كورتى بأن خيبة الأمل تقع عندما تؤخد الشهوة على محمل الحب ، أشار موسولينى إلى أفلاطون وأنهى المقابلة قائلا بأنه يعتقد من ناحيته أن الحياة تعنى الألم .

## الألمان يستسلمون . . . من فبرابر إلى أبريل ١٩٤٥

« من حتى أن أعرف على الأقل ، حقيقة ما يدور » .

كان العقيد دولمان والجغرال وولف من قادة الحرس النازى يتفاوضان منذ مدة دون علم موسولينى مع الحلفاء ، حول استسلام الجيوش الألمانية فى إيطاليا . وكان الوسيط الكردينال ايدلفونسو شوستر ، رئيس أساقفة ميلان ، الذى ذاع أمر حكمته فى العالم بأسره ، والذى كان على اتصال بهما منذ مطلع شهر فبراير ، عندما اقترح عليهما ، رغبة منه فى إنقاذ إيطاليا والحيلولة دون المزيد من التضحية بأرواح الألوف من الناس ، أن بسمحا له بالتفاهم نيابة عنهما مع قادة المقاومة السرية . وقال الكردينال إن رجال المقاومة يزدادون عدداً فى كل يوم ، ويحسن تنظيمهم ، وهم يتلقون المزيد من الأسلحة والمعدات التى يبعثها الحلفاء إليهم . وقد بحث العقيد دولان فى اقتراح الكردينال مع الجنرال وولف ، واتفق القائدان الألمانيان ، على أن يبعث الكردينال بممثل عنه إلى مقر قيادة المقاومة السرية لمقابلة الجنرال كادورنا . وقد اختار هذا قسيساً ذكياً ، يدعى الدون جيوسيى بيشيراى كان يعمل كاهناً مع الجيش من قبل .

وتمكن العقيد دولمان فى غضون ذلك من الحصول على تأشيرة تسمح بالسفر الى سويسرا ، للبارون لويجى باريللى ، الممثل السابق لإحدى الشركات التجارية الأمريكية فى إيطاليا ، تحت ستار الاستشفاء . وأقام هذا فى زيوريخ ، ف بيت صديق له يدعى الأستاذ هوسمان ، مدير معهد زوجر برج .

وجاء إلى الببت ذات مساء بعد وصول باريلي إلى زوريخ ، رجل لا يعرفه الأستاذ ، قال إنه جاء لقراءة عداد الغاز . وصعق الأستاذ هوسمان دهشة عندما قدمه باريللي إليه على أنه العقيد دولمان من قادة الحرس النازى ، وطلب إليه أن يتصل فوراً بالسفارة الأمريكية ، وأن يطلب إلى المستر آلان دالاس ، المجيء

لمقابلته . ولم يرغب دالاس في أن بقحم نفسه في المفاوضات وهي في هذه المرحلة ، فأوفد مساعده الدكتور جيفرنيتز . واجتمع الرجلان في مقهى بيانشي . حيث اعترف الألماني بأن اسمه لابد أن يكون على قائمة بجرى الحرب عند الحلفاء ، وأنه مقابل رفع اسمه ، على استعداد للمساعدة في إنهاء الحرب في إيطاليا (١١) . لكن جيفرنيتز ظل متشككاً في الموضوع ، وما كان ليصدق بأن دولان يعتزم حقاً ترثيب موضوع التسليم أو أنه قادر عليه ، وطلب منه للتدليل على قدرته وحسن نواياه ، أن يأتي إلى الحدود السويسرية بأحد الزعماء البارزين في عدائهم الفاشية ، والمعتقل في أحد السجون الإيطالية . وسرعان ما وافق الألماني على تنفيذ الاقتراح ، وطلب منه أن يسمى له الرجل . وقال جيفرنيتز إن عليه أولا أن يستشير رئيسه ، عاد مسرعاً إلى دالاس .

وقال دالاس . . . واطلب منه فيروشيو بارى ، . معتقداً أن دولمان لن يلبث أن يختلق الأعذار ، لاستحالة إطلاق سراح مثل هذا السجين البارز . ولم يمض أسبوع حتى كان فيروشيو بارى وزوجته ، وشخص يدعى أوسيمينى ، من القادة البارزين الآخرين في مناهضة الفاشية والمحكوم عليهم بالإعدام في سجن فيرونا قد وصلوا إلى سويسرا.

ووصل الجنرال وولف نفسه فى الثامن من مارس إلى سويسرا . والتنى بالأستاذ هوسمان فى إحدى عربات القطار السريع بين شياسو و زوريخ . وسرعان ما اجتمع بآلان دالاس ، الذى لم يعده بشىء ، وإن كان قد ألمح إلى أنه سيضمن له مستقبله إذا انتهت المفاوضات نهاية ناجحة . وعندما عاد إلى إيطاليا ، فوجئ الجنرال ، بأن الماريشال كيسلرنج ، الذى كان يعتمد فى مشروعه كثيراً على سلامة منطقه ، قد نقل أثناء غيابه من إيطاليا إلى الشهال ، ليخلف الماريشال

<sup>(</sup>١) كان اسم دوبان على قائمة مجرى الحرب حقاً . فقد كان المسئول عن إقامة غرف تعليب المستابو في شارع تاسو وفي سجن جكاريتو في رومة ، وعن أعمال الحرس النازي في فندق ريجينا في ميلان ، وكان هذا الشاب جميل الصورة وفي ميلان ، وكان المستول أيضاً عن قتل الرهائن على طريق أوربا . وكان هذا الشاب جميل الصورة وفي منهى الذكاء ، وقد أحق بالسفارة الألمائية في رومة منك عام ١٩٣٩ ، إذ كان يعيش في العاصمة الإيطالية قبل هذا التاريخ ، وكانت أمه وهي ابنة طبيب في مونيخ ، تدير منزلا ، بنسيوناً ، في رومة .

رونشتادت في القيادة العامة للقوات الألمانية في الجبهة الغربية ، ليحاول منع الجبهة الألمانية هناك من الانهيار . ولم يكن في وسع وولف أن يتأكد من مدى الثقة التي يستطيع إيلاءها ، للجرال فيتينجهوف خليفة كيسلرنج ، ولكنه استمر في مفاوضاته أملا منه في أن يقبل فيتينجهوف وغيره من ضباط الجيش الألماني الشروط التي سيتمكن من الحصول عليها إبان مفاوضاته . واجتمع في التاسع عشر من ماوس مع الجنرال الإنجليزي ايرى والجنرال الأمريكي ليمنتيزر على مقربة من الحدود الإيطالية – السويسرية في اسكونا على بحيرة ماجيوري ، وبحث معهما في شروط الاستسلام . ولكنه عندما عاد إلى مقر قيادته في إيطاليا ، فوجئ من جديد بأنباء غير سارة . فقد تحدث إليه هملر هاتفيًّا من برلين يقول إن الجستابو قد فرضت رقابتها على أسرة الجنرال وروجة دولمان . ومنع الجنرال وولف من مغادرة إيطاليا ثانية ، ودأب هملر ، على التحدث إليه هاتفيًّا بين آونة وأخرى ، لينقل إليه أنباء أسرته . وقال وولف للبارون باريللي ، إنه يجد نفسه مضطرًا إلى وقف المفاوضات ولكن هذا أقنعه بأن الحطر الذي يهده كمجرم حرب أكثر من الحطر الذي قد يهدده إذا ما أصبح الألمان يشتبهون بخيانته . وهكذا وافق وولف على الاستمرار في الانصال بالحنفاء عن طريق جهاز إرسال وضعه في غرفة نوم مرافقه . وحصل فى اليوم الأخير من شهر مارس على موافقة القائد العام فيتينجهوف على شروط الاستسلام . وفي الثالث عشر من أبريل ، استدعى إلى برلين ، فودع أصدقاءه وكتب وصيته .

ولكنه عاد إلى إيطاليا قبل انقضاء أقل من أسبوع . واستمع هتلر فى الساعة الرابعة والنصف من صباح الثامن عشر من أبريل ، وكان لا يزال فى ملجأ دار المستشارية إلى تقرير وولف ،الذىأراد منه هملرأن يقدمه إلى الفوهر رحول الوضع فى إيطاليا . وروى وولف فيا بعد أن الفوهر رظل صامتاً ، شبه ذاهل ،وهو يصغى إلى تقريره ، ثم تحدث أخيراً لا عن إيطاليا بل عن الفرصة التى كان لا يزال يحلم فيها فى التفريق بين روسيا وبين البريطانيين والأمريكان . وكان وولف نفسه يعرف أن لا صحة لهذا الأمل الواهم ، إذ أن ممثلى الحلفاء ، رفضوا بسرعة وإصرار وثبات ، اقتراحاً كان قد ألمح إليه فى مستهل مفاوضاته معهم حول استسلام الجيش الألمانى

فى إيطاليا ، وهو أن يسمح لما تبقى من قوات المحور فى إيطاليا ، بعبور الألب دون مضايفة لتكون حرة فى محاربة الروس، وأكدوا أن حلفهم مع الروس قوى لا يمكن أن يحل أو يضعف ، ولكنه أحس وهو يغادر الملجأ ، أن الأمل الوحيد الذى بقى لهتلر ، هو أن يقع الخصام بين أعدائه . أما إيطاليا ، فكان قد أسقطها من حسابه منذ زمن بعيد .

ولم يمض أسبوع على عودته إلى إيطاليه ، حتى كان وولف يقابل ممثلي الحلفاء للمرة الأخيرة عند الحدود السويسرية ، ويتفق معهم حول التفاصيل النهائية الاستسلام الجيوش الألمانية استسلاماً غير مشروط ، والعمل الذي يجب أن يقوم به ضد كل من تسوّل له نفسه من جبرالات الجيش الألماني ، معارضة هذا الاستسلام . ومضى وولف مع العقيد دولمان في اليوم الذي تلا عودته من شياسو المل قصر الكردينال شوستر في ميلان ، ليجتمع هناك إلى ممثلي حركة المقاومة ، الذبن أيدوا قبولم لشروط الاستسلام التي اتفق عليها مع الحلفاء ، وراحوا يعلنون له أن لجنة التحرير الوطني اشهال إيطاليا قد أصدرت أوامرها بإعلان الثورة العامة على حكومة موسوليني في الحامس والعشرين من أبريل . وتأيد في هذا الاجتماع أبضاً أنه قبل صدور الأوامر بالشروع في الثورة ببضع ساعات ، سيصدر الجنرال وولف أمره إلى العقيد راوف رئيس الحستابو في مبلان ، بمنع قوات الحرس النازي من التدخل في أية قضية إيطالية صرف .

ولم ينقل إلى موسوليني بالطبع شيء عن كل ما وقع . لكن الشائعات وصلت إلى جرجنانو . وكان الجنرال وولف نفسه قد ألح إلى وجود شيء من الاتصال مع الحلفاء في سويسرا ، وذلك إبان مقابلة عاصفة مع موسوليني ذي الوجه الجامد كالصخر في السابع والعشرين من فبراير . واعترف موسوليني في حديث له مع ألبرتو ميليني ، من موظني وزارة الحارجية بشكوكه في أن شيئاً يدور وراء الستار . وقد اعتقد أن «شوستر» يقوم بعمل ما . وأن الألمان على اتصال بلجنة التحرير الوطني في مبلان . وبيها كان يعترف بأن هناك نوعاً من الاتصال بين الحرس النازي والمقاومة الإيطالية ، إلا أنه تحجج بأن المواضيع التي يجرى بحبها لا تتعدى حدود بعض القضايا المحددة للغاية ، ونهي أن يكون هو أو أي ألماني آخر ، قد أجرى بعض القضايا المحددة للغاية ، ونهي أن يكون هو أو أي ألماني آخر ، قد أجرى

مفاوضات مع الكردينال شوستر . وزعموا لموسوليني أن إطلاق سراح باوى ، قد جرى لمصلحة الشعب الإيطالى الذي سيفيد من تخفيف التوتر الذي لا بد أن ينتج عن مثل هذه البادرة الطيبة ، وقد قبل موسوليني هذا التعليل ، وأبلغ ميلليني أنه لا يعترض على إطلاق سراح الرجل ، ولكنه لا يستطيع أن يصدق أن الشائعات الي سمعها عن الاتصالات الألمانية ، لا أساس لها من الصحة . وقال لمحدثه . . . و و ل ل ل في تقة بأنهم يتعاملون مع لجنة التحرير الوطني . وقد يحسن ران و وولف الصنع لو أخراني ماذا يدور في خلدهما » . ثم قال بشيء من الغضب . و فن حتى الصنع لو أخراني ماذا يدور في خلدهما » . ثم قال بشيء من الغضب . و فن حتى أن أعرف على الأقل ، حقيقة ما يدور » .

وقرر في الثالث عشر من مارس ، أن يخطو خطوة من جانبه ، فأوفد ولده فيتوريو إلى الكردينال شوستر ، حاملا رسالة يقترح فيها شكلا من أشكال الضيان المسكان المدنيين في حالة وقوع انسحاب ألماني عام من إيطاليا ، وانسحاب القوات الإيطالية إلى مراكز دفاعية في جبال الألب . ولكن خطوة موسوليني لم تكن كافية في نظر الكردينال ، وإن كان القاصد الرسولي في بيرن قد أمر بنقلها إلى قيادة الحلفاء العليا في كاسيرتا ، حيث رفضت على الفور رفضاً قاطعاً ، لأن الحلفاء لا يقبلون بغير الاستسلام اللامشروط . ورفض موسوليني بدوره التفكير في هذا الاستسلام ، إذ كان متردداً حتى تلك اللحظة في الاعتقاد بأن الألمان في مذا الاستسلام ، إذ كان متردداً حتى تلك اللحظة في الاعتقاد بأن الألمان قد أفروه . وتلقى في السادس من أبريل تقريراً يقول إن الأوامر قد صدرت إلى بعض الوحدات الألمانية بإعداد العدة للجلاء عن إيطاليا ، ولكن لم يمض يوم أو يومان حتى كان يسمح للجنرال فيتينجهوف ، بإقناعه ، بأن حلفاءه الألمان سيقاتلون حتى النهاية . وأكد له الجنرال أن كل ما يسمعه من شاتعات عن استسلام الألمان وعمل من أعمال الدعاية المعادية ه .

## الانتقال إلى ميلان من ١٩ إلى ٢٥ أبريل ١٩٤٥

و ظللت أقامر حتى النباية ، وكنت المغلوب في نباية المغامرة » .

استقبل موسولینی فی الثالث عشر من أبریل ، وکیل وزارة الداخیة . وراح یسأله بکل وضوح . . . ۵ قل لی ! ما رأیك فی الحرب الآن؟ ۵ ورد وکیل الوزارة . . . . ۵ لیس ثمة من شك فی أننا قد خسرناها ، .

واحتج موسوليسي على ذلك ، قائلا إن المقاومة تشتد في ألمانيا ، وإنهم يقاتلون دفاعاً عن كل شبر من الأرض .

ورد وكيل الوزارة . . . « لكن الخلجات الأخيرة لا تؤثر على النتيجة . . . » وصمت موسوليني . . . ثم قال بشيء من النعومة . . . « أجل إنك على حق . هذه هي الحقيقة ، ولم يعد في وسعنا أن نعمل شيئاً » .

وقد قدر لهذه القدرية التى تخللها دفقة واحدة من الأمل ، أن تعيش مع موسوليني حتى النهاية . فقد قبل الأمر الواقع ، وأن النصر بات مستحيلا ، وتركزت أفكاره الآن على الطريقة التى سيؤله فيها ويمجد . واقترح بعض وزرائه ، أن يصمدوا لله ة الأخيرة في تريسنا ، بيها اقترح البعض الآخر ، يؤيدهم الجنرال وبنينبيج ، قائد الحامية الألمانية في ميلان ، الدفاع عن المدينة وتحويلها إلى سنالينجراد إبطالية . ورأى البعض النالث ، أن خير خدمة لأسطورة الفاشية ، أن يظل الفاشيون يقاتلون حتى الموت في جبال الألب . وجاء بافوليني في الرابع عشر من أبريل إلى اجتماع عقد في دارة أورسوليني ، ليعرض خطته في إظهار هذه الإيماءة الأخيرة من الإيمان والتحدي في فالتيلينا إلى الشهال من برجامو . ولم

يعترض أى من الألمان الذين شهدوا الاجتماع ، وبينهم الجنرال وولف ، على خطة بافوليني ، كما لم يذكروا شيئاً عن احتمال استسلام الألمان .

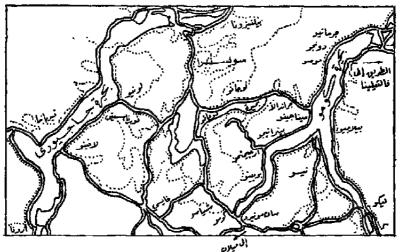
ولم يتحدث موسوليني بالكثير في هذا الاجتماع ، وبدا راضياً باقتراحات بافوليني دون مناقشة ، سارحاً بفكره في أماكن أخرى ، وكأنه يعد نفسه للموت . وعندما اعترض جرازياني على هذا المشروع وهاجم بافوليني لأنه لم يعد تفاصيل وافية عن مخططه ، راح موسوليني يقول بمنهى الهدوء . . . لا ليس ثمة من إرغام على أحد كم بالمضي إلى فالبتلينا . وعلى كل منكم أن يقرر لنفسه ما يشاء » .

وعندما وفد عليه الآب يوسيبيو ، كاهن الجيش الذي سبق له أن تحدث إليه عدة مرات في جرجنانو ، كان حديثه الآخير إليه ، أشبه بوصية الرجل المشرف على الموت واعترافه . فقد بات مقتنعاً من الهزيمة. وخيل للآب أنه أخذ يتوقع الميتة العنيفة التي كانت تنتظره (١) . وقال لكاهن آخر هو الدون بانسينو ، جاء يزوره بعد يومين . . . ه ودعني الآن أيها الآب . وشكراً لك على الصلاة التي أديبها من أجلى . وكل ما أرجوه أن تواصل الصلاة من أجلى ، إذ أنني في حاجة . إليها . فأنا أعرف أنهم سيقتلونني ٤ . وأوحى بنفس الانطباع من البأس والاستسلام إلى دينالى ، الثورى العجوز الذي عرفه منذ أيام شبابه في سويسرا . . . عندما قال . . . ه هناك إشارات مرة عن المصائب ، عالقة في الجو ٤ . . . ثم راح يدعى نفس الإحساس المسبق بالنكبة الذي أحس به في رومه في اليوم الذي سبق اعتقاله ، وقال . . . ويشاء القدر لي أن أصلب . نقد استرت الحظ ضدى فانقلب على . ولا ريب في أن المؤمنين الذين لم أحسدهم قط كما أحسدهم اليوم ، سيشيرون الى يد العدالة الإلهية . وقد أصبحت الحوادث بالنسبة إلى جزءاً من التاريخ . فقد ظللت أقامر حتى النهاية ، وكنت المغلوب في نهاية المقامة . وإنى لأودع فقد ظللت أقامر حتى النهاية ، وكنت المغلوب في نهاية المقامة . وإنى لأودع الحياة دون أحقاد ودون كراهية ودون كبرياء . الوداع ٤ .

ورد دينالي . . . ﴿ إِلَىٰ اللَّقَاءِ ﴾ .

<sup>(</sup>١) قال لشقیقته متحدثاً عن وفاة مازولینی وکیل وزارة الخارجیة . . . «مسکین مازولینی . ولکنه مات فی فراشه کا أراد أن یموت ، ومن یلوی أین سنموت لحن ، وما سیلحق بعظامنا بعد موتنا » . « المؤلف »

واجتمع وزراء الجمهورية الاشتراكية للمرة الأخيرة في السادس عشر من أبريل. وقال موسوليني إن الاجتماع المقبل ، سيعقد في ميلان . قال هذا بشيء من التحدي الساخر اللاواعي ، راجعاً بفكره إلى انتصاره الأخير في تلك المدينة قبل نحو من خسة أشهر في ديسمبر . . . وكان قد أسر لميلليني قبيل الاجتماع . . . ه أحب قط هذه العزلة ، حيث أجد نفسي مبتوت الصلة بالشعب . فقد ضاعت رومة وباتت ميلان هي العاصمة الوحيدة للجمهورية الإيطالية »(١) .



خريطة منطقة مجيرة كومو

وأعد عدنه فى الساعات المبكرة من مساء التاسع عشر من أبريل ، بالرخم من نصافح وولف وران ، للرحيل إلى ميلان ، مصحوباً بحرس من القوات الألمانية يقوده النقيب أوتو كيسنان من الجيش الألماني والملازم فريتز بيرزير من رجال الحرس النازى ، وهو ضابط شاب يبدو الحزن على محياه ، وقد صدرت إليه الأوامر بأن لا بدع الدوتشى يغيب عن ناظريه لحظة واحدة .

<sup>(</sup> ١ ) كان يريد في السابق نقل عاصمة الحكم إلى الجنهب إلى مركز متوسط عند موفزا ، ولكن الألمان لم يسمحوا به بلمك ، وقد نصحوه الآن بعدم الرحيل إلى ميلان ، على اعتبار أن مجيرة جاودا تقع على العلم يقى الراجع الجيش الألماني ، أما في ميلان فسيكونون عاجزين عن تأمين الحماية الكافية للفاشيين ضد رجال المقامة السرية . و المؤلف ه

وكانت الشمس تشرف على المغيب عندما ودع راشيل في حديقة الدار ، قائلا لها إنه سيعود إليها فيا بعد . وذكرت راشيل فيا بعد « وقد تحدث أيضاً عن احتمال الصمود الآخير في فيلتيلينا . ولم أجد سبيلا ، لمناقشته ٥ . وكان أكثر وضوحاً مع شقيقته المدفيج . فقد ذكر أن ألمانيا شارفت على نهايتها وأنها ستقسم بعد الحرب بين الروس والحلفاء الغربيين . أما بالنسبة إليه . فقد ذكر ، ويبدو أن حبه في البلاغة لم يزايله لحظة واحدة ، بأنه بات على استعداد ٥ لولوج صمت الموت الرهيب ٥ .

وأقام موسوليني مكتبه في ميلان في الطبقة الأولى من دار المحافظة في قصر مونفورتي ، حيث ظل لمدة خسة أيام متوالية . يتلقي سيلا لا ينقطع من الزائرين . وخلفت الأحاديث المتواصة ، وجو الإثارة المحمومة ، في نفسه بعض الارتياح . فقد وصل إلى ميلان عصبي المزاج ، بادى اليأس ، لا يكترث بشيء . أما اليوم ، أى في العشرين من أبريل ، فقد عاوده هدو وه ، وأصبح أكثر ثقة بنفسه . وراح يتحدث عن مقاومة تستمر شهرا في فيلتيلينا ، مما يتيح له الفرصة لإقامة حكومة مستقرة تتولى القيام بصلح شريف . وأخذ يبحث جاداً في احمال إقامة جبهة جديدة مع الاشتراكيين ضد الملكية . و وجده الصحفي كابيلا ، عندما قابله في العشرين من أبريل «في حالة صحية طيبة على العكس مما كان يقوله الناس » . وبدا أكثر بدانة من المرة الأخيرة التي لقيه كابيلا فيها ، وأكثر مرحاً ، وهو يسأله عما يستطيع بدانة من المرة الأخيرة التي لقيه كابيلا فيها ، وأكثر مرحاً ، وهو يسأله عما يستطيع صورته وقد وقعها بشيء من الاعتزاز على النحو الذي ألفه في السابق . . . « السنة الثالثة والعشرون العهد الفاشي » ، وكأن هذا العهد ، لا يزال في بدايته ، ولم يصل الثالثة والعشرون للعهد الفاشي » ، وكأن هذا العهد ، لا يزال في بدايته ، ولم يصل عونا أبداً .

وقال كابيلا يسأله . . . أتثق حقًّا في شوستر ؟

وسرح موسوبينى بنظره من النافذة ، ونشر بديه بالصورة المعروفة عنه وقد رفع راحتيه إلى السقف يقول . . . « إنه ماكر إلى حدما ، ولكن على الإنسان أن يصدق رجال الله » .

سكرتيريه والدكتور زاخارى أن يطير إلى أسبانيا ، أو عندما اقترح تامبورينى عليه الفرار إلى بولينيزيا . وكان قد حزم أمره على الموت فى فالتيلينا . فقد انتهت حياته ، لكن الفاشية فى نظره لم تنته . وفى الحطاب الأخير الذى ألقاه على عدد من الضباط جاءوا لرؤيته ، تحدث بشىء من قوته السابقة عن « خلود الحزب الفشى » .

لكن أسرته يجب أن تكون في مأمن . وتحدث إلى زوجته راشيل هاتفياً في الثالث والعشرين من أبريل ، قائلا إنه سيعود إلى جرجنانو ، ليعد العدة لفرارها إلى سويسرا . ولكنه اضطر بعد ساعات إلى التحدث إليها ثانية قائلا إن مانتوا سقطت وأن بريسكيا مهددة ، وإنه لن يستطيع الوصول إلى جرجنانو . وأمرها بالمضي إلى مونزا، حيث متجد براسو في انتظارها في الدارة الملكية . وسيعود إلى الاتصال بها هناك ثانية . وحاول إقناع كلاريتا أيضاً بالفرار ، ومضى لزيارها في البيت الذي نقلها إليه مع أسرتها في ميلانو ، الرائد سبوجلر . وكان بقية أفراد أسرتها يعدون العدة للطبران إلى أسبانيا ، ولكن كلاريتا ترفض اللهاب معهم . وكتبت إلى صديقة لها ، تقول وقد استعارت تعابير حبيبها المحبوبة لديه . . . . هاسير وراء قدري ، وأنا لا أعرف ما سيحل بي ، ولكني لا أستطيع مناقشة القدر » .

وقضى موسولينى سحابة الحامس والعشرين من أبريل فى ميلان . وظل برفض بإصرار كل الاقتراحات المنصبة عليه بمغادرة البلاد ، وبدا هادئاً ، ومتبلداً أحياناً . وكان ينفجر أحياناً بملاحظة غاضبة عن الألمان ، أو عن الملك والإنجليز ، ولكنه ظل بعمل طيلة النهار ، دون تذمر ، أو سرعة ، جامعاً أوراقه ، متحدثاً إلى زائريه ، متأهباً للشروع فى رحلته نحو الشهال . وانتشرت الشائعات بأنه سيغادر ميلان فى ذلك اليوم ، فجاءه الملازم بيرزير ، مذكراً إياه بشى عمن الحدة بوعده بأن لا يغادر المدينة حتى يعود النقيب كيسنان من جرجنانو ، حيث كان قد مضى بأن لا يغادر المدينة حتى يعود النقيب كيسنان من جرجنانو ، حيث كان قد مضى لجمع مناع رجاله . ورد موسولينى ، وهو يصدر إليه أمره بأن يمضى إلى ثكنات قد موتى الإعداد بعض السيارات الشاحنة والوقود ، استعداداً لرحلة الشمال . . . ولكن الوضع قد تبدل الآن » . و بدا منزعجاً من أن بيرزير ، اعتبره مخلفاً

لوعده لكيسنان ، وإن لم ينزعج للوضع الذي بات فيه .

وجاء الجنرال مونتانا رئيس الشرطة فى ميلان والماريشال جرازيانى إلى دار المحافظة فى الساعات المتأخرة من بعد ظهر ذلك اليوم للبحث فى انسحاب القوات الجمهورية من المدينة ، لإعادة تنظيمها فى الشهال . ولكن موسولينى أبعهما أنه سيقصد إلى الكردينال شوستر . ليطلب إليه إعداد اجتماع مع زعماء لجنة التحرير الوطنى ليعرف شروطهم للاستسلام . وقال إنه قرر 8 أن يوفر على الجيش المزيد من التضحيات » .

ومضى موسولينى بعيد الخامسة إلى قصر الكردينال ، على أن يلحق به جرازيانى فيها بعد . كانت الشوارع هادثة هدوءاً غريباً ، وكانت الأماكن العامة مغلقة ، ومعظم الحوانيت والمكاتب مقفلة . وكانت صافرات المصانع قد انطلقت قبل بضع ساعات تعلن بداية الإضراب العام .

وروى الكردينال شوستر فيما بعد . . . « ودخل موسوليني غرفة استقبالى ف حالة كثيبة ، فثل أماى صورة الرجل الذي أذهلته الكارثة الرهيبة . واستقبلته ، بحنان أبوى كنسى ، وحاولت ونحن ننتظر وصول الرجال الذين أراد مقابلتهم ، الترويح عن نفسه ، بشيء من الحديث » .

وكان الحديث عسيراً ومؤلماً . وبدا موسوليني في غابة الإجهاد ، عازفاً عن الحديث . وأصر الكردينال على أن يتناول بعض المرطبات ، لينتعش بعض الشيء ، فقيل مدفوعاً بالكياسة قدحاً من الشراب ، وقطعة من البسكويت » . وكان أشبه بالرجل الذي زايلته إرادته ، وتقبل مصيره دون حراك » .

ولم يستعد موسوليني قوة عزيمته وبصورة مؤقته ، إلا عندما رجاه الكردينال أن يوفر على إيطاليا المزيد من الاضطراب الله لا طائل تحته ، وأن يقبل بشروط الاستسلام الشريف . وقال إن مشكلته ذات شقين ، وتعالج في مرحلتين . وأضاف أنه سيعط الجيش والحرس الفاشي ، ولكنه سينسحب مع ثلاثة آلاف من ذوى القمصان السوداء إلى فالتيلينا ، لبواصل الحرب في الجبال .

وقال له الكردينال . . . « لا تجر وراء الأوهام يا دونشى . فأنا أعرف أن من سيتبعك إلى هناك من ذوى القمصان السوداء ، لن يزيدوا على الثلاثمائة ، لا ثلاثة

T لاف كما يحاول البعض أن يوهموك o .

واعترف موسوليني بشيء من الاستسلام الكثبب . . . وقد يزيد هذا العدد بعض الشيء ، لكن الزيادة لن تكون كبيرة . فأنا لا أعيش في الأوهام » .

واعتقد شوستر ، أن موسوليني مصمم على أن بمضى إلى قبره في الجبال ، حتى ولو كان العدد ثلاثمانة ليس إلا . وخيل إلى الكردينال أنه لن يتحول عن رأيه ، ولذا فقد توقف عن الحديث ، في هذا الموضوع . وتكلما في أمور أخرى ، لكن النار القصيرة التي اشتعلت في نفس موسوليني ما لبثت أن خبت ، وكان الكردينال هو المتحدث معظم الوقت . وتناول الحديث موضوع و التكفير و و الغفران و ، والسجن والإبعاد ، وبدا وكأن موسوليني لا يصغى إلى محدثه ، وإن ظهر بريق السرور في عينيه المجهدتين في ومضة خاطفة عندما أشار الكردينال بصورة عارضة إلى نابوليون . وامتلاً ناظراه بالدموع عندما تطرق الحديث إلى مغفرة الله . وأهداه الكردينال نسخة من وقصة القديس بنيديكت» ، فتقبلها موسوليني شاكراً ، ووضعها بعناية في مغلف بني اللون .

ووصل في الساعة السادسة الجنرال كادورنا ، مصحوباً بممثلين آخرين عن للحنة التحرير الوطني ، هما أخيل مارازا ، المحاى الديمقراطي الاشتراكي ، والمهندس ريكاردوا لومباردي ، أحد أعضاء حزب العمل . وسرعان ما قادهم الدون جيوسيبي بيشييري إلى غرفة الكردينال . وقدم إليهم الكردينال يده ليقبلوا الخاتم الذي يحمله . وعندما انتهوا من ذلك ، عرفهم على موسوليبي الذي اتجه مسرعاً إليهم ، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة صورها مارازا بأنها كانت تنطق بشيء من التنازل . ومد يعه إلى كل مهم مصافحاً . وراح يجلس إلى جانب الكردينال على الأريكة ، بيما ظل الرجال الثلاثة واقفين .

وخيم على المكان جو من التحفظ والحيرة ، ولا سيا بعد أن وفد إليه مندوبو الجمهورية الاشتراكية ، وهم جرازياني وياراكو وباولو زيربينو وزير الداخلية . وكان موسوليني يؤدى دوراً لم يسبق له أن مثله ، فراح ينظر بإصرار إلى الستائر القرمزية المدلاة على الجدران، مبتعداً ببصره عن عيون الآخرين . وكان الشارع الذي تطل عليه النافذة المفتوحة في منهى الهدوء .

وقال أحدهم . . . هل يسمح لنا بالجلوس هناك ؟

وأشار الكردينال شوستر ، إلى مائدة كروية ضخمة تقوم فى وسط الغرفة وعليها عدد من الكؤوس ، وجرة من نبيذ مارسالا ، ووعاء من البسكويت . وجلس الكردينال إلى طرف المائدة إلى جانب موسوليتي ، وإلى شالهما جلس كادورنا ومارازا ولومباردى ، بينا جلس إلى اليمين جرازيانى وزيربينو وباراكو ، وذكر كادورنا أن جرازيانى كان بادى الغضب .

وراح موسولینی یبدأ الحدیث بصوت حاد نافد الصبر ، وکأن المبادرة ما زالت حقاً له . . . « حسن . . . ما هی اقتراحاتکم ؟ »

وجه كلامه إلى كادورنا الذي بدا غير راغب في الرد عليه ، فتطلع إلى مارازا .

وقال مارازا : و إن التعليات لدى محددة ودفيقة . فعلى أن أطلب منكم الاستسلام وأن أقبله ليس إلا » .

وقاطعه موسوليني خاطفاً وقد استدار غاضباً إلى الكردينال شوستر . . . « أنا لم آت إلى هنا لهذا . فقد قيل لى إننا سنجتمع وسنبحث فى الشروط . وهذا هو سبب مجيئى . حماية رجالى وأسرهم ، والحرس الفاشى . أريد أن أعرف ما سيحدث لهم . فن الواجب إضفاء الحماية على عائلات أعضاء حكومتى . وقد أكدوا لى أيضاً ، أن رجال الحرس الفاشى سيسلمون إلى العدو كأسرى حرب » .

وكان غضب موسوليني قد اشتد وهو يتحدث . وكان من المتوقع أن يقول المزيد لو لم يقاطعه لومباردي قائلا . . . « طبعاً هذه تفاصيل ، وأعتقد أن لدينا الصلاحية لبحثها وتسوينها » .

فرد موسوليني بلهجة الرجل الذي استثير ثم أرضى بعد لأى ، وكأنه قد كسب نقطة في النقاش . . . « حسن إذن ، فني وسعنا أن نصل إلى شيء من الانفاق » . وسرعان ما بدأ النقاش الجدى ، وقد بشر في مسهله بالنجاح . ووافق ممثلو لجنة التحرير الوطني ، على أن يعامل الجنود الفاشيون عندما يؤخذون كأسرى طبقاً لميثاق لاهاى . وأن لا تتعرض أسر الفاشيين للأذى ، وأن يلتى الدبلوماتيون المعتمدون لدى الجمهورية الاشتراكية حماية القانون الليولى . ولكن بينا بدا أن موسوليني

بصمته غير المألوف كان يقر شروط مندوبي اللجنة ، راح الماريشال جرازياني يهب فجأة على قدميه عندما أثير موضوع عجرى الحرب قائلا . . . « لا . لا يادوتشي أرى لزاماً على أن أذكرك بأن علينا التزامات بالولاء لحلفائنا . فليس في وسعنا أن نتخلي عن الألمان وأن نتفاوض على هذا النحو المستقل . فليس في وسعنا أن نوقع اتفاقاً بدون الألمان . وليس في وسعنا أن ننسى قوانين الشرف والواجب » .

ورد كادورنا ببطء وهو يؤكد كل كلمة يقولها ، متطلعاً إلى موسوليني . . . ه أخشى أن لا يكون الألمان قد أحسوا بمثل هذا الواجب , فقد كنا نبحث معهم في شروط الاستسلام طيلة الأيام الأربعة الماضية . وقد اتفقنا على جميع التفاصيل ، وتحن ننتظر أنباء توقيعهم على الاتفاق في أية لحظة » . ولم يشك مارازا لحظة واحدة في أن هذه الأنباء كانت مفاجأة مذهلة لموسوليني وبدا الألم على وجهه واضحاً كل الوضوح . وقال مارازا وقد تظاهر بالدهشة . . . « أولم يكلفوا أنفسهم عناء إبلاغ حكومتك ؟ »

فقال موسوليني غاضباً: هذا مستحيل ، أرني المعاهدة .

وتدخل زيربينو قائلا: إن الأمر ليس مستحيلا ، وذلك لأن الدون بيشيراى قد حدثه به في الغرفة الخارجية . والنفت موسوليني إلى الكردينال شوستر ، الذي اعترف فيا بعد بأنه قد تضايق لأن الدون بيشيراى قد أفشى سرًا دبلوماتياً. وقال الكردينال أخيراً . . . « ليس من الحجدى الآن على أى حال ، الاحتفاظ بسرية أمر أصبح معروفاً للجميع . . . أجل كان الجنرال وولف رئيس الحرس النازى في إيطاليا يتفاوض معى فعلا عن طريق السفير الألماني والعقيد راوف، واستسلم موسوليني إلى حافز مفاجئ من السخط ، وأعلن أن الألمان قد خانوه ، وأنهم كانوا يعاملون الإيطاليين دائماً كالعبيد . وتوحد بأن يستعيد لنفسه حرية العمل ، طالما أنهم «عملوا من وراء ظهورنا» .

وحاول الكردينال شوستر والماريشال جرازياني تهدئة ثائرته دون جدوى إبان الوقت الذى استؤنف فيه النقاش . ولكنه بدا غير قادر على التفاوض وسرعان ما قام من مكانه ، قائلا إنه لن يقر شيئاً إلى أن تتاح له الفرصة للتحدث إلى القنصل الألماني ثم قال . . . وفي وسعنا أن نقول هذه المرة إن ألمانيا خانت إيطاليا ؟ . وطلب مهلة ساعة للراسة شروط اللجنة للاستسلام ، فوافق المندوبون على منحه

هذه المهلة . وروى جرازيانى أنه غادر الغرفة متوعداً بإذاعة الحيانة الألمانية عن طريق الإذاعة . وودعه الكردينال إلى الغرفة الحارجية متمنياً له سلامة العودة فى غضون ساعة . . . ورد عليه موسولينى قائلا . . . « هذا لا يهمنى » .

ووصل القنصل الألماني بعد نحو من نصف ساعة متسائلا عما حدث. وسرعان ما حمى وطيس الجدال بينه وبين عدد من الإيطاليين . وكان هناك في إحدى الزوايا ، وقد وقف صامتاً ، كارلو تينيجو ، محافظ تورين السابق ، الذي كان الجنرال ديامانيتي قائد الحرس الفاشي ، قد طلب إليه أن يحاول معرفة ما حدث . وقبل ربع ساعة من انقضاء المهلة المعطاة لموسوليني اندفع إلى الغرفة اليسانلرو بيرتيني سكرتير الحزب الاشتراكي ، وكان قادماً لتوه من اجتماع في مصنع للسيارات ، حيث نشب عراك بين العمال المسلحين . . .

وصرخ اليساندرو . . . أين موسوليني ؟ لم كل هذا الحديث ؟ إذا سلمتم موسوليني إلينا، فإننا سنقيم في غضون يومين محكمة للشعب . إن ما نطلبه هو العدالة السريعة . وقد مللنا من هذا الحديث الذي لا فائدة منه ،

وبينها كان مارازا يعترض على مناداة بيرتيني بالعنف ، تسلل تينيجو من الغرفة واكضاً لتحذير موسوليني من الحطر الذي يتهدده . ووجد ساحة المحافظة ملأى بالسيارات والرجال المتحمسين يصعدون الدرج ويهبطونه . وكان الضجيح في الداخل مرعباً .

وصرخ تبنيجو مردداً عبارة بيرتيني التي قالها عندما الدفع إلى قصر الكردينال ... « أين موسوليني ۴ »

وقال له أحدهم إن الدوتشي مضى إلى مكتبه ، وطرد كل إنسان من حضرته ، ثم أغلق الباب عليه . ومن المحتمل أنه يعتزم أن يطلق النار على نفسه . فلديه مسدس في المكتب ، وهو في حالة جنونية . ولاحظ الدكتور زاخاري ما كان عليه من شحوب وما بدا في تقاطيعه من عبوس . وعندما عرض عليه الجرال وينينج قائد الحامية الألمانية في ميلان ، حراسة ألمانية مسلحة ، صرخ في وجهه قائلا إن الألمان خونة وجبناء ، وإنه يؤثر الموت على طلب حمايتهم .

وعندما عاد موسولینی إلی القصر ، مضی فورآ إلی خریطهٔ منشورة علی الماثلة ، وأشار إليها بأصبع مرتجفة وقال . . . « سنغادر میلان فورآ باتجاه کومو » .

ولم يكن هذا يمثل الطريق المباشر إلى فالتيلينا ، ولكن الأنباء كانت قد وصلت بأن الأمريكان يتقدمون بسرعة على طريق ببرجامو ، وأن رجال المقاومة قطعوا الطريق إلى ليكو . ولم يعرف أحد ما كان الدوتشي يعتزم عمله ، بعد الوصول إلى كومو . وخيل إلى البعض أنه قد يمضي منها إلى شياسو محاولا عبور الحدود إلى سويسرا ، وهذا ما اعتقده الكثيرون في الواقع فيا يعد ، إذ تصوروا أن موسوليني قد سر من خيانة الألمان إذ أتاحت له الفرصة للفرار دون أن يتهم بالحيانة .

ولكن فيتوريو لم يكن يعتقد كغيره من الذين كانوا قريبين منه في هذا الوقت ، بأنه يعتزم الفرار . فلقد كان قبل بضع ساعات قد أبلغ أباه بأن هناك بعض الطائرات ما زالت في مطار جيدى ، وأن الوقت ما زال متسعاً للنجاة . لكن هذا الاقتراح أثار غضبه ، فقد تطلع إلى ولده بنظرة غاضبة ثائرة «جمدت العبارات في فم فيتوريو » كما اعترف هذا فيا بعد . وصرخ في ولده بمنتهى القسوة ... «لم يطلب منك أحد أن تدلني على ما يجب أن أفعله . فقد قررت أن ألني حتني في إيطاليا » . ووجد فيتوريو في نفسه الجرأة ليكرر نصيحته الآن ، ولكن هذه النصيحة رفضت من جديد ، بغضب شديد .

واندفع موسوليني من مكتبه ، ولقيه تينيجو في الرواق ، ونصحه بأن لا يعود إلى قصر الكردينال ، إذ أن أعداءه سيقتلونه . وتوسل إليه كارلو بورساني أحد أعوانه الحليس، وكان قد أصيب بالعمي في معارك ألبانيا ، أن لا يغادر ميلان ، مادًا إليه يديه ، وقد سالت العبرات من عينيه اللتين لا تبصران . وطلب إليه بوفاريني — جيدي وريناتو ريكي ، أن يقبل بنصيحة ولده فيتوريو ، وأن يطير إلى أسبانيا ، بينها هتف آخرون . . . و لا لا تذهب يا دوتشي ، لا تذهب » . وهرع إليه أحد سكرتبريه يحمل أوراقاً يطبب توقيعه عليها ، فدفعه عنه بيده ، دون أن ينظر إليها . ونصحه البعض بأن يحاول الوصول إلى حراسه الذين كانوا لا يزالون ينتظرونه في جادرون . وقال بومباكي ، وكان يرتدي قميصاً أسود ، وسروال ركوب أسود أيضاً إن المنظر ذكره بملينة بيتروجراد ، حيث وقف يرقب مع لينين فرار قوات ياديينيك . وقال . . . « كان قصف المدافع آنداك يهز سوءاً » .

وهتف موسولینی قائلا دون آن یکترث بمن حوله ، وقد سرت إلیه عدوی ما أصابهم جمیعاً من جنون . . . « یریدون أن یکرروا الحامس والعشرین من یولیو ، ولکنهم لن ینجحوا «له المرة . أجل لن ینجحوا » .

وكان يرتدى لباس الحرس الفاشى ، وقد وضع مدفعاً رشاشاً على كتفه . وكان يحمل حقيبتين جلديتين وقد حشيتا بالوثائق السرية ، فسلمهما مع بعض المال إلى كاردورى ، وهو من رجال القمصان السوداء الذين يثق بهم . واتجه نحو سيلفيسترى وبورسالى فعانقهما صامتاً . وفجأة رجع بضع خطوات إلى الوراء ، وصرخ بصوت دراماتى . . . « إلى فاليتلينا » . ثم هبط السلم متجهاً إلى سيارته .

وشقت سرية من ذوى القمصان السوداء طريقها عبر الجماهير ، ثم سارت الفافلة متجهة إلى شارع مونفورتى . ومنه إلى شارع ليتوريو ، فى الطريق إلى كومو . وكان لويجى جاتى . سكرتير موسولينى الشاب يتولى القيادة ، جالساً فى مقدمة السيارة وقد ارتدى جاكيتة من الجلد الأسود ووضع مدفعاً رشاشاً بين ركبتيه . ووراءه كانت سيارة موسولينى « الالفاروميو » المكشوفة ، وقد جلس فيها وإلى جانبه بومباكى ، ووراءها نحو من ثلاثين سيارة أخرى بين صغيرة وكبيرة . وكانت فى إحدى السيارات وهى من طراز « الفاروميو » وتحمل رقماً أسبانياً ، كلاريتا فى إحدى السيارات وهى من طراز « الفاروميو » وتحمل رقماً أسبانياً ، كلاريتا بيتاتشى ، ومعها أخوها مارسيلو وزوجته وطفلاه . ووراء هذه السيارة ، شاحنتان وقد ملتتا بجنود الحرس النازى بقيادة الملازم بيرزير ، الذى أمره الجرال وينينج ، بالرغم من احتجاجات موسولينى المسرحية ، بأن يواصل القيام بواجبه فى حراسة موسولينى ، وكان فيتوريو فى السيارة الأخيرة .

وكان عدد من وزراء الحكومة الجمهورية قد قرروا البقاء في ميلان ، لكن معظمهم ، لحقوا بالدوتشي .

وراح أحدهم يسأل ميزاسوما . . . « إلى أين نحن ذاهبون » .

فرد هذا بوجوم يحمل طابع التنبؤ . . . « لا يعرف ذلك إلا الله . وربما كنا ماضين إلى حتوفنا a .

# الفرار من میلان من ۲۰ ایل ۲۷ أبریل ۱۹۶۰

« سأمضى إلى الجبال ، ومن المستحيل بانتأكيه أن لا يكون ثمة خسائة على استمداد الحدق بي .

١

وصل موسوليني إلى كومو حوالي الساعة العاشرة مساء . وراح يصعد سلم المحافظة مسرعاً حيث قرر أن ينتظر وصول بافوليني ، الذى وعده بأن يأتي بثلاثة آلاف من الفاشيين المخلصين ، للصمود معه في وقفته الأخسيرة في الجبال . لكن الأنباء التي وجدها في كومو لم تكن مشجعة على الإطلاق ، فخطوط الهاتف ما زالت سليمة ، وكان الحرس يقرع في رواق المحافظة بين لحظة وأخرى ، حاملا صوتاً مرتعداً يعلن وقوع كارثة جديدة . فلقد احتل العمال المسلحون ضواحي ميلان كلها . والأمريكان لا يزالون يتقدمون ، والألمان يتراجعون تراجعاً عاماً . ومنعت جماعات المقاومة السرية الجنود الجمهوريين من دخول ميلان ، بعد أن وريري ديلاسيرا فقيل له إن رجال المقاومة السرية قد احتلوا البناء . ولم يسمع أحد بأية أنباء عن بافوليني .

وأعدت زوجة المحافظ العشاء حوالى الساعة العاشرة والنصف . وقدمته فى مكتب زوجها ، لكن موسوليني لم يستطع أن يأكل شيئاً . وظل يصغى صامتاً إلى وزرائه ، وهم أقرب ما يكونون إلى الذعر : يواصلون نقديم النصائح المتناقضة إليه . فقال باولوبورتا ، مفتش الحزب الفاشي فى لومبارديا : إن عليه أن لا ينتظر وصول بافوليني وأن ينسحب إلى كادينابيا . وحثه بوفاريني - جيدى ، على أن يضي معه لعبور الحدود إلى سويسرا عند شياسو ، حيث لابد أن يسمح لهم حرس الحدود بعبورها . وقال جرازياني الذي استشار قائد الحامية الألمانية في كومو

إنه يرى أن الفرار إلى سويسرا ، أمر مستحيل . وهنف الجنرال ميشي من قادة الجيش الجمهوري ، يقوب إنه ينتظر الدوتشي في سوندريو .

وقال أخيراً . . . « سأمضى إلى الجبال ، ومن المستحيل بالتأكيد أن لا يكون ثمة خمسمائة رجل على استعداد للحاق بي .

وبدا شديد القلق على ملفاته . فبالإضافة إلى الحقيبتين الجلديتين اللتين سلمهما في ميلان إلى كارادوري ، كانت هناك وثائق أخرى ، وضعها في سيارة شاحنة ، لم تصل إلى كومو بعد مع بقية القافلة . وبعث بجاتى والعقيد كاسالينوفو، ليحاولا البحث عما تم بالوثائق ، بينما راح يقرأ بمنتهى العناية والدقة مجموعة أخرى من الوثائق كان قد وضعها في حقيبتي يد كبيرتين كانتا لا تفارقان نظره لحظة واحدة . ولم يعرف أحد أبداً ما الذي تضمنته هذه الأوراق ، كما لم يستطع أحد فيها بعد اكتشاف ما كان فيها ، بالرغم من المحاولات الكثيرة التي بذات وستبذل في هذا السبيل . وأعرب كارلو سيلفيستري ، الذي أعانه في حشو حقيبتين كبيرتين بها في ميلان ، عن اعتقاده ، بأن هذه الوثائق كانت تضم الأوراق التي ظن الدونشي أنها ستعينه في الدفاع عن نفسه في أية محاكمة قلد يتعرض لها بعد الحرب. وتضمنت كما قال ، الأدلة الوافرة على الجهود الكبيرة التي بذلتها الجمهورية الاشتراكية لإنفاذ شمال إيطاليا من ويلات الحرب وتدمير الألمان وأخطار الحرب الأهلية ، والأدلة على سيطرة الشيوعيين على أنشطة حركة المقاومة السرية ، وأورافاً دبلوماتية تتعلق بمسئولية إنجلترا عن إشعال الحرب ، وأوراقاً أخرى عن ولده أومبرتو ، وعن هتلر ، ومحاكمة فيرونا . ولا ريب في أنه بذل عناية كبيرة ، في اختيارها ، إذ ظل موسوليني طيلة أسابيع عدة قبل مغادرته جرجنانو ، بجمع أكثر الوثائق سرية ، ثم مضى أحد سكرتبريه في الليلة التي سبقت رحيله إلى ميلان ببقية الوثائق التي حملها على ظهر زورق بخاري ، ليقذف بها في أعماق بحيرة جاردا ، بعد أن قرر الدوتشي عدم الاحتفاظ بها .

وعندما عاد جاتى وكاسالينوفو إلى كومو ليعلنا أن رجال المقاومة السرية ضبطوا السيارة الشاحنة التى تقل الوثائق وهى فى طريقها خارجة من ميلان ، بدا موسولينى وكأن هذه الكارثة قد أنزلت به من الهم ما لم تنزله أية كارثة أخرى . فبالإضافة إلى

الوثائق ، كانت السيارة تحمل جزءاً مما سمى فيا بعد « بكنز دونجو » ، وهو يضم سبائك ذهبية وتحفاً فنية وأموالا كلها ملك لحكومة الجمهورية الاشتراكية ووزرائها، وتبلغ قيمته ما يعادل عدة ألوف الملايين من الليرات (١) . وأظهر موسوليني أنه لا يكترث بضياع هذا الكنز ، وإن كان قد ظل بذكر الوثائق باستمرار طيلة اليومين اللذين بقيا من حياته .

وراح يكتب وهو ينتظر عودة جاتى وكاسالينوفو ، رسالته الأخيرة إلى راشيل ، التى كانت قد غادرت الدارة الملكية فى مونزا ، ووصلت مع رومانو وآبا ماريا إلى دارة مونير وفى سيرنوبيو ، حيث حاول الاتصال بها عن طريق الهاتف عدة مرات دون جدوى . وكانت الساعة فى الثانية صبحاً عندما تلقت راشيل رسالة زوجها . كانت مستلقية على سرير فى الدارة ، يحرسها بعض ذوى القمصان السوداء الذين كان زوجها قد بعث يهم إليها فى سيرنوبيو ، لحمايها ، عندما «سمعت أصوات أقدام وبعض الضجيج عند بابها » . وطرق أحد الحراس باب الغرفة وقال . . . .

وقالت متذكرة فيها بعد . . . « وقفزت من سريرى ، وخطفت الرسالة ، بعد أن عرفت خط بنيتو ، والقلم الأزرق والآحمر الذى كان يستخدمه فى كتابة رسائله الخاصة فى الآونة الأخيرة » .

ومضت فأيقظت ولديها وتلت عليهما الرسالة . وحملتهما على أن يحفظا ما قاله والدهما عن ظهر قلب قبل أن تحرق الرسالة . وكانت الرسالة تقول كما تلكرا فيا بعد . . .

<sup>(</sup>۱) يقول خازن في وزارة مالية الجمهورية الاشتراكية ، إن هذا الكنر تضمن مقادير ضمخمة من العملة الأجنبية نقلت إلى مكتب موسوليني في شهر فبراير . وقد احتوت خزانة مكتب موسوليني في شهر فبراير . وقد احتوت خزانة مكتب موسوليني و جنيها إسترلينيا و ۲۱۰۰ ليرة ذهبية ألى إنجليزية و (۱٤۹) ألف دولار و (۲۷۸) ألف فرنك سويسرى و ۱۸ مليوناً من الفرنكات الفرنسية . والمعتقد أن الشطر الأكبر من هذه الأموال ، ذهب إلى صناديق الحزب الشيوعي . وكان أهل رومة قد أطلقوا على مقر قيادة الحزب اسم وقصر دونجو و نسبة إلى البلدة الصغيرة الى اعتقل فيها موسوليني والواقعة على ساحل البحيرة .

#### عزيزتي راشيل:

وها أنا ، وقد وصلت آخر مرحلة من حيانى ، أكتب آخر صفحة فى كتابى . قد لا نلتى ثانية فى هذه الدنيا . ولذا فأنا أبعث إليك بهذه الرسالة ، أسألك الغفران عن كل ما سببته لك من ألم وأذى ، عن غير قصد . . . خذى الأطفال معك ، وامضى إلى الحدود السويسرية . فى وسعك هناك أن تبلقى حياة جديدة . لا أعتقد أنهم سيضنون عليك بالدخول إلى سويسرا ، فلقد طالما ساعدتهم ، وليس لك أنت شأن بالسياسة ، وإذا رفضوا السياح لك بدخول سويسرا ، فسلمى نفسك إلى الحلفاء ، فلعلهم أكثر كرماً من الإيطاليين . أرجو أن تعنى بآنا ورومانو ، ولا سيا بآنا ، فهى فى أشد الحاجة إلى عنايتك . ولا ريب فى أنك تعرفين كم أحبهما ، وأن برونو سيساعدك من سمائه .

مع عظيم حيى لك وبلأطفال .

المخلص

بنيتوا

كومو فى ٢٧ أبريل ١٩٤٥ الموافق السنة الثالثة والعشرين من العهد الفاشى

وطلبت إلى الطفلين أن يعيدا قراءة الرسالة المرة تلو المرة ، بينها راحت تسأل أحد رجال الحرس ، أن يحاول الاتصال ثانية عن طريق الهاتف بدار المحافظة فى كومو . وقد أفلح هذه المرة فى تحقيق الاتصال . ورد جاتى على الطرف الآخر ، ولكن سرعان ما أخذ موسوليني منه الساعة ، وسمعت صوته يقول . . . « راشيل . . . هذا أنت أخيراً 1 .

كان صوته هادئاً متزناً . رجاها أن لا تفكر فيه ، بل فى سلامة نفسها وأراد دها . ولم يسبق لها أن سمعت منه مثل هذا الحنان . . .

واحتجت تقول . . . ، ولكن وسلامتك أنت ؟ » . . فقال مستخدماً مرة أخرى ذلك التعبير الذى يتعمد أن يكون دراماتياً . . . ، أنا أسير وراء قدرى . ولكن عليك أن تنقلى الأطفال إلى مكان أمين . ليس عندى ما أضيفه على

رسالتی . اغفری بی کل ما أسأت به إلیك . ولوبما كانت حیاتك أكثر هدوماً وسعادة لو لم تنتقی بی » .

وراحت تبذل المحاولة الأخيرة اليائسة لتشجيعه . . . « ولكن هناك الكثيرين على استعداد للموت في سبيلك ومن أجل إيطاليا . فلك أتبع كثر ، ولا يد أن من حولك على استعداد للتضحية بكل شيء من أجلك » .

فرد عليها قائلا . . . لقد مضوا جميعاً . وبت وحيداً يا راشيل . وها أنا أرى أن كل شيء قد انتهى » .

وطلب منها أن يتحدث إلى الطفلين ، فتوسل إليه رومانو أن لا يفارقهم . وتناولت راشيل سماعة الماتف من ولدها ثانية لتودع زوجها . ولم تكد تفعل ذلك . حتى قررت أن لا تمضى قدماً إلى سويسرا ، وأن تحاول رؤيته مرة أخرى في كومو . وعندما وصلت إلى هناك ، أسلمها أوراقاً كثيرة من المجموعة التي حرص كل الحرص عليها ، وبينها بعض الرسائل التي كان قد تلقاها من ونستون تشرشا ، والتي كان يأمل في أنها ستساعدها على اجتياز الحدود .

وقال لها أخيراً . . . « ولو حاولوا منعك أو إلحاق الأذى بك ، فاطلبي تسليمك إلى الإنجليز » .

۲

وفى الساعة الرابعة والنصف صباحاً ، رأى حارس ألمانى ، كان يتطلع إلى دار المحافظة فى ضوء الفجر الشاحب ، موسولينى وهو يهبط السلم متجهاً إلى سيارته ، ومعه بومباكى والماريشال جرازيانى ، وبعض الإيطاليين الآخرين الذين لم يتميزهم .

وكان موسوليني ، وقد مل انتظار بافوليني ، قد قرر الا تجاه نحو الشال على شاطئ البحيرة ، إلى ميناجيو ، مخلفاً تعلياته لبافوليني للحاق به . وكان الملازم يبرزير قد حزم أمره ، على أن لا يسمح للدوتشي بالتحرك بدون الحرس الذي أمر هو بتأمينه له . وعندما سمع صوت الإندار من الحارس، هرع إلى

سيارته ، وقادها ليقف بها فى وسط الطريق، قاطعاً على سيارة موسولينى سبيلها . وهبط بعد ذلك من السبارة ، ومضى إلى الدوتشى فأخذ التحية وقال ... « يجب أن لا تخرج يا دوتشى ، دون حراسة » .

فرد موسولینی باقتضاب «أرجوك . دعنی وشأنی . فی وسعیأن أفعل ما أربد ، وأمضی أنی أشاء . أبعد عن طریقی » .

ورد ببرزير ، وهو لا يزال واقفاً وقفة الاستعداد . . . ولكنك لن تمضى دون حراسة » .

فقال جرازياني . . . « أبعد من الطريق ، في وسع الدونشي أن يمضي حيث بشاء » .

ــ لا . لا يمكن أن يمضي دون حراسة يا سيدي الماريشال . هذه أوامري .

ووقفت جماعة من الإيطاليين بين الدوتشي وبين الضابط الألماني الصامد كالصخر ، ولكن عندما هرع الجنود الألمان ليقفوا وراء ضابطهم ، وقد وضعوا أصابعهم على أزندة بنادقهم ، اضطر الإيطاليون إلى التسلم .

وعاد يبرزبر ، فلمق قلميه ، وأدى التحية وقال . . . « لن تمضى بدون حراسة يا سيدى اللوتشي » .

واضطر موسوليني أخيراً ، إلى التسليم للضابط بما أراد .

ووصل إلى ميناجيو ، وسط زخة من المطر ، حوالي الساعة الحامسة والنصف صباحاً . وهبط من السيارة حاملا مدفعه الرشاش إلى ظهره ، ثم خطا ، وقد أسمى وأسه بين كتفيه ، بضع دقائق ، جيئة وذهاباً أمام المدرسة التي كانت قد تحولت للى ثكنة للموى القمصان السوداء ، ثم مضى بعد ذلك إلى دارة إميليو كاستيللي ، سكرتبر فرع الحزب الفاشي في البلدة ، حيث استلقي على سرير محاولا النوم . وبينا كان يستريح على سريره ، وصلت السيارات والشاحنات الأخرى التي لحقت به من كومو إلى ميناجيو ، تحرسها عدة فصائل من الجيش الجمهوري ، وسيارتان مدرعتان مجهزتان بالمدافع الرشاشة من عيار ٢٠ مليمتراً . وتوقفت القافلة الطويلة وراء سيارة يبرزير . وكانت كلاريتا بيتاتشي في إحدى هذه السيارات ، فمضي بها العقيد كاسالينوفو إلى موسوليني داخل الدارة .

وخشى لويجى جاتى ، أن يؤدى تجمع مثل هذا العدد الكبير من السيارات الى استثارة اهمام رجال المقاومة السرية ، فأمر القسم الأكبر منها ، بالعودة مسافة قصيرة ، في طريق كادينابيا . وقد أطاع الرجال هذا الأمر بكثير من الردد والتبرم وهنف أحدهم . . . « جثنا نموت مع الدوتشي » . وسمع صوت رجل والتبرم ، يهتف صارخاً وهو يستدير بالشاحنة التي يقودها إلى طريق ضيق ، بأن الدوتشي قد تخلي عنهم ، وأنه يريد الفرار وحده عبر الحدود إلى سويسرا . وكانت لحظة من القبق المتزايد . وأيقن بيرزير أن هذا ما انتوى الدوتشي أن يفعله ، عندما خرج بعد راحة ثلاث ساعات ، من دارة كاستيللي مصلراً أوامره ، عندما خرج بعد راحة ثلاث ساعات ، من دارة كاستيللي مصلراً أوامره ، يختفون عن العيون انتظاراً لوصول قوة بافوليني من الفاشيين انخلصين . ولا تبعد هذه القرية إلا أربعة عشر كيلو متراً عن الحدود السويسرية . وعندما أصدر موسوليني أمره هذا ، للقافلة ، مضي إليه يبرزير ، وأدى التحية ، وقال بدمائة مصحوبة أمره هذا ، للقافلة ، مضي إليه يبرزير ، وأدى التحية ، وقال بدمائة مصحوبة بالشك الواضع . . . « إلى أين نحن ماضون يا دوتشي ؟ »

فرد موسولینی . . . « اتبعی وستعرف » .

ومضت السيارات الإيطالية بسرعة هائلة عبر الطريق الملتوى والقائم نحو الجبال ، بينها وجد بيرزير ، صعوبة بالغة في اللحاق بها . وخرجت سيارة إيطالية من طراز و الفاروبيو و في ضواحي القرية ، من خط القافلة ، وسارت بسرعة في طريق ضيق ، إلى دارة وحيدة منعزلة . ولم يستطع بيرزير التثبت مما إذا كانت هذه السيارة ، هي سيارة موسوليني ، ولكنه شك في أنها سيارته ، وأحس فجأة بالحوف من أن يكون الدوتشي قد نجا من حراسته . وأصيب بما يشبه الذهول المصحوب بالراحة ، عندما رآه بعد دقيقة أو دقيقتين وقفاً في قاعة فندق ميرافال في القرية . وكان يسير في حديقة لفندق مع كلاريتا بيناتشي وثلاثة من وزرائه ، عندما أصر حارس ألماني على وجوب دخول الفندق .

وكانت ساحات الفندق قد امتلأت فى ساعات بعد الظهيرة المبكرة بالسيارات، بيها احتشد جمع من الفشيين الذين استبدت بهم العصبية ، فى الفندق ، يتساءلون عما أصاب بافوليني . وكان موسوليني قد اجتمع إليه بضع دقائق فى

الصباح فى مبناجيو ، ولم يدر أحد شيئاً عما دار بين الرجلين . وعرف أنه تمكن من جمع ما يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف من ذوى القمصان السوداء من جميع أنحاء لومبارديا ومن مناطق تصل حدود تورين واليساندريا ، وأن هؤلاء الرجال ، وكثيرون منهم استصحبوا زوجاتهم وأطفاهم ، يحتشدون الآن فى محطة فيروفيا فى شمال كومو . لكن ساعات طويعة قد انقضت منذ عاد إليهم ، ليجمعهم ، ويأتى بهم . وها هى الساعات تمضى دون أن يعود .

وانشغل موسوليني ، بينما كان الآخرون يتناولون وجبة سريعة ، في تجميع وثائقه وفحصها بدقة ، مستخرجاً منها تلك الني تتناول المفاوضات التي جرت مع الحكومة السويسرية لضمان سلامة المرور عبر الحدود لأسر أعضاء حكومته وموظفيهم .

وكان ذلك اليوم رطباً ، كثيباً وقائماً . وظل الموجودون يديرون جهاز الإذاعة في الفندق ، فيسمعون إذاعات تتحدث عن ثورة عامة في شهال إيطاليا ، وعن المهيار المقاومة في جميع أرجاء الجبهة ، وعن تقدم قوات العدو . وأراد موسوليني المهيار المقاومة في جميع أرجاء الجبهة ، وعن تقدم قوات العدو . وأراد موسوليني الخلاص من هذا الجو القائم الذي يثبط العزائم ، فعخرج إلى الحديقة يسير حاسر الرأس ، والمطر ينهمر فوق رأسه ، ومعه فتاة صغيرة انضمت إلى القافلة في كومو . وكانت الفتاة إيلينا كورتي كوكياتي الابنة الجميلة الشقراء الأنجيلا كورتي ، وكانت الفتاة إيلينا كورتي العشقته السابقة ، التي لم تنقطع لحظة واحدة من قبل وبمنهي الاهمام ، عن تحديره عبئاً من المؤامرات التي تحاك للإطاحة به ، وأدى سروره بر قرية إيلينا ، وارتياحه على عبئاً من المؤامرات التي تحاك للإطاحة به ، وأدى سروره بر قرية إيلينا ، وارتياحه إلى الفندق ، راحت تصبح به قائلة . . . ، ما اللي تفعله هذه المرأة هنا ؟ عليك إلى الفندق ، راحت تصبح به قائلة . . . ، ما الذي تفعله هذه المرأة هنا ؟ عليك أن تتخلص منها فوراً . أجل تخلص منها على الفور » .

وحاول أن يهدئ من ثاثرتها ، ولكنها مضت في صراخها المجنون ، بما أدى إلى احتشاد لفيف من الناس على نافذة قاعة الطعام . ورأى أحدهم وجه موسوليني وقد بدت فيه صورة العذاب ، وهو يخطو إلى النافذة ليغلقها بعنف وهو يصرخ بصوت تعجلى اليأس فيه أكثر من الغضب «كنى » . واستدارت إليه ، فانزلقت بصوت تعجلى اليأس فيه أكثر من الغضب «كنى » . واستدارت إليه ، فانزلقت بمصوت تعجلى اليأس فيه أكثر من الغضب «كنى » . وأسيبت ركبتها بجرح سائت منه قلمها ، وهي تلتفت وسقطت على الأرض ، وأصيبت ركبتها بجرح سائت منه

الدماء . فتركها وهي تجهش بالبكاء دون أن تتمكن من السيطرة على نفسها ، وعاد يخرج إلى الحديقة .

وأرادت إيلينا كورتى أن تبعث الأمل فى نفسه ، فعرضت عليه أن تعود على ظهر دراجة إلى كومو ، لترى ما حل ببافولينى . وكان قد ذكر لها أنه إذا لم يصل بافولينى فوراً ، فسيتخلى عنه الجميع ، ولا سيا أن عدداً كبيراً من المدين لحقوا به من كومو وميلان ، قد أظهر وا استعدادهم للتخلى عنه . وكان لا يزال يصر على وجوب إنقاذ الفاشية عن طريق وقفة أخيرة يصمد بها فى الحبال ، ولكن لم يبق معه كثير ون يرون معه هذا الرأى . وعندما قال بوفارينى – جيدى ، الذى كان قد اشتغل بالنهريب بعد إخراجه من الحكومة ، والذى كان يعرف طريق جراندولا جيداً ، إنه سيحاول عبور الحدود إلى سويسرا ، عن طريق بورليزا ، ادعى اثنان كانا قد وافقا على الذهاب إلى فالتيلينا ، وهما إنجيلوتارشى وفابيانى ، بأنهما لا يريدان التعرض لحطر الوقوع فى أيدى رجال المقاومة السرية ، وأنهما سيمضيان معه إلى سويسرا . وتزود الثلاثة بجوازات سفر مزيفة ، وغادر وا المكان بعيد الساعة الثانية دون أن يودعوا موسولينى . ولم يودعه جرازيانى كذلك ، عندما مضى بعد الظهر لينضم إلى وحدة الحيش الإيطالى المرابطة فى مانديلو . وراح موسولينى يقول لإيلينا . . . إن الجميع سيمضون ، وسأبق وحيداً .

واقترح أحد رجال القمصان السود ، في قاعة الطعام ، أن يحدو الباقون حدو بوفاريني – جيدى ، وأن يطلبوا إلى السلطات السويسرية حمايتهم حتى تصل قوات الحلفاء فتسلمهم إليها . لكن الحدود كانت مغلقة ، وقد أعيدت منها راشيل وطفلاها إلى شياسو ، حيث عادوا جميعاً إلى كومو . وعد فابياني هارعاً الآن إلى الفندق ، ليقول إن السيارة التي كان بأمل في أن تحمله مع بوفاريني – جيدى وتاريشي إلى سويسرا ، قد أوقفت في بورليزا ، بعد أن انضم حرس الحدود إلى رجال المقاومة السرية . وقد تمكن هو من الفرار ، بينا اعتقل رفيقاه .

وطلب موسوليني من الملازم بيرزير ، أن يمضى لمساعدتها ، ولكنه رفض قائلا إن أوامره تقضى بحماية الدوتشي ليس إلا ، وإنه لا يهمه أى إنسان آخر . وتطايرت الاتهامات والتهديدات والشنائم في سماء الغرفة ، بينها كان الموجودون فيها

يناقشون ما يجب عليهم أن يفعلوه . ولم يشترك موسوليني في هده المناقشات الحادة ، وإن ظل يفرز وثائقه ، وعندما أشرفت الدنيا على الدجى ، استدعى الملازم بيرزير ، وأبلغه أنه قرر ألا ينتظر بافوليني مدة أطول ، وأن يعود إلى ميناجيو ليمضى منها صعداً مع ساحل البحيرة إلى فالتيلينا . وأضاف أنهم سيتركون رسالة لرجال بافوليني للحاق بهم عند ميرانو . ولكن بيرزير لم يوافقه على رأيه ، وقال بشيء من الاحترام الفاتر ، إن رجاله قد أجهدوا ، وإنه لا يستطيع أن يطلب منهم اختراق الحصار الذي لا بد أن يكون رجال المقاومة قد فرضوه إلى الشيال من ميناجيو ، إلى أن يكونوا قد أخدوا قسطاً من الراحة . واضطر موسوليني إلى التسليم ، وأمرهم جميعاً بقضاء الليلة في جراندولا ، على أن يتحركوا في الخامسة صباحاً إلى ميناجيو . وأضاف أن رجال بافوليني اللين يعدون ثلاثة آلاف لا بد أن يكونوا قد وصلوا إلى هناك في تلك الساعة . وقد صدر عنه هذا القول ، دون أن يصدقه قد وصلوا إلى هناك في تلك الساعة . وقد صدر عنه هذا القول ، دون أن يصدقه الآخرون ، أو بصدق نفسه .

ووصل بافوليني في الساعات المبكرة من صباح السابع والعشرين من أبريل ، في سيارة مصفحة قادماً من كومو . وكانت الديهاء لا تزال تمطر مدراراً ، إذ ذكرت إيلينا كوكياتي فيها بعد ، أنه عندما دخل الفندق ، كان الماء يتصبب على وجهه الشاحب . وروى لهم أن ذوى القمصان السوداء في كومو ، قد وقعوا اتفاقاً للاستسلام إلى رجال المقاومة السرية . ولم يستطع أن مجمل معه منهم إلا عدداً قليلا جداً . . .

وهتف به موسوليني بلهفة . . . وكم عدد اللين جاءوا معك .

وتردد بافولینی ولم بحر جواباً . . .

ے قل لی ، کم عددهم ؟ -

ــ اثنا عشر . . .

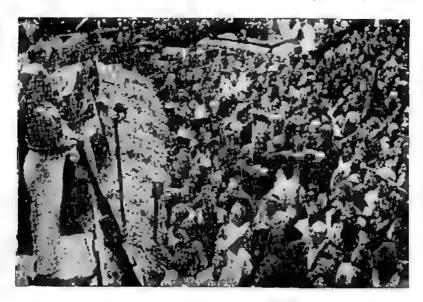
وكانت هذه نهاية الأمل.

وسرعان ما سمح موسولینی للملازم بیرزیر ، بأن یعد العدة له ولمن بنی معه ، بالانضام إلى قافلة ألمانية تضم أربعين سيارة شاحنة يقودها الملازم كولمابر ، كانت تتراجع شمالا على ساحل البحيرة باتجاه اينز بروك .



موسولیبی یستعرض قواته اسالده س غزار الحبشة

مودوليني يلتي حماياً في أواضي الإصلاح الزراعي في يوليو عام ١٩٣٨





،وسويبني يسلم على المدن أثناء المناو رات العسكرية في عسطس ١٩٣٨

موسولینی متلق هدیة من الکویت حر لدی أثناء لذکری السنویة لسابعة عشرة للرحف علی رومة

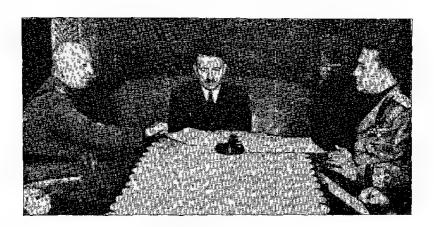




موسولیبی مع ولدنه درونو وفیئور یو قبل الحرب

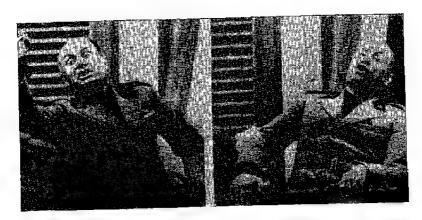
موسولیبی مع الکونت تشهانو والمستر نشمهرلین وامورد د بیعاکسی ای آکتوبر عام ۱۹۴۰





موسوبيين مع هنلر وتشيانو في أكتو در ١٩٤٠

### موسوبيني يلتي خصاءاً من شرفة مصر لبندقية



العسكرى ، أن ليس معهم أحد من الإيطاليين ، فوعده الكاهن بأن يبلل قصارى جهده . وعندما كان الكاهن يهم بالسير ، تقدم منه جندى ألمانى آخر ، وهو من الكاثوليك النمسويين ، وكان قد تلقى العلم فى بادوا ، فهمس له بالإيطالية . . . و أجل معنا إيطاليون . لا تصدق الضابط . واطلبوا تفتيش السيارات » .

ومضى الكاهن يصعد الطريق الجبلى إلى مقر قيادة المقاومة المحلية . ولكنه عندما وصل إلى المقر ، أبلغ بأن القضية أصبحت فى يد القيادة العامة فى موربيبجنو ، وأنهم هنا لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً قبل أن يتلقوا أوامر جديدة .

وكانت الساعة قد بلغت الثامنة عندما مضى فولماير إلى مور بيبجنو ، التي لم بعد منها إلى موسو إلا بعد الثانية . واستبد القلق والفزع بالإيطاليين من رجال القافلة في هذه الفترة من الانتظار التي امتدت ست ساعات طوالا . واقترح بافوليني أن يقتحموا طريقهم عنوة . بينما اقترح آخر أن يعودوا أدراجهم ، وأن يحاولوا الالتفاف حول الحاجز من طريق أخرى ، لكن معظمهم ، رأى أن من الجنون محاولة القيام بأى شيء قبل أن يعود فولماير . وعندما راحت ساعات الصباح تمر سراعاً ، دون أن يعود الضابط الألماني ، قرر بعض الفاشيين ، اللجوء إلى مساعدة راعي الأبرشية وحمايته . وكان دون مينين قد عاد من الجبال ، ويوشك أن يتناول غداءه ، عندما جاءه رجل إلى منزله يقول . . . لا أنا بومباكي و إنى لعلى استعداد لتسلم نفسي إلى رجال المقاومة السرية . فهل تساعدني يا أبي ؟ ٣ وقال بومباكي فيما بعد لآسريه ، إنه أضاع إيمانه بموسوليني في ميناجيو ، إذ أنه اعتقد كما اعتقد الملازم بيرزير ، أن موسوليني ، كان قد هيأ نفسه للفرار وحيداً إلى سويسرا مع كلاريتا وأنه لم يعدل عن خطته هذه ، إلا عندما تأكد من استحالة عبور الحدود ، فعاد يحاول الوصول إلى فاليتلينا . واعتقد كثيرون آخرون من أتباع الدوتشي بأن هناك ما يبرر شكوك بومباكي . وروى الكاهن لمطرانه فها بعد ، أن آخرين سرعان ما حذوا حذو بومباكى ، وأسلموا أنفسهم لحمايته . ومضى في تقريره يقول . . . « وسرعان ما اجتمع في غرفة الطعام في الأبرشية عدد من وزراء موسولینی منهم زیربینو وأوجستولیفیرانی ، وفیرناندو میزاسوما وهو پمسح بعصبية نظارتيه ، وروجيرو رومانو ومعه ولده قسطنطين البالغ الخامسة عشرة من

عمره . . . وكانت الساعة قد تجاو زت الآن الواحدة . وأعددت شيئاً من الحسا للفارين اللاجئين . ووصل رجال المقاومة إلى الأبرشية ، يقودهم النقيب باربييرى . وحاول الضابط أن يعرف إذا كان موسوليني في إحدى السيارات . . فرد رومانو بأنه كان معهم في ميناجيو ، ولكنه اختلى منذ تلك اللحظة . لكن بومباكي اقترب من شقيقي وقال . . . « إنه معنا ، وليس من العدل أن ينجو بجلده » .

ولم يكن موسوليني يحاول النجاة بجلده أبداً. فقد ظل يجلس في السيارة المصفحة يقرأ في وثائقه ، ويصغى إلى الإذاعات الدولية وهي تنقل الأنباء ، مستمداً اشيئاً من الأمل ، في النبأ الذي أذيع بأنه اعتقل في بلدة بعيدة عن موسو . وروت إيلينا كورتي كوكباني ، كيف كان يجلس هادئاً ينتظر عودة فولماير ، عندما ظهر شخص قصير القامة يرتدى و عفريتة ، زرقاء اللون ، وقد وضع خوذة صلبة على رأسه ، عند نافذة السيارة الملوعة . وخيل لإيلينيا أنه صبي صغير ، وراحت تتساءل عما يفعله هذا الصبي في هذا المكان . عندما ارتفعت الخوذة ، وانسدل شعر أسود طويل ، حول وجه نسوى قلق تبينت فيه وجه كلاريتا بيتاتشي و بعينيها الجميلين البراقتين ، وتحدث إليها موسوليني برقة وحنان ، وهو يحاول التسرية عنها .

وعاد فولماير إلى السيارة المصفحة أثناء حديثه إلى كلاريتا ، وأبلغه أنه فشل فى مهمته ، وفى إقناع رجال المقاومة بالسياح للإيطاليين بالمرور ، مع موافقتهم . على السياح بلحميع السيارات الألمانية بالمرور بعد تفتيشها فى دونجو للبحث عما إذا كان بعض الفاشيين يختبئون فيها . واقترح بيرزير أن يرتدى موسولينى معطف جندى ألمانى ، وأن يختلط مع الجنود الألمان فى إحدى السيارات الشاحنة . وترجم موسولينى للآخرين ما قاله الضابط وأضاف . . . « إنه يقول ، إن فى إمكانى المرور إذا تنكرت فى زى ألمانى » .

وهتفت كلاريتا على الفور. . . « هيا يا دوتشي ، لا تتردد . انج بنفسك.... وكانت العبرات تسيل من مآقيها .

لكنه كان عازفاً عن الحركة . وخيل إليه أن فولماير قد ساوم رجال المقاومة عليه ، فحصل على موافقتهم بالسماح له ولرجاله ، بالذهاب إلى ألمانيا ، مقابل تسليم موسوليني إليهم .

وراح يقول لبيرزير . . . « أشم هناك رائحة خيانة أيها الملازم » .

- « لا يا دوتشى . هيا وارتد معطف أحد الجنود الألمان وخوذته واختبى في إحدى سيارات فولماير . سيقوم رجال المقاومة بتفتيشها . ولكنها فرصتك الوحيدة .

- حسن . ولكن تذكر أن أوامرك تقضى بالدفاع عنى .
  - ــ طبعاً يا دوتشي .

وابتعد بيرزير ، ليفصل الألمان عن الإيطاليين . وعندما عاد كان موسوليني لا يزال في السيارة لمصفحة ، بيها جلست كلاريتا على سطحها ، تبكى بحرقة . وقال موسوليني غاضباً لبيرزير عندما وصل إليه . . . « أيها الملازم ، إذا لم تؤمن لوزرائي ، نفس الحماية التي تعرضها على ، فان أتحرك من مكانى » .

ـــ ولكن هذا مستحيل يا دوتشى . فقد تم توقيع الاتفاق . ويجب أن نخلف جميع الإيطاليين وراءنا .

- ولكن صديقتي على الأقل يجب أن تأتى معي .
  - ـ هذا مستحيل أيضاً .

وظل موسوليني في مكانه ، يرفض التحرك ، وقد تجمد فكه في عناد وإصرار . وعندما مضى بير زبر ليأتي بالسيارة الشاحنة التي سيختبي فيها ، لتقف إلى جانب المصفحة ، راح الآخرون يقنعونه بأن يغير رأيه . وعندما وصل بير زير بالسيارة ، وقال . . . « هذه هي فرصتك الآخيرة يا دوتشي » ، راح يتسلق السيارة صامتاً وقد ساعده كاردوري ، فارتدى معطفاً ألمانياً وخوذة ، واندفع إلى السيارة .

وعندما مضت السيارة ، ركضت كلاريتا وراءها تحاول اللحاق بعشيقها ، والقفز إلى سيارته أو أية سيارة أخرى ، واضطر بيرزير إلى استخدام كل ما لديه من قوة لإبعادها .

وهكذا مضى موسوليني وحيداً إلى دونجو . وكان رجال المقاومة قد عرفوا برجوده مع القافلة ، من راكب دراجة كان قد رآه فى السيارة المصفحة ومن الكاهن مينيتى ، ولذا وقفوا ينتظرونه فى ساحة البلدة .

الاعتقال . . .

۲۷ أبريل ۱۹۶۵

« لا أريد أن أرى بزة ألمانية عسكرية مرة أخرى » .

١

كانت الساعة قد أزفت على الثالثة ، عندما مضت السيارة الشاحنة تحمل موسوليني وقد أقعى فيها إلى دونجو . وكانت سيارة مارسيلو بيتاتشي ، وهي تحمل اللوحة الدبلوماتية ، والعلم الأسباني يرفرف فيها ، هي السيارة الإيطالية الوحيدة التي سمح لها بمتابعة السير مع القافلة .

ولم يكد الألمان يبتعدون بسياراتهم ، حتى تقدم رجول المقاومة السرية ، بحيطة وحدر ، لاعتقال الوزراء والموظفين الآخرين ، الذين كانوا لا يزالون يقفون إلى جانب السيارات الأخرى في الطريق . وقد استسلم معظمهم دون أبة مقاومة . واستسلم كذلك الوزراء الآخرون المجتمعون في دار راعى الأبرشية ، بينا صمم أولئك الموجودون في السيارة المصفحة على المقاومة .

وعندما مر الألمان بباراكو ، وقف فى مقعد القيادة ، وقد شحب وجهه إلى درجة محيفة بهتف بأعلى صوته . . أيها الجبناء ، أيها الحونة ! وسرعان ما اختنى وراء دروع السيارة ، وراحت السيارة تستدير بمنهى الصعوبة فى الطريق الضيق . ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى أطلق رجال المقاومة النار عيها ثانية ، بيها قذف أحدهم بقنبلة يدوية بين عجلانها . وبعد لحظات واصبت فيها المصفحة إطلاق النار ، ارتفع علم أبيض من برجها ، بيها قفز بافوليني منها متجها إلى البحيرة ، وصارخاً بالآخرين أن يلحقوا به وأن يقذفوا بكل شيء فى مائها . وتبعه كارادوري وقد امتلأت بداه بالأوراق . وراحا يغطسان فى الماء ويسبحان تحت ستار شاطئها المطل ، دون أن يراهما رجال المقاومة .

ولكن الآخرين لم يفلحوا في الابتعاد . فقد لحق رجال المقاومة بكاسالينوفو وأوتيمبرجي قبل أن يخطوا بضع خطوات واعتقلا ، بينا أصيب باراكو بعبار في قدمه . وسحب بافوليني وكارادوري بعد نحو من ساعة من البحيرة ، بعد معركة أصيب الرجلان فيها بجراح ، ثم أرسلا مع رفاقهما إلى دونجو .

وكان موسوليني قد وصل إلى هناك ، وبدأ تفتيش السيارات الشاحنة . وبدأ رجال المقاومة يرافقهم فولماير ، بالسيارة الأولى . ولكنهم لم يجدوا فيها ولا في التي تلبها ما أثار اشتباههم . ولكن أحد هؤلاء الرجال ويدعي جيوسيي نيجري ، وكان يعمل بحاراً في الماضي ، وجد في إحدى السيارات الحلفية ، جندياً ألمانياً ، كان إما ثملا أو نائماً . وكان يجلس القرفصاء إلى جانب صفيحتين من البترول ، وقد ارتدى خوذة ألمانية من الفولاذ ، ومعطف عريف في إحدى وحدات مقاومة الطائرات . وروى رجل آخر من رجال المقاومة السرية ، وكان واحداً من عشرة ، الطائرات . وروى رجل آخر من رجال المقاومة السرية ، وكان واحداً من عشرة ، كان يضع على عينيه نظارتين سوداوين كبيرتين . ولم يكن نيجرى قد كلف نفسه عناء الصعود إلى السيارة الأولى التي كان قد فتشها ، ولكنه وجد نفسه مدفوعاً عناء الصعود إلى السيارة الأولى التي كان قد فتشها ، ولكنه وجد نفسه مدفوعاً هذه المرة إلى الأمام من رقيب من حرس الجمارك ، فصعد إلى السيارة ، وأخد يتفرس في الرجل الجالس في مقدمها . ورأى مدفعاً رشاشاً بين ركبتيه ، وعندما يتفرس في الرجل الجالس في مقدمها . ورأى مدفعاً رشاشاً بين ركبتيه ، وعندما قال رفاقه من الجنود الألمان ، إنه زميل سكير ، تظاهر الإيطالى بأنه قد صدقهم . وقفز من السيارة ، راكضاً لمقابلة نائب المفوض السياسي للكتيبة ، أوربانو وقفز من السيارة ، راكضاً لمقابلة نائب المفوض السياسي للكتيبة ، أوربانو

وراح يهتف بلازارو عندما عثر عليه أخيراً . . . « تعال هنا . أعتقد أنى وجدته » .

وركض لازرو إلى السيارة وصعد إليها . وشق طريقه إلى مقدمتها ، حيث كان يجلس ذلك الألماني في بزة العريف . وراح يسأله . . . « هل أنت إيطالى ؟ » وسادت لحظة من الصمت قبل أن يرفع موسوليني عينيه قائلا بشيء من الحزم . . . « أجل أنا إيطالى » .

وصرخ لازارو ، وقد أخذ بنظرة الدوتشي المفاجئة . . . « يا صاحب

الفخامة » . . . فقد جعله هول المفاجأة ، ينطق بهذه العبارة دون وعي . . . ثم قال . . . وإذن فأنت هنا » .

ولاحظ لازار و أن وجه موسوليني كان أبيض كالرماد ، وخالياً من كل تعبير . وكان شعر ذقنه أسود وكثيفاً ، مما يضاعف من إبراز شحوب وجنتيه . وكان بياض عينيه قد تحول إلى صفرة . وكان في وسع المرء أن يقرأ فيهما معاني الإجهاد لا معنى الحوف ، فقد ماتت روحه منذ أمد بعيد ، ولم يعد له شأن بين الأحياء .

وكان قد طلب إلى الجنود الألمان عدم المجازفة بأرواحهم في محاولة إنقاذه من الأسر ، ولم يبد عليه أنه راغب في محاولة استخدام مدفعه الرشاش . وراح ينزل بمساعدة لازارو من السيارة ، ولم ينبس ببنت شفة عندما انتزعوا المدفع منه ، أو عندما رفعوا الحوذة الألمانية عن هامته . وتعالت هنافات الناس في الميدان عندما تبينوا حقيقة الأسير .

وراح لازارو يسأله . . . ألديك أسلحة أخرى ؟ ولكنه لم يجب ، ففتش رجال المقاومة السرية جيوبه ، وعثروا فيها على مسدس محشو . ولم ينبس ببنت شفة أيضاً عندما انتزعوا المسدس منه . ولكن عندما أراد أحد رجال المقاومة أن ينتزع منه الحقيبتين اللتين كان يحملهما ، التفت إليه بعنف قائلا . . . « احذر ، إن هاتين الحفظتين تضمان وثائق سرية في منتهى الأهمية ، من الناحية التاريخية ولستقبل إيطاليا » .

وكانت هذه الثورة مؤقتة . فقد بدا محطماً مستسلماً ، وضعيفاً وفى منهى الإعياء والمرض؛ وعندما راح يجتاز الميدان إلى مكتب رئيس البلدية، فى ذلك البناء الجميل رغم تداعيه الواقف عند سفوح جبل بريجاجنو ، بادره لازارو قائلا . . . ه حافظ على هدوئك ، فلن نصيبك بضر ٢ .

وحاول رئيس البلدية الدكتور جيوسيبي روبيني ، أن يسرى عنه أيضاً ، فقال . . . « لا تنزعج ، فلن يصيبك سوء » .

ورد موسولینی بشیء من التنازل المرضی . . . « أنا أعرف هذا فأهل البحيرة أناس طيبو القلب » .

وسمح له بالجلوس في مكتب رئيس البلدية ، وتحلقت حوله جماعات من أهل

البلدة ومن رجال المقاومة الشعبية ، يوجهون إليه الأسئلة التي يرد عليها بشيء من الغضب ، أو الكبرياء المهانة ، أو الرغبة الخاطئة التوجيه في إرضاء الآخرين . . .

وسأله أحدهم . . . وما المدى دعاك إلى خيانة الاشتراكية ؟

- ــ أنا لم أخنها . وإنما الاشتراكية هي التي خانت نفسها .
  - ــ ولم قتلت ماتيوتي ؟
  - ـــلم يكن لى شأن فى قتل الوجل .
  - ولم طعنت فرنسا من الخلف ؟
- يتطلب إيضاح الأسباب التي أجبرت إيطاليا على دخول الحرب ، وقتاً طويلا .
- أكان الخطاب اللى ألقيته بعد إنقاذك من و الصخرة العظيمة ، بمحض إرادتك ، أم كنت مرغماً على إلقائه .
  - ــ كنت مرغماً على إلقائه .
- ولم سمحت باتخاذ مثل تلك الإجراءات الصارمة ضد رجال المقاومة السرية ؟ فقد عذب بعضهم عداباً شديداً . أكنت تعرف ذلك ؟
- كانت بداى مغلولتين . ولم تكن ثمة فرصة لمعارضة كيسلرنج وولف فيا يفعلانه . وقد تحدلت إلى الجنرال وولف المرة تلو المرة عن قصص الناس الذين يعذبون ، وعن غير ذلك من الأعمال الوحشية التى وصلت إلى مسامعى . ورد وولف ذات يوم ، بأن هذه «هى الطريقة الوحيدة لاستخلاص الحقائق وإن الموتى لايد أن يعترفوا بالحقيقة في غرف تعذيبه » .

وانهالت عليه الأسئلة واحداً إثر آخر ، ورد عليها كلها . وجف حلقه من كثرة الحديث ، فطلب كأساً من الماء . وجاءوا له ببعض الماء وبقدح من القهرة . واحتساه بلهفة ، ثم راح في صمت عميق ، وقد وضع يديه على ركبتيه ، محملقاً في الجدار . وكان قد نزع المعطف الألماني وقادف به إلى الأرض ، وجلس حاسر الرأس في بزة الحرس الفاشي .

وسمح فى الحارج للقافلة الألمانية بمواصلة سيرها باتجاه الشمال ، وسرعان ما بعث أحد المفوضين السياسيين لجماعات المقاومة ويدعى فرانشيسكو تيرزي برسالة

إلى كومو فى الحتوب ، يذكر فيها وقوع موسوليني فى الأسر ، ويطلب من اللجنة المحلية للتحرير الوطني فيها تعليها عما يجب أن يفعله بالمعتقل .

۲

كانت الساعة قد أزفت على الثامثة والنصف . وكان لابد من انقضاء بعض الوقت ، قبل أن يعود الرسول الذي مضى إلى كومو للترود بتعليات لجنة التحرير الوطنى . وقرر قائد المقاومة السرية الشاب في دونجو ، الكونت بيبر لويجي بيلليني دبل ستيلي . أن ينقل أسيره الخطير الشأن إلى مكان أمين ، خوفاً من قيام محاولة لإنقاذه . ولم تحل الساعة السابعة ، حتى كان قد عزم على نقل موسوليني إلى الجبال ، إلى ثكنة حرس الحدود في جيرماسينو .

وكان المطر يتساقط مدراراً . واشتدت البرودة . وراح أحد رجال المقاومة وكان يتولى حراسة موسوليني ، يسأله إذا كان يود أن يرتدى المعطف الألماني ليتني البرد فقال . . . « لا أريد أن أرى بزة ألمانية عسكرية مرة أخرى » ، وراح يرتدى بدلا منه « عفريتة » زرقاء وجدها ملقاة في زاوية من الغرفة . واشتدت به الرجفة في السيارة التي أقلته إلى جيرماسينو ، فقد كانت الرحلة بطيئة ، إذ كان المطريهم بعنف على مقدمة السيارة بحيث لم يكن في وسع السائق أن يتبين طريقه .

وقال أحد الحراس ، محاولا بعصبية ظاهرة ، الشروع في حديث مع السجين.. « هذه هي المرة الثانية التي تقع فيها أسيراً » .

فرد موسوليني بشيء من المرح المتشائم . . . « هذه هي الحياة يا ولدى العزيز . هذا هو قدري ، من الرغام إلى السلطان ، ومن السلطان إلى الرغام » .

وعادت إليه معنوياته الضائعة ، وكأنه وجد العزاء فى فكرة الاستشهاد . وبدا سعيداً عندما وصلوا به إلى جيرناماسينو . وعندما أشعل الحرس النار ليصطبى عليها ، وأعدوا له وجبة ساخنة ، راح يتحدث إليهم وكأنه ضيفهم لا سجينهم . وعندما طلبوا إليه توقيع ورقة يعترف فيها بحسن معاملهم له ، وقعها طائعاً مختاراً . وكان نصها على النحو التالى : « اعتقلتنى كتيبة جاريبالدى الثانية والحمسون اليوم

فى السابع والعشرين من أبريل ، فى ميدان دونجو . وكانت معاملتهم لى أثناء الاعتقال وبعده ، حسنة للغاية » .

وعندما بعنت الساعة الحادية عشرة ، قال إنه منهك ، وسأل إذا كان فى استطاعته أن ينام . ونقله الحراس إلى غرفة صغيرة فى الطبقة العليا ، حيث أعد له سرير وراء نافذة مغلقة ، تحجزها القضبان . ورأى جيورجيو بوفيالى ، وهو الشاب الذى كان قد تحدث إليه فى السيارة ، شيئاً صغيراً أسود يطل من جيبه ، فأشار إليه باهمام . وكان قد رآه منذ مدة ، وخيل إليه أنه مقبض مسدس . فأخرج موسولينى ذلك الشيء طائعاً من جيبه وعرضه على حارسه ، ولم يكن سوى وعافظة النظارات ، وأغلق بوفيالى الباب بالمؤلاج .

وعندما عاد الكونت بيلليني إلى دونجو ، وجد كلاريتا بيتاتشي ، في غرفة في دار البلدية ، حيث اعتقلت منفردة عن أخيها، إذ لم تكن تحمل جواز سفر

يقيم الدليل على صحة ادعانها بأنها تحمل الجنسية الأسبانية . وكانت لا تزال تصر على أنها شقيقة السفير الأسبانى لدى جمهورية سالو ، وراحت تسأل بعض فتيات القرية عما سيحل بكلاريتا بيتاتشى ، إذا اعتقالها رجال المقاومة ، وعندما أبلغها الكونت بيللبنى ، أن موسولينى سجين لديه ، قالت إنها لا تعرفه ولم تلقه أبداً.

وقال الكونت بيلليني . . . ولكني أعرف من تكونين . . . وأضاف أنهم اكتشفوا أيضاً أن الرجل المتنكر باسم السفير الأسباني ليس إلا شقيقها مارسيلو . ولم يعد في وسعها الاستمرار في الادعاء . فسألت الكونت عن أحوال موسوليني ، وأجابها بأنه وحيد وبخير . وتطلعت إليه كلارينا بنظرة عميقة فاحصة ثم قالت . . . من أنت ؟ أأنت صديق ؟

فرد بيلليني . . . لا . أنا عدو .

وقالت تعض على ناجد من نواجدها ، وكان قد انقضم إبان الرحلة . . . و أنا أعرف أنكم جميعاً تكرهوني . وكنم تتصورون أنى أحب فيه ماله وسلطانه . ولكن هذا كذب . فلم يكن حبى له انتهازيًا على الإطلاق . فقد ضحيت بنفسي من أجله . وحاولت أن أكون طيبة معه » . . . ثم راحت تسأله بتوسل . . . أتسدى إلى منة ؟

ماذا تريدين ؟

- أريد أن تحبسني معه في نفس المكان . أريد أن أشاطره مصيره . وإذا قتلتموه ، فاقتلوني معه .

ونظر الكونت إليها بإمعان ، وقد استبدت به الدهشة . إذ لم يكن يتوقع منها هذا الوفاء . وراح يمضى مخلفاً إياها في الغرفة .

٣

وصل الشاب الذي أوفد من دونجو حاملا أنباء اعتقال موسوليني إلى كومو في الساعة السادسة والنصف . ولما عجز عن مقابلة أي من أعضاء لجنة التحرير الوطنى المحلية فى البلدة ، وإح ينقل النبأ إلى جينو بيرتينيللى ، المحامى الذى غدا منذ بضع ساعات ليس إلا ، محافظاً للمدينة . وقال المحافظ للرسول . . . « عد على الفور ، أو أبلغ قائدك ، أن ينقل موسولينى على النو إلى مكان أمين فى الجبال ، خافة أن يجدوه وينقذوه ثانية . وسأحاول بدورى الاتصال بميلان » . وعاد الرسول مسرعاً إلى دونجو ، يحمل هذه التعليات إلى الكونت بيلاني ، الذى كان قد نقل موسولينى إلى جيرماسينو .

ووصل نبأ نقل موسوليني إلى جيرماسينو ، إلى صديق حميم للجنرال كادورنا ، هو العقبد البارون جيوفاني ساردانا ، الذي عين مؤخراً قائداً عسكريناً في كومو نيابة عن لجنة التحرير الوطني . وسرعان ما هنف ساردانا للجنرال ، فلم يستطع الاتصال به إلا بعد مضى وقت طويل . وكان الخط الهاتني غير واضح ، ومع ذلك فقد تحدث إلى العقيد بالومبو ، رئيس أركان حرب الجنرال كادورنا .

وقال ساردانا لمحدثه . . . « اعتقل موسولینی بعد ظهر الیوم علی مقربة من دونجو ، فحاذا نعمل ؟ إنهم يريدون منی التعليمات ١١ ماذا أقول لهم ؟ »

ــ لا أستطيع إصدار أبة تعليات بعد . . فقد نقل إلينا نبأ الاعتقال منذ لحظات . سأعرد إلى الاتصال بك ، ناقلا إليك التعليات .

ـ حسن . ولكن علينا أن نسرع في البت في هذا الموضوع .

-طبعاً . ولكن ليس فى وسعى أن أقول شيئاً محدداً الآن . سأتصل بك هاتفياً فيها بعد .

ورن جرس الهاتف عند ساردانا فى الساعة الحادية عشرة والنصف ، لم يكن بالومبو هو المتحدث ، وإنما كانت هناك برقية عاجلة من لجنة التحرير الوطبى فى ميلان . وكان نصها كما يلى . . . « أحضروا موسولينى ، ورجال عهده إلى ميلان فى أسرع وقت ممكن » .

وتحدث ساردانا قبل أن يسرع إلى تنفيذ هذه الأوامر ، إلى بالومبو من جديد . وقال له عند ما تم الاتصال الهاتني بعد وقت طويل . . . « اسمع . فهمت أمركم . ولكنني أريد التأكد منه شفويتًا » . وأضاف أن نقل موسوليني إلى ميلان أمر سهل على القول ، ولكنه صعب على التنفيذ . فليس ثمة عدد كبير من الرجال

الذين يمكن الوثوق بهم ، والركون إليهم . ولذا يجب أن تقوم بالتنفيذ جماعة صغيرة مختارة ، وأن تتم عملية النقل ، سرًا فى الليل . وعلى ناقليه أن يعرفوا أنهم سيجتازون عدداً من حواجز الطرق . وبالطبع هم يستطيعون نقله عن طريق البحيرة إلى كومو ، ولكن ليس من السهل العثور على قارب صالح . ثم قال بإصرار . . . هم أن أعترف بأن هناك مخاطرة بالغة فى العملية كلها » .

فرد بالومبو بإصرار . . . « حسن إذن . عليك أن تجد مكاناً أميناً يمكن إخفاؤه فيه بعض الوقت » .

وهكذا تقرر نقل موسوليني من جيرماسينو إلى قربة بليفيو ، التي تبعد سبعة كيلومترات إلى الشهال من كومو ، حيث يملك صديق لساردانا ، هو من كبار رجال الصناعة ، ويدعى ريمو كاديماتورى ، دارة منعزلة واسعة ، لها واجهة واسعة مطلة على البحيرة . وهتف ساردانا لصديقه كاديماتورى ، قائلا إنه في حاجة إلى دارته ، لإخفاء شخص فيها ، وإن هذا الشخص سينقل إليها في الليل عن طريق البحيرة في مولترازيو . وقال له ، إنه إذا سئل عمن يكون هذا الشخص ، فعليه أن يقول إنه ضابط إنجليزى أصيب بجراح . ولم يوجه كاديماتورى أية أسئلة ، ولكنه عرف لتوه ، أن هذا الشخص هو موسوليني بعينه . وخرج في تلك الليلة الشديدة البرودة ، يجلس على سلم دارته المطل على البحيرة ، منتظراً وصول الزائر ، وقد رافقه بستانيه العجوز ، ينظران عبر الليل البهم ، إلى مياه البحيرة .

٤

وصل الأمر بنقل موسوليني من جيرماسينو إلى دارة كاديماتوري في بليفيو ، إلى الكونت بيلليني ، حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف ، ولم تحض ساعتان حتى كان قد نقل أسيره من ثكنة جيرماسينو في سيارة التقت بالسيارة التي نقلت كلاريتا بيتاتشي من دونجو حوالى الثانية والنصف صباحاً على مقربة من « بونتي ديلا فولك » . وكانت الساء لا تزال تهلل مدراراً ، ولكن موسوليني هبط من

السيارة . وقد التف « ببطانية » من الصوف . واختنى جزء من وجهه تحت الرباط ، ليبدو كرجل جريح فى طريقه إلى المستشنى ، ومشى نحو كلاريتا ، وتبادلا التحية بشىء من الاصطناع الذى جمع بين الحنان والسخف .

وقالت كلاريتا . . . مساء الحير يا صاحب الفخامة .

- ــ أنت يا سيدتي ! لماذا جئت ؟
  - ـــ أوثر أن أكون معك .

كانت هذه هى العبارات الوحيدة التى تبادلاها . وانطلقت السيارتان تخوضان السيول التى تجمعت من مياه الأمطار المهمرة ، باتجاه مولترازيو . وكان إلى جانب السائق فى السيارة الأولى ، رجل من المقاومة السرية يدعى لويجى كانالى ، وكان يسمى نفسه ٥ بالكابتن نيرى ٣ ، بينا جلست كلاريتا فى المقعد الحلنى بين جنديين من جنود المقاومة هما جيوسيبى فرانجى وجوجليلمو كانتونى ، وكلاهما من الصيادين . وجلس موسولينى فى السيارة الثانية بين الكونت بيللينى وعشيقة كانالى . وتدعى جيوسيبينا توبسى ، متنكرة فى زى ممرضة . أما فى المقعد الأمامى الى جانب السائق ، فقد جلس ميشيل موريتى المعروف عند رفاقه من رجال المقاومة السرية باسم « بيتر و جاتى ٥ .

وكانت الطريق تتعرج وتلتوى بين الصخور إلى جانب البحيرة . وكانت السيارتان تقفان أحياناً أمام حاجز من حواجز الطرق ، فيخرج رجال من الظلام المسلم ، يحملون المصابيح . التى تتأرجح فى أيديهم تحت انهمار المطر المنصب من السهاء ، بيها تسطع أنوار القذائف المدفعية فى السهاء ، وقد سمع دويها من مسافات بعيدة . وانطلقت القذائف فى إحدى المراث من التلال الواقعة إلى اليمين ، وقفز الكونت بيلليني من السيارة هاتفاً وملوحاً بيديه . وعندما وصلت السيارتان إلى مولترازيو ، توقفنا على مقربة من « فندق أمبريالى » ، وهبط الكونت ثانية من السيارة ، ليمشى بعيداً مع لويجى كانالى .

وظل موسوليني هادئاً لا ينبس ببنت شفة . كان الهدوء يخيم على مولترازيو ولكن الصواريخ كانت تنطلق على بعد سبعة أميال إلى الجنوب عبر السماء فوق كومو ، وكان دوى العيارات النارية في شوارعها ، يصل إلى الأسماع . فقد وصل

الأمريكيون الزاحفون بسرعة عبر سهل لومبارديا إلى جبال الألب عند بيرجامو .

وعاد لوجى والكونت إلى السيارتين بعد نحو من ربع ساعة . وروى بيللبنى فيا بعد قائلا . . . « وكنت بالطبع لا أنوى المغامرة بتسليم موسوليني إلى الآمريكان » ولذا فقد عدل عن الخطة الأصلية في نقله عبر البحيرة إلى دارة كاديماتورى . واقترح كانالي أن خير مكان أمين لإخفاء موسوليني وكلاريتا ، هو مزرعة تقع على مقربة من بونزانيجو ، حيث يعرف فلاحاً يدعى جياكومو ، وزوجته لبادى ماريا ، كانا يخفيان رجال المقاومة ، أثناء فرارهم من القوات الفاشية . وأضاف أن هذين الزوجين سيخفيان الأسيرين دون أى سؤال . وأقر الكونت بيللبني اقتراحه ، وراحت السيارتان تستديران عائدتين باتجاه الشيال .

ووصل الركب إلى از آنو فى الساعة الثالثة والربع صباحاً . وكان منزل الزوجين ، يقع فى مكان مرتفع على الجبل ، فطلب كانالى من الجميع ، أن يهبطوا من السيارتين وأن يرتقوا وراءه الجبل . وسار أمامهم فى طريق ضيق ، يحيط به جداوان من الصخر . وكان المطر لا يزال ينهمر بشدة ، والدفعت المياه هابطة مع الطريق وكأنها سيل جارف وانهارت معنويات موسولينى ، فقد نفذ الماء من و «البطانية » التى التحف بها . وأمسكت كلاريتا بذراعه بعنف . وكان القمر مشرقاً رغم السحب الكثيفة التى تحجبه ، عما أنار لهم الطريق ومكنهم من وقية جدران المزرعة ، بعد وصولهم إلى ضواحى بونزانيجو .

وصرخ كانالى منادياً الزوجين ، على الطريقة المألوفة عند الفلاحين فى مناداة يواناتهم . وكان هذا النداء هو العلامة المتفق عليها عند رجال المقاومة . وسرعان ما فتح الباب ، وأطل منه جياكومو وزوجته وقد حملا مصباحاً جازياً . وتعرفا إلى كانالى ، وأوسعا له طريق الدخول . وتبعه موسولينى الذى انهار على مقعد فى المطبخ ، وقد جلست إلى جانبه كلارينا ممسكة بذراعه .

وقال كانالى . . . إنهما سجينان , أرجو أن تحسنا معاملتهما ، وأن تسمحا لهما بالنوم .

وخلف وراءه الصيادين الشابين كانتونى وفرانجى ليتوليا حراسة الأسيرين ، ثم عاد إلى السيارتين مع الكونت بيلليني وجيوسيبينا تويدي وميشيل موريتي . وأوقد جياكومو النار ، وقدم للأسيرين بعض الطعام . ولم يكن يعوف هويتهما وراح يسأل كلاريتا ، عازفاً عن التحدث مباشرة إلى هذا الرجل الذى تعصب الأربطة رأسه . . . « ماذا أقدم للسيد ؟ »

رتمتم موسوليني هازًا رأسه ودون أن يرفع نظره عن النار المشتعلة أمامه ، وقد وضع يديه في جيبيه و لاشيء » .

وقالت كلاريتا . . . أريد بعض القهوة من فضلك . . .

فردت دى ماريا معتلرة . . . ليس لدينا بن حقيقى ، ولكن فى وسعى أن أصنع لك شيئاً من مسحوق القهوة . . .

ــ لا بأس.

وراح جياكومو يعد القهوة صامتاً . ولم ينبس أى من الموجودين ببنت شفة . وسرعان ما آبت زوجته من غرفة فى الطبقة العليا ، بعد أن نقلت ولديها من سريرهما المزدوج وبعثت بهما إلى « علية » فى أعلى المنزل . . . وقالت إن الغرفة معدة ، إذا رغب السيد فى الصعود . ولم يحر موسولينى جواباً . كما لم بتحرك من مكانه . . .

وقالت كلاريتا بنعومة . . . « الغرفة معدة ، هل نصعد إليها ؟ »

ونهض من مكانه دون أن يقول شيئاً ثم سار وراء السيدة ، صاعداً الدرج ، إلى غرفة النوم البيضاء الجدران في الطبقة العليا ، حيث رأى سريراً كبيراً من الخشب ، يؤلف مع مقعدين من القش ومغسلة الأثاث الوحيد فيها . واتجه موسوليني إلى النافذة . وخيل لدى ماريا ، التي كانت تتبعه أنه سيحاول الفرار ، فسارعت إلى إغلاق النافذة . ومضت كلاريتا إلى السرير تحسه بيديها وكأنها في فندق . ثم طلبت وسادة ثانية . . . وهي تقول . . . « إنه ألف النوم على وسادتين » .

وخيل إلى المرأة أن كلاريتا تحس بالحجل . وعندما أعطنها الوسادة الثانية ، تطلعت إلى غطائها بإمعان . ثم وضعنها إلى جانبها على السرير . أما الوسادتان الآخريان فقد وضعتهما إلى الجانب الآخر القريب من النافذة حيث أواد موسوليني أن ينام .

وجلس إلى سريره الآن ، يفك رباط رأسه . ووقفت السيدة دى ماريا ترقبه .

وعندما ارتفع الرباط الأبيض عن الجبهة ، بدأت تتميز فيه وجه الدوتشي المعروف لديها ، فراحت تتفرس فيه بإمعان ، مذعورة حائرة . وعندما سمعت صوت كلاريتا تسألها إذا كان في وسعها أن تستحم ، قفزت من ذهولها تقول بعصبية ظاهرة . . . ه نحن كما ترين من أهل الجبال . وعليك أن تساعينا إذا طلبت إليك النزول إلى الطبقة السفلي لتستحمي » .

وسارت كلاريتا وراءها إلى الطبقة السفلى ومنها إلى بيت صغير خارجى ، حيث اغتسلت بينها كان أحد الصيادين الحارسين يسترق النظر إليها من شق في الباب . كان جسدها جميلا ، وصدرها رائعاً ، ولذا فلم يستغرب أن يتدله موسوليني بهواها . وعندما انتهت من اغتسالها ، تبعها إلى الغرفة وطلب إليها أن تبقى على الباب مفترحاً .

وانهت من خلع ملابسها على ضوء المصباح الكهربي الخافت ثم انسلت إلى السرير بجانب حبيبها . وبمتحت ببضع كلمات ، رد عليها باقتضاب ، وحاول كانتوني وفرانجي الإصغاء عبر الباب المفتوح جزئياً إلى ما قالاه ، فلم يستطيعا . وخيل إليهما أنهما سمعا اسمى « بافوليني » وجرازياني ، وأن موسوليني قال « إنى على ثقة من أنهم لن يقتلوني » . وأنه قال لها . . . « هل تغفري لي » . وعندما ردت عليه بعبارة لم يسمعاها ، تناهي إلى مسامعهما قوله . . . « لم يعد هذا يهمني » . وتوقف الحديث بين العشقين ، واشتدت عصبية الحارسين ، فقد خيل إليهما أن الأسيرين يخططان للهروب . وسرعان ما فتحا الباب فجأة واندفعا إلى الغرفة . فغطت كلاريتا يخططان للهروب . وسرعان ما فتحا الباب فجأة واندفعا إلى الغرفة . فغطت كلاريتا وجهها بملاءة السرير وأقعت بجانب موسوليني ، بينا هنف هذا بهما مؤنباً . . . « اذهبا أيها الولدان . عليكما أن لا تسلكا على هذا النحو . ولا تكونا مزعجين » . وقد أيها الولدان . عليكما أن لا تسلكا على هذا النحو . ولا تكونا مزعجين » . وقد

وغادر الحارسان الغرفة ، وأقعيا ثانية عند بابها . وأطفأ موسوليني النور ، ولم تمض لحظات . حتى كانا يسمعان بالرغم من زثير الريح في الحارج ، وصوت انهمار المطر على النافذة ، تنفس موسوليني العميق . ونام نوماً عميقاً طيلة الليل ، وكانت درفات النافذة المغلقة قد حجبت عن أذنيه إلى حدما هدير الرعد القاصف ، وومضات البرق الخاطفة والمتواصلة . وأغنى الحارسان الشابان عند الفجر أيضاً ،



كلارا بيتاتشي عشيقة موسوليبي



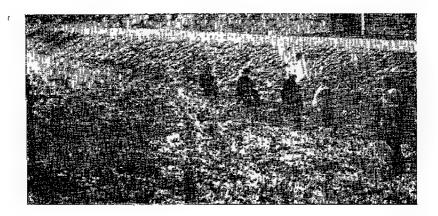
بیسریبلی بخرج من آسره فی سبتمبر ۱۹۶۳



هتلر برحب مموسوليني بعد إنقاذه في بروسيا الشرقية في سبتمبر ١٩٤٢

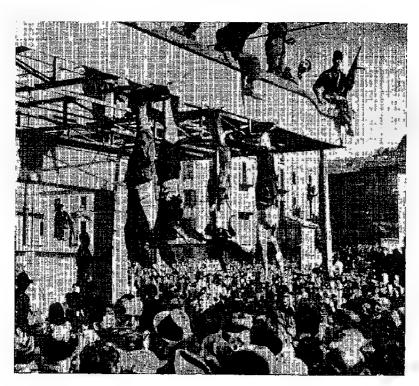
موسوليين في داره فالمُر ينيني في عام ه ۽ ۾ ،





دى موبو و دار يشى -- وجوتاردى وشيادو ومارنييلى ينتظرور تنفيذ حكم الإعدم فيهم ·

# جثث موسوبينى ورفاقه معلقة فى كرح لورنيو ئى ميلان نى ٢٩ أبريل ١٩٤٥



# الكولونيل فاليريو من ۲۷ إلى ۲۸ أبريل 1920

و مهما كانت نفسى ومعتقدات تشمير من قبل إنسان لإنسان آخر فإننى أجد على أى حال ، أن العنف من القاعدة رداً على العنف من القمة ، أمر ضرورى ، بالرغم من استثارته للأسف . وعند ما تسد جميع الطرق، على المرء أن يفتح له منفذاً، حى ولو كان الدم هو الثمن » .

عندما انتشر نبأ اعتقال موسوليني في الليلة السابقة ، تنادى مختلف أعضاء لجنة التحرير الوطني لشمال إيطاليا ، والممثلون الرئيسيون لفيلق متطوعي الحرية إلى اجتماع عقدوه في ميلان .

وتتضارب الروايات عن هذا الاجتماع الذى عقد بعيد الساعة الحادية عشرة وتتناقض . والشيء الثابت والمؤكد على أى حال ، هو أن القرارات التى اتخذت فى لحظات مختلفة من تلك الليلة ، صدرت عن سنة رجال أو سبعة باسم لجنة التحرير الوطنى ، ولم تصدر عن اللجنة بكاملها . وكان اثنان من هؤلاء الرجال هما لويجى لونجو الشيوعى الصادق الذى بذل غاية الجهد ، ليجعل من حركة المقاومة السرية ، حركة سياسية ، وولتر اوديسيو وهو رجل طويل القامة ، شاحب الوجه ، في السادسة والثلاثين من عمره ، كان يعمل محاسباً ثم تعلوع في الحرب الأسبانية ضد الفاشيين وقب نفسه و جيوفان باتيستنا دى سيزارى مانولى » ، أو بالاسم الأسهل على اللفظ وهو والكولونيل فالبريو »

وكان قد تقرر بحضور عدد من الأعضاء الأقل التراماً من الناحية السياسية والأصنى ضميراً ، العهدة إلى وولتر أوديسيو بأن ينقل موسوليني إلى ميلان . ولكن دقائق هذه المهمة سرعان ما محثت بعد ذهاب الأعضاء الآخرين . وتضمنت هذه

«الدقائق» أن يحمل موسوليتي إلى ميلان ميتاً . وكان أمر الإعدام قد صدر في الواقع عن بالميرو توجلياتي ، بموجب صلاحياته ، كما قال هو فيها بعد ، في حديث لصحيفة «أونيتا » الشيوعية التي تصدر في ميلان ، كزعيم للحزب الشيوعي ، ونائب لرئيس وزراء إيطاليا . واعترف توجلياتي بأن هذا الأمر قد نص على إعدام موسوليتي وجميع وزرائه فور اعتقالم ، وتمييز هوياتهم ، لكن سر هذا الأمر لم يكشف أبداً للأعضاء غير الشيوعيين في بلخة التحرير الوطني ، الذين اعتبروا أنفسهم ملزمين بتنفيل نصوص اهدئة التي قضت بتسليم موسوليتي إلى الحلفاء . وذكر إيفانو بونوي ، الذي خلف بادوليو في رئاسة الوزراء ، أنه لم يسمع بهذا الأمر قط . لكن الأعضاء الشيوعيين في اللجنة كانوا أقوى الأعضاء على أي حال ، وكان بعضهم يعطف على آراء بلخة بيدمونت التي تطرفت في قراراتها ، فأعدت قانوناً خاصاً بها للعقوبات لا يقضي باعتبار جميع أعضاء حكومة موسوليتي فقط بل جميع الفاشيين الآخرين بجرمين بتهمة «القضاء على لحرية» ، وينص على إعدامهم دون محاكمة إذا لم يسلموا أنفسهم قبل إعلان الثورة العامة في شهال إعدامهم دون محاكمة إذا لم يسلموا أنفسهم قبل إعلان الثورة العامة في شهال

وجرت ثلاث محاولات لتجنب مثل هذا الإعدام السريع لموسوليني ، قام الأمريكان باثنتين منها ، وقامت حكومة الجنوب بالثالثة ، في محاولة للعثور على مكانه . لكن هذه المحاولات الثلاث منيت بالفشل ، وإن كان أعضاء لجنة ميلان الذين قرروا قتله ، قد عرفوا أن هناك محاولات أخرى في صريق الإعداد . وطارت برقية في الساعة الثالثة صباحاً من ميلان إلى مقر قيادة الحلفاء في سيينا هذا نصها تأسف لجنة التحرير الوطني لعجزها عن تسليم موسوليني الذي حوكم وأعدم أمام عكمة شعبية في نفس المكان الذي قتل فيه الفاشيون خمسة عشر وطنياً إيطالياً » .

ولم نمض ساعة حتى كان الجنرال كادورنا يسلم أوديسيو، جواز مرور حصل عليه مساعدة الدكتور جواستونى الذي يعمل وسيطاً بين المقاومة السرية والجيش الأمريكي، من النقيب (الكبتن) إميليو داداريو من الجيش الأمريكي والذي يعمل ضابط ارتباط مع اللجنة . وكان قد اشترك في إحدى المحاولتين الفاشلتين للعثور على موسوليني . وكان قص الجواز الذي كتب بالإنجليزية على النحو التالى :

و إن الكولونيل فاليريو المسمى بمانولى جيوفان باتيستا دى سيزارى ، ضابط إيطالى ، ملحق بالقيادة العامة لمتطوعى الحرية . وقد أوفدته لجنة التحرير الوطنى لشمان إيطالبا ، في مهمة إلى كومو ومقاطعتها ، ولذا يجب السماح له بالتجول بحرية مع حراسه المسلحين . . . التوقيع اى . كيو . داداريو — النقيب » .

وغادر أوديسيو ميلان في سيارة صغيرة في الساعة السابعة من صباح الثامن والعشرين من أبريل متدرعاً بهذا الجواز ، وبجواز آخر بحمل شعار النجم آذي الخمسة الرؤوس وهوشعار فيلق متطوعي الحرية . ورافقه في سيارته الدولامبريدي ، العامل الذي يحمل أيضاً رتبة عقيد في فيلق متطوعي الحرية ، وخلفهما سيارة شاحنة تحمل اثني عشر ربجلا من ربجال المقاومة يقودهم ريكاردو مورديني الذي كان محارباً أيضاً في اللواء الدولي في أسبانيا . وكان الجميع مسلحين بمدافع متين أو بريتا الرشاشة ، وورتدون ملابس الحاكي التي لا تحمل أية شعارات ميزة ، لا ملابسهم العادية التي كانوا يمضون بها فيا سبق إلى مثل هذه المهمات . وكان أوديسيو يرتدي معطفاً طويلا واقياً من المطر ، وبني اللون ، وقد لف عنقه بوشاح مثلث الألوان إذ يضم الأحمر والأنبض .

ووصل إلى كوبو في الساعة الثامنة ، وراح يقفز بسرعة من سيارته ، ويصعد السرج واكضاً إلى دار المحافظة يرافقه الله لامبريدى . وكان جينوبير تينيللى الحافظ الجليد ، أول شخص رآه في البناء . ولاحظ المحافظ حالته العصبية المضطربة ، وطلب منه أن يرى أوراقه . وراح أوديسيو يخرج بشيء من اللورة ، الجواز الموقع بختم فيلق متطوعي الحرية . ولكن بيرتينيللي ، وكان قد رأى العشرات من هذا الجواز في الأيام الأخيرة ، لم جتم به . وأخرج أوديسيو الجواز الموقع من داداريو ، فكان له تأثير أكبر على المحافظ . ولكنه قبل أن يعد بمعاونته ، أواد أن يعرف بالضبط ، حقيقة مهمته . وعندما قال له إن مهمته تنحصر في نقل موسوليني يعرف بالضبط ، حقيقة مهمته . وعندما قال له إن مهمته تنحصر في نقل موسوليني ولفاشيين الآخرين اللين اعتقلوا في دونجو إلى ميلان ، ازداد تحفظ بيرتينيللي . وكان يعرف أن رجال المقاومة السرية المحليين في كومو ، ما كانوا ليرغبوا في أن يعرمهم هذان و العقيدان و المجهولان القادمان من ميلان من شرف اعتقال مثل يحرمهم هذان و العقيدان و المجهولان القادمان من ميلان من شرف اعتقال مثل هذا الأسير الثين . وكانوا قد أعدوا سجن سان دونينو في كومو لاستقبال موسوليني هذا الأسير الثين . وكانوا قد أعدوا سجن سان دونينو في كومو لاستقبال موسوليني

كما أعدت الترتيبات اللازمة لنقله إليه.

وتقول إحدى الروايات المتناقضة والمتعددة التى صدرت عن أوديسيو فيا بعد عن أحداث ذلك اليوم ، إن قلق بيرتينيللى ورفاقه وحرصهم الواضح على عدم التفريط بشيء قد حسرا النقاب و عن مظاهر الغبرة الوضيعة التى تعكسها الروح البورجوازية ، وتحول الحديث عند الساعة العاشرة إلى مناقشات حادة . وعجز أوديسيو على أى حال عن إقناع ببرتينيللى أو أعضاء جنة كومو للتحرير الوطنى بالتساهل ، وطلب أن يرى البارون ساردانا ، ولكن البارون كان قد اختفى ولم يستطع إنسان معرفة مكن وجوده ، وطلب أن يتحدث هاتفييًا إلى ميلان ، وراح يحرك مسدسه بغضب ، وهو بطلب إليهم مغادرة الغرفة ليجرى مكالمته . وانطلق زميله العقيد الدولامبريدى ، وريكاردو مورديني قائد الحرس المرافق له ، أثناء حديثه مع ميلان باتجاه دونجو ، دون أن يتركا له أية رسالة .

وتم الوصول أخيراً إلى حل وسط . واتفق على أن يتسلم أوديسيو الفشيين مقابل وصل يوقعه ، كما اتفق على أن يأخذ معه ما يشاء من وسائط النقل التى يحتاج إليها إلى دونجو ، شريطة أن يرافقه إليها ممثلان عن بخنة كومو للتحرير الوطنى . وهكذا تأهب أوديسيو أخيراً وفي الساعة الثانية عشرة والربع لمغادرة كومو . وانضم إلى الركب في اللحظة الأخيرة على أى حال ، المقدم جيوفاني ديس من ضباط المخابرات الإيطالية ، وكان الأمريكان قد طلبوا منه أن يعثر لهم على موسوليني ، والمعه عميل آخر للأمريكان يسمى «كارليتو» . وكان صبر أوديسيو قد نفد في هذه اللحظة وقرر أن لا يسمح لأية عقبة جليدة بأن تقف في طريقه وعندما توقفت السيارة التي كانت تقل «العميلين» الأمريكيين في ضواحي البلدة لتتزود بالوقود ، راح يمر بجانبهما مسرعاً ويأمرهما والمدفع الرشاش في يده ، بالهبوط من السيارة ، فانصاعا لأمره الصارم متدمرين .

وعندما تخلص على هذا النحو من رفيقيه اللدين لا يرغب فى رفقتهما راح أوديسيو يتبعه ممثلا لجنة كومو ، يسير بسرعة فى طريق دونجو ، وحصل فى الطريق على عربة كبيرة مغطاة ، وراح يدخل بها فى الساعة الثانية والدقيقة العاشرة ومعه حرّاسه ، ميدان دونجو .

وظنهم رجال المقاومة في دونجو من الفاشيين الفارين ، أو رجالا يقومون بمحاولة لإنقاذ من لليهم من المسجونين ، فأطلقوا عليهم النار .

وصرخ أوديسيو بأعلى صوته وسط الميدان ، ملوحاً بيديه فوق رأسه . . . أنا قادم من القيادة العامة . من القائد هنا ؟ أرجو أن تجمعوني به فوراً .

وجاءته رسالة بعد لأى اعتبرها فى منهى الحماقة . فقد ذكرت أن قائد المقاومة موجود فى دار البندية ، وأنه إذا أراد العقيد أن يراه ، فنى وسعه أن يمضى لر ويته هناك . وفقد أوديسيو زمام السيطرة على أعصابه . وراح يصرخ غاضباً ، بأنه أصدر أمراً ، وأنه يريد منهم أن ينفذوه . وراح يقطع المبدان إلى دار البلدية ، يحيط به حراسه ، ونزل الكونت بيلايني السلم للقائه ، قائلا إن فى وسع العقيد أن يضخل ، أما الحراس فيجب أن يظلوا فى الحارج .

ووجد أوديسيو زميله أللو لامبريدى في مكتب الكونت بيلايي في دار البلدية . فأمره بمغادرة المكن لأنه يريد التحدث إلى الكونت على انفراد . وكان الحديث بين الرجاين فاتراً ومفتقراً إلى الود ، وإن كان أوديسيو قد تمكن أخيراً من إقناع بيلايي بأن ممثل لجنة التحرير الوطني في كومو هما من المشتبهين بالفاشية . وبالرغم من أنه وافق على اعتقالهما ، إلا أن بيلايي لم يوح لأوديسيو بأنه سيكون أكثر تعارناً من بيرتينيللي ، محافظ كومو . وكان عازماً على أن لا يدفع دفعاً إلى القيام بعمل قد يأسف له في المستقبل ، وروى أوديسيو فيا بعد ، أنه اضطر إلى الحديث بمنتهي الصراحة في النهاية إلى قائد المفاومة الشاب . وروى أجد ربجال المفاومة ويدعي سورى جنيسي ، وكانت شقيقته خليلة لبيلايي ، أنه رأى العقيد الميلاني ، يقدم بلى الكونت مظروفاً أصفر اللون ، فيه ورقة واحدة موقعة من عضو واحد من أعضاء بلي الكونت مظروفاً أصفر اللون ، فيه ورقة واحدة موقعة من عضو واحد من أعضاء بلحنة التحرير الوطني لشهال إيطاليا ، وقد كتبت فيها العبارة التالية . . . « يحول بلحقيد فاليريو ، بأن ينقل إلى ميلان ، بحرم الحرب ، بنيتو موسوليني » . وعندما سمح لرفاق بيلايني من رجال المفاومة ، بالعودة إلى الغرفة التي كان النقاش دائراً فيها ، تخلي أوديسيو عن كل ادعاء وتظاهر ، وأعلن لهم عزمه الحقيق دائراً فيها ، تخلي أوديسيو عن كل ادعاء وتظاهر ، وأعلن لهم عزمه الحقيق قائلا . . . « جثت لأقتل موسوليني » والقادة الفاشيين » .

وروى بيلليني فيما بعد ، أنه أصيب ورفاقه بما يشبه اللهول . واحتج الكونت

أخيراً بأن خطه أوديسبو « شاذة للغاية » . وأضاف أنه اتفق فى ذلك الصباح مع لحنة التحرير الوطنى فى كومو على نقل موسولينى وجميع الفاشيين إلى هناك . ثم راح يتساءل . . . فما الذى تعنيه هذه الحطة الجديدة بقتلهم جميعاً فى دونجو . وهو بوصفه القائد المحلى لممقاومة السرية ، لا يستطيع السهاح يذلك أبداً . واستمر النقاش حتى الساعة الثالثة بعد الظهر عندما فكر الكونت بعذر قد يتبح له بعض الوقت . إذ لما كان بعض السجناء الفاشيين فى جيرماسينو ، فهو يقترح أن يذهب إلى هناك لإحضارهم . وكان واثقاً من أنه هو وحده ورفيقيه مبشيل موريتى ولويجى كانالى يعرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى يعرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى عرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى عرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى عرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى يعرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى يعرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى يعرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع ولويجى كانالى يعرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو ولن يستطيع ولويجى كانالى يعرفون فقط مكان موسولينى ، وكان يعتقد أن أوديسيو لن يستطيع وليستطيع وليه عينه أثناء المدة التي سيقضيها بعيداً عن دونجو .

لكنه كان مخطئاً . فقد كان موريتى وكانالى فى دار البلدية عندما غادرها ، وكانا من غلاة الشيوعيين . وكان موريتى أيضاً ، يعرف العقيد الآخر القادم من ميلان ، وهو ألدو لامبريدى تمام المعرفة ، إذ سبق لهما أن ناضلا معاً فى الماضى . ولم تمض عشر دقائق عى رحيل الكونت بيللينى ، حتى كان العقيدان أوديسيو ولامبريدى ، يقودان سيارتهما بسرعة خارجين من دونجو . وكان ميشيل مورينى ، يجلس فى المقعد الأماى ، إلى جانب السائق (١) .

<sup>(</sup>۱) لا ريب في أن التاريخ اللاحق بهؤلاء الرجال ، يلق أضواء كثيرة . فوولتر اوديسيو المسمى « بالكولونيل فاليريو » . من الأعضاء البارزين في الحزب الشيوعي ، وهو عضو في بجلس النواب الإيطالى . أما ألدو لامبريدي المسمى « جيدو » ، فا زال حياً ، ولكنه رفض أن يتحدث عن أحداث ذلك اليوم التي أسفرت عن مقتل موسوليي . أما ميشيل موريتي ويسمى « بيتر و جاتى » ، فقد تضاربت الأقوال عن مصيره وذكر بعض الكتاب أنه مات كا ذكر البعض الآخر أنه يميش في الحارج حياة مرفهة ، على حصة من غنيمة دونجو ، ولكنه لا يزال يعيش في الواقع سياة البساطة والفاقة في ضواحي سينو بيو . وما زال الرجل عضواً في الحزب الشيرعي ، ولكنه يرفض الحديث عن الموضوع . وهناك جيوسيري فوانجي وما زال الرجل عضواً في الحزب الشيرعي ، ولكنه يرفض الحديث عن الموضوع . وهناك جيوسيري فوانجي المسمى « لينو » ، وقد تحدث إلى عدد من الناس ، بعد موت موسوليني ثم مات هو ميتة غامضة في الخامس من مايو عام ١٩٥٤ . ومات مثل هذه الميتة الغامضة كثيرون من الذين اشتركوا في أحداث ذلك اليوم . والمؤلف » من مايو عام ١٩٥٤ . ومات مثل هذه الميتة الغامضة كثيرون من الذين اشتركوا في أحداث ذلك اليوم . والمؤلف »

# الوفاة فى دارة بيدمونتى ۲۸ أبريل ١٩٤٥

 و ليس ثمة من يستطيع تحدى القدر مرتين ، و يموت كل إنسان الميتة الى تتفق مم شخصيته »

١

كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة بقليل ، عندما قطع حبل الصمت المخيم على غرفة الذوم فى مزرعة دى ماريا ، صوت خطوات عجلى تذريع ساحة الدار فى الخارج. واقتحم المنزل رجل طويل القامة ، يرتدى معطفاً بنياً واقياً من المطر ، ليصعد الدرج مسرعاً . وسرعان ما دفع باب غرفة النوم ، واندفع الرجل إلى الداخل .

وفوجئ موسوليني بالرجن يقول له . . . « هيا ، جئث لإنقاذك » ـ

ورد موسوليني بسخرية واضحة ، مغتصباً لأول مرة في ذلك اليوم ابتسامة هازئة ، وهو يتطلع إلى الرجل الطويل النحيل ، الذي يحمل المدفع الرشاش في يده . . . « حقاً 1 يا لك من رجل كرم 1 0

وسَأَلُهُ أُودِيسِو : هَلَ أَنْتُ مَسَلَحِ ! ؟

У—

وابتعد أوديسيو بنظره عنه ، وتطنع إلى كلاريتا التي كانت لا تزال مستلقية على السرير ، وقد أزاحت بوجهها إلى الحائط . . . وقال لها الرجل . . . وهنا أنت أيضاً . أسرعى . . . »

وخرجت من السرير ، وشرعت تبحث عن شيء بين الملابس .

وسألها أوديسبو غاضباً : ﴿ عَمْ تَبْحَثَينَ ؟ ﴾

- ابحث عن لباسي .

- لا تضيعي الوقت بالبحث عنه . هيا .

وتركت الفراش . وبينها كان موسوليني يرتدى سترته العسكرية ، التقطت بيدها حقيبتها ، وحقيبة أخرى على شكل دلو . وسأل موسوليني منقذه المزعوم عن ولده فيتوريو ، فأجابه بأنه قد أنقد أيضاً . وسأل عن زيربينو وميزاسوما ومكانهما ، فقال أويسيو . . . إننا نبحث عنهما أيضاً .

وروى أوديسيو ، أن موسوليني صدرت عنه تنهيدة تحمل طابع الارتياح . ومضى الرجل يقول . . . هيا ، هيا ، وراح يدفعهما على السلم ، في لهفته للخلاص من المنزل .

ورأتهم ليا دى ماريا من النافلة ، وهم يبتعدون إلى الطريق ، فرسمت إشارة الصليب على صدرها ، إذ أنها أحبت تلك المرأة ، كما أحبها الصيادان الحارسان أيضاً ، وأعجبت بشجاعتها . وعادت السيدة إلى الغرفة وراحت تعد السرير ، فوجدت آثار الدموع على وسائده وعلى ملاءاته النظيفة التي كانت قد وضعتها في اللية الفائتة .

ولم تكن كلاريتا تبكى الآن ، ولكن عينيها كانتا حمراوين ، وتورم جفناها ، وأمسكت بذراع موسوليني بقوة ، وهي تتعر في خطاها ، في الطريق الضيق . من جراء كعب حذائها العالى ، حاملة حقيبتيها ، مع معطفين ، أحدهما من الغراء ، والآخر من وبر الجمال على ذراعها . لكنه لم يكن قادراً الآن على إسنادها . وتعر في مشيته أيضاً في اللوب الضيق ، ومد ذراعه إلى الجدار يستند إليه ، وحاولت إلى أن تساعده ، فدفعها عنه غاضباً ، كما يقعل المشلول ، إذا أراد أحد مساعدته . ولم ينبس أحدهما ببنت شفه .

ومشى بهم دليلهم إلى القرية ، وعندما كانوا يمرون فى ساحتها ، كانت هناك ثلاث من النسوة يغسلن ملابسهن ويضربها بعنف على صخرة الغسيل . فتطلعن إلى الجماعة الصغيرة . وكان فلاح عجوز ، يهبط سفح الجبل وقد حمل سلة على ظهره ، بيها كانت هناك امرأة تدلف على الطريق ، ومعها طفل صغير . كان هادئاً ، وكان المطر قد انقطع .

واستنتاروا نحو الشمال من الساحة ، ثم ساروا تحت قوس إلى الشارع المعبد ، حيث كانت السيارة فى الانتظار . وكانت السيدة روزيتا بارباريتا ، تقود كلبيها

ق مسيرة ، وعندما وصلت إلى السيارة ، مضت نحوها لتتحدث إلى سائقها المسمى جيمينازا . وكان الرجل حاد الطبع ، وغير راغب فى الحديث إذ صدرت إليه الأوامر بأن يكون حدراً كل الحدر . وكانوا قد قالوا له . . . « سترى عما قريب أناساً لا بد أن تعرفهم وتتميزهم . ولكن عليك أن تنساهم فوراً . أما إذا لم تنسهم ، فإلك لا تكون بذلك قد فقدت ذا كرتك فقط بل حياتك أيضاً » .

وعندما فارقته السيدة بارباريتا ، صادفت في طريقها جماعة من الناس، متجهين إليها . وقال الرجل ذو المعطف البني : «أبعدى . أبعدى» . وهكذا تراجعت بسرعة من طريقهم . وخيل إليها أنهم يتناقشون مناقشة حادة ، وإن لم تستطع فهم ما يقولونه . ورأت امرأة نضم بذراعبها عنق رجل عجوز يدفعونه دفعاً وبخشونة إلى السيارة .

واتجهت السيارة في طريق القرية لتستدير في اتجاهها في ساحها العامة ، وعندما عادت السيارة ومرت بها ، تبينت السيدة بارباريتا في الرجل العجوز وجه موسوليني . وكان هو وكلاريتا وحيلين مع السائق في داخل السيارة ، أما رجل المعطف فقد جلس فوق دولاب السيارة بيها جلس الرجلان الآخران على مقدمها . وعندما تحركت السيارة ببطء صاعدة الحبل ، راح الحارسان الصيادان ، كانتوني وفرانجي يركضان خلفها .

وكان فى وسع السائق جيمينازا أن يرى الأسيرين فى مرآة سيارته . وكان فى وسعه أيضاً أن يرى الحاوسين الراكضين خلف سيارته . . . وقال بعد سنوات . . . ه كانت كلاريتا تلتصق بموسولينى ، ويكاد رأساهما يتلاصقان . وكان موسولينى شاحب الوجه بينا كانت كلاريتا هادئة كل الهدوء . وبدا نى أنه لم تظهر عليها أية علائم لخوف . . . ووقفنا عند مدخل دارة بيدمونتى » .

۲

كانت دارة كبيرة ، تقف وراء سور عال يفصلها عن الطريق . وكانت هناك عائلتان من الذين جلوا عن أماكنهم الأصلية ، تعيشان فيها ، ففيها بيرفاردو

بيلليني المهندس وزوجته ، ورينالدو أوبيزى وزوجته أمنيتا وطفلتاهما ليليا وبيانكا . وعندما وقفت سيارة أوديسيو خارج بوابة الدارة الحديدية ، كانت السيدة بيلايني تجلس على شرفة الدارة متطلعة إلى البحيرة أمامها . وكان زوجها داخل البيت يستمع إلى الإذاعة مع رينالدو أوبيزى . وفي الحديقة كانت ليبيا تقرأ في كتاب تحمله بينا كانت خادمة بيلليني ، جوسيبينا كوردازو ، تعمل في تعشيب أحد أحواض الزهور . وسرعان ما سمعنا صوتاً يصرخ . . . ادخلا . . . ادخلا إلى البيت .

ورأت تبريزا بيلليني ، رجلا ضخم الجسم يخرج من السيارة وهو يضع على رأسه كما تصورت طاقية سوداء ، ويحمل طرف سترته في يده . وتقول إنه بدا لها في صورة « أحد أبناء الجبال ، يمسك طرف خرجه » .

وأمر أوديسيو كالاربتا بأن تخرج من السيارة وراء موسوليني . ورآه السائق أنه وهو يصوب مدفعه الرشاش إليهما ويتمتم ببضع كلمات . واعتقد السائق أنه كان يردد أمراً صدر إليه بإعدامهما ، لكنه لم يتأكد من ذلك ، لأن كل شيء حدث في سرعة عجيبة . ووقف موسوليني جامداً لا يتحرك ، بينا فقدت كلاريتا زمام السيطرة على أعصابها ولفت موسوليني بذراعها ، وهي تقفز هنا وهناك صارخة .. « لا . لا تفعل ذلك . عليك أن لا تفعله » .

وقال العقبد بصوت وصفه السائق بأنه كان ه جافًا وشديد العصبية » . . . دعيه وشأنه ، وإلد قتلت معه ، ولكن كلاريتا لم تأبه بما قاله ، وظلت تقفز بجنون وهي تتعلق بموسوليني . وأطلق أوديسيو الزناد ، وهجمت كلاريتا عليه تمسك بفوهة المدفع الرشاش بيديها وهي تصرخ . . د ليس في وسعك أن تقتلنا على هذا النحو » .

وأطلق أوديسيو النار مرة ثانية . ورأى السائق العرق يتصبب من جبينه . وأطلق الزناد للمرة الثالثة ، ولكنه لم ينطلق ، فانتضى مسدسه من جبيه ، فلم ينطلق أيضاً فهتف بموريتي صارخاً . . . ٥ أعطني مدفعك » . وأعطاه موريتي مدفعه الرشاش الفرنسي الصنع ، وصوبه أوديسيو على موسوليني اللي واجهه بكل هدوء بمسكاً بطرف سترته وقال . . . « أطلق النار على صدرى » . وسمع السائق هذه العبارة بوضوح ، فقد كانت آخر عبارة صدرت عن موسوليني .

قتلت الطلقة الأولى التى صدرت عن مدفع موريتى كلاريتا ، التى هوت إلى الأرض ، لا تحير حراكاً . وأصابت الثانية موسولينى الذى تراجع إلى سور الدارة الحجرى ، حيث هوى ببطء إلى الأرض بعد أن عجزت ساقاه عن حمله . ولم تقتله الإصابة ، فقد ظل يتنفس تنفساً ثقيلا . وتقدم أوديسيو منه فأطلق النار من جديد على صدره ، واختلجت الروح فى جسد موسولينى بعنف ثم هدأت . وتطلع إليه أوديسيو صامتاً لحظة ثم قال السائن . . . «انظر إلى تعابير وجهه ، ألا ترى أنها تناسبه » .

وتقدم موريتي منهما وأشار إلى جيمينازا وكأنه يقول . . . « لا يمكن دفع موريتي منهما وأشار إلى جيمينازا وكأنه يقول . . . « لا يمكن دفع موادث القضاء والقدر » . وقدم أوديسيو إليهما سيجارتين ، فتناول السائق إحداهما، وإن لم يكن قد ألف التدخين من قبل . كان يحس برعب شديد وتصور أن التدخين سيهدئ من ثائرته . وساعد الرجلين في التقاط الحراطيش الفارغة من الطريق ، ثم استقل السيارة ، ليقود العقيدين وميشيل موريتي في الطريق إلى دونجو . وظن الصيادان يحرسان الحثتين . وكانت الساعة الرابعة والدقيقة العشرين .

وقد وقع كل هذا في أقل من دقيقة . ولم تكد السيارة تمضى في طريقها ، حتى دوى هزيم الرعد ، ثم الهمر المطر بشدة .

وسمع سكان الدارة أصوات الطلقات النارية ، وعددها عشر طلقات ، لكن السور المرتفع حال بينهم وبين رؤية ما وقع . ونظاهرت الحادمة جيوسيبينا ، برغبها في التقاط بعض الأزاهير ، وراحت تختلس النظر ، عبر الباب ، واكن صوتاً ، صرخ بها قائلا . . . « أبعدى » ، فابتعدت دون أن ترى شيئاً .

وعاد جيمينازا بسيارته إلى المكان من دونجو ، حيث كان أوديسيو قد أشرف

على إعدام خسة عشر رجلا من الذين اعتقلوا فى موسو (١١). وحمل جثى موسوليتى وكلاريتا فى المقعد الحلمى ثم مضى بسيارته تحت المطر المهمر إلى الطريق الرئيسى الممتد إلى أوزانو . وكانت السيارة الكبيرة تنتظر هناك لنقل الجئتين إلى ميلان ، وسرعان ما قلف بهما فوق الجئث الأخرى

<sup>(</sup>۱) كان الحسه عشر اللين تم إعدامهم . . . مارسيلو بيتاتش ، وفيرنافدو ميزاسوما ، ونيقولا بوبباكى ، واليسافدرو بافولينى ، وباولو زير بينو (وزير الداخلية ) ، وروجيرو رومانو (وزير الأشغال العامة) واوجستو ليفيرانى (وزير المواصلات) وباولو بورتا (مفتش الحزب الفاشى فى لوببارديا) ، ولويجى جاتى (سكرتبر موسولينى) وألفريدو كوبولو (رئيس معهد الثقافة الفاشية) ، وايرنستو داكوانو (مدير وكالة ستيفانى للأنباء) وماديو لودى (رئيس اتحاد المزارمين الفاشين) ، والعقيد فينو كاسالينوفو وبيتر و سالوسترى (ضابط برتبة نقيب فى السلاح الجوي ) وهيئترماير (من رجال الإعلام) .

## ميدان لوريتو ۲۹ أبريل ۱۹٤٥

ه أريد أن تكتبوا عيى قبرى . . . هنا يرقد واحد من أكثر الحيوانات التي ظهرت على وجه البسيطة ذكاء » .

وقفت سيارة نقل الموتى في الساحات المبكرة من صباح التاسع والعشرين من أبريل عام ١٩٤٥ ، بعد أن اجنازت عدة حواجز طرق أمريكية ، أمام مرأب (كاراج) ، لم يكتمل بناؤه ، في ميدان لوريتو البحري ، حيث كان الألمان قد أعدموا خمسة عشر من الرهائن قبل نحو من تسعة شهور . وكان اليوم من أيام الآحاد . وأخرجت الجثث من السيارة ، وألفيت على الأرض في شكل مضطرب حيى الفجر ، عندما قام أحد المارة، بترتيبها في شكل منظم . وقد وضع هذا الرجل حِثْة موسوليسي على بعد من الحثث الأخرى وألعي برأسه على صدر كلاريتا . وجاء شابان ، فراحا يركلان موسوليني بأقدامهما بمنهي القسوة . وعندما خلفاه في مكانه ، كان وجهه قد تبدل وبهشم . وكان فمه مفتوحاً وانفرجت شفته العليا عن أسنانه وكأنه يريد أن يحطب . ووضع أحد المارة عصى في يده ، لف أصابعه حولها . وعندما حلت الساعة التاسعة ، كان حشد غفير من الناس ، قد تحلق حول الحثث ، وكان أفراده يصرخون ويقفزون ، لأن كلا منهم يريد أن يرى المنظر

أمامه . وكان بعضهم يشتم ويلعن ، والبعض الآخر يطلق النار من المسدسات والبنادق على الحثث ، بيما كان البعض الثالث يتطلع واجماً ، وقد ظهر على نفر مُهُم الرضي ، وعلى البعض الآخر الاشمئزاز المصحوب بالإشفاق . ووقف بعض الناس يضحكون ضحكاً هستيرياً . وأطلقت سيدة خس طلقات من مسدسها على جثة موسوليني « لتثأر لأولادها الخمسة الفتلي » . وارتفع عدد النظارة ، وتكاثر الأزدحام والتدافع ، حتى إن الواقفين في المقدمة ، دفعوا دفعاً فوق الحثث ، مما اضطر حراس الحثث من رجال المقاومة السرية إلى إطلاق النار قوق الرؤوس إرهاباً ، لإبعاد الناس عنها ، وإلى تصويب خراطيم المياه إليهم ، لتفريقهم . وهتف رجل ضخم الجثة من رجال المقاومة ، وقد انتشر الدم على ذراعيه العاريتين صارخاً بالناس . . . « من الذي تريدون رؤيته » .

ورد رجل من النظارة . . . بافوليني . . . وقال آخر « بومباكي » ، وارتفعت أصوات عدة . . . « موسوليني . بيتاتشي . . . بوفاريني جيدى » . وكان الربحل يرفع كل واحد منهم بدوره ، وقد وضع بديه تحت ذراعي الجثة رافعاً إباها فوق الرؤوس .

وصرحت الجماهير . . . ارفعها أيضاً . . . ارفعها . . . فنحن لا نرى . . . ونطلق صوت يقول بلهجة آمرة . . . علقوا الجثت .

وسرعان ما جيء بالحبال، وشدت حول معاصم الجثث. وارتفعت جثة موسوليني أولا من رجليها ، وشدت إلى سقف المرأب ، وقد تدلى رأسه إلى الأرض . كان وجهه ملطخاً بالسم ، وفه لا يزال مفتوحاً . وهتفت الجماهير هتافات مجنونة ، وبصق الواقفون في الطليعة على الجئة ، كما أخذ بعضهم يقذفها بكل ما يصل إلى متناول يده من قاذورات . وقد أرغم أخيل ستراشي على الوقوف في سيارة شاحنة يشهد هذا المنظر ، ثم جر جراً إلى جدار حيث أطلقت النار عليه ، ورفعت جئته لتنفي فوق كومة الجئث في انتظار دورها لترفع وتعرض على النظارة .

ورفعت جنة كلارينا بيناتشى ، بعد جنة موسولينى . وزعقت بعض النسوة ، وسرعان ما خيم صمت غريب على الميدان ، استمر بضع ثوان ، بعد تعليق الجنث . أجل فقد توقف الصراخ والهناف ، وهدأت الوجوه المتطلعة ، وساد المكان ، كما روى أحد المشاهدين ، وجوم غريب ، فيه جمود ، وفيه توقع ، وكأن الجميع يعيشون فى حلم لابد من إفاقتهم منه ليروا العالم وقد تبدل . وبدا وكأننا كلنا ، قد اشتركنا لبضع ثوان فى دراك حقيقة واحدة ، وهى أن الدوشي مات أخبراً ، وأنه ذبح دون محاكمة . ومرت بنا لحظات ، خيل إلينا فيها أن علينا أن نوفر بلخافه ، مظاهر التكريم التى تليق بالأبطال ، والصلوات التى يستحقها القديسون بدلا من الإهانات والشنائم .

لكن هذه الحالة النفسية سرعان ما تبدأت . فقد هوى ثوب كلاريتا بعد

تعليقها من رجليها ، وتكشف فخذاها العاريان ، وتقدمت إحدى النساء وقد وقفت على صندوق من الخشب نمزق بيديها لباسها ، فارتفع صراخ الجماهير وزئيرها . وتقدم رجل من الجثة ودس فيها ببشاعة ، عصى يحملها فى يده ، فراحت تتحرك وتدور وتلتوى ، وكأنها تضم عشيقاً . ولكن وجه كلاريتا لم يكن جامداً ، فقد أخذ الرجال بجمالها الذى لم تحجبه الدماء . وكانت عيناها قد أغمضنا ، وبدت هادئة . . . وناعمة . . . وكأن البسمة على وجهها .

أما ملامح موسوليني المعذبة فيم تتكشف عن مثل هذا الرضي . وخيل إلى بعض الناس أنهم رأوا حول شفتيه المتورمتين ، وفي عينيه الجامدتين نظرة يأس وقنوط . لكن الآخرين لم يروا فيه إلا صورة مرعبة لوجه لطخته الوحول والدماء .

#### المصادر

#### مصادر عامة:

تعتبر الدراسة التي أعدها جيورجيو بيني ودويليو سوسمبيل ، تحت عنوان « موسوليني ، الرجل والعمل » والتي تقع في أربعة مجلدات ، أكثر الدراسات شمولا عن حياة موسوليني ، وقد عثرت فيها على معلومات قيمة عن حياته في جرجنانو .

وهناك دراسة حديثة أخرى تقع فى مجلدين أعدها مينوكاودانا تحت عنوان « ابن الحداد » ، ولكنها لا تضيف شيئًا ذا أهمية على المؤلف السابق ، كما أنها تفتقر إلى الدقة ، وإن تضمنت تفصيلات لم أجدها فى مكان آخر .

وهناك كتاب « موسوليني – حياته الشخصية » لباولومونيللي ، ويعتبر أحسن تلخيص لحياته كتب حتى الآن . وقد روى المؤلف وهو صحى خبير ، ما سمعه من كثيرين قابلهم عن حياة موسوليني .

أما كتاب «موسوليني » لريشارد ويشترينج ، فصورة معبرة للرجل كما يراها ر رجل ألماني . وهناك كتاب «موسوليني » لجورج رد ، وهو أحدث ما كتب عن حياته ، ويعتبر دراسة تفصيلية وإن تضمن تفسيرات غامضة لبعض الحقائق .

ولا يعتبر كتاب « حياتى » الذى وضعه موسولينى نفسه مهمناً إلا كوثيقة نفسية . وهناك كتاب إميل لودفيج « أحاديث مع موسولينى » وقد سجل فيه عدة مقابلات وأحاديث مهمة أجراها معه .

ومن أحسن الكتب الأولى التي وضعت عن موسوليني كتاب «حياة بنيتو موسوليني » لمرجريتا سارفاتي ، التي عرفته معرفة وثيقة ، وظنت تعجب به إعجاباً عميقاً حتى استأثرت كلاريتا بيتاتشي بكل اهتمامه .

ولعل خير ما كتب كدراسة علمية عن الفاشية الكتاب الذى وضعه لويجى سالفاتوريللى وجيوفانى ميرا بعنوان « تاريخ إيطاليا فى الحقبة الفاشية » . وهناك كتاب « إيطاليا » لمؤلفه دنيس ماك سميث .

#### مصادر القسم الأول :

۱ -- کتاب ۱ موسولینی فی طریق التکوین » لجودینز میجارو ، ویروی حیاته فی سویسرا وترینتینو . . وقد دحض فیه بعنایة ودقة کثیراً من الروایات التی آوردها مؤرخو حیاته فی عهد الفاشیة ، کما ضمنه بعض الکتابات التی کان موسولینی یؤثر لو لم تنشر .

٢ - كتاب « حياتى كثائرة » لإنجيليكا بالابانوف ، وقد روت فيه الكثير عن
 حياة موسوليني وسلوكه في ميلان .

" - كتاب « حياتى مع موسولينى » لراشيل موسولينى ، وهو كتاب يفتقر إلى الدقة رغم طرافته .

٤ ـ كتاب « أحاديث مع راشيل موسوليني ، لبرونو داجوستيني .

ه ــ كتاب « موسى يقتحم السلطان » لجيدو دورسو ، وهو من أحسسن ما كتب عن الفترة بين عامي ١٩١٣ و ١٩٢٢ .

۲ - کتب عدة منها ۱ تاریخ الثورة الفاشیة لشیروکو» و «حقبة موسولینی » لسیزاری روسی و « موسولینی وعهده » لإدواردو سوسمیل و « أصول الفاشیة » لألتاری ، و ۱ یومیات بالبو » .

٧ - كتاب « ماتبوتى - وموسوليني والمأساة الإيطالية » لكارلو سيلفسترى ،
 وكتاب « الفاشية وأعداؤها » جليدوليتو .

۸ - كتاب « نطور إيطاليا الحديثة » لسيسيل سبريج ، وكتاب « النواحى العالمية للفاشية » جى . اسى . بارنز ، وكتاب « قصة الفاشية » لفاريناتشى ، وكتاب « مدرسة الديكتاتورين » لابجنازيو سيلونى .

### مصادر القسم الثانى :

١ - يوميات تشيانو .

٢ - وتاثق إيطاليا الدبلوماتية .

- ٣ « إيطاليا في برلين » لماجيستراتي .
- ٤ « سفارة إيطاليا في برلين » لسيموني .
- ه بين قصر البندقية وبحيرة جاردا » لانفوسو .
  - ٦ د الديكتانوران وجهاً لوجه ، الالفيرى .
  - ۷ «بین هتلر وموسولینی » لستار هیمبرج .
  - من فرسای إلى نورمبرج a + 1 لبول شمیدت . A
    - ۹ « دبلوماتية موسوليني » لجيتانو سالفيميني
      - ۱۰ـــ « موسوليني وأوربا » لماريو دونوستي .:
- ١١ « سياسة إيطاليا الخارجية في عهد موسوليني » للويجي فيلارى .
  - ۱۲ -- « محور برلين رومة » -- لإليزابيث وتسليان .
    - ١٣ ــ ٥ هتلر » لألان بولوك .
    - ١٤ ــ « تاريخ ألمانيا الهتلرية ، لمويليام شيرار .
    - ١٥ « جذور الحرب العالمية الثانية » لتيلور .
  - ١٦ ــ ٥ ذكريات سفارتي في برلين » لأندريه فرانسوا بونسيه .
- ١٧ ــ كتب ونستون تشرشل واللورد فانسيتارت وداف كوبر عن الحرب الثانية .
  - ۱۸ ــ « تشمېرلين ، حياته ، لکيث فيلنيبج .
  - ١٩ ٥ ماذا نعمل بإيطاليا ٥ لجينانو سالفيميني وجورج لابيانا .
    - ٢٠ ــ ۵ محاكمة موسوليني ٤ ــ لمايكل فوت .
    - ٢١ ــ ٥ إيطانيا والحرب العالمية الثانية » لبادوليو .
      - ۲۷ ــ ، رجل واحد ، لما كارتبي .

#### مصادر القسم الثالث:

- ۱ ــ د يوميات عن الحرب » لكيرينوار ميلليني .
- ٢ ــ ١ جرازياني قال لي لاميليو كاليفاري .
  - ۳ ـ د مذكرات سرية » لكاربوني .
  - ٤ ـــ ( القيادة العليا ) الأوجو كافاليرو .

- مذكرات كيسلرنج.
- ٦ ٩ حليفنا موسوليني ۽ لفون رينيتيلين .
- ۷ «عدة ملايين من الحراب» لماريو رواتا .
  - ٨ « كسل الأسطول » لأنطونيو تريزينو .
    - ٩ « دفاعاً عن الوطن » بحرازياني .
- ١٠ = ٥ ذكريات رفاق موسوليني » لكونينو نافار.
  - ١١ يوميات كلاريتا بيتاتشي .
  - ١٢ قصة عامين لاتيليوتامارد .
- ١٣ ٥ تهمة الخامس والعشرين من يوليو ، لكاسينيالي .
  - ۱٤ ٥ ذكريات سرية ، لكاربوني .
    - ١٥ « الملكية والفاشية » لفيانا .
  - ۱۲ ــ و الشرفة الحالية » لبيير و سابوريتي
    - ١٧ ــ ﴿ قَصِةُ سَنَّةُ ﴾ لموسوليني .
      - ۱۸ «رومة » لمانيللي .
- ۱۹ « موسولینی » الشفق والمغیب لرومان دومبر ویسکی
  - ٧٠ ــ « قصة الجمهورية الإيطالية » لايدمويدو سيوتي
    - ٢١ ــ جمهورية موسوليني لفيليس بيلوتي .
- ۲۲ ۲۰۰۱ يوم من حكم موسوليني ، لايرمانو اميكوكي .
  - ۲۳ ۱ مع موسوليني ، في مأساته » لجيوفاني دولفين
    - ۲٤ ۵ اعترافات موسوليني ۵ لجورج زاخاريا .
      - ٢٥ ١ رومة النازية ، ليوجين دولمان .
  - ۲۲ ۵ سفیر لهتلر فی فیشی وسالو ۵ لرودلف ران .
  - ٢٧ « الحقيقة عن محاكمة فيرونا » لدومينكو ما ير .
  - ۲۸ ــ « موسولینی فی محاکمة فیرونا » لرونزومونتانو .
    - ٢٩ ــ « قصة المقاومة السرية » للجنرال كادورنا .

٣٠ ـــ ۽ تحرير إيطاليا ۽ للويجي فيلاري .

۳۱ ــ ۱ أخى موسوليني ۽ لايدفيج موسوليني

۳۲ ــ ۱ الحیاة مع والدی، لفیتوریو موسولیبی . ۳۳ ــ ۱ الرحلة الاعیرة لبنیتو موسولیبی وکلاریتا بیناتشی ، لستوریکوس :

# فهرست للكتاب

صفحة	4
٥	تقدمة المعرب
11	مقلمة
۱۷	القسم الأول ــ الصراع من أجل السلطان
11	١ ــ الثاثر الشاب (٢٩ يوليو ١٨٨٣ ــ ديسمبر ١٩١٢) .
٤٥	٢ ـــ الداعية إلى التدخل ( أكتوبر ١٩١٣ ــ ٢٤ مايو ١٩١٥ ) .
94	٣ ـــ الفاشي في ًدورالتكوين( أغسطس١٩١٥ - ٢٨ أكتوبر١٩٢٤ )
77	٤ ــ رئيس الحكومة ( ٢٨ أكتوبر ١٩٢٢ ــ ١٣ يناير ١٩٢٤ )
٨٢	<ul> <li>الديكتاتور (۱۳ يوليو ۱۹۲۱ – ۱۰ يونيو ۱۹۶۰).</li> </ul>
1.1	القسم الثانى ـــ الإمبراطورية والمحور
1 . 9	۱ ـــ الدبلوماتی ( ۲۸ أكتوبر ۱۹۲۲ ــ ۱۰ يونيو ۱۹٤٠)
191	٢ ـــ القائلـ الأعلى (١٠ يونيو ١٩٤٠ــ ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢)
۲۱۳	القسم الثالث ــ سقوط العملاق
410	۱ – الحرب تسير سيراً سيئاً ( ۲۳ أكتوبر ۱۹٤۲–۲ يناير ۱۹٤۳ )
۲۳۳	۲ المتآمرون ( نوفمبر ۱۹۶۲ — ۲۶ يوليو ۱۹۶۳ )
729	٣ – اجتماع المجلس الأعلى ( ٧٤ ــ ٢٥ يوليو ١٩٤٣ ) .
474	٤ – الاعتقال فىقصر سافوى ( ٢٥ يوليو ١٩٤٣ )
444	<ul> <li>السجين ( ۲۵ يوليو ۱۹۶۳ – ۲۸ أغسطس ۱۹۶۳ )</li> </ul>
	٦ – على الصخرة العظيمة ( ٢٨ أغسطس ١٩٤٣ –
4.0	
414	٧ – الإنقاذ من الصخرة العظيمة ( ١٢ سبتمبر ١٩٤٣)
444	<ul> <li>٨ ـــ مقابلة فى مقر قيادة الفوهرر ( ١٥ سبتمبر ١٩٤٣ )</li> </ul>
	ici

#### صفحة

•	
<b>A</b>	٩ ـــرئيس الجمهورية في جرجنانو ( ٢٧ سبمتبر ١٩٤٣ ـــ
400	۲۷ سېمتېر ۱۹٤٤)
**	١٠ ــ الحرب الأهلية (نوفمبر ١٩٤٤ ـــ ديسمبر ١٩٤٤) .
	١١ ــ رئيس الحمهورية فى جرجنانو ـــ الأشهر الأخيرة ( ديسمبر
۳۷۷	۱۹۶۶ آبريل ۱۹۶۵) .
۲۸۲	۱۲ ــ الألمان يستسلمون ( من فبراير ــ أبريل ١٩٤٥) .
441	١٣ ــ الانتقال إلى ميلان ( من ١٩ إلى ٢٥ أبريل ١٩٤٥ )
٤٠٥	<ul><li>١٤ – الفرار من ميلان ( من ٢٥ – ٢٧ أبريل ١٩٤٥ )</li></ul>
٤٢٠	١٥ ــ الاعتقال ( ٢٧ أبريل ١٩٤٥ ) .     .     .   .   .
६४६	١٦ ــ الكولونيل فاليريؤ (من ٢٧ ــ ٢٨ أبريل ١٩٤٥) .
٤٤٠	١٧ ـــ الوفاة في دارة بيدمونني ( ٢٨ أبريل ١٩٤٥)
٤٤٨	۱۷ ـــ میدان لوریتو ( ۲۹ أبریل ۱۹۶۵ )     .     .     .     .     .
٤٥١	المصادر المصادر
٤٥٧	فه ست الکتاب

تم طبع هذا الكتاب على مطابع دار المعارف بمصر



دارالهارف بمصر



```
۱۱۵ قرصاً ج.ع.م ۱۱۵۰ فلساً في العراق والأودن ۱۲۱۰ فرنكات في المغرب ۹۲۰ ق. ل ۱۲۹۰ فلساً في الكويت ۱۳٫۲۱ وريالا سعودياً ۱۲۵۰ ق. من ۱۳۸۰ مليمات في تونس ۲۳ شلنا کم في البلاد ۱۱۵۰ ف. من ۱۲۸۰ فرنكات في الجلال ۱۳٫۳ دولارات الانجري
```